شؤون فلسطينية

١٩٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩

شؤون فلسطينية

١٩٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩

شَهريَّة فِكريَّة لمعَالجة أحدَاث القضيَّة الفِلسطينية وشؤونهَا المختَلفة
تَصدُر عَن مَركَز الأبحاث في منظمَة التحْرير الفلسطينيَّة

المحتويات

٣ رسالة الأخ ياسر عرفات: عام اطلالة الفتح المبين

١٥ حدود الفرصة الفلسطينية ..... د. نبيل حيدري

٢٩ السياسة المصرية والمسألة الفلسطينية، ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨ ..... رضا هلال

٦١ تطور الاقتصاد الاسرائيلي، ١٩٤٨ ـ ١٩٨٨ ..... د. محمد صفوت قابل

٧٧ القمر الاصطناعي الاسرائيلي وتحدّيات الامن العربي ..... د. نبيل ابراهيم أحمد

تقارير

٨٢ ردود الفعل الاسرائيلية على «اعلان الاستقلال» ..... صلاح عبدالله

مراجعات

٩٠ التلفيق في الادب العبري ..... د. سامي الجندي

شهريات

١٠٠ المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً:
هجوم السلام الفلسطيني ..... سميح شبيب

١٠٤ المقاومة الفلسطينية ـ عربياً:
ادارة فلسطينية للتضامن العربي ..... أحمد شاهين

١١٢ المقاومة الفلسطينية ـ دولياً:
«توازن» الحوار ..... ن. ح.

١١٧ المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً:
مواجهة وبناء ذاتي ..... د. يزيد صايغ

١٢٢ اسرائيليات:
بدء الحوار الاميركي ـ الاسرائيلي؛
«هزّة أرضية» في اسرائيل ..... محمد عبدالرحمن

١٢٧ المناطق المحتلة:
بداية العام الثاني للانتفاضة؛
مزيد من الضغط الدبلوماسي ..... ربعي المدهون

وثائق
١٣٣ نص خطاب الأخ ياسر عرفات في الجمعية العامة للامم المتحدة
١٤١ عرفات: حق الوجود للجميع
١٤٣ رسالة شولتس الى شامير وبيرس قبل بدء الحوار مع م.ت.ف.
١٤٤ القرار الاميركي بفتح الحوار مع م.ت.ف.
١٤٥ بيان اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف؛ نجاحات سياسية كبرى
١٤٦ قرارات للامم المتحدة حول قضية فلسطين

يوميات
١٥٠ موجز الوقائع الفلسطينية من ١٦/١١/١٩٨٨ الى ١٥/١٢/١٩٨٨

بيبليوغرافيا
١٧٩ القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي ..... اعداد: ماجد الزبيدي

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين للفنان **محمد بشناق**

الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها؛ ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين

ISSN 0258 - 4026

المدير العام : **صبري جريس** مدير التحرير : **محمود الخطيب**

المراسلات
Al-Abhath Publishing Co. Ltd
92 Gregoris Afxentiou Street
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus
Tel. 461140, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

الاشتراك السنوي
[بريد سطحي] في الدول العربية وأوروبا ـ للأفراد ٤٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٥٠ دولاراً (يضاف ٣٠ دولاراً للبريد الجوي) □ في باقي دول العالم ـ للأفراد ٥٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٦٠ دولاراً (يضاف ٥٠ دولاراً للبريد الجوي)

رسالة الأخ ياسر عرفات

رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف.
القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

في الذكرى الرابعة والعشرين لانطلاقة الثورة الفلسطينية

عام اطلالة الفتح المبين

بسم الله الرحمن الرحيم

«لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاءالله آمنين»

صدق الله العظيم

يا أهلي؛ يا اخوتي؛ يا أحبّتي

يا جماهير شعبنا الفلسطيني المكافح الصامد في الوطن وفي الشتات

يا جماهير الانتفاضة الجماهيرية المباركة في فلسطين

يا جماهير المخيمات والثورة والصمود في لبنان الصامد

يا أبناء الثورة الفلسطينية وثوّارها وفدائييها المرابطين داخل أرض الوطن وعلى تخومه

مع التسابيح التي يتردد صداها في فلسطين، مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، والتراتيل التي تشدو بها الارض المقدسة، مهد المسيح عليه السلام، تبدأ اطلالة العام الخامس والعشرين؛ اطلالة ثورتكم على ربع قرن من الزمان؛ ربع قرن من الجهاد وديمومة هذه الثورة الباسلة المباركة التي انطلقت طلائع الفتح فيها لتصنع هذا المجد وذلك الابداع النضالي الصبور في مطلع العام ١٩٦٥، ولا تزال مستمرة في الرباط والمرابطة، في النضال وفي المواجهة، وانطلقت لترد على التحدي الصهيوني، ولتعيد الاعتبار للحقائق التاريخية فوق هذه الارض الطيبة المقدسة، بعد ان عاث المعتدون الصهيونيون والمستعمرون فساداً وافساداً في أرضنا، محاولين وأد الحقائق والقيم الاخلاقية والانسانية تحت ركام من ادعاءات القوة وغطرستها، حاولوا فيها تطبيق قوانينهم العنصرية على بلادنا المقدسة ذات السمات الروحية، والتاريخ العريق، والحضور الفاعل والمميَّز في التاريخ الانساني كله.

أربعة وعشرون عاماً متواصلة من الجهاد الدؤوب، قدّم فيها شعبنا الفلسطيني كل يوم، بل وكل ساعـة وكل دقيقة، الضريبة الغالية من دمائه ومهجه، ليؤكد، عبر هذا العطاء المتدفق من البطولة والتضحيات، وفي اتصال لا ينقطع مع الحياة، ومع القيم الاخلاقية والحضارية، انه شعب عريق في وجوده، وفي تقاليده، وفي تشبّثه الراسخ بأرض وطنه. فمن أجل هذا الوطن الغالي، فلسطين، تقدمت الاجيال الفلسطينية، جيلاً بعد جيل، وقافلة في اثر قافلة، لتعلن، باستشهادها البطولي وتضحياتها الجسام، أصالة هذا الشعب وأزلية هذا الوطن؛ ولتصنع بهذه الملحمة الفلسطينية المتصلة والمتواصلة أسطورة خالدة على مرّ الزمن فوق هذه الارض العربية الخالدة، أبطالاً وشهداء، رجالاً ونساء، شيباً وشبانا، فتيانا وفتيات، أشبالاً وزهرات، تتسامى قاماتهم في وجه التحدي المستمر، ليلاً نهاراً، فاذا بهم عمالقة هذا العصر، يجودون بأرواحهم في سبيل الدفاع عن الوطن، وفي سبيل مقاومة التصفية للشعب والقضية؛ فلا حياة في ظل الاحتلال؛ ولا كرامة في ظل قوى العدوان والشرّ التي أسكرتها نشوة انتصارات ليست من صنيعها ولا بقدرتها، فظنّت انها تمكّنت من السيطرة على هذا الشعب؛ فكان هذا الصمود الاسطوري في مواجهة حلقات المؤامرة في كل موقع من مواقع المواجهة، في كل أماكن الشتات، وعلى أرض الوطن؛ وكان هذا التحدي يواصله شعبنا في مواجهة أعتى الهجمات والمؤامرات. وطوال هذه السنوات الصعبة والمريرة تكشّف المعدن الاصيل لهذا الشعب الفلسطيني عن أجيال فلسطينية مؤمنة، أقسمت أمام الله والوطن والتاريخ والشعب والامة على ان تحمل الراية وان تستمر في الجهاد، مهما ازدادت صعوبة الطريق، او تزايدت المحن، أو غلى الثمن، أو عظمت التضحيات.

ولقد وقف العالم مذهولاً أمام البطولة الفلسطينية مرّات ومرّات، وأمام المعجزات والبطولات التي اجترحتها سواعد أبطال الثورة وفدائييها فوق أرض الوطن وجباله وسهوله، من الجليل الى الضفة، الى غزة، الى النقب، وفي أغوار الاردن، وفي سيناء على ضفاف القناة، وعلى أرض الجولان، وفي جبال لبنـان، وفي مخيمـات الصمـود في جنوبه، وملحمة الصمود في بيروت، ولتتلاحم وتتمازج مع هذه الانتفاضة الشعبية المباركة لجماهيرنا المؤمنة المناضلة، حيث وجدت هذه البطولة الفلسطينية طريقاً شقّتـه بدمائها لتقول للعالم: ان فلسطين خالدة، وجوداً وشعباً وتاريخاً، وان الحقيقة الفلسطينية ليست عابـرة ولا طارئـة، بل هي التاريخ الحقيقي لهذه الارض الفلسطينية المقدسة، وهي العطاء المستمر للحضارات الانسانية على مرّ الأزمان والعصور.

أربعة وعشرون عاماً من الكفاح الاسطوري، فرض فيها الشعب الفلسطيني حضوره على خارطة العالم، وفرض حقوقه على المجتمع والضمير الانساني، وظهرت عدالة قضيتنا وشرعية كفاحنا من اجل الاستقلال والحرية والوطن، فوقف العالم الى جانب قضيتنا العادلة، وناصر كفاحنا المشروع، وتكشّفت الأقنعـة عن وجـه الاحتلال الصهيوني، فبدا أمام العالم عارياً، مداناً لاحتلاله ولجرائمه ولارهابه الرسمي المنظّم ضد شعبنا وأطفالنا ونسائنا، وتأكدت حقوقنا الوطنية الثابتة، وفي مقدّمها حقنا في الحرية والاستقلال الوطني.

بسم الله الرحمن الرحيم

«يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الّا ان يتمّ نوره ولو كره الكافرون»

صدق الله العظيم

يا جماهير شعبنا الفلسطيني الصامد

يا جماهير الانتفاضة الباسلة

يا ثوّارنا الابطال في كل المواقع والقواعد فوق أرض الوطن

ان انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، انطلاقة «فتح» في الفاتح من كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٦٥، شكّلت نقطة انعطاف تاريخية حاسمة في حياة شعبنا الفلسطيني، بل وفي حياة وتاريخ أمتنا العربية. فهذه الثورة التي انطلقت بعد ١٧ عاماً على اغتصاب فلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني من أرضه ضمن أبشع ظلم تاريخي ومؤامرة محبوكة لشطبه من الخارطة السياسية والجغرافية للمنطقة.

ان المعركة على فلسطين، ومن أجلها، ليست معركة سهلة، بل هي معركة طويلة النَفَس، بسبب هذا الترابط العضوي بين الوجود الصهيوني في فلسطين وبين المصالح الاستعمارية والامبريالية على المستوى العالمي.

ومنذ بداية هذه الثورة، أعلنّا ان هدف نضالنا الوطني هو قيام الدولة الديمقراطية الفلسطينية، والتي تضمن العيش الكريم والحرية والمساواة والاخاء للجميع، دون تمييز بسبب العرق، او الدين، أو اللغة. لكن عدوّنا الصهيوني ركب رأسه وسار في غيّه وضلاله، واعتمد القوة والعدوان طريقاً لا ثاني له، للقضاء علينا وعلى حقوقنا في أرضنا المغتصبة.

ولم يكن أمام شعبنا وأمام ثوّارنا ومجاهدينا غير طريق الكفاح والجهاد للوقوف في وجه القوة العمياء التي يسخّرها العدو الصهيوني في خدمة عدوانه واحتلاله، وحيث تمكّن الابطال من شعبنا وثوارنا من فرض قضيتنا الفلسطينية، ليس على العدو فحسب بل وعلى الوجدان والضمير العالمي.

وحوّلت ثورتنا شعبنا من شعب لاجيء الى شعب ثائر عبر شلال الدم الذي لم يتوقف لحظة واحدة في المسيرة الثورية الفلسطينية، والتي يتوّجها هؤلاء الابطال الفلسطينيون الذين يتحدّون بأجسادهم آلة الحرب الاسرائيلية ـ الاميركية، والتي يضرب عدوّنا بها قواعد ثورتنا وقيادتنا وكوادرنا وأطفالنا ونساءنا وجماهير شعبنا داخل، وخارج، الوطن، غير عابيء بالقرارات الدولية، ولا بسيادة الدول على أراضيها، في طول منطقة الشرق الاوسط وعرضها.

لقد انتصر العالم كلّه للحق الفلسطيني يوم رأى ابطالنا يصمدون في وجه العدوان الصهيوني؛ ويوم رأى مخيماتنا الصامدة تتحدى المجازر وعصابات العدوان المسلط عليها؛ ويوم رأى أطفال الحجارة يصنعون معجزة القرن العشرين. وهكذا تتابعت الاسطورة الفلسطينية، متّحدة ومتواصلة في الزمان والمكان والهدف، بعزيمة لا تلين وارادة لا تستكين، وبالاندفاع البطولي الهادر من شعب قرر ان يعيش حرّاً سيداً فوق أرضه، أسوة بكل شعوب الارض.

يا أهلنا؛ يا كل أهلنا في الوطن، وفي الشتات

يا جماهير الانتفاضة والثورة الشعبية المباركة

يا أبطالنا البواسل في المخيمات، وفي كل مواقع الثورة

يا جماهير الدولة الفلسطينية المستقلة

لم يكن ممكناً ان تقع كل هذه المعجزات وسط هذا الطوفان من التآمر، لولا الايمان الكبير الذي يحرّك شعبنا بحقه في الحياة، وفي الوطن الحر المستقل. وهكذا حافظت ثورتكم على قراركم الوطني المستقل، وقاومت، بضراوة وعناد مشهودين، كافة المحاولات والقوى التي حاولت، عبثاً، سرقة

قراركم والمتاجرة به في أسواق النخاسة الدولية. ولن ينسى هذا الشعب البطل أبناءه الابرار الذين جادوا بدمائهم الزكية في مخيمات لبنان، شماله وجنوبه، وفي غيره من الأقاليم والاقطار، من الشهيد أحمد موسى، أول شهيد في الانطلاقة، الى آخر طفل شهيد على أرض الوطن، دفاعاً عن قرار شعبنا المستقل الذي أعلنته الثورة منذ انطلاقتها يوم قالت: لا للوصاية؛ لا للتبعية؛ لا للاحتواء؛ نعم للقرار الوطني الفلسطيني المستقل. وكذلك صمدت مخيماتكم في لبنان: صمد مخيم صبرا حتى دمّره العملاء عن بكرة أبيه؛ وصمد مخيم برج البراجنة حتى دمّر الخونة معظم أحيائه وبيوته؛ وصمد مخيم شاتيلا حتى ضرب المثل للعالم في الصمود، وفي التضحية، في مواجهة العمالة والخيانة. ومن هذا الصمود، وبفضله، عاشت وحدتكم الوطنية الفلسطينية قوية راسخة، وانهارت أحلام الحالمين بالوصاية والتبعية والاحتواء، وتلاشت آمال العملاء الموصومين المراهنين على أسيادهم المنهارين.

وبدأت ثورتكم تشقّ الطريق الى المرحلة التاريخية الراهنة، مرحلة الثورة الشعبية والانتفاضة المباركة، يتجمع فيها الشعب، كل الشعب، أطفالاً ونساء، رجالاً وشيباً، عمالاً وفلاحين، طلاباً وأكاديميين، صنّاعاً وحرفيين، ملّاكاً وتجاراً وموظفين، ينتظمون في صفوف القيادة الوطنية الموحّدة عبر اللجان الشعبية والاطر الجماهيرية والقوات الضاربة والجيش الشعبي، يصنعون الفجر الجديد والأمل الجديد.

يا جماهير هذا الشعب البطل في داخل الوطن وخارجه

يا أبطال الانتفاضة البواسل

يا أبطالنا الصامدين في المخيمات

ملحمة تاريخية، وعهد جديد، وتاريخ جديد، وصفحة جديدة، وسفر خالد جديد، هي الانتفاضة الوطنية المباركة في تاريخ هذا الشعب، والتي من خلالها تغير العالم، قوى ومواقف واتجاهات، باتجاه شعبنا وقضيتنا العادلة.

ونحن يا أخوتي؛ يا أحبتي؛ اذ نقف، اليوم، اجلالاً واكباراً واحتراماً لشهدائنا الابرار، شهداء الانتفاضة، وفي مقدمهم أخي الشهيد الرمز أبو جهاد، تتابع جماهيرنا الأبيّة الصامدة طريقها، تحطّم بصدورها العارية أسطورة التفوّق الاسرائيلي بهذه السواعد التي تقذف الحجارة، وهذه الزنود التي تحمل الراية الفلسطينية، وهذه الجموع الهادرة في المخيمات والمدن والقرى والاحياء والشوارع والازقة.

ان هذه الانتفاضة الشعبية المباركة قد قضت والى الأبد على محاولات عدوّنا الصهيوني لابتلاع أرضنا الفلسطينية وقدسنا الشريف، وما حدث من تحوّلات دولية حاسمة خلال العام الأول من عمر هذه الانتفاضة الشعبية، وبفعل بطولة هذا الشعب وصموده في كافة مواقع النضال، داخل وخارج أرضنا المحتلة، وأيقظت الضمائر في عالمنا المعاصر، وأدى ذلك الى تأييد واحترام حق شعبنا في الحرية والاستقلال.

يا جماهير شعبنا الفلسطيني البطل

يا جماهير الانتفاضة الباسلة في وطننا المحتل

ان العدو الصهيوني قد فقد مواقعه الدولية، وفقد مصداقيته، وفضحت بطولات أبطال

الحجارة ديمقراطيته الزائفة، وظهر على حقيقته، كياناً محتلاً ومغتصباً، أمام العالم كله، ولن ينفع العدو الصهيوني ان يدفع اليوم بمزيد من قوات الاحتلال وبمزيد من آلات الفتك والقتل والدمار لقمع الانتفاضة. فانتفاضة شعبنا المباركة قد تجذّرت في الارض، وفي الوجدان، وهي مستمرة بعونه تعالى حتى يتمّ دحر الاحتلال الصهيوني وانسحاب قواته وانتصارنا على أشرس قوة محتلة عرفها التاريخ، وبناء دولتنا الحرة، دولة فلسطين، وعاصمتها القدس الشريف.

يا أهلي؛ يا اخوتي؛ يا أحبّتي

يا جماهيرنا الباسلة داخل وطننا، وخارجه

ان الانقلاب التاريخي الذي أحدثته الانتفاضة في المواقف والسياسات الدولية قد تزامن، وترافق، مع هذا الانتصار العظيم لرفاق الخندق والمصير، انتصار الشعب العراقي الشقيق والجيش العراقي البطل على البوّابة الشرقية للامة العربية، الذي وفّر، مع هذا الموقف العربي المتضامن، وضعاً دولياً جديداً ساعدنا على التحرك على خارطة سياسية جديدة متطورة لترسيخ انتصارات شعبنا وتأكيد حقوقنا الوطنية الثابتة؛ هذا بجانب مواقف أصدقائنا في الكتلة الاشتراكية، وفي مقدمهم الاتحاد السوفياتي، والصين الشعبية، والدول الاسلامية، ودول عدم الانحياز، والدول الافريقية، وحتى الدول الاوروبية.

ولا ننسى ان ما حدث قد هزّ ضمائر اليهود الشرفاء داخل اسرائيل، وخارجها، الذين رفضوا الاحتلال وجرائمه ضد شعبنا وأطفالنا ونسائنا.

ان الحركة الدؤوبة لعقد المؤتمر الدولي، سواء في الامم المتحدة، أو في محادثات الوفاق بين القوتين الاعظم، أو على المستوى الاوروبي، أو ضمن دول عدم الانحياز، انما يرتبط، كلية، بفعل الصمود الفلسطيني، وبفعل الحجر الفلسطيني المقدّس الذي قلب المعادلات في المنطقة، وفرض على القوى الدولية المختلفة ان تقوم بمراجعة عاجلة لسياساتها الشرق أوسطية.

لقد حرّكت انتفاضة شعبنا الوضع الدولي كله. ولم يعد استمرار الصمت ممكناً؛ فالقمع الوحشي الاسرائيلي للاطفال وللنساء وللشيوخ يفوق قدرة أي انسان يتمتع بحد أدنى من الوجدان على الاحتمال والصمت. وأمام اصرار شعبنا وتضحياته في مواجهة الاحتلال الصهيوني كان واضحاً ان الرأي العام العالمي، بما في ذلك قطاعات واسعة من الرأي العام الاميركي وقواه ومؤسساته، قد وقف الى جانب شعبنا الاعزل من كل سلاح، والذي يتصدى بصدوره العارية لجيش الاحتلال وآلة قمعه ومستوطنيه المسلحين المتعصبين.

يا جماهير الانتفاضة البطلة

يا أبناء الثورة الفلسطينية في كل موقع وقاعدة

يا أبناء أمتنا العربية المجيدة

لقد عملت ثورتكم، منذ انطلاقتها في مطلع العام ١٩٦٥، على تعزيز وحدة الصف العربي وتمتين أواصر التضامن العربي في مواجهة الاحتلال الصهيوني لارضنا الفلسطينية والعربية. وكنّا، لذلك، مع كل اجتماع عربي يعزّز وحدة العرب وتضامنهم؛ فنحن أبناء هذه الامة العربية، وجزء لا يتجزأ منها؛ انتصارها انتصارنا؛ وقوتها قوتنا؛ وما يصيبها يصيبنا؛ ولعل أهم الاجتماعات العربية

الاخيرة هو قمة الجزائر، قمة الانتفاضة، التي شكلت منعطفاً حاسماً تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وحدّدت استراتيجية العمل العربي في مرحلة الانتفاضة؛ كما حدّدت قمّة الانتفاضة الهدف السياسي المركزي للامة العربية، على انه استعادة جميع الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة منذ عدوان حزيران (يونيو) العام ١٩٦٧، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وفي بناء دولته المستقلة، وعاصمتها القدس.

يا جماهير شعبنا الفلسطيني المكافح

يا أبطال الانتفاضة داخل وطننا المحتل

لقد أحكمت ثورة شعبنا الطوق حول عدوّنا الصهيوني المحتل، وأسقطت ذرائعه وحججه؛ وجاء القرار الاردني بفك الارتباط الاداري والقانوني بالضفة الغربية المحتلة ليشكّل منعطفاً مصيرياً لشعبنا ولنضالنا. وانسجاماً مع مسؤولياتنا الوطنية والقومية، ومع مقررات القمم العربية، وخاصة قمم الرباط وفاس والجزائر، قررت منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، تحمّل هذه المسؤوليات وما يترتب عليها كاملاً.

وفي هذا السياق، فاني أؤكد، هنا، قرارات مجالسنا الوطنية المتعاقبة حول العلاقات الفلسطينية ـ الاردنية، باعتبارها علاقات أخوية مميّزة تقوم، مستقبلاً، على أسس كونفدرالية بين دولتي الاردن وفلسطين. ليس هذا فحسب، بل ان منظمة التحرير الفلسطينية تسعى، على الدوام، الى التضامن العربي الفعّال في مواجهة التحديات المطروحة على أمتنا العربية، والى اقامة علاقات عربية قومية مع جميع الاقطار العربية، لقطع الطريق على المحاولات الصهيونية الخبيثة لبلقنة المنطقة ولضرب الوحدة العربية وتفتيت الامة.

يا أهلنا؛ يا أحبتنا

يا أبطال شعبنا المكافحين من اجل الاستقلال والحرية

يا رجال ونساء وأطفال الانتفاضة البطلة

يا أبطال القيادة الوطنية الموحّدة

أيها الثوار البواسل في كل مواقع الثورة والمواجهة

أمام هذه الانجازات السياسية الضخمة التي حققها هذا التراكم الثوري لشعبنا ولثورتنا وصمود أبطالنا ومخيماتنا وحققتها الانتفاضة الباسلة لجماهيرنا، كان لا بدّ لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تقوم بترجمة، وبتجسيد، هذه الانجازات؛ وجاءت الدورة التاسعة عشرة لمجلسنا الوطني الفلسطيني، التي عقدت في الجزائر الشقيقة المناضلة لتترجم انتصارات الانتفاضة الى أهداف سياسية محددة؛ وأصدر مجلسنا الوطني اعلان الاستقلال وقيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، تأكيداً وتنفيذاً لمطلب شعبنا التاريخي في تقرير المصير والاستقلال الوطني، وانسجاماً مع الهدف القومي العربي المركزي الذي قررته قمّتا الرباط وفاس وقمة الانتفاضة في الجزائر. كما تبنّى المجلس قرارات الشرعية الدولية بشأن الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بما فيها القرارات الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني.

ولقد أحدثت الخطة السياسية الفلسطينية هذه صدى كبيراً على المستوى الدولي؛ اذ كان

اعداؤنا يراهنون على ان مجلسكم الوطني لن يكون قادراً على اعتماد خطة سياسية تضمن تحقيق أهداف الانتفاضة في الحرية والاستقلال وانهاء الاحتلال الاسرائيلي واقامة الدولة المستقلة وعلى ارضية الوحدة الوطنية الراسخة.

ان خطتنا السياسية التي تبنّاها مجلسنا الوطني الفلسطيني انما تعكس المصالح الحيوية للشعب الفلسطيني وفق شروط وظروف دولية وعربية محددة. وقد اعتبر عدوّنا الاسرائيلي هذه الخطة بمثابة اعلان حرب وخطر عليه، وحاول تشويهها بكل الطرق والاساليب؛ ولكن زادت عزلته الخانقة التي يعيشها منذ فضحت جماهير الانتفاضة واقع الاحتلال اللاانساني، وواقع قمعه الوحشي لجماهيرنا المدافعة عن أرضها، والمناضلة من أجل حريتها واستقلالها.

ولقد حقّقت قرارات مجلسنا الوطني آثاراً ونتائج سياسية هامة فور صدروها، ووقفت أمتكم العربية الى جانب هذه القرارات، واعترفت جميع الدول العربية بدولة فلسطين بجانب اعتراف أكثر من سبعين دولة صديقة بها. وفي جنيف، حيث عقدت الجمعية العامة جلستها الخاصة بفلسطين، شارك جميع وزراء الخارجية العرب مع عدد من وزراء خارجية دول عدم الانحياز والدول الصديقة والاشتراكية في هذا الاجتماع، ممّا أعطى الموقف العربي والموقف الفلسطيني القوة اللازمة لاصدار قرارات دولية هامة تعترف بالدولة الفلسطينية وتقبل عضويتها مراقباً في الامم المتحدة، وتدعو الى عقد المؤتمر الدولي للسلام، وتدين، بشدة، الاحتلال الاسرائيلي لارضنا الفلسطينية والعربية، وتدعو، باسم المجتمع الدولي، الى الانسحاب الفوري وغير المشروط لجيش الاحتلال الاسرائيلي من على أرضنا المحتلة.

يا جماهير الانتفاضة الوطنية المباركة في وطننا المحتل

أيها الاخوة المقاتلون في كل مواقع الثورة

ان ثورتكم ومنظمتكم، منظمة التحرير الفلسطينية، ومن خلال تجارب شعبنا الكفاحية الثورية الاصيلة، تحرّكت وعلى أرضية هذا التراكم النضالي لشعبنا، وهذا الصمود الاسطوري لثوارنا، وهذه الانتفاضة المباركة المظفّرة، لتوفير الدعم المادي والمعنوي لقضيتنا العادلة ولجهادنا المشروع على المستويات المحلية والعربية والدولية كافة.

فمن قلب آسيا، الى قلب أفريقيا، الى قلب أوروبا، الى الاتحاد السوفياتي الصديق، الى الصين الشعبية الصديقة، الى الدول الاشتراكية، الى دول أميركا اللاتينية، تحرك طائر الفينيق الفلسطيني يجمع الاشقاء والاصدقاء ويستفيد من دعمهم ومساندتهم لشعبنا وثورتنا وانتفاضتنا وسياستنا.

ان الزخم الثوري الفلسطيني الذي تميّز طوال عام الانتفاضة بالحركة الشاملة على كل هذه المستويات، قد أحرز الدعم والتأييد لقضية شعبنا العادلة ولحقوقه الوطنية الاساسية في مقابل خسارة واضحة لحقت بالعدو الاسرائيلي في مواقع كان يعتبرها حكراً عليه ومضمونة في ولائها لسياساته ومواقفه وحتى لجرائمه، وخاصة على الساحة الاوروبية، وبين القوى اليهودية داخل وخارج اسرائيل، التي رفضت الاحتلال الاسرائيلي ودانت وحشيته وجرائمه.

يا جماهيرنا البطلة المدافعة عن الحرية، والمناضلة في سبيل الاستقلال ودحر الاحتلال

يا أبطالنا الصناديد في مواقع المواجهة والصدام

ان انتفاضة شعبنا تواصلت واستمرت طوال الشهور الثلاثة عشر الماضية؛ ولم تتوقف

فيها التضحيات لحظة واحدة؛ واستمر شلّال الدم الفلسطيني متدفقاً يروي شجرة الحرية ويزهي جهادنا الصادق الامين عبر مواكب الشهداء الابرار وآلاف الجرحى والاسرى والمعتقلين.

وقد تمكّنا، بهذا كله، من ان نفرض على الولايات المتحدة الاميركية الاعتراف بالحقيقة الفلسطينية الساطعة، والتي تفرض نفسها يومياً في شوارع الوطن ومدنه ومخيماته وقراه، من القدس وأبو ديس وسلواد وقلندية وشعفاط، الى جنين وعرّابة وعنزة وفحمة ويعبد وقباطية وقرعون ورمانة واليامون، الى رفح وخان يونس ودير البلح وبيت حانون وبني سهيلة وعبسان وبيت لاهيا، الى قلقيلية وطولكرم وشويكة وذنّابة ودير الحطب وكفر راعي وسيلة الظهر وسيلة الحارثيّة وقفين وبلعة وعنبتا، الى رام الله والبيرة والولجه والعبيدية، الى بيت لحم وبيت ساحور والخضر وبيت جالا وجبع وأريحا، الى نابلس وبيتا وعصيرة وطمّون وترقوميا وجيوس وحوسان وكفر صور وطوباس وكفر جمّال ورأس عطية وسلفيت وكفر الديك وعزّون وسبسطية وعين عريك وفقّوعة وبيت فوريك، الى الخليل وبني نعيم ودورا وبطا وحلحول واذنا وخاراس وبيت أولا وبيت أمّر وارطاس والسمّوع وسعير والظاهرية وحارس؛ ومن مخيمات جباليا والشاطىء والنصيرات والمغازي والبريج والامل وكندا والشابورة والعقاد الى الدهيشة وبلاطة وعين بيت الما والفوّار وعايدة والعزة والامعري والفارعة والجلزون وعسكر والعرّوب وعقبة جبر ونور شمس؛ والقائمة طويلة طويلة، ولوحة الشرف تطول في كل قرية ومخيم ومدينة في الوطن الحبيب، وتفرض نفسها في الجليل والمثلث والنقب، وتفرض نفسها، يومياً، عبر هذا الصمود الاسطوري في لبنان ومخيمات لبنان، وتفرض نفسها في كل مواقع المواجهة والنضال الثوري داخل، وخارج، الوطن.

ان اعلان الادارة الاميركية بدء الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، بعد قرارات مجلسنا الوطني الفلسطيني البناءة والايجابية والواقعية، وبعد خطاب جنيف، يمثّل نقطة تحوّل هامة في تاريخ القضية الفلسطينية، خاصة وانها قد رفضت ذلك، فيما سبق، عدة مرات، وبشروط أقل، بما في ذلك رفضها الحوار في أثناء الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني المشترك، لما تمثله الولايات المتحدة الاميركية بالنسبة الى عدونا؛ فهي حامية وبانية مقوّمات بقائه واستمراره، وداعمة احتلاله وعدوانه على شعبنا وأمتنا وأرضنا. ومن هنا اعتبر قادة العدو هذا القرار الاميركي يوم حزن في اسرائيل باعتبارهم أعداء للسلام، ويسعون الى استمرار الاحتلال والعدوان تحت ظلال سياسة اللاسلم واللاحرب.

ان منظمة التحرير الفلسطينية، وانطلاقاً من قرارات مجلسنا الوطني في دورة الانتفاضة، وعلى قاعدة القرارات العربية والدولية المتعاقبة، التي وضعت أسس وشروط السلام في فلسطين، قد رحّبت بالقرار الاميركي، باعتباره يزيل العقبة الكأداء لعقد المؤتمر الدولي للسلام تحت اشراف الامم المتحدة، وبمشاركة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي، وجميع أطراف النزاع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى.

اننا نتطلع الى ان يصل هذا الحوار الى نتائجه المنطقية في أقصر وقت ممكن، لحقن دماء أبنائنا وأهلنا الذين يسقطون يومياً شهداء الحرية والوطن برصاص جيش الاحتلال الاسرائيلي.

وان الامم المتحدة مطالبة، اليوم، أكثر من أي وقت مضى، بممارسة الضغوط كافة، وبالوسائل كافة، على حكومة اسرائيل، بما في ذلك فرض اشرافها المؤقت الفوري على الاراضي الفلسطينية المحتلة، من أجل وضع حد لسفك الدماء الفلسطينية الزكية، ولايقاف عمليات التدمير والقتل وكسر العظام ودفن الاحياء والابعاد والنفي ومعسكرات الاعتقال الجماعية الوحشية، ولتحذير هذه القيادة الفاشية من مخططاتها الارهابية التي تعدّها ضد جماهيرنا ومخيماتنا في الجنوب اللبناني، ضمن

سيناريوهات الحرب التي يخطط لها في لبنان، وبتنسيق مع بعض القوى العميلة والمشبوهة في منطقتنا العربية، والتي نحن لها بالمرصاد.

يا جماهير الحرية والاستقلال

يا جماهير الدولة الفلسطينية المستقلة

عبثاً حاول العدو الاسرائيلي المحتل، على مدى السنوات التي أعقبت احتلال أرضنا الفلسطينية، خلق بدائل ودمى هزيلة يسيّرها كما يشاء لتنفيذ مخططاته وسياساته الاجرامية التي تديم الاحتلال والاستيطان، ولكنه اصطدم بهذه الارادة الشعبية الوطنية لشعب هذه الارض، شعب الشهادة والشهداء، شعب التضحية والفداء على أرض الرسالات والانبياء، فتكسرت جميعها، ولا تزال تتكسر، على صخرة هذا الصمود الاسطوري والملحمي لشعبنا وثوارنا، الواحدة تلو الاخرى.

ان الشعب الفلسطيني قد اسقط كل البدائل والمشاريع والمخططات، الجديدة منها والقديمة، ورفض الحكم الذاتي بأشكاله كافة، وأسقطها، وأقسم «ان العهد هو العهد، وان القسم هو القسم، وان الثورة مستمرة في طريقها حتى يرفرف علمنا الفلسطيني فوق روابي فلسطين وأسوار القدس الشريف»، وشعبنا، اليوم، أقوى عزيمة وأصلب شكيمة وأشد مراساً وأعمق تجربة، متسلحاً بها وبهذا الايمان العميق في وجدانه حتى تحقيق الانتصار.

«وأخرى تحبّونها، نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين»

صدق الله العظيم

اننا نعلن للعالم أجمع، وليسمع اعداؤنا، ان الطريق الى السلام في فلسطين وفي المنطقة يمرّ عبر الاعتراف بهذه الحقيقة الفلسطينية، وان لا سلام، ولا استقرار، ولا أمن، في المنطقة، الاّ باقرار هذه الحقيقة، وباقرار الحقوق الوطنية لشعبنا الفلسطيني، وطبقاً للشرعية الدولية؛ وان لا سلام الاّ السلام الفلسطيني، السلام الحقيقي على أرض السلام ومهد أمير السلام المسيح عليه السلام ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وان السلام والامن سيظلان بعيدي المنال، ما دام الشعب الفلسطيني يرزح تحت نير الاحتلال.

اننا نعلنها عالية مدوية مرة أخرى، وليسمعها العالم أجمع، ان شعبنا الفلسطيني مصمّم، كل التصميم، على مواصلة ثورته الشعبية وانتفاضته الباسلة حتى يتمّ دحر الاحتلال الاسرائيلي وقيام دولة فلسطين الحرة المستقلة على أرض فلسطين.

يا جماهير شعبنا في الوطن وفي الشتات والمنافي

يا جماهير الانتفاضة المباركة

يا جيل الاستقلال والحرية

أيها المقاتلون في كل مواقع الثورة

في هذه الساعات المجيدة تدخل ثورتكم عامها الخامس والعشرين؛ ربع قرن من الزمان؛ ربع قرن من الجهاد؛ ربع قرن من الرباط والمرابطة؛ تدخل بانتصارات تاريخية حاسمة وبخطى ثابتة وقوية على طريق النصر المؤزّر والحتمي بعونه تعالى. ونحن في هذه اللحظات التاريخية نتذكر الاكرمين

منّا، فنزجي التحية لشهدائنا الابرار صانعي البطولات والانتصارات، شهداء الثورة، شهداء الانتفاضة، شهداء الكفاح المسلح، وفي طليعتهم رفيق الدرب والمصير، رفيق الكفاح والنضال، أمير الشهداء القائد الرمز أبو جهاد، ومعه المواكب من رفاقه الشهداء الاحبّة. فالى جنان الخلد مع الصدّيقين أيها الشهداء الابرار، يا صانعي النصر لشعبنا وأمتنا العربية.

يا أبطال الانتفاضة وثوّارها

يا أبطالنا البواسل خلف قضبان السجون وفي زنازين الاحتلال

ان يوم الحرية لقريب؛ وان شمس الحرية تشرق اليوم على وطننا الحبيب بفضل بطولاتكم، وبفضل صمودكم ومعاناتكم اليومية في سجون وزنازين ومعتقلات العدو، في انصار ـ ٣ وجنيد وغزة وعسقلان ونفحة والظاهرية والمسكوبية وشطة ونابلس. ومن خلف جراحاتكم، ان ساعة الحرية لكم ولشعبكم قد أزفت؛ وان السجن الكبير على وشك السقوط والانهيار؛ فجماهير شعبنا العظيمة تصنع كل يوم أسطورة جديدة من أساطير البطولة، وملحمة جديدة فريدة، ونموذجاً متفرّداً في الانضباط الجماهيري المذهل والانتظام في الاطر والمؤسسات بوعي سياسي ناضج ومتقدم، وسجلت القدرة على الابداع الثوري واجتراح المبادرات الخلاقة وتكريس قيم العمل الجماعي والتكافل الاجتماعي على قاعدة الوحدة الوطنية الراسخة والقوية والمبنيّة على التعددية السياسية والتنافس البنّاء؛ والعدو المحتل بكل جيوشه الجرارة وبكل أسلحته وبكل أدوات قمعه، يقف، الآن، مهزوماً مدحوراً، وتقف الجماهير الفلسطينية العظيمة شامخة بعطائها الانساني الخالد؛ شامخة بتضحياتها؛ شامخة بشهدائها؛ شامخة بجرحاها؛ شامخة بصمودها؛ شامخة بمعتقليها وأسراها في سجون الاحتلال ومعتقلاته.

يا صانعي الانتصارات الفلسطينية في مخيمات الصمود في لبنان

يا حماة الثورة وحماة البندقية

يا حماة القرار الوطني الفلسطيني المستقل

يا صنّاع الوحدة الوطنية الفلسطينية

أنتم يا أبناء المخيمات التي صنعت الانتصارات وحمت شعلة الثورة؛ أنتم الذين ضحّيتم وتضحّون من أجل ديمومة هذه الثورة وفدائها؛ انتم الذين حافظتم على البندقية الفلسطينية، وحافظتم على الراية عالية خفاقة، على الرغم من المجازر والغارات الجوية والبحرية والبرية، وما زلتم حرّاساً أوفياء لها، تتناغمون بهذا التناغم الثوري الخلّاق، وهذا الالتحام الوحدوي الاصيل، مع أحبائكم داخل الوطن، فتصنعون، معاً، ومع كل المناضلين في الثورة، في الوطن، وفي الشتات، وفي المنافي، كل هذا التراكم الثوري، ممهّدين الطريق لبناء دولة فلسطين المستقلة فوق أرض الوطن؛ دولة الفلسطينيين في كل مكان وكل زمان؛ دولة الحرية ودولة الحلم الذي صار اليوم، بتضحياتكم التاريخية، واقعاً معاشاً على مرمى الحجر.

«يرونها بعيدة ونراها قريبة وانّا لصادقون»

يا جماهير فلسطين الحرة المستقلة

يا أبناء الثورة ومقاتليها

يا جيل الاستقلال والحرية

يا جيل الانتفاضة المنتصرة

أربعة وعشرون عاماً من المعارك والتضحيات والبطولات التي قدّمها الشعب الفلسطيني على مذبح الحرية والاستقلال؛ أربعة وعشرون عاماً بنى فيها الشعب الفلسطيني، بالثورة والثوار، صرح حاضره وصرح مستقبله المشرق، بعد ان توهّم اعداؤنا ان هذا الشعب الاصيل لن تقوم له قائمة؛ بل ان جون فوستر دالاس، عندما سئل العام ١٩٥٦، عن مصير شعبنا، قال كلمته المشهورة: لسوء حظه انه جاء تحت أقدام الفيلة؛ الكبار يموتون والصغار ينسون.

ولكنها الثورة بكل ما حملته من تجارب وأصالة الشعب، وهذه الانتفاضة المباركة تتويجاً لها وبجنرالاتها الجدد، فانبعث المارد، طائر الفينيق، الفلسطيني من الرماد أكثر عملقة وقوة واقتداراً؛ ونهض هذا الشعب من بين هذه الانقاض ليحيي ماضيه، ويذود عن حاضره، ويصنع تاريخه ومستقبله، ويتحدى مقولة النسيان والفناء. واليوم أصبحت قضيتنا هي قضية العالم كله، لأنها قضية الحق والحرية، وقضية العدالة والقِيَم، وهي، الآن، ضميره ووجدانه الحي؛ وأعداؤنا في المأزق الذي لا خلاص لهم منه.

ومن هنا، فانني أتوجه بالمحبة والاعتزاز والتحية الى شعبنا، شعب الانتفاضة، والى جماهيرنا الصامدة في المخيمات، والى قيادتنا الوطنية الموحّدة ولجاننا الشعبية والاطر الجماهيرية ولجان الشبيبة ومجموعاتنا الضاربة وجيشنا الشعبي ومؤسساتنا الوطنية، والتي تبني، رغم أنف العدو وجيشه واحتلاله، سلطة الشعب، وتفرض ارادة الجماهير؛ وأقول لهم: ان ساعة الحرية قد دقّت؛ وان جهاد شعبنا، على مدى العقود الماضية، قد أثمر؛ واننا قاب قوسين أو أدنى من النصر المؤزّر باذنه تعالى.

«وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا»

صدق الله العظيم

فطوبى لهذه الاجيال المناضلة التي تصنع هذا الحدث التاريخي؛ وطوبى لاشبالنا وزهراتنا؛ وطوبى للمرأة الفلسطينية الشجاعة حارسة بقائنا وحياتنا، وحارسة نارنا الدائمة؛ وطوبى للرجال الاشاوس صانعي المجد، ولكهولنا حاملي الحكمة والايمان؛ وطوبى لحماة المسجد الاقصى ولحراس كنيسة القيامة؛ وطوبى لسدنة المسجد الحرام وللمرتّلين لله في الاعالي في بيت لحم؛ وطوبى لمن يبنون، اليوم، ويشيدون، ليرتفع علم فلسطين رمز حريتنا وكرامتنا في وطن سيبقى، دائماً، وطناً حرّاً لشعب من الاحرار.

ان العام الخامس والعشرين من عمر ثورتنا هو عام الانتصار الحتمي والاكيد.

ان العام الخامس والعشرين من عمر ثورتنا هو عام المجد والكرامة، والغار يحفّ بجماهيرنا الواثقة المؤمنة.

انه العام الخامس والعشرون من عمر ثورتنا لحصادنا الثوري.

انه عام اطلالة الفتح المبين، «وان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح».

بسم الله الرحمن الرحيم

«انّـا فتحنـا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتمّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً»

صدق الله العظيم

عاشت الثورة الفلسطينية البطلة.

عاشت الانتفاضة الجماهيرية المباركة.

عاشت وحدتنا الوطنية الخالدة.

عاشت دولتنا الفلسطينية المستقلة.

المجد والخلود لشهدائنا الابرار.

وانها لثورة حتى النصر.

اخوكم
أبو عمار

١٩٨٩/١/١

حدود الفرصة الفلسطينية

د. نبيل حيدري

فَرَض حجم التحديات ومتغيراتها ان يكون الزمان الفلسطيني، على الدوام، «حسّاساً وخطيراً»، وان الفاصل بين كل خطوة فلسطينية وأخرى هو «مرحلة»، بكامل هيبة الكلمة وجلالها. واذا ما كان القرار الاميركي القاضي باقامة «حوار جوهري» مع ممثلين عن م.ت.ف. يمثّل تحوّلاً أساسياً في سياسة الولايات المتحدة حيال النزاع العربي ـ الاسرائيلي، فثمة من رأى ان وصول هذا الحوار الى مستوى متقدّم من التفاهم، فالاعتراف، هو مطلب سياسي فلسطيني يعطي المنظمة فرصة حصاد نتائج سياسية للعمل الفلسطيني بمجمله. وسواء أكان هدف الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، في هذه المرحلة، هو البحث عن اجابة لـ «ما العمل ؟» في الفترة المقبلة، فان المعطيات الراهنة أفرزت ثوابت لا محيد عنها، ستقرر، الى أبعد مدى، شكل المرحلة المقبلة بتحديات جديدة واستجابات جديدة أيضاً.

وبعيداً من الضجيج المبرّر لهكذا خطوة، فان أول سؤال خطر في بال كل من سمع القرار الاميركي هو لماذا حصل هذا التحوّل الغريب في الموقف الاميركي ؟ تبعاً لظواهر الامور، فان الولايات المتحدة ردّت، وبكل بساطة، على استجابة رئيس اللجنة التنفيذية، ياسر عرفات، للمطالب الاميركية، فاضطر وزير الخارجية، جورج شولتس، الى ان «يتجرّع السم»، ويعلن، شخصياً، استعداد بلاده للدخول في «حوار جوهري» مباشر مع ممثلين عن المنظمة. بيد ان هذا الموضوع، لا يشكّل، في جوهره، الّا الجزء الظاهر من جبل الجليد فقط، ولا يبدو كافياً لتفسير الموقف الاميركي الجديد؛ فثمة عوامل عديدة كانت مؤثرة، بصفة خاصة، في رسم السياسة الاميركية في هذا الاتجاه.

ارادة الوفاق الجديد

ويبدو جلياً، في هذا السياق، ان احد أهم العوامل وراء الحوار الاميركي مع م.ت.ف. كامن ليس في تلبية شهوة «الدولة» لدى الاخيرة، كما قد يحلو للبعض ان يعتبر، وانما في الوضع الدولي الذي شهد انفراجاً حقيقياً في الشهور الاخيرة، بعد التفاهم الجدي الذي حقّقه الجبّاران الدوليان، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.

ولا شيء يعزّز هذا التفسير سوى تلك السابقة في تاريخ الوفاق بين العملاقين، الذي حقّق، في الاجمال، نتيجتين: الاولى، نفي لامكانية تصعيد المواجهة فيما بينهما عبر «حروب الصغار باسم الكبار»؛ والثانية، تكريس «التفاوض» كمبدأ للتوصل الى «مقاربات توفيقية»، باشراف القوتين، بين الاطراف المتنازعة المدعومة من كليهما.

وما أوحت به، حتى اللحظة، تجربة الوفاق الدولي الجديد في افغانستان ونيكاراغوا والجنوب الافريقي، هو التوصل الى اشكال ائتلافية لحكومات التسعينات في بؤر التوتر العالمية. فمشكلة

افغانستان تُختزل، داخلياً، الى صراع حول نسب المشاركة في الحكم بين الجبهات المتصارعة؛ وحكومة نيكاراغوا، المدعومة سوفياتياً، تفاوض، في قلب العاصمة ماناغوا، قيادات الثورة المضادة (الكونترا) المدعومة من قبل الادارة الاميركية، ليصبح السؤال المركزي هو كيفية مشاركة المعارضة في الحكم؛ وفي الشأن ذاته، تبرز محادثات لندن التي جمعت نظام جنوب افريقيا مع انغولا وكوبا، وهي محادثات سبقها اجتماع تحضيري بين نائبي وزيري الخارجية، السوفياتية والاميركية، للشؤون الافريقية، اداميشين وكروكر، لا للبحث في استقلال ناميبيا فقط، وانما لترتيب انسحاب ما يقرب من أربعين ألف جندي كوبي من انغولا، والبحث في امكانية مشاركة ثوار «يونيتا»، المدعومين من جنوب افريقيا، في الحكم.

ولا ريب في ان اختبار النوايا قائم في المعسكرين، الشرقي والغربي، بكثير من الشكوك، وقليل من الثقة. خبراء العلاقات الدولية الذين يعكفون على تفسير أصغر المؤشرات الصادرة عن البيت الابيض والكرملين، رأوا ان التحرك المكثّف لكلا الطرفين انما يعكس تغيّراً في أساليب المخاطبة، وليس بالضرورة في صلب المواقف. اما اولئك الذين يتابعون تسارع خطى «الوفاق الجديد»، بين أهداف الانفتاح السوفياتي (غلاسنوست)، وبين جموح الرغبة في انجاز تاريخي لادارة ريغان قبل نهايتها، فانهم يقولون ان فكرة الائتلاف، كقاعدة سياسية لحل الازمة داخل بؤر التوتر التي يتفجّر فيها النزاع الاقليمي، يمكن سحبها على المحاور او الكتل (من دولتين فأكثر)، والمشاركة في النزاع الاقليمي ذاته. وتابع هؤلاء القول، ان الفكرة الجوهرية وراء «الوفاق الجديد» تكمن في محاولة العملاقين التدرج بفكرة التعايش بين أنماط متغايرة ومتمايزة، اقتصادياً وعقائدياً، في البلد الواحد، او في كتلة دول، على أساس الاعتراف بالمصلحة الجماعية، ومن دون ان يكون هناك تنازل جوهري من طرف على حساب الآخر.

الى أي مدى انسحبت هذه التجارب على الوضع الفلسطيني ؟

لا بد من الاقرار، بادىء ذي بدء، بحقيقة ان هدف السياسة الاميركية، ازاء المسألة المركزية في أزمة الشرق الاوسط ، منذ مؤتمر يالطا الى عهد غورباتشيوف، كان حرمان الاتحاد السوفياتي من ان يكون شريكاً فاعلاً في حلها، وان لا يجد فيها موطىء قدم. وليس هذا بالامر الجديد، حيث يمكن رؤية تاريخ الصراع بين القوتين العظميين، انطلاقاً من العداء السوفياتي للاتفاق الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاميركي في مطلع الخمسينات لحماية اسرائيل، مروراً بعدائه المطلق لحلف بغداد، وتسليحه مصر وسوريا في أواسط الخمسينات، الى حرب العام ١٩٦٧، الى اعادة تسليح مصر، وحرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، وصولاً الى طرح فكرة مؤتمر السلام الدولي في جنيف العام ١٩٧٧.

أبْعَد من هذه الاحداث التاريخية، هناك المسألة الاهم وهي مغزى الغياب السوفياتي ومغزى حضوره. وعلينا، على الأرجح، ان نعترف بأننا قد بالغنا كثيراً في تقدير أهمية هذا وذاك. هل ستغير زيارة الرئيس المصري السابق، أنور السادات، الى القدس شيئاً ممّا كان حاصلاً في ما سبقها ؟ وهل من حاجة الى كامب ديفيد كي تكون العلاقة السوفياتية ـ الاميركية متوترة ؟ المسألة الحقيقية ليست طبعاً في هذه الامور، على الرغم من جوهريتها؛ المسألة هي في تقدير الوزن السوفياتي على الصعيد الاقليمي، وفي تصوّر وظيفته. وهذان أمران يستأهلان مراجعة تتجاوز الهواجس الدبلوماسية. امّا في الوزن، فمن الواضح ان أسس الصراع بين العملاقين كانت تبلورت بين فكرة كامب ديفيد، بما تعنيه من تفرّد اميركي، وهيمنة لا تتورع حتى عن التدخل العسكري المباشر، وبين فكرة المؤتمر الدولي

التي تتضمن موافقة ضمنية على مشاركة سوفياتية، وعلى تسليم واشنطن بمصالح الأطراف الأخرى.

ويمكن القول، إن مَنْ يسلّم بترابط القضايا الاقليمية وامكانية المقايضة الدولية في حلّها، يسلّم بأن كامب ديفيد والمؤتمر الدولي كانا تكثيفاً دبلوماسياً للاستقطاب بين العملاقين الذي بدأ منذ مؤتمر يالطا. ومن الخطأ، فعلاً، الاعتقاد بأن ذلك غير صحيح بالنسبة الى المسألة الفلسطينية، لكنها تتمايز عن باقي القضايا الاقليمية الاخرى، التي بادر الوفاق الدولي الجديد الى حلّها، في انها الاكثر قِدَماً؛ اذ ان معظم، ان لم يكن كل، القضايا الاقليمية التي تمّ البحث فيها، وهي الآن على طريق الحل، هي نتاج فشل وفاق العملاقين في منتصف السبعينات، وتترابط وفق نظرية المقايضة؛ تهدأ هنا مقابل ان تهدأ هناك، أو العكس.

السؤال، الآن، الى أي مدى يمكن القول ان الولايات المتحدة، في ظل الوفاق الجديد، قد قبلت بالمشاركة السوفياتية في حلّ المسألة المركزية في أزمة المنطقة ؟ بكلام آخر، الى أي مدى تنازلت واشنطن عن كامب ديفيد لصالح المؤتمر الدولي ؟

بعيداً من الصيغ الانشائية في تصريحات العملاقين التي تدعو أو تحث، منذ مطلع العام ١٩٨٨، على «اقرار السلام في المنطقة»، فان المؤشر الأكثر وضوحاً، هو الطريقة التي انتهجها الطرفان لتكريس «الوفاق الجديد»، والمستندة الى قرارات هيئة الامم المتحدة، باعتبارها، في الصياغة والفحوى، تكثيفاً لمصالح القوى الكبرى بوساطة الصغرى؛ ويبدو، على هذا الصعيد، ان الجانب السوفياتي هو الذي قدّم شتى التنازلات والمواقف الاقرب الى المواقف الاميركية، بينما قدّم الاميركيون الاستعداد لدراسة بعض الصيغ المقترحة، وقد يكون أهمها هو مسألة تقارب المواقف حول صلاحيات المؤتمر الدولي والموقف من م.ت.ف.

في البداية، كانت الفكرة السوفياتية تلعب في ثلاثة اتجاهات: اولاً، ضرب الفكرة الاميركية التي تقول ان أي مشروع تقوم به القوى الكبرى للحل يعتبر فرضاً على الأطراف، لا تقبل به واشنطن، اصراراً منها على وسيلة التفاوض المباشر وطرح جميع الامور على الطاولة؛ ثانياً، تحميل الولايات المتحدة المسؤولية الدبلوماسية تحسّباً لأي تصعيد للتوتر في المنطقة، وذلك عبر التذكير بأن واشنطن هي التي رفضت فكرة البحث في النزاع العربي ـ الاسرائيلي، وليست موسكو؛ ثالثاً، الدخول على خط الدبلوماسية الفلسطينية، ومن خلالها اعادة طرح الدور السوفياتي الرئيس في سياسات المنطقة.

والواقع، ان الاتحاد السوفياتي وجد فرصة ملائمة لمحاولة التقرّب، مجدداً، من المنطقة؛ والعناصر التي وظّفها الكرملين، هي، الى حد ما، ذاتها التي حاولت مبادة شولتس تحييدها، او لجمها، تمهيداً لتوظيفها في صالح تحركها الدبلوماسي لدى الاطراف المتنازعة؛ فان نجحت تلك العناصر أدت، ولا شك، الى ابقاء النزاع العربي ـ الاسرائيلي منفصلاً عن باقي النزاعات الجانبية التي تعجّ بها المنطقة، او على الاقل، الى «لعب دور أكثر نشاطاً يشمل المشاركة في مفاوضات»، كما ذهب وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزة الى القول؛ واذا لم تؤد الى نتيجة فعلية، تكون المبادرة الاميركية قد ساهمت في زيادة فقدان واشنطن لمصداقيتها في المنطقة. وبتعبير آخر، كانت موسكو تراقب احداث المنطقة وتسلك خيار الانتظار حتى تتضح الصورة تماماً. و«طول البال» السوفياتي جسّد قناعة مفادها أن لا ضرورة للاسراع في تحريك حلّ للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، لأن التطوّرات في المنطقة تعرّي فشل الاسلوب الاميركي.

لقد عكست هذه المنطلقات نفسها، دبلوماسياً، بانتقال الاتحاد السوفياتي، في تحركاته

الدبلوماسية، من دور «رد الفعل» على الاستفراد الاميركي، ومحاولة تجنّب المواجهة معه ما أمكن، الى دور «الفعل» الذي يعني مواجهة دبلوماسية ضد الهيمنة الاميركية، أساسها التحالف المتضامن بين كل الأطراف المعنية، من اجل المصلحة المشتركة، بما فيها المصلحة الاميركية. واذا ما كان المفهوم الاميركي للعلاقات الدولية قد حدّد اسلوبين لحل النزاعات الاقليمية ـ اسلوب ادارة النزاع واسلوب تسوية النزاع ـ فان السوفيات قد اختاروا مقارعة واشنطن على ساحة الاسلوب الثاني، مع ما يعنيه ذلك من ايجاد حلول جذرية للأزمة، ودعم كل العناصر المؤدية الى تحقيق ذلك. لكن السوفيات واجهوا، هنا، عقدة في التوفيق بين الالتزام بروحية «المبادىء» السامية التي تهدف اليها التحركات، وبين التنازلات المطلوبة، واقعياً، كشرط مسبق للتعامل مع القوى الاقليمية المختلفة. ووجدت هذه العقدة حلّها، أحايين كثيرة، في اطالة «الديباجات» الدبلوماسية، والانتزاع البطيء للمكتسبات.

المقابلة والمقارنة، على أساس مستوى «التنازلات» السوفياتية، تؤيدان أطروحة تقول ان موسكو تخلّت عن معارضتها لعدد من الركائز المتعلقة بكيفية تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي؛ فهي، من جهة، لم تعد تعارض، منذ شهور خلت، ان تبذل الادارة الاميركية جهوداً من جانب واحد لتسهيل بدء عملية المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية، طالما ان موسكو «تطّلع» على هذه الجهود، وهو الامر الذي يفسره انكباب النشاط الدبلوماسي السوفياتي المتزامن مع التحرك الاميركي وليس في مواجهته. وبدلاً من المواجهة، سعت موسكو الى «تطوير» هذا التحرك في اتجاه عقد مؤتمر دولي، وفي اتجاه ضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني. كما ان موسكو، من جهة ثانية، لم تعد تعارض اجراء مفاوضات عربية ـ اسرائيلية مباشرة، ثنائية او متعددة الطرف، شرط ان تتمّ باشراف ورعاية المؤتمر الدولي؛ ثم انها، من جهة ثالثة، لم تعد تعارض حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي «خطوة خطوة وعلى مراحل»، بل على أساس ان يكون هناك تفاهم بين الأطراف المتنازعة والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي على «برنامج شامل» لحل هذا النزاع من مختلف جوانبه؛ وأخيراً، فان موسكو لم تعد تعارض قيام اتصالات مباشرة، أو حوار مباشر، بين اسرائيل، من ناحية، وهذا الطرف العربي أو ذاك، من ناحية أخرى، بل انها باتت تشجّع على قيام مثل هذا الحوار، في اطار ما تسميه «بناء جسور الثقة».

وفي الواقع، لقد تميّز ردّ الفعل الاميركي نحو تجديد الاهتمام السوفياتي الناشط في الشرق الاوسط ببعض التشجيع. وحسب قول مسؤول اميركي بارز «انه لمن المفيد ان يذهب السوفيات الى المنطقة على مستوى وزير الخارجية، ادوارد شيفاردنادزه، لأن تقديرهم الشخصي، والمباشر، لمواقف الاطراف العربية سيساعد خطة شولتس».

وفي هذا الاطار، وبهذا المعنى، توافرت التفسيرات لحثّ السوفيات منظمة التحرير الفلسطينية على الاتجاه الى الاعتراف بالقرارات الدولية، أو ما هو أكثر وضوحاً، الاعتراف باسرائيل، وما ولّده ذلك من رد فعل فلسطيني، او حتى ما قام به السوفيات أنفسهم من تقارب مع اسرائيل (اجتماع شيفاردنادزه وشامير في الامم المتحدة). ومن وجهة نظر «اليالطيين» الجدد، بينما كانت واشنطن تعمل على جمع الاطراف الاسرائيلية المبعثرة في خلافاتها، عمل الاتحاد السوفياتي على لَمّ شمل العرب؛ وكل منهما حاول جذب الطرف الذي «يمون» عليه نحو طاولة المفاوضات، في الوقت الذي كان كلّ منهما يقوّي ورقته نحو الآخر على الطاولة ذاتها، عبر جهود الجمع ولَمّ الشمل هذه.

باختصار، كانت موسكو تسعى الى ايجاد المشترك في المواقف السورية والاردنية والمصرية

والفلسطينية، بما فيها الدفع الى الصلح بين م.ت.ف. وسوريا، والعمل على ادخال مصر، كعنصر مركزي، في عملية السلام، وتأييد الموقف الاردني الرافض للحلول المنفردة والداعم لفكرة المؤتمر الدولي. والطموح السوفياتي الكبير خلاصته اعادة صوغ اتفاق شبيه بالاتفاق الاردني ـ الفلسطيني، الذي قاومه السوفيات، أصلاً، للوصول الى اتفاق اردني ـ فلسطيني ـ مصري وربما سوري، وهو الامر الذي تشكّلت أولى ملامحه في «القمة الثلاثية» في العقبة، بين حسين ومبارك وعرفات، والتي لم تكن سوى استكمالاً لتوجّه سوفياتي أعطى الولايات المتحدة تطمينات اضافية على نوايا موسكو نحو تحقيق تسوية للنزاع في المنطقة.

وبالطبع، فان هذا الطرح السوفياتي كان لافتاً لانتباه واشنطن، كونه اقترب، في هذا الشأن، الى حدود لافتة للنظر، مع الموقف الاميركي. وعلى الرغم من ان لكلٍ «غاية في نفس يعقوب»، فثمة من يعتقد بأن هذا «التقارب» هو الذي اقنع الاميركيين بأن الوقت قد حان للتحرك باتجاه الفلسطينيين واقامة الحوار معهم.

الصدى في الموقف الاوروبي

اذا شئنا الاستطراد في الاشارة الى العوامل التي أثّرت، بشكل ملحوظ، في صنع القرار الاميركي، يبرز الدور الاوروبي كعامل مساعد على تفكيك عقدة التشنّج في لسان الادارة الاميركية، الذي أطلق دينامية جديدة أذابت بعض الجليد في الموقف الاميركي، وسرّعت في الخروج من حالة الشلل التي اصيبت بها الذراع الاميركية، في أعقاب الانتفاضة في الارض المحتلة.

كان لسان حال اوروبا يقول ان الولايات المتحدة تستطيع ان تتخذ الموقف السلبي ازاء ما يجري في المنطقة، وتستطيع، كذلك، ان تتحمّل نتائج مثل هذا الموقف، لاعتبارات عدة، منها انها دولة عظمى قادرة على هضم الضربات والنكسات وحتى الهزائم، وعلى استيعابها، وبالتالي، تسخيرها لمصلحتها؛ ومنها، أيضاً، انها بعيدة، جغرافياً، من ساحة الصراع، وقادرة، بالتالي، على تقليص نسبة ما قد تتعرّض له من مسالك وممارسات. لكن نتائج مواقفها السلبية لا بد ان تنعكس، سلباً، على بلدان القارة القديمة، على الرغم من عدم ضلوع هذه الاخيرة في تلك المواقف، وربما عدم موافقتها عليها، وذلك عائد الى كونها في حلف استراتيجي واحد مع الولايات المتحدة، والى اعتقاد خصوم هذه بأن الحاق الاذى باوروبا يؤذي حليفها الاميركي، وإنْ بصورة غير مباشرة.

واذا ما كانت المجموعة الاوروبية تحسب حساباً كبيراً لخواطر واشنطن، فانها تقيم، أيضاً، الحسابات الدقيقة لجهة مصالحها السياسية والاقتصادية، على السواء. ولا مانع، هنا، من التذكير بأن السوق المشتركة دخلت، منذ العام ١٩٦٩، مرحلة تطبيق سياسة «توسيع السوق» باتفاقيات متعددة، هدفت الى الارتقاء بتنظيم التبادلات التجارية على أساس التخصص الانتاجي المتكامل في تقسيم عمل دقيق مع محيط دول السوق؛ والمعني بهذا، أساساً، الاطار العربي. وعليه، فاذا ما كانت الوحدة الاوروبية، على الاساس الاقتصادي المذكور، تفترض اسلوباً عقلانياً في استغلال متغيرات التوازنات الاقليمية والدولية، فانها تكشف، في الوقت عينه، عجز المحيط الاوروبي، خصوصاً العربي، عن استغلال عقلاني موازٍ للمعطيات ذاتها، يوظف لتحقيق حل سياسي لأزمة المنطقة.

في هذا الاطار، برزت في الموقف الاوروبي، منذ مطلع العام ١٩٨٨، مجموعة من العناصر الايجابية القابلة للتطوير، ولاعتبارها أساساً صالحاً لانطلاق دور أوروبي، بما تحتمله من

تأويلات هي أقرب الى المناورة، الى توازن القوى، منها الى مبادرة. في مجموعة العناصر الايجابية، يمكن تلمُّس التأثير الواضح للسياسة السوفياتية الجديدة على بلدان القارة، التي أسرعت في اسقاط ايديولوجيا الحرب الباردة، المتبنّاة من قبل الولايات المتحدة ردحاً من الزمن، وهيمنت، من خلالها، على القرار الاوروبي الملتزم بسياسات مخالفة لقناعاته ولمصالحه. ويشار كذلك، في هذا الصدد، الى الاجماع النسبي الاوروبي على فكرة المؤتمر الدولي، وابراز اسرائيل والولايات المتحدة كحجر عثرة في سبيل تحقيق السلام في الشرق الاوسط. وعلى الرغم من ان احداً لم يكن يسميها مبادرة، وأكثر ما قيل عنها انها مجموعة أفكار في مرحلة الأخذ والعطاء نقلت المسألة الفلسطينية، بعد دعوة عرفات الى ستراسبورغ، من حالة التأمل الى عتبة الاستكشاف، فان من حسنات التحرّك الاوروبي الأخير، كان، في رأي المتفائلين، انه أعاد الاهتمام الاوروبي بالمنطقة، بعدما انفردت الولايات المتحدة، في السنوات القليلة الماضية، بـ «عملية السلام»؛ وسيئاته، في رأي المتشائمين، هي في احياء أوهام وتطلعات شعوب المنطقة، بينما الافكار، في حقيقتها، تكاد لا تتعدى اجترار ما قد تمّ مضغه مراراً.

غير ان التغيير الاكثر لفتاً للانتباه، ويستدعي اعطاء أهمية نسبية للحديث عن الدور الاوروبي، هو الموقف البريطاني الذي انعكس، على الأقل، في موقفين علنيين: الاول، دعوة رئيسة الوزراء البريطانية، مارغريت تاتشر، الادارة الاميركية الى الاسراع في دعم عملية السلام؛ والثاني، والأهم، هو ما نقلته مصادر دبلوماسية اوروبية عن وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية، وليم وولدغريف، حيث كشف، لأول مرة، عن منهجية دبلوماسية بريطانية جديدة ازاء المنطقة، من ان السلام لن يتحقق قبل اعتراف الفلسطينيين باسرائيل، وقبل ان يسمح للفلسطينيين بحقهم في تقرير مصيرهم، والسماح للممثلين عنهم في المشاركة في أي مفاوضات سلام مقبلة.

في المقابل، سعت فرنسا، خلال اجتماع وزراء خارجية المجموعة الاوروبية، في تشرين الأول (اكتوبر) الماضي، في اثينا، الى حمل باقي الدول الأعضاء على الاشارة، ضمناً، الى تأييد المجموعة للخيار الفلسطيني الجديد في التعامل مع اسرائيل، على أساس قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، وتأكيد المجموعة اعتبار القرار ١٨١ قاعدة قانونية لوجود الدولتين، الفلسطينية واليهودية، على الارض ذاتها، والانطلاق من هذا القرار الى تحديد أرضية النقاش القانوني المنتظر في المؤتمر الدولي.

وبالطبع، لم تكن هذه الطروحات لتحتل مرتبة هامّة، لولا النشاط الدبلوماسي الكثيف الذي قامت به دول القارة، مجتمعة، تجاه أطراف النزاع في الشرق الاوسط ، بحيث رأى فيه مراقبون استعادة لدور اوروبا، او ربما بحثاً عن حصتها في الحل الذي قد يأتي به وفاق العملاقين. واذا ما كان السوفيات والاميركيون انتهوا الى حلول لمختلف القضايا الاقليمية، بعيداً من مشاركة اوروبية فعّالة، فالأخيرة لن ترضى بذلك في الشرق الاوسط ؛ اذ تعتبر نفسها صاحبة مصلحة حيوية مباشرة، سواء لجهة التوسع الاقتصادي أم لجهة الأمن الاستراتيجي واتفاقيات نزع الصواريخ متوسطة، وبعيدة، المدى التي تملكها، الآن، مجموعة من دول المنطقة. وما يؤكده المراقبون، هو ان اوروبا نجحت، سياسياً، في لعب دور الفارس الاسطوري الذي ايقظ «أميرة السلام» النائمة في قصر المؤتمر الدولي، وبالتالي نجحت في تنفيس الاحتقان بين م.ت.ف. والولايات المتحدة، وترطيب الاجواء فيما بينهما.

مفاصل الجسر العربي

ومن المنطق السابق عينه، يمكن القول ان هناك علاقة مطردة بين الوفاق العربي الجديد والقرار الاميركي؛ فكلّما ازداد الوفاق العربي تأصلاً وتحققاً، كلما ازداد الضغط على الولايات المتحدة

لتصيغ موقفاً مرناً تجاه م.ت.ف. كخطوة موازية للتقارب مع واشنطن.

ومهما يكن الامر، بدأ العام ١٩٨٧ بتساؤلات، هنا وهناك، لها طعم المرارة الملازم، بالضرورة، للنظام العربي: اذ كيف يمكن ان نتصور، لحظة واحدة، ان الولايات المتحدة ستتعامل، برفق وحنان، مع حكومات، معظمها خائف على ذاته من ذاته، ويرى في التبعية للخارج، في معظم الاحيان، افضل ضمان لاستمراره ؟ أَلَم نر محاولات «الصف الواحد» و«التضامن» و«التكامل» و«الدفاع المشترك» تتآكل بسرعة بعد اعلان ولادتها ؟ أَلَم نسمع الشتائم بعد انتهاء قمّة عمّان الطارئة، قمة «الوفاق والاتفاق» ؟ أَلَم نر، في قمة الجزائر، غير حكم عربي يتنافس على قطف ثمار الانتفاضة الشعبية في الداخل الفلسطيني ؟

كان من الممكن، طبعاً، التوقف عند هذه الفرضية القانطة، فرضية ان النظام العربي محكوم بالتوتر الدائم. ولكن اللعبة توقفت لمجرّد ان لاعباً، أو آخر، رأى انها ليست لعبته المفضلة. من هنا كانت ضرورة التحرّي في الوسائل التي أدّت الى منع دينامية النظام من التحوّل الى لعبة محصولها صِفْري، والبحث في سبل تدرّجية نحو لعبة أخرى، بما في ذلك استغلال ما هو متاح. أَوَليست السياسة، في الاساس، استغلالاً لما هو متاح ؟

لا بد من التذكير، في تحديد ملامح صورة النظام العربي الماثلة لأعيننا، حقيقة خفوت الاصوات الداعية الى عقد قمة عادية، او طارئة، بعد قمة فاس الثانية، باستثناء صوت م.ت.ف. ولفترة امتدت ربما أربعة أعوام تخللتها تجربة فاشلة لعقد قمة طارئة في الدار البيضاء. وفوق ذلك، تدل متابعة أعمال قمّة عمّان الطارئة، والاتصالات التي سبقتها، على ان أسلوب المساومة لم يمتد الاّ بدرجة محدودة الى قضية النزاع العربي ـ الاسرائيلي، التي كانت حاضرة على هامش هذه القمة لأول مرة في تاريخ مؤتمرات القمة العربية. وعليه، شهدت صياغة القسم الخاص بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، في بيان قمّة عمّان، خلافاً ثلاثي الابعاد حول النص على مشاركة م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في المؤتمر الدولي على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى. وعلى الرغم من ان النسخة العربية تضمّنت هذا النص ـ دون النسخة الانكليزية ـ فقد استمر الجدل بشأنه بعد انتهاء القمة حول المقصود بتعبير «على قدم المساواة». لكن البيان الختامي لم يحدّد أي صيغة للمؤتمر الدولي تلك التي قصدها، هل هي صيغة المؤتمر ـ المظلة للمفاوضات المباشرة، أم صيغة المؤتمر كامل الصلاحية الذي يملك حق التحكيم بين الأطراف المتنازعة ؟

كانت دلالات الخبرة المعاصرة، تعني انه يجب ان ننظر بتحفظ شديد ممزوج بريبة حقيقية الى كل ما قيل عن ان قمة عمّان قد عكست روحاً جديدة ونموذجاً جديداً لتسوية النزاع مع اسرائيل. ففي السياق ذاته، بدت قمّة عمّان محاولة عادية عرفت الخبرة العربية المعاصرة محاولات أقوى وأعمق منها بكثير لتسوية، أو حتى تهدئة، ذلك النزاع، وآلت جميعها الى المآل عينه، من حيث تلاشي آثار هذه المحاولات، بعد وقت وآخر، لتبرز، من جديد، ظاهرة الصراعات العربية ـ العربية.

وكلنا يدرك، اننا، الآن، في مرحلة انتقال من «الحرب العربية الباردة» ـ حسب عنوان كتاب مالكولم كير الشهير ـ الى مرحلة الوفاق العربي الجديد، أي الانتقال من حالة الصراع غير المقنّن والعشوائي المتأجّج، الى الصراع المقنّن، بحد أدنى من التفاهم والاتفاق على القيود والضوابط. لقد امتازت المرحلة السابقة، ربّما بانقطاع كلّي في قنوات الاتصال، وتغليب التناقضات والتناحرات العربية، وبسيطرة التصوّرات والاوهام، أو بتحكّم في السياسات والقرارات العربية، وتأجج الحروب

وبؤر التوتر والفوضى وتفاقم الصراعات. ولم يكن بالأمر الغريب ان تتأفف، مثلاً، كل من عمّان ودمشق من وجود م.ت.ف. ومن استقلاليتها، وفي الحقيقة من الكيانية الفلسطينية ذاتها، على الرغم من اعتبارها، منذ قمة الرباط، «الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني».

أما في المرحلة الراهنة، فنحن على الأقل نعايش مرحلة وفاق عربي تمتاز بتخفيض حدة الحرب الكلامية والدعائية والاعلامية، وحتى ربما الايديولوجية، بين البلدان العربية وبين النخب العربية الحاكمة، وهي تشهد تدعيماً لقنوات الاتصال والتفاهم والتلاقي، وعدم تغليب التناقضات؛ كما تشهد عودة الى واقعية التعامل والبحث عن المشترك، على صعيد العلاقات العربية ـ العربية.

في هذا الاطار، مثّلت قمة الجزائر الاتفاق على الحد الأدنى من التفاهم. وخلاصة الموقف العربي، الذي خرج به معظم المراقبين، كان تجنّب المجتمعين اصدار قرارات تستفز الولايات المتحدة، واصرارهم على اتخاذ قرارات معتدلة، ابتعدت حتى من الهجوم المباشر على مبادرة شولتس، واكتفوا بالهجوم على السياسة الاميركية ودعوتها الى الموضوعية، لكنهم ابتعدوا من التفاصيل الاجرائية المستقبلية، مثل شروط الدولة الفلسطينية، وشكل التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الدولي، واقتربوا، بصورة جماعية، من الموقف السوفياتي، مطالبين واشنطن بالاتساق في هذا المنحى.

هكذا، أتت واضحة العلاقة الطردية بين الوفاق العربي وتماسك القرار الفلسطيني. واذا ما كان الفلسطينيون أفشلوا مبادرة شولتس وصياغاتها المختلفة، من خلال المواجهات الدامية مع المحتل الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة، فان مقررات قمة الجزائر جسّدت، في محصلتها النهائية، شكلاً من أشكال «التضامن العربي». ففي ما يخص احتمالات عقد المؤتمر الدولي، وفّرت قمة الجزائر مرونة تكتيكية لمنظمة التحرير، باعتبارها، حسب مقرراتها، الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين؛ وهذه المرونة تمس، بالتحديد، قضية التمثيل الفلسطيني في المؤتمر. فالمقررات أعطت الفرصة لاحتمال تشكيل وفد عربي للمؤتمر يضم وفداً فلسطينياً، فيما لو رفضت فكرة وفد فلسطيني مستقل ومتكافىء. وفي الوقت عينه، تكون م.ت.ف. قادرة، على قاعدة المقررات عينها، التمسك بالمطالبة بصيغة المؤتمر الدولي ذي الصلاحية الكاملة (وليس المظلة الشكلية التي وافقت اسرائيل والولايات المتحدة عليها كغطاء لمفاوضات مباشرة)، وذلك في إطار الامم المتحدة، استناداً الى قراراتها المتعلقة بالفلسطينيين، وتشارك الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي في ذلك المؤتمر، لضمان تنفيذ القرارات، والزام الاطراف المعنية بها.

واذا ما كانت قمة الجزائر وضعت الدولة الفلسطينية كهدف نهائي لمساعي الدبلوماسية العربية، فان مرحلة ما بعد القمة، وقبل الدولة، هي ورقة اعتماد عربية جديدة برسم الوفاق الدولي. واذا ما كانت المرحلة المقبلة تندرج تحت عنوان «المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط»، على أساس المعطيات الواقعية، فان الخيار والقرار هما في الضغط العربي على واشنطن، فكان على الاخيرة الاستجابة.

لعبة التنازلات

يدرك بعضنا، بحدس لا عناصر ظاهرة له، ان الحجارة الملقاة في الارض المحتلة على جنود الجيش الاسرائيلي، موجهة، أيضاً، الى أهداف اميركية سمحت لهذا الجيش ان يقوى ويستقوي. وبالطبع، ليس في المجال، هنا، استعراض جديد لنتائج ممارسات جيش الاحتلال، ولا استعراض الحجم

الكبير للتضحيات التي قدّمها الفلسطينيون في مواجهته، لتثبيت حقوقهم القومية، ودفاعاً عن هويتهم الوطنية. هنا تبدو أهمية الانتفاضة في كونها زمان ومكان انعقاد التناقضات الاقليمية (الاسرائيلية والعربية)، وما تمثّله هذه من رموز لتناقضات دولية، اميركية أساساً، تتغيّر بوتائر متسارعة، يدفع الفلسطينيون تحت الاحتلال الكثير من دمهم واملاكهم ومستقبل وجودهم المعيشي والاجتماعي ثمناً لها.

السؤال الدامي الذي طرح نفسه، بقوة، هو هل كانت الانتفاضة الفلسطينية، مرة أخرى، زمان ومكان انعقاد تناقضات الموقف الأميركي ؟ نجيب عن ذلك بداهة، بأن ما هو تاريخي في مواقف الانتفاضة هو انها فرضت على كل الأطراف اعادة ترتيب الأولويات، حتى على الطرف الاميركي نفسه. وهنا يكمن السر في التجاوب السريع والمتطابق للولايات المتحدة، التي سارعت، في شخص وزير خارجيتها، الى طرح مبادرة للتوصل الى تسوية للنزاع انطوت على محاولة مزاوجة بين ما انتهت اليه اتفاقيتا كامب ديفيد وبين الحد الأدنى من أهداف المؤتمر الدولي على أرضية «الجوهر»، أي مبادلة الارض بالسلام. وبمعنى آخر، كانت المبادرة تنطوي على ثلاثة أهداف، اثنان منهما تكتيكيان من بقايا كامب ديفيد، والثالث استراتيجي يلتقي، شكلياً، مع فكرة المؤتمر الدولي. الهدف الاول، اخماد انتفاضة الارض المحتلة، وانسحاب الجيش الاسرائيلي من المدن والقرى الى مواقعه العسكرية، تمهيداً لاجراء انتخابات بين الفلسطينيين. والهدف الثاني، منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً، وانتعاشاً اقتصادياً، وترتيب وفود المحادثات الاردنية ـ الفلسطينية التي سوف تفاوض الاسرائيليين في لجان ثنائية، يبدأ العمل بها انطلاقاً من الهدف الثالث، وهو عقد مؤتمر دولي، كمظلة، يدشّن تحت ظلها بدء المفاوضات المباشرة برعاية القوتين العظميين أساساً.

ولمّا كان شكل الحل، وفق أصول اللعبة الدبلوماسية بين «ثلاثية» شولتس وبين ما تراه تل ـ أبيب، بعيد المنال، انتهجت واشنطن خطين أساسيين لتحقيق ما تصبو اليه: خط ممارسة اقصى الضغط على اسرائيل للجمها عن القيام بأي عمل عسكري يعيد جميع الاوضاع في المنطقة الى نقطة الصفر؛ وخط يسعى الى اشراك الفلسطينيين في عملية السلام مع اسرائيل. واذا كان الضغط على اسرائيل هو الخط الاول لدى واشنطن، فان السؤال الذي بات يطرحه صانع القرار السياسي الاميركي هو ما الذي سينتجه زخم الحدث الراهن في الارض المحتلة، بعد قرار الملك الاردني فك العلاقة القانونية والادارية بها ؟ وكيف يُربَط، في نتائجه وتوجهاته، بالذي سبقه، أو بالذي سيليه، لتشكيل نسق سياسي واضح يفرز استراتيجيته، ذاتياً، وبتداعيات احداث مضبوطة الايقاع ؟

في مقدم ما يجدر التنبّه اليه، ثمّة حقيقة كانت قائمة، على الرغم من الاقنعة التي تخفيها، وهي ان اهتمام واشنطن بالفلسطينيين قد ازداد، ولا عجب ان تتحرك باتجاههم في اطار السعي الى اقرار السلام في المنطقة. في هذا الاتجاه، يمكن رصد توالد عدد من التصريحات الاميركية، منذ آب (أغسطس) الماضي، الداعية الى البحث في صيغة حل فلسطيني ـ اسرائيلي، وتحريك هذا الحل. ولم يكن من قبيل الصدفة ان يعلن وكيل وزارة الخارجية، جون وايتهيد، عن «ان الولايات المتحدة قد تقبل اشتراك وفد فلسطيني منفصل في مباحثات السلام». وفي السياق عينه، أكد ممثل الولايات المتحدة في المنظمة الدولية، فيرنون وولترز، بعد صدور قرار الملك الاردني، «ان المشكلة، الآن، هي مشكلة التمثيل الفلسطيني للارض المحتلة... فقد أصبحت هذه المشكلة أكثر تعقيداً، وان كان ذلك لن يؤدي الى عرقلة الجهود». أما السفير الاميركي السابق لدى المملكة السعودية، روبرت نيومان، فقد ذهب الى تأكيد ان «لا بديل من م.ت.ف. شاءت الولايات المتحدة ذلك أم أبَت». وحذّر من انه «اذا سمحنا للاحداث بأن تسير على غير هدى، كما تفعل الادارة الحالية، فمن المؤكد ان الوضع

سوف يزداد سوءاً».

ولا ريب، لقد كان لهذه التصريحات معناها الاعمق والابعد أثراً، وهو ما أسرعت، ذات مرة، الناطقة باسم وزارة الخارجية الاميركية، فيليس أوكلي، الى تأكيد «ان الفلسطينيين يواجهون ضرورة اتخاذ قرارات صعبة، وامامهم تحدي الوقوف في جانب السلام»؛ وأضافت: «لو ان الفلسطينيين اتخذوا مواقف مسؤولة وبنّاءة، فسوف يكون ذلك بمثابة عنصر ايجابي قويّ في عملية السلام».

هكذا اثيرت التساؤلات حول طبيعة المواقف «المسؤولة والبنّاءة» التي طالبت بها الولايات المتحدة للانفتاح على م.ت.ف. وعلى كل حال، فقد استلمت المنظمة الرسالة الاميركية، وردت بلسان حالها: اذا لم يكن من «الحل» بدّ، فيجب ان يكون فلسطينياً؛ واذا كان الوقود فلسطينياً، فبالضرورة يجب ان يكون الحل فلسطينياً محققاً أقصى ما يمكن من ايجابيات، من دون ان يؤدي ذلك الى جعل الحل الاقليمي على حسابها.

بهذا المنطق عينه، عقدت الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، التي تمايزت، في أهميتها، عن الدورات التي سبقت في اتساع حجم التحديات منذ الخروج من بيروت، مروراً بالدورة السابعة عشرة ومحاولة «شطب الرقم الفلسطيني»، والانشقاقات، والحرب على المخيمات في لبنان، وحوارات «الوحدة الوطنية» في العاصمة الجزائرية على اساس اتفاق سياسي وتنظيمي اكتسب شرعية في نقاشات الدورة السابقة، ثم انتفاضة الارض المحتلة. لقد كانت الاستجابة لتلك التحديات التي واجهها القرار الفلسطيني تشكل جانباً «ذاتياً» يمس البناء الفلسطيني الداخلي وهيكله التنظيمي، الذي، على الرغم من ايجابياته المطلقة، لم يكن يغني المجلس الوطني الاخير أو يعفيه من مواجهة التحدي «الموضوعي» المتمثل في التوازن مع النقائض الاقليمية والدولية. هل كان هناك اتفاق على برنامج كهذا ؟ ما هي خطوطه العامة ؟ وكيف يتم تنفيذ القرارات بشأنه في الواقع العربي والدولي الراهن ؟

الصحيح، ان طرح هذه الاسئلة لم يعد هاماً بعد ان بات المنطلق الفلسطيني للحل المطلوب هو قرار التقسيم الرقم ١٨١، والذي ألقى على الولايات المتحدة مسؤولية الاجابة، وليس على الفلسطيني الذي يناقش، دولياً، في حق شرعي منحته له قرارات الامم المتحدة. وليس من شك في ان مقررات الجزائر شكّلت، مجتمعة، اساساً صالحاً لهجوم فلسطيني زاد من محاصرة واشنطن على الساحة الدولية، ورمى بالكرة الى الجانب الاميركي.

ولعلّ رغبة المنظمة في الحوار مع الولايات المتحدة، واستعدادها لتلبية المطالب الاميركية، شكّلا ضغطاً قوياً على واشنطن، التي رأت ان لها مصالح في المنطقة ينبغي التوفيق بينها، وأدركت انها لن تستطيع ان تسقط من حسابها أهمية المعادلة الفلسطينية في احلال السلام في المنطقة، فكان قرار الحكومة الاميركية بالغاء وعد هنري كيسنجر، بعد ١٣ سنة، وفتح صفحة جديدة مع منظمة التحرير، وهو قرار يتوازى في الاهمية مع قرار المنظمة بالقبول بحق اسرائيل في الوجود، وبدء التفاوض معها على اساس القرارين ٢٤٢ و٣٣٨، مع الاعلان عن نبذ الارهاب.

نهاية معركة أم بداية صراع ؟

السؤال، الآن، كيف سيساعد الحوار الاميركي ـ الفلسطيني على شد خيوط اللعبة، أو الاصح «تشميعها» ؟ نبدأ بتأكيد ان المرحلة الحاضرة، كما يدركها «ثالوث» الازمة (م.ت.ف. وواشنطن،

وتل ـ أبيب)، لا تزال مرحلة شد الخيوط في ما بين الفرقاء والمحاور، وذلك بهدف ان يأخذ كل فريق، أو محور سياسي، أفضل موقع، وان يجمع بين يديه أكثر الاوراق استعداداً لمرحلة الاستحقاقات المقبلة. أما «الحوار»، فانه يفترض اعادة ترتيب الاوضاع، واعطاء كل طرف فرصة أخيرة لفرز المواقف وجرد الحسابات ومعرفة ماله وما عليه قبل معاودة ذلك «الحوار»، حيث من المفروض ان تكون الحقائق قد تأسست على ما يدعم كل طرف في ما يخص القضايا المطروحة للنقاش، تمهيداً لجدولتها.

في هذا الشأن، تساءل مراقب أميركي عمّا اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية قادرة على دفع ثمن سياسي مقابل رهانها على قيام دولة فلسطينية، وعمّا اذا كانت القيادة مستعدة وقادرة على مثل هذا التحول النوعي في هويتها، أي الانتقال من حركة تحرر وطني الى هيئة حكومية ذات مسؤوليات مختلفة.

في الحقيقة، لقد أثرت مقررات الجزائر الاخيرة، منهجياً، في الفكر السياسي الفلسطيني، بالغائها مظهرين سلبيين من مظاهر التعامل مع قضاياه، وبنت، في المقابل، ما يمكن ان نطلق عليه «سياسة فلسطينية»: أولاً، ألغت مظهر الاستقطاب والتمحور بين الفصائل الفلسطينية، والذي، وان كان يستند الى اختلافات في النهج والخطوط، الّا انه اقعد ممثلي تلك المحاور عن الحراك السياسي، عربياً ودولياً، لاغياً بذلك عناصر الازدهار لدى الاعداء، أحياناً، وعناصر الانسياق الفردي بالتزامات اقليمية للبعض، من الصعب انكار تأثيرها المستقبلي في القضية الفلسطينية، في معظم الاحيان. ثانياً، ألغت مظهر «الحَرَد الفلسطيني»، ان جاز هذا التعبير، والذي كان نتيجة حتمية للمحاور والاستقطاب، وطبع، في الحقبة الماضية، اسلوب تعامل القيادات الفلسطينية مع قضاياها المصيرية، حيث كان يكفي اختلاف وجهات النظر بين تنظيمين، أو أكثر، للتأجيل، ان لم يكن للتغييب الكامل لمجرد فكرة الحوار في القضية، ممّا جعل الكثير من اللقاءات الفلسطينية نوعاً من مسرح لا جدوى منه.

الحصيلة الطبيعية لاختفاء المظهرين السابقين، هو ما أسسته مقررات الجزائر، أي بناء ما يطلق عليه «سياسة فلسطينية» وتوضع بين مزدوجين لتمييزها عمّا كان يفرضه المظهران السابقان من «مواقف» آنية، سواء أكانت مرنة أم متشنجة، لا تتواصل ولا تترابط، وهي، بالتالي، أقل بكثير ممّا هي عليه حالياً. على ان أهم ما في السياسة الفلسطينية، بطبعتها الجديدة، انها تبدأ من مواجهة «المختلف» وليس «المؤتلف»، أي تبدأ من الواقعي طموحاً الى المثالي. وتكتسب هذه السياسة صلابة بتناسب طردي بين جذرية المواجهة وبين الالتزام بما يتقرر في ضوئها من نتائج. وهذه النتائج شكلت الخطوط الاستراتيجية التي أعطت الفعل الفلسطيني صفة السياسي.

ما سبق قوله يبقى تجريداً، ما لم يتمّ التدقيق فيه عيانياً، لكي تظهر فاعلية مقررات الجزائر، ولكي تبدو قراءة مستقبل السياسة الفلسطينية ممكنة، وذلك يبدأ بتقويم تلك المقررات في اطار التجاوب مع الوفاق الدولي الجديد بين العملاقين، والمساعي الدولية الى عقد المؤتمر الدولي. وبعبارة أخرى، اذا كانت رهبة المسؤولية التي واجهتها القيادات الفلسطينية العام ١٩٤٧، حين أصدر قرار التقسيم والذي كان ثمرة من ثمار يالطا الاولى، فان القيادة الفلسطينية تواجه، الآن، الرهبة ذاتها، انطلاقاً من ان المؤتمر الدولي وقراراته سيكونان ثمرة يالطا الثانية.

وبطبيعة الحال، ليس هناك ما يبرر ان لا تكون م.ت.ف. مشاركاً في المؤتمر العتيد، ما دام ان «الدولة المستقلة» لن تأتي الّا نتيجة توازنات وحسابات مصالح اقليمية ودولية دقيقة وصعبة. ولمزيد من توضيح الدور الذي سيلعبه المؤتمر الدولي في انشاء الدولة، أو الحل النهائي، يمكن تصويره

على انه «مصنع تجميع» كمصانع الشركات متعددة الجنسية، حيث تتخصص كل دولة بانتاج قطعة أو مجموعة قطع، يعاد تجميعها، كمنتج نهائي، في مكان ما من العالم؛ انه بالمعنى السياسي توازن المصالح، الذي يجب ان يأتي «كحل سياسي»، سواء جسّدته الدولة الفلسطينية المستقلة أم أي صياغة أخرى في حينه.

من السهل، هنا، استنتاج اذا كان النزاع العربي ـ الاسرائيلي قد بدأ يسلك مناحي جديدة بعد القرار الاميركي باقامة «حوار جوهري» مع المنظمة؛ فذلك لا يعني، بالطبع، ان ادارة الرئيس ريغان كانت معنية أكثر من غيرها من الادارات السابقة بهذا النزاع. غير ان للرئيس ريغان فضلاً كبيراً في ترجمة الخطط الاميركية بشأن مستقبل هذا النزاع، التي وضعت لمساتها في مطلع السبعينات. واذا عدنا سنوات الى وراء، نرى، وبلمحة سريعة، ان كل الادارات الاميركية، منذ الخمسينات، كانت تدخل في حساباتها النزاع العربي ـ الاسرائيلي؛ لا بل كانت تظهر نوايا طيبة تجاه العرب، انما دون ان تترجم هذه النوايا الى أفعال. وفي هذا الصدد، يجدر التذكير بتلك النوايا الطيبة، من «سلام الارض المقدسة» (تعبير جون فوستر دالاس)، الى «السلام العادل في الشرق الاوسط» (تعبير جون كنيدي)، الى «الرغبة في التفاهم» (تعبير ليندون جونسون)، الى «سياسة اليد المتوازنة» (تعبير وليام سكرانتون، نيابة عن ريتشارد نيكسون)، الى «أمن ورخاء كل الاطراف» (تعبير جيرالد فورد)؛ حتى الرئيس جيمي كارتر جلب معه أفضل النوايا، وملخّصها «ينبغي تأمين وطن للاجئين الفلسطينيين الذين عانوا لسنوات عديدة».

غير ان هذه النوايا لم تكن تعني التزاماً من قبل الولايات المتحدة بأي صيغة لـ «كيان فلسطيني» أو «دولة فلسطينية». والعودة الى تصريحات شولتس، بعد صدور القرار الاميركي بالدخول في «حوار جوهري» مع ممثلين عن المنظمة، تؤكد حقيقة تلك النوايا. فقد ذهب الوزير الاميركي الى الاشارة الى ان صلاحية اقامة الحوار محصورة في شخص السفير الاميركي في تونس، روبرت بلترو، فهو «القناة الرسمية الوحيدة لاقامة الحوار»؛ كما أكد ان على منظمة التحرير الالتزام بتعهداتها لا سيما تلك المتعلقة بنبذ الارهاب، وان الموضوع الاول على جدول اعمال الحوار الاميركي مع المنظمة هو تعهد الاخيرة بهذا الالتزام؛ وأشار الى ان بدء الحوار لا يعني اعتراف الولايات المتحدة باعلان الدولة الفلسطينية المستقلة، ولا القبول بها، وان الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة لا يمكن تقريره بعمل انفرادي من أي من طرفي النزاع، وانما عبر عملية التفاوض؛ ثم ان بدء الحوار هو «خطوة أخرى نحو بدء المفاوضات المباشرة بين الاطراف، والتي، وحدها، تؤدي الى السلام» حسب قول شولتس، الذي اعاد تأكيد هدف التوصل الى سلام «شامل» في المنطقة؛ كما ان بدء الحوار مع المنظمة لا يمس، اطلاقاً، «التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل»، وان للاخيرة آراءها وسياساتها، وانها أوضحت لواشنطن ان الشروط الاميركية لاقامة الحوار مع المنظمة ليست شروطاً اسرائيلية، وبالتالي، فانها ليست ملتزمة بها.

انطلاقاً من هذه المعطيات المتناقضة، من الصعب التنبؤ بما سوف يكون عليه الموقف الاميركي. فالرمال المتحركة في المنطقة تحول دون المخاطرة بأي تقدير. ولكننا نرى في بعض معالم السياسة الاميركية، كما تبدو لنا الآن، ان واشنطن قد بدأت تتكيف مع الوضع الجديد. والوضع الجديد هو مرحلة ما بعد تفجّر الانتفاضة التي شرعت الابواب للحل السياسي، بدليل اللغة السياسية المختلفة التي بدأ يستخدمها الطرف الاميركي، الذي بات يرى انه ينبغي الاستفادة من رد ع اسرائيلي محسوب ومحدد، مع التوصل، في الوقت عينه، الى اتقاء المخاطر الناجمة عن التأييد الاميركي المكشوف

لسياسة اسرائيل المتعنّتة، واقناع هذه الاخيرة بمصلحتها في التسوية، وفي علاقات طبيعية مع جيران معتدلين. وفي هذا الاطار، نظرت مصادر اميركية مسؤولة، بشيء من الخبث، الى ان تراكم الانتقادات الاميركية الموجهة نحو تل ـ أبيب، انما تعني ان يتجاوب الطفل المدلل مع مصادر اهتمام وقلق أبويه. وترى المصادر المسؤولة نفسها، ان هدف هذه السياسة هو اقناع اسرائيل بالاقتراحات الاميركية لحل النزاع في المنطقة عبر ثلاث قنوات متوازية، هي: أولاً، طمأنة اسرائيل بأن واشنطن ستبقى حامية لها في وجه الضغوط الدولية، وانها لن تسمح بأن يؤدي الضغط الى عزل اسرائيل؛ ثانياً، الاستمرار في انتقاد اسرائيل، علناً، على أمل ان تتحرك الساحة الاسرائيلية الداخلية وتضغط على الحكومة الائتلافية الجديدة للكفّ عن ممارسة «القبضة الحديدية»، خوفاً من ان تلحق أذى بالعلاقات بين الطرفين؛ وثالثاً، تحذير اسرائيل من عواقب مواقفها على مستقبل المصالح الاميركية في الشرق الاوسط.

على هذا الاساس، من المبالغة القول ان القرار الاميركي بفتح الحوار مع المنظمة، قد فتح صفحة «خصام» مع اسرائيل لا رجعة منه؛ فالثقة ما زالت متوفرة والمصالح جمّة، حيث يرى فريق مسؤول في الادارة الاميركية ان اسرائيل ما تزال رصيداً استراتيجياً مضموناً لا غنى عنه، وقاعدة ثمينة لمواجهة السوفيات والحركات الراديكالية في المنطقة، وقلعة حصينة مستقرة في بحر من عدم الاستقرار. وخلص هؤلاء، من ذلك، الى ان ليس من مصلحة الولايات المتحدة ازعاج حليف بالضغط عليه، سواء لجهة الانسحاب من اراض احتلها، أو ممارساته ضد السكان العرب، من أجل ارضاء أنظمة غير مستقرة أساساً.

ومهما يكن الامر، فان بدء الحوار اسقط الفكرة الاميركية السائدة، تقليدياً، بأن م.ت.ف. «لا تمثّل أحداً»، وفتح باباً جديداً وهامّاً على العلاقة الاميركية ـ الفلسطينية. كذلك، فان الحوار مع المنظمة يوصد الباب الذي حاولت اسرائيل ان تبقيه مشرعاً، لايجاد بديل من المنظمة، ليقوم بالمفاوضات، ويزيل، أيضاً، دور الاطراف الاخرى، إن تمثّلوا في دول أو في افراد.

ولكن، اذا كان السلام في الشرق الاوسط يتطلب وساطة اميركية، واعترافاً اميركياً بـ م.ت.ف. فان اسرائيل باتت تخشى ان يكون «بيض» السلام في «السلة» الاميركية وحدها؛ اذ ان مخاطر حصر السلام بطرف واحد لا تقل عن مخاطر توزّعها.

في هذا الاطار، يمكن تحديد حجم وطبيعة «القبضة الحديدية» وأهدافها من خلال ما تشير اليه في مرحلة محددة. فالقبضة الحديدية هي التعبير العسكري عن الوفاق بين الليكود والعمل على شكل حكومة ائتلافية جديدة. ولأن الارض المحتلة هي القضية المركزية في برامج الكتلتين، ولأن البرامج مختلفة، فليس هناك من وسيلة للاتفاق سوى ابقاء تلك المناطق ساخنة وملتهبة، وبالضرورة هي هكذا حين تصطدم فيها برامج الحركة الوطنية الفلسطينية والليكود والعمل، بالبرامج الاقليمية والدولية.

ومن منظور مختلف، تبدو القبضة الحديدية كمؤشر وكأداة تنفيذ، في الوقت عينه، الى ما تفرزه العلاقة الاميركية ـ الاسرائيلية، بشأن مستقبل الارض المحتلة. فمنذ ان اعلن شولتس مبادرته الداعية الى ايجاد حل للمناطق المحتلة في اطار اعادتها الى الاردن، وسياسة الحكم العسكري توازن بين الضغط الاميركي لتنفيذ المبادرة الاميركية، وبين محصلة الاتفاقات التي يفرزها المسرح السياسي الاسرائيلي.

من هنا، دعا بعض الاوساط الاسرائيلية الى زيادة القمع في الارض المحتلة تحت عنوان «الوقاية خير من العلاج»، منوّهاً الى ان ضرب من اسماهم بـ «المخربين» و«المتطرفين» سيقطع الطريق

على ايجاد جسم سياسي صلب من الفلسطينيين تحت الاحتلال يحظى بتأييد عالمي، ويلعب دوراً بارزاً في خط متواز مع منظمة التحرير في الشهور القليلة المقبلة.

وعليه، فان أي استقراء سريع للمستقبل القريب في ضوء الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، يلحظ المتابع لتطور حركة الاحداث الاخيرة ان هناك اتجاهاً عاماً لابقاء أبواب الاحتمالات مشرعة، دبلوماسياً وسياسياً. وبذلك يكشف بعض الصرخات المدوية بشأن «بدء مسيرة الحل» عن شطط في تقدير ممكنات تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي، لأنه يفترض، سلفاً، ان أي تطور هام، سواء على الصعيد الاقليمي أو الدولي، لا بد ان ينعكس، بشكل أو بآخر، على ذلك النزاع، باعتباره عقدة التشابك بين التأثيرات الاقليمية والتأثيرات الدولية. وليس بالغريب ان يعمد أكثر من طرف اقليمي، ودولي، الى التنبيه من الافراط في التفاؤل، والى تجنّب اعطاء أي انطباع قد تستشف منه مواقف محددة وواضحة بهذا الخصوص.

وبصفة عامة، يمكن ملاحظة انه في أكثر الافتراضات تفاؤلاً، فان الخروج من مأزق التمسّك بالثوابت عبر تنازلات الاطراف المتنازعة، سوف يجد تعبيره من خلال صفقة شاملة لحل أزمة الشرق الاوسط، وهي، بحد ذاتها، عملية تحتاج الى وقت طويل، لا ينتفي فيها امكان حصول متغيرات اقليمية، من شأنها ان تقلل أو تُعظّم من فرص الحل.

في خلفية كل هذه المتغيرات، تبقى الانتفاضة مستمرة، وهذه هي مصدر الحرارة الدائمة التي تبقي كل الاحتمالات قائمة، وتبقي وعد الدولة الفلسطينية المستقلة على مرمى حجر.

السياسة المصرية والمسألة الفلسطينية
(١٩٢٢ ـ ١٩٤٨)

رضا هلال

تتناول هذه الدراسة السياسة المصرية تجاه المسألة الفلسطينية، وبشكل خاص منذ العام ١٩٢٢ حتى العام ١٩٤٨، في اطار ثلاثة اتجاهات سياسية، هي: الاتجاه القومي المصري، والاتجاه الاسلامي، والاتجاه الماركسي.

١ ـ الاتجاه القومي المصري

بين العام ١٨٨٢ (عام الاحتلال البريطاني لمصر) والعام ١٩١٦ (عام معاهدة سايكس ـ بيكو بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم الوطن العربي) استطاع الغرب، تدريجياً، ان «يبعثر» الكيان العربي الموحّد لأول مرة في التاريخ. وبدءاً من العام ١٩١٧ (عام وعد بلفور) بدأ زرع اسرائيل كضامن لذلك التبعثر. واستطاع الغربي الغالب ان يفرض على العربي المغلوب الفكر الاوروبي والسياسة الاوروبية. وأصبح مشروع «الوطنية الليبرالية العلمانية» هو مشروع «النهضة» بعد اخفاق مشروع «الاحياء السلفي» الذي حملت دعواه الحركة الوهّابية، وحركة عبدالقادر الجزائري، ثم الحركة المهدية، ثم الحركة السنوسية، وكبديل لمشروع «الاصلاحية الاسلامية» الذي تبناه الافغاني ومحمد عبده والكواكبي، وتمكّن تيار «الوطنية الليبرالية العلمانية» من ان يصبغ، بصبغته، الحياة السياسية والفكرية في مصر، في الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى، بعد ان تلقى رجاله تنشئتهم في حزب الامة (١٩٠٧) وصحيفته «الجريدة»، التي كان يرأس تحريرها أحمد لطفي السيد.

كتب ألبرت حوراني: «ان الذين أسسوا الحزب وكتبوا في ' الجريدة ' كانوا مصريين يحسّون بالولاء لمجتمع لم يكن من الممكن لهم ان يعتبروه جزءاً من الامة الاسلامية وحسب... لأن أساس الجماعة المصرية ذاته قد تغير في نظرهم. فما يجمع بين المصريين ليس الشريعة المنزلة، وانما الصلة الطبيعية الناجمة عن العيش في الوطن الواحد»[١].

وكتب لطفي السيد: «يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها ان تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنفعتها وتتواهم، في ذلك، على أوهام وخيالات يسميها بعضهم ' الاتحاد العربي ' ، ويسميها آخرون ' الجامعة الاسلامية ' »[٢].

وتقدُّم مصر ـ الذي أساسه القومية المصرية ـ يرتبط، عند لطفي السيد، بالاخذ بالنظام «الحرّي» ـ حسب ترجمته له، أي الليبرالي ـ[٣]، بمفهوم ليبرالية القرن التاسع عشر[٤]، وبنزعة علمانية،

لأنه، أي السيد، «ليس ممن يتشبثون بوجوب تعليم دين بعينه أو قاعدة اخلاقية معينة»(٥).

ألَم تكن تلك الافكار التي طرحها لطفي السيد هي ذاتها التي انبنى عليها الخطاب الليبرالي كما مثّله حزب الوفد وانشقاقاته: حزب الاحرار الدستوريين، والحزب السعدي، والكتلة الوفدية، وكما عبر عنه المثقفون الليبراليون: طه حسين، ومحمد حسين هيكل، ومحمود عباس العقاد؛ وهم، وان اختلفوا فيما بينهم، فقد اتفقوا على «تلازم ضروري» بين النهضة/ التقدم (الاستقلال والدستور) وبين الوطنية الليبرالية العلمانية. ولذلك، عندما قامت ثورة ١٩١٩ في مصر، كان ذلك تحت شعار الجامعة المصرية بحسبانها قومية مصرية محددة. وعلى الرغم من انه كان مضى على وعد بلفور عامان، الّا انه، بدعوى «القومية المصرية»، لم تستشعر الجماعة الليبرالية في الصهيونية خطراً. فقد كان الخطر يتجسد لها في الاحتلال البريطاني. وبدعوة علمانية ليبرالية مغلوطة، تعاطف بعض الليبراليين المصريين مع الوجود اليهودي في فلسطين، وتسامح البعض الاخر مع الوجود الصهيوني في مصر. وظل الامر كذلك حتى منتصف الثلاثينات.

وبعدما توصلت الليبرالية المصرية الى معاهدة مع المحتل البريطاني، ونشبت الانتفاضة الفلسطينية، ووصل الاخوان المسلمون ومصر الفتاة الحركة الوطنية في مصر بالحركة العربية في فلسطين، بدأت الجماعة الليبرالية تستشعر الخطر الصهيوني، لتدرك، متأخراً، ان الحفاظ على الجماعة المصرية أكبر من أن تستوعبه الجامعة المصرية، وان الخطر على فلسطين هو خطر على مصر ذاتها، وان ردّ ذلك الخطر لا يكفله الّا الانتماء الى جامعة سياسية أعمّ.

وعندما أعلنت الصهيونية عن اقامة دولتها اسرائيل على أرض فلسطين، في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، دخلت الليبرالية المصرية معركتها الفاصلة هناك، فلقيت هزيمتها وسقط مشروعها. وبالاجمال، ان الخطاب الليبرالي الذي لازم بين النهضة والوطنية، أو بين الاستقلال والحياة الدستورية والجماعة الوطنية المصرية، كان يعكس وعياً مزيفاً بالذات المصرية. وقد تبدّى ذلك الوعي المزيف في سحبه للذات من الجامعة العربية، وفي اختزاله للخطر الذي يواجهها بالاستعمار البريطاني دون الاستعمار الصهيوني. وكان ذلك التلازم هو الاساس الموضوعي للهزيمة والسقوط.

لقد استخلص سعد باشا زغلول، زعيم ثورة ١٩١٩ وحزب الوفد، ان فكرة الوحدة العربية معادلة صعبة وفاشلة، فكان يردد، دائماً، ان «صفراً زائد صفر يساوي صفراً. فكيف نقيم وحدة عربية وبلادنا ما زالت محتلة؛ فلا بد من الاستقلال أولاً؛ ثم الالتفات، أو الاهتمام، بعد ذلك، بما هو خارج حدود بلادنا»(٦).

وعلى الرغم من ان زغلول رفض ان يجمع الصفر على الصفر، وركز على استقلال مصر أولاً، فانه لم يتصور استقلال مصر دون السودان. ففي حديث اجراه مع صحيفة المانية، في حزيران (يونيو) ١٩٢٤، قال: «لا يمكن القول ان مصر حرة دون السودان... ذلك ان امتلاك السودان معناه حكم مصر... ان لانجلترا بالسودان وسيلة للضغط تستطيع بها ان تخفق كل رأي سياسي يدلي به الشعب المصري»(٧).

بيد ان تركيز زعيم الوفد على قضية استقلال مصر أولاً، وقضية السودان ثانياً، جعله يغض الطرف عمّا يحدث خارج «وادي النيل». هذا من جانب. ومن جانب آخر، فان علمانية «الوفد» كانت، في البداية، وراء الحرص على شعور يهود مصر وتجاهل ما يحدث لعرب فلسطين.

وفي هذا السياق، «عامل سعد زغلول باشا اليهود معاملة أهل البلاد الوطنيين، الى حد انه

خصص لهم كرسياً في الوزارة وآخر في البرلمان المصري، مما أدى الى استياء عرب فلسطين ونسبوا الى الحكومة المصرية محاباتها للجالية اليهودية...»[٨].

وفي السياق ذاته، أيضاً، صحب زغلول معه، في وفد المفاوضات الى لندن، المحامي الصهيوني المعروف ليون كاسترو، مؤسس فرع المنظمة الصهيونية العالمية في مصر، وقام بتكليفه بالتحدث باسم حزب الوفد في اوروبا؛ كما صرح له باصدار صحيفة *Libérte* الناطقة باسم الوفد باللغة الفرنسية[٩].

ولمّا اجتمع بعض مؤيدي القضية الفلسطينية في القاهرة، العام ١٩٣٠، بالمجاهد الفلسطيني حسن صدقي الدجاني، عقب أحداث العام ١٩٢٩، هددت الحكومة بفض الاجتماع بالقوة. وكان رأي مصطفى النحاس باشا، زعيم حزب الوفد ورئيس الحكومة وقتها: «لا نستطيع ان نسمح ببث أية دعاية لفلسطين ضد اليهود في مصر؛ اذ ان اليهود أقلية، ونحن نحافظ على شعور الاقلية في بلادنا»[١٠].

وهكذا، فان الوفد، حزب الايديولوجية الوطنية الليبرالية والعلمانية، اعطى الاولوية، بين العامين ١٩١٨ و١٩٣٠، لاستقلال مصر وقضية السودان دون قضية فلسطين، وللجالية المصرية اليهودية دون عرب فلسطين.

بيد ان موقف الوفد، مع نهاية العام ١٩٣٠، قد بدأ بالتغير. ففي العام عينه، ألقى سكرتير عام الوفد، مكرم عبيد، خطبة في أثناء زيارته لفلسطين. وجاء في قوله: «لا خلاص للشرق الاّ بالاتحاد والتعاون والتعاضد؛ ولا تحسبوا ان الوفد ورجاله من مجددي الفكرة الفرعونية؛ فمصر عربية، تربطها والبلاد الشقيقة روابط الدين والقومية واللغة والجوار. ولهذا، فانني، هنا، فلسطيني، كما ان الفلسطيني، في مصر، مصري، وكلنا أبناء بلد واحد وعشيرة واحدة»[١١]. وهنا يطرح السؤال: هل كانت خطبة عبيد تمثل تحولاً في الايديولوجية، من النزعة الوطنية الى النزعة العربية، أم كانت موقفاً من مواقف السياسة العملية ؟

ان موقف عبيد اقترن بمواقف وفدية عديدة استجابت للمشاعر الاسلامية والقومية ازاء ما يحدث في فلسطين في اوائل الثلاثينات. فقد حضر الوفد المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس العام ١٩٣١؛ كما اشترك في المؤتمر العربي الذي عقد بعده. وتبنّى، في المؤتمر الاول، وجهة النظر الدينية الاسلامية؛ كما تبنّى في المؤتمر الثاني، وجهة النظر العربية القومية[١٢]. فهل كانت تلك المواقف مواقف تكتيكية سياسية ؟

لقد صاغ عبيد، بنفسه، في المؤتمر الوطني العام ١٩٣٥، ما أسماه الاغراض الاربعة للوفد: الغرض الاول هو الغرض الوطني، أي اذكاء الفكرة الوطنية وما يترتب عليها من نتائج عملية، سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. والغرض الثاني سياسي، ويتمثل في تحقيق استقلال مصر. ويأتي الغرض الدستوري في المرتبة الثالثة، ويتمثل في العمل على عودة دستور ١٩٢٣، وارساء الاسس الثابتة لاستمرار وجود الحياة البرلمانية في ظله. أما الغرض الرابع، فهو الغرض الاصلاحي، وهو بمثابة برنامج اصلاحي واسع النطاق يغطي المجالين، الاجتماعي والاقتصادي[١٣].

وغني عن البيان، ان تلك الاغراض تمثل جوهر «ايديولوجية وفد العشرينات». وعلينا ان نلحظ ان الاضافة في «ايديولوجية وفد الثلاثينات تمثلت في الغرض الاصلاحي، اجتماعياً واقتصادياً، كرد فعل لظهور حركات سياسية ايديولوجية، مثل «مصر الفتاة».

قد يكون من السهل الاجابة بأن مواقف الوفد كانت مواقف تكتيكية فرضتها حوادث السياسة العملية، الاّ ان من الصعب قبول مثل هذا الحكم القيمي على اطلاقه.

كتبت باحثة مصرية: «ان موقف الوفد من المسألة الفلسطينية قد تغير العام ١٩٣٠، لأنه، في ذلك الوقت، كان يمرّ بأصعب تجربة سياسية، حيث استطاع اسماعيل صدقي (زعيم حزب الشعب) انتزاع الحكم من الوفد، وبدأ ينكّل به؛ ولذلك كان الحزب يسعى للاحتفاظ بشعبيته، سواء داخل مصر أو خارجها، ووجد في فلسطين مجالاً لتحقيق بعض هذه الاهداف، فبدأ يشارك في حركة التضامن العربي»[١٤].

ويمكن ان يعزز هذه الرؤية سياق الاحداث. فالمؤتمر الاسلامي، الذي عقد في القدس، وحضره الوفد، لم يشترك فيه أحد من حكومة صدقي، وحرص الوفد على حضوره، وكسب من حضوره، مصرياً وعربياً. غير ان زعماء الوفد لم يكونوا ليعتبروا حزب الشعب، الموالي للقصر، وكذلك احزاب الاقلية، منافسة لهم في الشعبية. فزغلول اعتبر نفسه ممثلاً عن الامة أكثر منه رئيساً للحزب. ولم يكن النحاس يرى في نفسه غير ذلك، وكان يعتبر «الوفدي صدى الامة»[١٥]. وكما ذكر مكرم عبيد: «ان الوفديين اعتبروا انفسهم، دائماً، ممثلين للامة، في حين لا يتعدى غير الوفديين قلة من الافراد»[١٦]. وفضلاً عن ذلك، فان حزب الشعب واسماعيل صدقي ما كانا يدعيان بوصل العرب أو يبديان اهتماماً بالقضية الفلسطينية حتى ينافسهما الوفد على هذا الاهتمام وذاك الوصل؛ بل ان صدقي رأى ان اقتراب مصر من العرب يضر بمصالح الطبقة الرأسمالية، فأخذ يعضد فكرة الانعزالية المصرية[١٧]. بيد انه لا يمكن اغفال انه ممّا جعل الوفد يجد في فلسطين مجالاً للاحتفاظ بشعبيته هو ظهور بعض التنظيمات ـ مع نهاية عقد العشرينات واوائل عقد الثلاثينات ـ التي اهتمت، اهتماماً بالغاً، بالقضية الفلسطينية. فخلال الفترة تلك، نشطت جميعة الشبان المسلمين لجمع التبرعات لعرب فلسطين وارسال برقيات الاحتجاج الى عصبة الامم والحكومات البريطانية. وعقدت، في القاهرة، العام ١٩٣٠، مؤتمراً لجمعياتها في مصر وفلسطين، بحثت خلاله وسائل دعم التضامن الاسلامي، الى درجة التوصية بانشاء عصبة امم اسلامية. كما نشطت، في تلك الفترة، جماعة الاخوان المسلمين (انشئت العام ١٩٢٨) التي اعتبرت الكفاح ضد الصهيونية تجسيداً لفكرة الجهاد في العقيدة الاسلامية. كما تكوّنت جمعية مصر الفتاة (العام ١٩٣٣)، وكانت «أول تنظيم سياسي مصري يضع في برنامجه هدف التحالف مع الدول العربية»[١٨].

أَلَم يكن كل ذلك يعني ان الجماعة السياسية المصرية، منذ الثلاثينات، قد بدأت بالخروج من اطار «الجامعة الوطنية» الى اطار جامعة أعمّ، عربية أو اسلامية ؟ وهل كان الوفد، كمعبّر عن الحركة الوطنية المصرية، ليتغاضى عن ذلك التحول ؟

لقد كان بعض مواقف الوفد المؤيدة للقضية الفلسطينية تعبيراً عن ذلك التحول، غير ان المستعمر البريطاني منع الوفد من الانخراط، كلية، في مجرى ذلك التيار مع بداية الثلاثينات. قال مكرم عبيد انه «ورث عن سعد رغبته في التوصل الى اتفاق مع الشعب البريطاني ومواصلة نضاله في نفس الوقت ضد الاستعمار البريطاني في مصر»[١٩]. وقال، أيضاً، معلّلاً رفض السلطات المصرية لمفتي فلسطين بالاقامة في مصر: «انه لا يمكن السماح للمفتي بالقدوم الى مصر حتى لا يغضب الانجليز...»[٢٠]. فما كان الوفد ليغضب البريطانيين وهو يسعى الى الاتفاق معهم للجلاء عن مصر، أو لكسب ودّهم للبقاء في الحكم، منعاً لوصول الاحزاب المنسلخة عنه الى الحكم، وبطشها بالحياة الدستورية؛ وما

كان البريطانيون ليرحّبوا باقتراب الوفد من فلسطين. لذلك، بدأ اقتراب الوفد من القضية الفلسطينية بعد ان تمكن من عقد معاهدة العام ١٩٣٦ مع بريطانيا، على الرغم ممّا حوته من تهادن مع البريطانيين. وكان يزداد اقترابه حين يخرج من الحكم ويتحول الى صفوف المعارضة، فتتنامى الحركة الوطنية المصرية ـ بقيادة الوفد ـ مع الحركة العربية في فلسطين.

فحين شبّ الاضراب الكبير في فلسطين العام ١٩٣٦، على اثر قيام ثورة الشيخ عزالدين القسّام، وكان الاضراب مواكباً لمفاوضات الحكومة الوفدية لعقد معاهدة ١٩٣٦، لم يغفل الوفد ذلك الحدث الكبير، وان كان تحركه دون مستوى الحدث وغير معبّر عن وزن مصر، كأكبر دولة عربية مجاورة.

وحين استُجوب مصطفى النحاس عن موقف الحكومة، قال: «... أما من حيث شعور الحكومة المصرية نحو القضية الفلسطينية، فيسرني ان اعلن ان اهتمامي بهذه القضية لا يرجع الى الوقت الحاضر، بل كان لي في هذا الصدد ابحاث ومناقشات مع الحكومة البريطانية الصديقة بواسطة ممثلها في مصر أولاً، ثم بطريق الاتصال المباشر مع أعضاء الحكومة البريطانية أثناء اقامتي بلندرا [لندن] في صيف ١٩٣٦، ولم ينقطع اتصالي بالحكومة البريطانية، بعد مغادرتي لندرا، بالوسائل الدبلوماسية المختلفة». ومنعت حكومة الوفد سفر العمال المصريين الذين طلبتهم السلطات البريطانية ليحلّوا محل العمال الفلسطينيين هناك؛ كما قابلت الحكومة، بحذر، دعوة الملك عبدالعزيز آل سعود توحيد الجهد بينه وبين مصر والعراق لحل قضية فلسطين، وأعلنت انها تفضل العمل منفردة. ورأى طارق البشري سبب ذلك الحذر ان المملكة السعودية، والعراق تحت قيادة نوري السعيد، كانا يمارسان، وقتها، ضغطاً على الثورة الفلسطينية، بناء على طلب البريطانيين[٢١].

وعبّر النحاس عن موقف الحكومة الوفدية من أول مشروع لتقسيم فلسطين الذي طرحته «لجنة بيل الملكية» فقال: «... بعد ظهور تقرير اللجنة الملكية، بادرت باستئناف الاتصال بالحكومة البريطانية في هذا الشأن، بالوسائل الدبلوماسية. ويهمني ان يثق المجلس الموقر بشديد عنايتي بالعمل على صيانة حقوق العرب ومصالحهم. فهذه البلاد تشمل الاماكن المقدسة التي تربطنا بها ذكريات دينية وتاريخية مجيدة. وفي رأيي ان هذا السبيل السوي الجدي لخدمة قضية العرب في فلسطين. ومن أجل ذلك كله، لا ترى الحكومة مصلحة وطنية، أو مصلحة لفلسطين نفسها، في جعل هذه الموضوعات محلاً للمناقشة». وبعد ذلك البيان لرئيس الحكومة الوفدية بأقل من شهرين، رفض وزير الخارجية، الوفدي، فكرة التقسيم. ولذلك، حين خرج الوفد من الحكم وتحوّل الى صفوف المعارضة، دعا النحاس الى اجتماع في اوائل تموز (يوليو) ١٩٣٨، ذكر فيه ما بذله من أجل فلسطين في اثناء وجوده في الحكم، ورفضه لمشروع التقسيم. واختتم بيانه بأن « أي حل للقضية الفلسطينية غير الحل الذي قدمته الحكومة المصرية (الوفدية) في عصبة الامم لا يمكن ان ترضى عنه مصر والبلاد العربية الاخرى، وهو رفض التقسيم»[٢٢].

وفي أثناء الاحتفال بعيد الجهاد، في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨، قال النحاس: «ان على حدود مصر الشرقية شعباً باسلاً أبياً يستشهد في الدفاع عن زماره والذود عن دياره، [هو] شعب فلسطين الشقيق، اخواننا في الجنس واللغة والدين، غرر بهم الانجليز بالوعود الكاذبة في الحرب العظمى، ثم اخلفوهم ما وعدوا، وباعوهم للصهيونية تتخذ من بلادهم وطناً قومياً وهم كارهون. ولمّا هبّوا يدافعون عن كيانهم وعن انفسهم اخذهم الانجليز بالنار والحديد، بل لم يتورعوا في التنكيل بهم من انتهاك حرمة الاماكن المقدسة في غير مبالاة لشعور المسلمين». ذلك كان فهم النحاس

للقضية الفلسطينية؛ فماذا كان تصوره للحل ؟ ان النحاس، في الخطبة عينها، طالب بايقاف الهجرة اليهودية فوراً، وايقاف بيع الاراضي لليهود، وان يتولى شعب فلسطين، وحده، حق تقرير مصيره، ووجوب عقد معاهدة مع بريطانيا، مثل المعاهدة المصرية، أو العراقية، كي تحقق لعرب فلسطين الاستقلال. امّا اليهود، فان العرب ـ كما ذكر النحاس ـ سوف يتعهدون المحافظة على مصالحهم. وبالنسبة الى الدول العربية، فقد دعا النحاس الى تكوين جبهة متّحدة لمناهضة الاستعمار[٢٣].

وكتب مكرم عبيد في عدد خاص اصدرته مجلة «الهلال» عن « العرب والاسلام»، في نيسان (ابريل) ١٩٣٩، مقالة تحت عنوان «المصريون عرب»، دافع فيها عن عروبة مصر التي تجد أساساً لها في الجهاد من أجل الحرية، وفي ما يجمع بينها وبين البلاد العربية من روابط اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية الاساسية. وذكر ان الوحدة العربية موجودة، ولكنها في حاجة الى تنظيم؛ والغرض من التنظيم ايجاد جبهة تناهض الاستعمار، وتحفظ القوميات، وتوفر الرخاء وتنمّي الموارد الاقتصادية، وتشجع الانتاج المحلي، وتزيد المنافع وتنسيق المعاملات. وطالب بأن تصير البلاد العربية « جامعة وطنية واحدة، أو وطناً كبيراً تتفرع منه عدة اوطان، لكل منها شخصيته لكنه، في خصائصه القومية العامة، متحد متصل، اتصالاً قوياً، بالوطن الاكبر.

أَلَم يكن عبيد هو من لم يسمح لمفتي فلسطين بالقدوم الى مصر حتى لا يُغضب البريطانيين ؟ أم ان مقالته تعكس تطوراً في خطاب الوفد ؟

ذكر طارق البشري ان ما كتبه عبيد « يمثل تطوراً هاماً في تفكير الوفد وموقفه... كما ان صدوره من مكرم عبيد، القبطي، يوضح مدى الانفتاح المصري على العالم العربي منذ ذلك الوقت، ويشير الى موقف الكثير من اقباط مصر المؤيد لتنمية الروابط العربية، والى مدى ما تميزت به الفكرة العربية، في ذلك الوقت، عن الديانة الاسلامية»[٢٤].

بيد ان هذا التطور «العروبي» للوفد، الذي بدأ مساره مع بداية الثلاثينات، قد انضجته ظروف تعقُّد القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٣٥ وعقد معاهدة العام ١٩٣٦ مع بريطانيا. غير ان خروج الوفد الى قيادة المعارضة المصرية (١٩٣٧ ـ ١٩٤٢) مدَّ بهذا التطور الى درجة مزايدة الوفد على الاحزاب الاخرى بعروبته. فانتقدت جريدة «المصري» رئيس حكومة الاحرار الدستوريين على ما نسب اليه بأن قال «انه رئيس الوزراء المصري لا رئيس وزراء فلسطين»[٢٥]. ووصل الامر الى درجة اتهامه بأنه وسيط للبريطانيين في المؤتمر التمهيدي الذي عقد في القاهرة للاعداد لمؤتمر لندن لتسوية القضية الفلسطينية العام ١٩٣٩[٢٦].

في الاربعينات، اختار الوفد، الذي عاد الى الحكم بطلب وواسطة البريطانيين، ان يدخل الى القضية الفلسطينية من باب اقتراح انشاء جامعة عربية. وفي العام ١٩٤٣، قام النحاس بزيارة لفلسطين ضمن جولة له على المشرق العربي، لاستطلاع رأي الحكومات العربية في موضوع الجامعة العربية.

وكان لمصطفى النحاس الفضل في تخصيص ملحق خاص بفلسطين في بروتوكول الاسكندرية، وفي ميثاق الجامعة العربية أيضاً، دون ان يكون لها مقعد خاص بها. وحين أُصدر قرار التقسيم، العام ١٩٤٧، عن الجمعية العامة للامم المتحدة، دعا النحاس ـ زعيم الوفد الذي عاد الى المعارضة منذ الثامن من تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٤٤ ـ الى اجتماع، تقدَّم فيه الى الحكومات العربية ببعض المقترحات التي رآها عملية لانقاذ فلسطين[٢٧]، وهي اقتراحات تمثّلت في مد العون المالي

ومعاونة المنكوبين لمقاومة التقسيم واتفقت مع أسلوب الوفد في الكفاح السلمي المشروع.

ومع ذلك أيدت المعارضة الوفدية فكرة الحكومة والملك بدخول حرب العام ١٩٤٨. وانبرى سكرتير عام الحزب، فؤاد سراج الدين، للرد على اسماعيل صدقي، الذي كان يعارض دخول الحرب. وكان مما قاله سراج الدين: «أرى، ونحن بصدد النظر في مسألة فلسطين، انما ننظر في مسألة مصر ذاتها؛ واننا، بدفاعنا عن فلسطين، انما ندافع عن مصر نفسها. ان الخطر الصهيوني في فلسطين انما هو خطر على مصر ذاتها... ودليلي مستمد من اقوال اسماعيل صدقي نفسه. فقد اشار الى ان ما يحتمل من عدوان صهيوني على مصر، بطائراتهم، وقذفها بقنابلهم، اذا ما دخلت جيوشها فلسطين؛ كما انه اشار الى احتمال انكسار قواتنا امام المدّ المتوالي للصهيونيين، وامام قواتهم. فاذا كان يخشى هذه النتيجة ودولة الصهاينة لم تنشأ بعد، بل وهي في المهد، فماذا يكون الموقف غداً، لو اقيمت هذه الدولة وأصبح لها وجود...»[٢٨].

وهكذا تحول مسار الخطاب الليبرالي الوفدي، الذي صاغه زعماؤه، من النزعة الوطنية الخالصة الخالية من أي اثر للنزعة العربية أو الاسلامية العام ١٩١٨، الى ان يصبح، تحت ضغط الحركة الوطنية في مصر والخطر الصهيوني في فلسطين، ذا منحى عروبي، الى درجة ان سكرتير عام الحزب اعتبر الخطر الصهيوني في فلسطين خطراً على مصر ذاتها، العام ١٩٤٨.

«الاحرار الدستوريون» و«الكتلة الوفدية»

اذا كنّا اطلنا في تتبع مسار الخطاب الليبرالي الوفدي، فذلك لم يكن الّا لأن الوفد كان يمثّل قيادة الحركة الوطنية المصرية، فيما بين الحربين العظميين، ولأن الحزبين الليبراليين الآخرين، حزب الاحرار الدستوريين وحزب الكتلة الوفدية، كانا انشقاقين عن حزب الوفد.

بالنسبة الى الاحرار الدستوريين، كان حزبهم انشقاقاً عن الوفد خلال محادثاته مع البريطانيين، اثر النزاع بين سعد زغلول وعدلي يكن. ومن حيث المصالح، مثّل الحزب كبار ملاك الارض والاعيان، الى درجة اعتباره «حزب البرجوازية الكبيرة». كما ركز الحزب على الاساس القومي المصري. ولذلك يعتبر حزب الاحرار الدستوريين، من الناحية التاريخية، امتداداً لحزب الامة، سواء أمِن حيث المصالح التي مثّلها، أو السياسات التي دافع عنها، أو حتى من حيث الشخصيات. فمحمد محمود هو ابن محمود باشا سليمان، أحد مؤسسي حزب الامة؛ وأحمد لطفي السيد كان رئيس تحرير «الجريدة» لسان حال حزب الامة؛ وحسن عبدالرازق، عضو مجلس الادارة، كان أحد مؤسسي حزب الامة أيضاً[٢٩].

ونصّت مبادىء الحزب على استكمال استقلال مصر، والتمسك بعدم فصل السودان عن مصر، وبحفظ سيادتها عليه، وحقوقها فيه، وتأييد النظام الدستوري والدفاع عن حرية الفرد.

ولأن الحزب كان ممثلاً للبرجوازية الكبيرة، ومعبّراً عن القومية المصرية، فقد ظل، طوال العشرينات، لا يبدي تعاطفاً، أو اهتماماً، تجاه حقوق عرب فلسطين، بل أظهر ما هو عكس ذلك. فقد وقفت حكومة الاحرار الدستوريين، العام ١٩٢٩، ضد انتفاضة الفلسطينيين أبّان احداث البراق في العام ١٩٢٩. واستنكرت صحيفة « السياسة»، لسان حال الحكومة في ذلك الوقت، العنف الذي لجأ اليه الفلسطينيون، وروّجت لدعوة الاحرار الدستوريين الى التفاهم بين العرب واليهود[٣٠]. كما تبنّى رئيس تحرير الصحيفة، د. محمد حسين هيكل، دعوة التفاهم بين العرب واليهود، وطلب تأليف

لجنة يهودية ـ عربية لتقوم بهذا العبء[٣١]. واستعْدَت «السياسة» الحكومة المصرية ضد الفلسطينيين المقيمين في مصر، وهددتهم بالطرد، بعد ان اتهمتهم باثارة الفتنة الطائفية، وتهييج الرأي العام في مصر[٣٢].

غير ان توجّه الاحرار الدستوريين قد أخذ منحى مخالفاً ومؤيداً للقضية الفلسطينية بدءاً من العام ١٩٣٦، عام الانتفاضة الكبرى والمعاهدة البريطانية المصرية وتقارب الحركة الوطنية المصرية من الحركة العربية في فلسطين. فذكرت جريدة «السياسة»، في الثاني من أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦، ان زعيم الحزب، محمد محمود باشا، قام باطلاع المعتمد البريطاني في مصر على أهم تطورات القضية الفلسطينية، وما يقاسيه العرب هناك، وان تلك الخطوة قوبلت بارتياح شديد في الاوساط العربية الفلسطينية. كما رفض «الاحرار...» مشروع «لجنة بيل» لتقسيم فلسطين. وعكست رسالة زعيم الحزب الى رئيس اللجنة العربية، محمد أمين الحسيني، التوجه العربي الاسلامي للحزب. وكان ممّا قاله: «ابناء مصر يشاركون ابناء فلسطين، بلاد الاماكن المقدسة، في الاحتجاج على تجزئة وطنهم وتمزيق ربوعه، ويتضامنون واياكم في رفض النتائج التي اثبتتها اللجنة البريطانية الملكية، بشأن التقسيم، في تقريرها الاخير. وهم يلفتون نظر حليفتهم بريطانيا العظمى الى ان السياسة العربية، التي تمّ الاتفاق بينهم وبين ممثلي العرب عليها في عام ١٩١٥، هي، وحدها، السياسة التي تتفق مع التعهدات الاساسية للحكومة البريطانية، والتي تكفل طمأنينة العالم العربي الى مواثيق انجلترا واتفاقاتها. ولذلك يقف العرب والمسلمون، في مختلف بقاع الارض، يؤيدون فلسطين في المطالبة بتنفيذ هذه السياسة. وانني، باسم ابناء مصر الذين يؤيدون الفكرة العربية والاسلامية من اعماق قلوبهم، ارجوكم ان تبلغوا ابناء فلسطين اشتراكنا واياهم في عواطفهم ومطالبهم . ويقيننا بأن قضيتهم العادلة منتصرة لا محالة، بفضل ثباتهم وايمانهم ومؤازرة العالمين، العربي والاسلامي، لهم، مؤازرة صادقة في سبيل حقهم المقدس»[٣٣].

كما أبدى الحزب ارتياحه لفكرة انشاء الجامعة العربية، على أساس انها وسيلة لايجاد حل لقضية فلسطين. وذكّر بمخاطر الصهيونية واطماعها، مشيراً الى ما جاء على لسان رئيس الوكالة اليهودية في القدس، دافيد بن ـ غوريون، حينما اصدر نداء الى الشباب اليهودي لكي يعمل على تحقيق ما تنادي به التوراة من امبراطورية يهودية من النيل الى الفرات[٣٤].

وحين صدر قرار التقسيم، العام ١٩٤٧، عن الجمعية العامة للامم المتحدة، دعا الحزب الى مساعدة عرب فلسطين لمقاومة التقسيم، وأيد فكرة ارسال متطوعين من الدول العربية. ورأى أنه، في حال فشل هؤلاء المتطوعين في القيام بواجبهم، فعلى الحكومات العربية التدخل[٣٥]. وكان الحزب مشاركاً في حكومة الائتلاف (من السعديين والاحرار الدستوريين) التي قررت دخول حرب فلسطين العام ١٩٤٨.

أما حزب الكتلة الوفدية، فهو الآخر كان يمثّل انشقاقاً عن حزب الوفد، قاده مكرم عبيد العام ١٩٤٢، بعد خلافه مع النحاس. وكان عبيد سكرتير عام الوفد ورجله الثاني منذ العام ١٩٢٧، عام وفاة سعد زغلول وخلافة مصطفى النحاس له. وكان عبيد، أيضاً، هو من أعاد صياغة ايديولوجية الوفد في المؤتمر الوطني العام ١٩٣٥. ولذلك، كان عبيد خير معبّر عن النزعة الوطنية الليبرالية العلمانية التي ارساها زعماء الوفد، قادة الحركة الوطنية المصرية، بعد الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم من ذلك، استوعب حزب الكتلة الوفدية ـ مع بدء ظهوره في الاربعينات ـ النزعة العروبية

التي دخلت نسيج الحركة الوطنية المصرية في النصف الثاني من الثلاثينات، بعد الانتفاضة الفلسطينية والمعاهدة المصرية ـ البريطانية.

فمن منطلق النزعة الوطنية المصرية، أبرز حزب الكتلة الوفدية اهتماماً خاصاً بخطورة اعطاء الجنسية المصرية لكبار الشخصيات اليهودية في مصر؛ واستنكر سماح الحكومة لهم بالتدخل في شؤون مصر الاقتصادية؛ ووجد في تلك السياسة ما يؤدي الى تغلغل الصهيونية في الوطن العربي[٣٦]. ومن منطلق النزعة العروبية، اشار عبيد الى الوطن الاكبر (العربي)، حين استقبل زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية العام ١٩٤٥. وكان ممّا قاله: «انه اذا ضاقت بنا حدود وطننا، فان لنا وطناً أكبر يجمعنا، مصريين كنا او سوريين أو لبنانيين». وكان ممّا أكده «ضرورة الاحتفاظ بعروبة فلسطين»[٣٧]. كما ربط مكرم عبيد، ربطاً معبّراً، بين القضية المصرية والقضية الفلسطينية. فقد رأى ان قضية المصريين هي «كرامة، أو لا كرامة»؛ وأما القضية الفلسطينية، فهي «وطن أو لا وطن»[٣٨].

المثقفون الليبراليون

منذ العقد الاول من القرن العشرين، ربط المثقف الليبرالي المصري بين «نهضة مصر» وبين ان تكون «جامعة وطنية ليبرالية علمانية». أو بمعنى آخر، بين مصر النهضة وبين مصر الكيان ذي النزعة الوطنية الخالصة الحر العلماني. ووفقاً لتصور المثقف الليبرالي عن الذات (الجماعة الوطنية)، كانت رؤيته الى الجماعة القومية والى المسألة الفلسطينية. غير ان تلك الرؤية ما لبثت ان تغيرّت، بعد ان كشف سياق الاحداث تهافت وعيه لذاته. فقد سافر أحمد لطفي السيد (١٨٧٢ ـ ١٩٣٦)، منظّر التيار الليبرالي وأحد مؤسسي حزب الامة (١٩٠٧)، الى القدس للمشاركة في الاحتفالات الخاصة بافتتاح الجامعة العبرية في نيسان (ابريل) ١٩٢٥، بصفته مديراً للجامعة المصرية. وعلّقت صحيفة *Palestine Weekly* الصهيونية على الزيارة بـ «ان حضور مندوب مصر هذه الحفلة كان دليلاً على ان مصر العاقلة لا ترى في الصهيونية رأي أهل فلسطين». ونوّه، يوسف بوتشو، عضو مجلس الشيوخ المصري وأحد اليهود المصريين الذين شاركوا في احتفالات الجامعة العبرية، بعطف الحكومة المصرية على القضية الصهيونية، واستشهد على ذلك بارسالها «صاحب العزّة أحمد لطفي السيد» مندوباً عن الجامعة المصرية[٣٩]. وكان طبيعياً ان تثير زيارة لطفي السيد ضجة عنيفة في الصحف الفلسطينية وبين الفلسطينيين والعرب المقيمين في مصر[٤٠]، فأرسلوا احتجاجهم واستنكارهم لسماح الحكومة المصرية بالمشاركة في حفلة « اعدام الامة الفلسطينية الشقيقة»[٤١].

وقد برر لطفي السيد زيارته بالتالي: «... دعت الجامعة العبرانية الحكومة المصرية لارسال ممثّل لها في ذلك الافتتاح، فلم تر بداً من اجابة الدعوة، لأن حكومة جلالة الملك ترى واجباً عليها، فوق القيام بنشر العلم في بلادها، ان تعضد العلم في كل مكان على العموم، وفي بلاد الشرق المجاورة لها على الخصوص. ولو ان الحكومة المصرية أعرضت عن اجابة هذه الدعوة، لفوّتت على نفسها بعض الاغراض التي تسعى اليها، خصوصاً متى لوحظ ان الدعوة صادرة من معهد علمي كان المفهوم ان لا علاقة له بالسياسة العلمية، كما هو شأن الجامعات العلمية، فشرفتني حكومة جلالة الملك بانتدابي لهذه المهمة، فقبلتها مع الارتياح. فلمّا كنت في القدس لم أشعر بالمقاطعة التي ذكرتها، ولكني، مع ذلك، احسست بان المبالغة في الاحتفال بافتتاح الجامعة الى القدر الذي رأيته ووصفه رجال كثيرون من القائمين بأمر تأسيس الجامعة، كل ذلك ينطوي على ترويج الدعوة الصهيونية، خصوصاً اني قد علمت من بعض القائمين بأمر الجامعة، ساعة وصولي الى القدس، ان لغة الجامعة هي اللغة

العبرية. لهذه الاعتبارات، التي لم تكن الجامعة المصرية لتعلمها من قبل، اردت ان ابدأ زيارة المجلس الاسلامي الاعلى مساء اليوم الذي وصلت فيه وقبل أن أزور جناب المندوب السامي بفلسطين. فقابلت، هناك، فضيلة المفتي واصحابه على الرحب والسعة، وعلمت منهم، بالصريح، مصداق ما عرفته بالاستنتاج وبالجملة لما رأيت، ان لهذا الاحتفال مرامي سياسية لا تحب الحكومة المصرية ان تشاطر فيها، ولو احبت لما ارسلت لهذه الغاية رجلاً يعتبر نفسه أبعد الناس عن السياسة في بلاده، فكيف في غير بلاده [؟]. لمّا رأيت ذلك، اصررت على الاّ اقول كلمة واحدة يؤخذ منها تعضيد مصر لسياسة ترمي الى تفضيل العنصر الاسرائيلي على العنصر العربي، أو تضر العنصر العربي أي ضرر...»(٤٢).

بيد ان «ليبرالية» لطفي السيد لم تمنعه من زيارة معهد علمي صهيوني، على الرغم من احتجاج الفلسطينيين، وجعلته يساوي بين العنصر الاسرائيلي والعنصر العربي؛ بينما امتنع مفتي الديار المصرية، الشيخ محمد بخيت، ود. أحمد زكي أبو شادي، عن تلبية دعوة الزيارة. وكان رأي الشيخ بخيت «أنه لا يستطيع ان يحضر احتفالاً يسيء الى أهل فلسطين، الذين هم في حالة حداد بسبب هذه الجامعة»(٤٣).

ومثل لطفي السيد كمثل طه حسين، الذي دفعته ليبراليته الى التعاطف الشديد مع المهاجرين اليهود الى فلسطين. فضمن مقالة له في مجلة «الكاتب المصري»، تناول وصفاً لرحلته من القاهرة الى بيروت، كتب: «... حتى اذا بلغت السفينة حيفا كان المنظر يبعث في النفس ألماً، وغضباً أي غضب، ورثاء أي رثاء، وبغضاً أي بغض، وحباً أي حب أيضاً. فقد كانت السفينة تحمل الفاً، أو نحو ألف، من ضعاف اليهود المهاجرين: من الاطفال والصبية الذين لم يبلغوا الحلم، ومن النساء الايامي، منهن من فقدت كل شيء ولم تحتفظ حتى بهذا الامل الضئيل الذي يرسم على الثغور هذه الابتسامة الحزينة، ومنهن من فقدت كل شيء ولكن بين احشائها حياة تثير في قلبها الحزين المكلوم أملاً ويأساً ورضاً وسخطاً ولذة والماً. وقد اقبل هؤلاء المهاجرون، جميعاً، يقودهم رسل من الحلفاء الى فلسطين، ليجدوا فيها أمناً بعد خوف، وراحة بعد عناء...». ثم استدرك طه حسين: «... ولكن أهل فلسطين لم يستشاروا ولم يستأمروا في ايواء هؤلاء البائسين. ولكن في الارض أوطاناً كثيرة أقدر على ايوائهم من فلسطين. وهؤلاء الجنود البريطانيون قد ملأوا ثغر حيفا بالعدد والعدة، وبالبأس والقوة، ليحموا هبوط البائسين الى هذه الارض التي تكره على ايوائهم اكراهاً...»(٤٤).

أما عباس محمود العقاد، فقد وصل الى حد اعتبار دفاع ما أسماه «الجماعات المتدينة» ـ بالاخص مصر الفتاة ـ جاسوسية مأجورة وتشنجاً وطنياً مصطنعاً وحماسة اسلامية مزجاة. فضمن ما كتب في جريدة « الدستور » مقالة بعنوان «جاسوسية مكشوفة»، جاء فيها: «... فلسطين بلاد اسلامية. حسن. ونحن نرجو لها الخير ونعمل في سبيلها ما نستطيع. ولكن هل فلسطين وحدها بلاد المسلمين ؟ أليست البانيا كذلك بلاد مسلمين مستقلين هم في أوروبا البقية الباقية من المسلمين المستقلين ؟ أليست مصر بلاد المسلمين، والدفاع عنها مسألة تهم من يهمهم شأن الوطن وشأن الاسلام [؟] فمن الذي يستفيد من افساد علاقاتها بحلفائها ؟ ومن الذي يستفيد من تصعيب الدفاع عنها ؟ لا تستفيد بذلك الوطنية، ولا يستفيد الاسلام، ولا تستفيد بذلك فلسطين، بل تستفيد بذلك الدول الدكتاتورية دون غيرها. ويستغفلنا المستغفلون من وراء ذلك باسم ' التشنج الوطني ' المصطنع، واسم الحماسة الاسلامية المزجاة، واسم الجاسوسية المقوتة والاجرام الشفيع(٤٥).

أَلَم يكن العقاد ذلك الذي رأى في دفاع الجماعات المتدينة عن فلسطين امراً لا يتفق

ومصلحة مصر ويفسد علاقاتها بحلفائها، من حاول اقناع اسماعيل صدقي بضرورة دخول حرب فلسطين العام ١٩٤٨، أيضاً، «كي لا يعطوا للصهيونية فرصة قيام دولتهم في ١٥ [أيار] مايو، ولأن اطماع الصهيونية لن تقف عند حد فلسطين، بل ستحاول امتلاك مصر أيضاً ؟»[٤٦]، أم ان موقفه، في الحالتين، كان ينطلق من مصلحة مصر أولاً ؟ وألا يعبّر كل ذلك عن ان الليبرالي المصري (السياسي ـ المثقف) كان يعاني أزمة الوعي بالذات؟

٢ ـ الاتجاه الاسلامي

مثّل الاتجاه الاسلامي مدخل مصر الى الفكرة العربية والى القضية الفلسطينية، مثلما مثّل الاتجاه البديل والمناهض لاتجاه القومية المصرية، بطرحه دعوة «الجامعة الاسلامية» كجامعة أشمل تضمّ الجامعة الوطنية، وكحركة سياسية ضد الضغط الاستعماري الاوروبي على الشرق الاسلامي.

فبعد الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢، ظهرت دعوة «الجامعة الاسلامية» على منبر جريدة «العروة الوثقى» التي أسسها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في باريس العام ١٨٨٤، حيث كانت وسيلة «العروة الوثقى» الكبرى لانقاذ مصر والشرق من الاستعمار الاوروبي هي الجامعة الاسلامية[٤٧]. بيد انها كانت جامعة تضامنية روحية؛ اذ قال محمد عبده: «لا التمس أن يكون مالك الامر في الجميع شخص واحد، فان هذا ربما كان عسيراً؛ ولكن أرجو ان يكون سلطانهم جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر، فان حياته بحياته وبقاءه ببقائه»[٤٨].

وكامتداد لمدرسة الافغاني وعبده، ظهرت مدرسة «المنار»، حين أصدر رشيد رضا «المنار» العام ١٨٩٨، لمواصلة السير على نهج «العروة الوثقى». وكان لا بد ان تصطدم بدعاة الفكر القومي الليبرالي. فقد كانت «المنار» تؤمن، فقط، بالاخوّة الاسلامية التي تتجاوز حدود الاوطان[٤٩]. واعتبر رضا دعوة «الليبرالية القومية» من دواعي الحماقة ومحاولة للقضاء على الامة بتدمير كل ما يشكّل اصالتها ومعتقداتها وغرائزها وروحها المعنوية وأدبها وعاداتها. ورأى، أيضاً، انه «من الخطورة بمكان احلال العاطفة القومية القائمة على الجنس محل التضامن الاسلامي». كما دعا رضا الى «تأليف جمعية اسلامية تمتد فروعها في جميع أقطار الاسلام، وتقوم على مبدأ اساسي هو الاعتقاد بأن الاخوّة في الاسلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية، وتؤلف بين المسلمين، باعتبارهم أمة واحدة»[٥٠].

ولقيت دعوة رضا الى تأليف الجمعية الاسلامية، فيما بعد، مُنفّذها الشيخ حسن البنّا، ولقي الاتجاه الاسلامي الظروف الموضوعية لأن يصبح الاسلام شرط كفاية، أو شرط ضرورة، للجامعة السياسية التي ينبغي ان يندرج في اطارها المصريون، وهي ظروف: الغاء الخلافة الاسلامية ١٩٢٤، وسطوة الاتجاه القومي الليبرالي في العشرينات، وتصاعد الحركة الوطنية المصرية من أجل الاستقلال التام والحياة الدستورية. وعلى ذلك، انشىء تنظيم الاخوان المسلمين ليدعو الى حلول «الجامعة الاسلامية» محل «الجامعة الوطنية»، ويجعل العقيدة شرط كفاية للجامعة السياسية. وأنشىء، كذلك، تنظيم «مصر الفتاة» ليدعو الى ادخال العقيدة الدينية في نسيج الجامعة الوطنية، أو الى جدل الدين بالوطنية، بحيث تكون العقيدة شرط ضرورة للجامعة السياسية (الوطنية)، ويكون هدف الوطنية اعادة مجد الجامعة السياسية (الاسلامية). ومن هذا المدخل، كانت دعوة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة الى «الجهاد»، من أجل تحرير «فلسطين العربية المسلمة».

الاخوان المسلمون

لئن كانت الجماعة الليبرالية المصرية اختارت اطار «الجامعة الوطنية» حتى نهاية الثلاثينات، ثم أدركت اطار «الجامعة العربية» فيما بعد، فان جماعة الاخوان المسلمين، حين تكوّنت العام ١٩٢٨، قد ذهبت مذهباً مختلفاً بخصوص «الجامعة السياسية» التي يندرج في اطارها المصريون. ومع ذلك، لم يكن الاخوان ليرفضوا «الجامعة الوطنية»، أو يستنكروا «الجامعة العربية»، بعكس ما اشيع عنهم.

فقد عدد مؤسس جماعة الاخوان ومرشدها العام، الشيخ حسن البنّا، صنوف معاني «الوطنية» وأرشد الى ان «الاسلام» معها: «ان كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الارض والفتها والحنين اليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركون في فقر النفوس، من جهة، مأمور به في الاسلام، من جهة أخرى... وان كانوا يريدون ان من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادىء العزة والحرية في نفوس ابنائه، فنحن معهم في ذلك أيضاً، وقد شدد الاسلام في ذلك... وان كانوا يريدون بالوطنية تقوية الروابط بين افراد القطر الواحد وارشادهم الى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضاً، ويراه الاسلام فريضة لازمة... وان كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الارض، فقد فرض ذلك الاسلام ووجه الفاتحين الى أفضل استعمار وابرك فتح»(٥١).

أما وجه الاختلاف بين الاخوان ودعاة الوطنية، فهو «اننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الارضية والحدود الجغرافية، هذه واحدة... والثانية ان الوطنيين فقط، جل ما يقصدون اليه، تخليص بلادهم؛ فاذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك، اهتموا بالنواحي المادية كما تفعل اوروبا الآن؛ أما نحن، فنعتقد بأن المسلم في عنقه امانة، عليه ان يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل ادائها، تلك هي هداية البشر بنور الاسلام»(٥٢).

وبمعنى آخر، فان البنّا قد قبل مفهوم « الوطنية» كتعبير عن «الجماعة المترابطة» لا «الجماعة العرقية أو الجغرافية»؛ فالاخوان المسلمون لا يقولون فرعونية وعربية وفينيقية وسورية ولا شيئاً من هذه الالقاب والاسماء التي يتنابز بها الناس(٥٣).

وعن «الجامعة العربية»، ذكر البنّا ان «الاسلام نشأ عربياً ووصل الى الامم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحّدت الامم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين. وقد جاء في الاثر: اذا ذل العرب ذلّ الاسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي وانتقل الامر من ايديهم الى غيرهم من الاعاجم والديلم ومن اليهم؛ فالعرب هم عصبة الاسلام وحرّاسه». أما الوحدة العربية، فهي «أمر لا بد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم ان يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها. وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية»(٥٤).

كتب طه حسين، مرة، «ان الامة العربية غزت مصر واذاقتها صنوف العدوان»؛ فرد عليه الشيخ البنّا متحدثاً عمّا يربط مصر بالعرب من علاقات الدم واللغة والدين والعادات والثقافة، ثم قال: «أما خطأ الفكرة ـ فكرة طه حسين ـ من ناحية القومية المصرية، فان تمسّكنا بالقومية العربية يجعلنا امّة تمتد حدودها من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي... ان من يحاول سلخ قطر عربي من الجسم العام للامة العربية يعين الخصوم الغاصبين على كسر شوكة وطنه واضعاف قوة بلاده...»(٥٥).

وخلال الحرب العالمية الثانية، وحينما طُرح مشروع الوحدة العربية للمناقشة، أيد الاخوان فكرة الوحدة وتكوين الجامعة العربية على اساس انها خطوة نحو تحقيق فكرة الوحدة الاسلامية الكبرى فيما بعد[٥٦]. وقد لخّص البنّا موقف الاخوان بخصوص «الجامعة السياسية»، بقوله: «ان الاخوان المسلمين لا يرون بأساً بأن يعمل كل انسان لوطنه، وان يقدمه في الوطن على سواه. ثم هم، بعد ذلك، يؤيدون الوحدة العربية، باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض؛ ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام»[٥٧].

ومن هنا، فقد قبل الاخوان «الوطنية» كجماعة مترابطة، لا كجماعة عرقية جغرافية ضيقة، واعتبروا «الجامعة العربية» عصبة الاسلام لاعادة مجده، وأدرجوا الجامعتين، الوطنية والعربية، ضمن جامعة سياسية أعمّ، هي «الجامعة الاسلامية».

ومن هنا، أيضاً، كان الاهتمام البالغ من الاخوان المسلمين بالمسألة الفلسطينية، خاصة وان نشأة جماعة الاخوان أرتبطت بتفجّر الموقف في فلسطين (حوادث حائط المبكى العام ١٩٢٩)، كما تواكب تحول الجماعة من جمعية دينية في الاساس الى جماعة سياسية مع الانتفاضة الفلسطينية العام ١٩٣٦.

فكيف نظر الاخوان المسلمون الى المسألة الفلسطينية ؟

كتبت باحثة مصرية: «ان حركة الاخوان قد استطاعت ان تحرك الرأي العام تجاه القضية الفلسطينية من الزاوية الدينية بكل ما يترتب عليها من ردود فعل معادية للحركة الصهيونية واليهود في مصر. وقد استفادت حركة الاخوان المسلمين، سياسياً، عندما نجحت في تفجير السخط لدى الشعب المصري ازاء الحركة الصهيونية، بتصويرها المعركة في فلسطين على انها معركة بين اليهود والاسلام وليست معركة قومية»[٥٨].

غير ان نظرة البنّا كانت واضحة تماماً، اذ قال: « هناك نقطة، من الوجهة الدينية، أريد ايضاحها، وهي ان خصومتنا لليهود ليست خصومة دينية، لأن القرآن الكريم والاسلام شريعة انسانية قبل ان تكون جنسية. وقد جعل القرآن الكريم بيننا وبين اليهود عدة روابط... ونحن، اذ نعارض الصهيونية والهجرة اليهودية، فانما نعارضهما لانهما خطر سياسي، ولأن من حقنا ان تظل فلسطين عربية»[٥٩].

وفي برقية من البنّا الى السفير البريطاني في القاهرة، في ١٩٣٧/١١/٢، في ذكرى وعد بلفور، طالب البنّا بحصول فلسطين على الاستقلال التام «مع صيانة العرب لحقوق الاقلية اليهودية»[٦٠]. وفي الحق، انه ما كان للاخوان ان يعلنوا خصومة مع «اليهودية»، لأن مثل تلك الخصومة لا تتفق مع العقيدة الاسلامية، ولكن خصومة الاخوان ـ كما أوضح البنّا ـ كانت مع «الصهيونية»، وكان بدهياً ان يكون صراع الاخوان مع الصهيونية عبر «الجامعة الاسلامية»، وهي الجامعة السياسية التي ارتضاها الاخوان لانفسهم وحرّكوا بها الجامعة المصرية، في وقت لم تكن قد تجذّرت الجامعة القومية. وعلى الرغم من ذلك، فقد تضمّنت نظرة البنّا ان الاخوان يعارضون الصهيونية بهدف «عروبة فلسطين» وبما يعني ان « الجامعة الاسلامية» ـ عند الاخوان ـ لا تصطدم بالجامعة العربية.

وفي هذا الصدد، كتب طارق البشري: «ان الجامعة الاسلامية، على ايدي الاخوان، كانت موجهة، في الاساس، ضد القومية المصرية، ولم تشتبك في عراك حقيقي ومستمر مع فكرة القومية العربية. ولعل سبب ذلك ان الفكر القومي العربي لم يكن من القوة، او الرسوخ، في مصر، وقتها،

بحيث يستحق خوض المعارك بشأنه. ولكن سبباً آخر يقوم ازاء هذا السبب، وهو ان الجامعة العربية كانت تتوازى مع الجامعة الدينية، من حيث سعي كل منهما الى الانتماء الاشمل»[٦١].

ولأن الجامعة المصرية كانت تنزع الى انتماء اشمل من القومية المصرية، فان الاخوان، حين خاطبوها بخطاب «الجامعة الاسلامية»، «استوعبوا تلك النزعة الى الانتماء الاشمل، ونجحوا في تفجير سخطها ازاء الحركة الصهيونية باسم الاسلام. وكان ذلك سبباً من أهم اسباب كسبهم الشعبية السياسية في منافستهم لحزب الوفد ومنازعتهم اياه»[٦٢].

وان يكن الاخوان قد خاضوا كفاحهم ضد الصهيونية من منطلق «الجامعة الاسلامية» التي تدخل فلسطين في اطارها، فانهم، من جانب آخر، اعتبروا الكفاح ضد الصهيونية نموذجاً للجهاد، حيث لم تتوفر لهم القدرة على الجهاد في مكان آخر»[٦٣]. حتى ان هناك من رأى ان «من بين أسباب انشاء الجهاز السري التابع للاخوان الاعداد لمناهضة الصهيونية»[٦٤].

اذن، انبنى صراع الاخوان ضد الصهيونية على مفهومين محوريين في خطاب الاخوان السياسي: مفهوم الجامعة الاسلامية، ومفهوم الجهاد.

وانسجاماً مع خطابهم العقيدي، كان الاخوان « أول هيئة تنادي بفكرة المقاطعة للبضائع الصهيونية في مصر»[٦٥]، وكوّن حسن البنّا لجنة تابعة للاخوان المسلمين تكون مهمتها مدّ عرب فلسطين بما يحتاجون اليه، هي «اللجنة المركزية لمساعدة فلسطين»[٦٦]. وحين اقترحت «لجنة بيل» مشروع تقسيم فلسطين، نظّم الاخوان تظاهرات احتجاج في ١٩٣٧/١٠/٩ عمّت انحاء القطر المصري.

وفي ١٩٣٧/١١/٢، في مناسبة ذكرى تصريح بلفور، أرسل البنّا البرقية آنفة الذكر الى السفير البريطاني في القاهرة، وأشار فيها الى رفض الاخوان لمشروع تقسيم ١٩٣٧، واحتج على سياسة بريطانيا تجاه فلسطين، ونوّه الى ضرورة تشكيل حكومة فلسطينية وطنية وايقاف الهجرة اليهودية. وذهب الى حدّ التهديد بالثورة العربية ضد المصالح البريطانية، اذا لم تقف بريطانيا الى جانب عرب فلسطين.

ومع تفاقم القضية الفلسطينية، قرّر الاخوان طرح مشروع «قرش فلسطين»، في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٨؛ واتحدت جماعة الاخوان مع الهيئات الاسلامية الاخرى في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩ لتكوين «جمعية القرش لاعانة منكوبي فلسطين»[٦٧].

ولقد وقفت الجماعة من قضية لجوء مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني، الى مصر موقفاً صلباً. وعندما سمحت السلطات المصرية للمفتي باللجوء الى مصر، عقدت الجماعة اجتماعاً، على شكل مؤتمر في الجامع الازهر، للترحيب بقدوم المفتي، واستنكار موقف حكومة اسماعيل صدقي برفض مجيء المفتي الى مصر.

وقبل اصدار قرار التقسيم العام ١٩٤٧، وفي أثناء مناقشة القضية في هيئة الامم المتحدة، ناشدت الجماعة المصريين والعرب الى وجوب الاستعداد لنصرة فلسطين. وقد دعت الى ذلك من على المنابر. وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧، تطوع عشرة آلاف شاب من شبان الاخوان، ككتيبة أولى، مستعدين للزحف الى الحدود الفلسطينية[٦٨]. وأرسل البنّا خطاباً الى الملك كي يتدخل لانقاذ الموقف والعمل على حشد الجهود في جبهة وطنية تتولّى عبء الجهاد؛ كما أرسل خطاباً، بالمعنى ذاته، الى

رئيس الوزراء المصري، طالبه فيه بضرورة السماح باقامة المعسكرات وتشجيع المتطوعين.

وفي رسالته الى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، بيّن البنّا «ان خير الحلول للقضية الفلسطينية والقضايا العربية هو الكفاح والنضال المستمر حتى يصلوا الى احدى نتيجتين: أما جلاء الصهيونية عن فلسطين، واما موافقة اليهود على ان يعيشوا مع العرب في ظل الدولة الفلسطينية الحرة الواحدة، ويرد الى وطنه الاصلي كل يهودي دخل فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية»(٦٩).

وقبل قرار حرب العام ١٩٤٨، اجتمعت الهيئة التأسيسية للاخوان، برئاسة البنّا، وتقرر «مطالبة الدول العربية، وبخاصة مصر، بالعمل على الحفاظ على عروبة فلسطين، وذلك برفض التقسيم واعلان الدول العربية حالة الحرب ضد الصهيونية، ممّا يستوجب اعلان الجهاد المقدس وفتح المعسكرات لتدريب المتطوعين، وان تكون القوات النظامية على أهبة الاستعداد». وأوصت هيئة الاخوان «بانشاء قيادة عسكرية شعبية لتنظيم عملية التطوع والتسلح الى جانب انشاء هيئة اقتصادية لتنظيم عملية المقاطعة اليهودية؛ وفي حالة وقوف الحكومات حائلاً دون تحقيق تلك الخطوات، فلا بد من تنظيم حركة عصيان مدني، لأن قبول التقسيم يعتبره الاخوان خيانة عظمى لامانة فلسطين أولاً، ولامانة الشعوب العربية والاسلامية ثانياً»(٧٠).

وعندما أعلنت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين، كان مجاهدو الاخوان تمكنوا من التسلل الى فلسطين، على الرغم من اعتراض الحكومة التي طلبت سحب هؤلاء المتطوعين، فاضطروا الى العمل تحت لواء الجامعة العربية، بقيادة الشهيد احمد عبدالعزيز، وانضم اليهم كمال الدين حسين وصلاح سالم(٧١)، من الضباط الاحرار فيما بعد، وظلوا هناك حتى عقد الهدنة الدائمة في شباط (فبراير) ١٩٤٩.

«مصر الفتاة»

كان لظهور تنظيم «مصر الفتاة»، في العام ١٩٣٣، دلالة هامة في تطور «الجامعة السياسية» في مصر؛ اذ عكس ازمة « الجامعة الوطنية» التي مثّلها حزب الوفد، بما نادى به «مصر الفتاة» من «وطنية جامعة» كجامعة سياسية تمتد لتشمل الجامعة العربية والجامعة الاسلامية أيضاً. ففي الوقت الذي ظهر التنظيم، كان دستور ١٩٢٣ ـ أحد مطلبي الحركة الوطنية بقيادة الوفد ـ قد الغي؛ وكان الوفد أبعد عن الحكم، من جهة، وظهر عجزه ازاء الحركة الوطنية في انجاز مطلبها الاول، الاستقلال، من جهة أخرى. وكان من أسسوا «مصر الفتاة» من المتعاونين والمؤيدين للوفد. وحين اسسوا تنظيمهم كانوا يقولون «ان ما يمثلونه هو الوفدية الحقة»؛ حتى ان النحاس اقترح على أحمد حسين، زعيم «مصر الفتاة»، ان يعمل من داخل الوفد بدلاً من ان يعمل مستقلاً. لكن هناك اختلافين رئيسين ميّزا بين الوفد و «مصر الفتاة»، في رأي أحمد حسين، هما افتقار الاول الى برنامج، وعدم اتباعه الوسائل الصحيحة لتحقيق استقلال مصر(٧٢). وقد عبّرت «الوطنية» التي مثّلها تنظيم «مصر الفتاة» عن رومانسية وعاطفة قطاع من الشباب المصري الذي عصرته آلام استمرار الاحتلال، وصدمه عجز الاحزاب القائمة عن المواجهة المباشرة للاحتلال، وتفسّخ مؤسسات الديمقراطية الدستورية، وضياع بعض شرائح الطبقة المتوسطة المصرية ومعاناتها(٧٣). وكان اتباع التنظيم للاساليب شبه العسكرية ما اعتبره الشباب سبيلاً الى القوة والاستقلال، وكان في ذلك ما رآه البعض اتجاهاً فاشياً(٧٤).

وذكر د. عبدالعظيم رمضان ان أحمد حسين أبدى اعجابه بالمبادىء الفاشية. ففي خطاب له، العام ١٩٣٨، خلال رحلة له الى المانيا وايطاليا، ورد: «انّا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا في

هذا الطريق الذي سلكه من قبل هتلر وموسوليني، وان مبادىء حزبه تتشابه مع مبادىء روما وبرلين، وان مذهب القرن الحالي هو الفاشية»[٧٥]. غير ان أحمد حسين دفع عن نفسه تلك الشبهة، وميّز بين الفاشية والنازية، من ناحية، و «مصر الفتاة»، من ناحية أخرى: «فالفاشية والنازية تتوجهان الى الجنود والعاطلين، بينما تعتمد مصر الفتاة على الشباب. وفضلاً عن ذلك، فان مصر، خلافاً لايطاليا والمانيا، بلد مستعمَر»[٧٦].

اذن، عبّر تنظيم «مصر الفتاة» عن أفكار «القومية المصرية»، من جهة، ومن جهة أخرى، فقد أكد دور العقيدة والايمان في خطابه السياسي؛ وقد سمي الكتاب الاساسي لاحمد حسين «ايماني»، لتأكيده البالغ على «الدين»؛ ومن ثمّ، فقد جمع الخطاب السياسي لـ «مصر الفتاة» بين عنصري القومية والدين. غير ان ادخال الدين في الخطاب السياسي لـ «مصر الفتاة» لم يكن ليعني اختيار «الجامعة الاسلامية» كجامعة سياسية تحل محل « الجامعة المصرية»، أو تستوعبها، بل كان ادخال الدين لخدمة القومية وقيادة الجامعة المصرية للجامعة الاسلامية والجامعة العربية.

وحكى أحمد حسين عن أول مقابلة له مع مصطفى النحاس، بعد أن وضع برنامجه: «وما زلت أذكر حتى الآن اعتراضه على وضع كلمة الله في برنامج سياسي، وكيف رأى في ذلك لوناً من الوان الشعوذة». وكان جواب أحمد حسين: «ان الذي لا خير فيه لربّه، لا يمكن ان يكون فيه خير لوطنه... وانني أؤمن، كل الايمان، بأن التدين والوطنية يسيران جنباً الى جنب؛ فكلاهما يفيض من نبع واحد، نبع المحبة للمثل الاعلى والحق والعدالة»[٧٧].

وكان ممّا قاله أحمد حسين: «مصر، أيها السادة، يستطيع اعداؤها ان يجرّدوها من كل شيء الاّ ان تبقى متدينة... كانت، ولا تزال، وستظل دائماً أبداً، موئل الاديان وحاميتها... ومن هنا كانت مصر تقوى اذا ما ازداد تعلّقها بدينها، وتضعف كلّما انحرفت عن دينها»[٧٨].

وممّا قاله سكرتير «مصر الفتاة»، فتحي رضوان، ان الدين في نظرهم «سعي وجهاد»[٧٩]، وانهم «يؤمنون بأن لا نجاة للامة الاّ بالدين... فنحن، اذ ندعو الى الدين، لنعد انفسنا للجهاد في سبيل الوطن»[٨٠]. ويعني كل ذلك ان دور الدين في الخطاب السياسي لـ «مصر الفتاة» هو اشعال الوطنية. ولذلك، حين تحوّل التنظيم الى حزب، في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٧، كان أول بند في برنامجه: «يجب ان نشعل القومية المصرية... ويجب ان تصبح كلمة مصر هي العليا...». ويعني ذلك، أيضاً، ان الجامعة السياسية في خطاب «مصر الفتاة» هي الوطنية الجامعة. قال د. عبد العظيم رمضان: «هذا التأكيد على القومية المصرية يحدد موقف أحمد حسين، ومكانه، من المعسكرين، القومي والاسلامي. فهو قومي متطرف ولا ينتمي، أبداً، الى المعسكر الاسلامي؛ وهذه الملاحظة على جانب كبير من الاهمية، لأن شعارات أحمد حسين الاسلامية وتحطيم انصاره الحانات قد تخدع البعض فينسبه الى المعسكر الاسلامي. على ان دعوته انما تدور في داخل الفكرة القومية، وفي اطار فكرة الامبراطورية المصرية. واحياء الاسلام وشعائره واعادة الدين الاسلامي الى سابق مجده وقوته مقترنة، في ذهنه، بفكرة زعامة مصر للدول الاسلامية»[٨١].

بينما قال طارق البشري: «انه ـ أحمد حسين ـ عمل على الجمع بين الدين والوطنية في اطار سياسي واحد. ولم يدخل، في طرحه السياسي، على حساب المفهوم الوطني للجامعة المصرية؛ بل على العكس، فهو في الوقت الذي رفع الدين كشعار سياسي، تصاعد بـ ' المصرية ' الى درجة كبيرة، فأكد ان كلمة مصر هي العليا، وان مصر فوق الجميع، وان هدفه انشاء ' امبراطورية عظيمة ' تتألف

من مصر والسودان، وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام»[٨٢]. بيد انه من الصعب الحكم بأن اتجاه «مصر الفتاة» لم يكن اسلامياً، أو عربياً، بدعوى انه كان قومياً مصرياً متطرفاً. فمفهوم «الجامعة المصرية» قد تمدد عند « مصر الفتاة» ليطال «الجامعة العربية» و «الجامعة الاسلامية» ويتحول الى نوع من «المصرية الجامعة»، أي مصر الوطنية حليفة العروبة وزعيمة الاسلام.

واذا كان حزب مصر الفتاة قد تحول الى الحزب الوطني الاسلامي، العام ١٩٤٠، فان خطابه السياسي لم يتغير في بنائه، وان تغيرت لهجته. فنصّ برنامج الحزب الجديد على ان غاياته «تحرير مصر والسودان، وتحقيق الوحدة العربية بين جميع الدول... ومكافحة الاستعمار للامم الاسلامية، وتحرير البلاد الاسلامية، وتحقيق الجامعة الاسلامية الروحية، واحياء مجد الاسلام، ونشر رسالته في أرجاء العالمين»[٨٣]. وفي الحزب الاسلامي، ١٩٤٠، عاد مفهوم الجامعة الاسلامية، متخذاً دلالة أعمق من تلك التي نادى بها «مصر الفتاة»، في العام ١٩٣٤، ليصبح «الجامعة بالمعنى الديني الذي يرمي الى تكوين عصبة امم شرقية تخيف السلطة الانجليزية واخواتها جميعاً»[٨٤].

واذا كان حزب مصر الفتاة تحوّل، مرة أخرى، الى حزب مصر الاشتراكي، في العام ١٩٤٩، فقد كان شعاره «الله، الشعب». وتضمنت مبادئه الاساسية «الايمان بالله وعبادته عن طريق خدمة الشعب، ووحدة مصر والسودان، وتوحيد البلاد العربية...»[٨٥]. وفي ذلك قال البشري: «اذا كان تاريخ مصر الفتاة قد عرف الكثير من اضطراب المفاهيم السياسية بين القومية المصرية وبين القومية العربية وبين الجامعة الاسلامية احياناً، فالحق انه لم يلحظ في تاريخه قط ان وضع ' المصرية ' في تعارض وامتناع مع ' العروبة ' . والحق، أيضاً، انه، مع لهجته العاشقة لمصر، كان من أهل النزوع نحو الانتماء الاشمل لمصر كجزء من رسالة مصر التاريخية...»[٨٦]. ولكل ذلك، نرى ان «مصر الفتاة» قد حدد «الجامعة السياسية» في «الوطنية المصرية»، وقد توحّدت بالعروبة واندمجت بالاسلام لتحقق «الوطنية الجامعة».

اذن، أين كانت المسألة الفلسطينية في خطاب «الوطنية الجامعة» لمصر الفتاة ؟

ما من شك في ان «مصر الفتاة» كان من أبرز التنظيمات السياسية المصرية التي طرحت المسألة الفلسطينية في خطابها السياسي. وأخذ ذلك الطرح الصبغة الدينية أحياناً، والصبغة السياسية أحياناً اخرى. فاعتماداً على الطرح الديني، ناهض «مصر الفتاة» قيام دولة «يهودية» في فلسطين؛ فقال أحمد حسين: «يتعين الّا تقوم الدول، وألّا تؤسس على اساس الدين. وانّي اعلنت، وما زلت أعلن، وسوف أعلن، انني لا أعرف تعصباً دينياً، أو جنسياً؛ هذا الذي فعله هتلر في المانيا ضد اليهود لا أقرّه، ولا اوافق عليه، بل استنكره... أريد ان اقول لاخواننا اليهود: انكم تغامرون مغامرة خطيرة اذ تفكرون في تأسيس دولة في فلسطين تقوم على الديانة»[٨٧].

وباسم الدين دعا حسين المسلمين والاقباط واليهود المصريين الى التضامن مع مجاهدي فلسطين. وباسم الدين، أيضاً، وحين اتهمه بعض يهود مصر بالتعصب الديني، كان رده «انه، وان حرص على عدم التفرقة بين مصري وآخر، الّا انهم ما داموا قد شهروا عليه الحرب، فمرحباً بالنضال ضدهم». وانذر يهود فلسطين والانجليز بأنهم ان لم يغيروا موقفهم «فسوف يعلن الحرب عليهم باسم الله»[٨٨].

وكان فشل مؤتمر لندن في تسوية القضية الفلسطينية، العام ١٩٣٩، ايذاناً ببدء حملة أحمد حسين ضد اليهود، وبخاصة يهود مصر. ورأى زعيم «مصر الفتاة» ضرورة الاتصال

بالهيئات الاسلامية، كالاخوان المسلمين والشبان المسلمين، بهدف الدعوة الى تنظيم المقاطعة الاقتصادية للبضائع اليهودية. ولمّا حاول بعض يهود مصر تبرير موقفهم، وارسلوا برقية الى أحمد حسين مستنكرين فيها سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين، وموضحين انهم ليسوا، بالضرورة، صهيونيين، رأى زعيم «مصر الفتاة» اثبات صحة ما يقولون بوسائل شتى، كجمع الاموال لمنكوبي فلسطين، وايقاف ارسال اليهود اليها، وارسال وفد منهم الى لندن من أجل محو فكرة «الوطن القومي اليهودي».

ولذلك، كان الرأي ان حزب مصر الفتاة تفرّد بحملته ضد اليهود؛ ولكنه لم يكن على درجة عالية من الذكاء، ممّا أظهر الحركة الوطنية المصرية بمظهر المعادي لليهودية[٨٩]. وعلى الرغم من ذلك، كان الطرح السياسي لـ «مصر الفتاة» للمسألة الفلسطينية طرحاً متقدماً بمعياري الزمن والوعي. وفي بيان زعيم «مصر الفتاة» بمناسبة مشروع لجنة بيل لتقسيم فلسطين (١٩٣٧)، كان التأكيد على خطورة تأسيس الدولة اليهودية على حدود مصر من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. «فمن الناحية السياسية، يرى حزب مصر الفتاة انه مشروع لفصل الدول العربية عن آسيا، ممّا يعرقل التعاون الاقتصادي والثقافي بين مصر وجاراتها، كما يؤدي الى جعل حدود مصر الشرقية في ايد اجنبية غير مأمونة الولاء. وفيما يختص بالناحية الاقتصادية، فان قيام ' الوطن القومي اليهودي ' في فلسطين خطر على نشاط مصر الاقتصادي؛ ففي استطاعة اليهود القضاء على الصناعة المحلية المصرية وغلق اسواق الشرق في وجه المصنوعات المصرية، عن طريق وكلائها التجاريين ودعايتها القوية. وأمّا من الناحية الاجتماعية، فان قيام الدولة اليهودية على حدود مصر سيؤدي، بالضرورة، الى خلق اقلية تتجه بتطلعاتها الى بلد غير الذي تعيش فيه... ويؤدي ذلك الى زيادة التدخل الاجنبي في البلاد. وبذلك، يرى الحزب ان قضية فلسطين هي جزء من القضية المصرية، ويجب على المصريين الدفاع عنها بكل ما لديهم من وسائل»[٩٠]. ولذلك، رفض الحزب مشروع تقسيم ١٩٣٧؛ وبعث أحمد حسين ببرقية بهذا المعنى الى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، ركز فيها هجومه على السياسة البريطانية، لأن دوافع بريطانيا لغرض التقسيم انما يرجع معظمها الى الرغبة في ان تكون فلسطين «تكئة للسياسة البريطانية في حوض البحر الابيض المتوسط»[٩١]. واذا اعتبر «مصر الفتاة» القضية الفلسطينية جزءاً من القضية المصرية، فقد أكد حسين ان «قضية فلسطين بالنسبة للعرب جميعاً، في جميع البلاد العربية، هي قضية تتصل بخطر مقبل». ولذلك، اقترح حسين ـ عند بدء مباحثات الجامعة العربية ـ ان تكون الرابطة بين الدول الاعضاء رابطة قوية تشبه الاتحاد الفيدرالي فيما بين الولايات الاميركية؛ ولذلك، أيضاً، قام بجولة للدعوة الى الوحدة العربية، زار خلالها فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ ونصح عربها بألّا يعتمدوا على جامعة الدول العربية[٩٢].

وبذلك، كان «مصر الفتاة» سبّاقاً في طرح مفهوم «الوحدة العربية» لتحرير فلسطين، وهو المفهوم الذي ستعود اليه الجماعة السياسية المصرية بعد العام ١٩٥٢، ليصبح المفهوم السائد في خطابها تجاه المسألة الفلسطينية.

واتساقاً مع البعد الاسلامي للجامعة الوطنية عند «مصر الفتاة»، ومع الطرح السائد للجامعة العربية في العام ١٩٤٨، دعا حسين الى ضرورة تكوين «كتائب الجهاد» من أجل فلسطين، وكوّن كتيبة من شبان «مصر الفتاة» اطلق عليها اسم «مصطفى الوكيل»، وتلقت تدريبها في معسكر «قطنه»، في سوريا، لارسالها الى فلسطين، وشن حملة ضد حكومة النقراشي بسبب موقفها غير المؤيد للتطوّع والمتطوعين. ويذكر، على هذا الصعيد، ان الزعماء العرب كانوا اتفقوا، في جامعة الدول العربية،

بعد قرار التقسيم في العام ١٩٤٧، على ان يكون معسكر «قطنه» لتدريب المتطوعين العرب.

غير ان أحمد حسين، بعد ان زار فلسطين في شباط (فبراير) ١٩٤٨، رأى ان «قضية فلسطين لا تحتاج الى مال وسلاح فقط، بل الى جيوش منظمة وقيادة عسكرية حازمة»[٩٣]. وبذلك، اقترب حسين من مفهوم «الحرب النظامية» لتحرير فلسطين؛ وهو المفهوم الذي ستعود اليه مصر بعد تموز (يوليو) ١٩٥٢، كبديل لمفهوم «الحرب الشعبية».

٣ ـ الاتجاه الماركسي

لعل الاسهام الرئيس الذي قدمه «الخطاب الماركسي» الى الجماعة السياسية المصرية، مع بداية الاربعينات، تركيزه على المضمون الاجتماعي للاستقلال المصري والنضال ضد الصهيونية. فاذا كان «الخطاب القومي المصري» قد عنى بالمضمون السياسي للنضال، وان كان «الخطاب الاسلامي» قد تبنّى «الجهاد» في اطار الجامعة الاسلامية، فان الخطاب الماركسي قد تمحور في المضمون الطبقي للنضال والمضمون الرأسمالي الاستعماري للحركة الصهيونية. وكان ذلك طبيعياً، اذا ما اعتبرنا ان الخطاب الماركسي خطاب أممي يناهض «القومية» ويتمحور في «الأممية الطبقية». فقد اعتبر الخطاب الماركسي ـ اعتماداً على فكرة الاممية الطبقية ـ الصهيونية حركة استعمارية وليدة للرأسمالية الاستعمارية؛ ومن ثمّ عدَّ الاستعمار البريطاني، والاميركي، العدو الأول. وباسم الاممية الطبقية، نفى الخطاب الماركسي الجامعة القومية كاطار للصراع ضد الصهيونية باعتبار القومية دعوة برجوازية، ووصم الحركات القومية والدينية المصرية بالرجعية والعنصرية واتهمها بمعاداة اليهود وافادة الصهيونيين. واتساقاً مع الأممية الطبقية، كانت رؤية الخطاب الماركسي الى حل المسألة الفلسطينية في دولة عربية ـ يهودية ديمقراطية على أرض فلسطين، بعد تحريرها من الرجعية والاستعمار؛ حتى ان الجماعات الماركسية التي قبلت قرار تقسيم فلسطين اعتبرته بداية لقيام فلسطين العربية ـ اليهودية الموحّدة الديمقراطية، وبديلاً من الاستعمار البريطاني.

بيد ان الخطاب الماركسي، في مصر الاربعينات، كان أسير تنازع بين الأممية والقومية. وهنا يجب التمييز بين الجماعات الماركسية ذات القيادات المصرية او المتمصّرة (جماعة الفجر الجديد والتروتسكيين)، وبين الجماعات الماركسية ذات القيادات اليهودية والاجنبية (اسكرا والحركة المصرية للتحرر الوطني). فالأولى، وان لم تلتزم «أصولياً» بفكرة الأممية الطبقية، فقد ناهضت الصهيونية كحركة قومية. وعلى الرغم من ان تلك الجماعات حرصت على «تمصير» ذاتها تنظيمياً واستقلالها نسبياً، الاّ انها اعتبرت الجماعات المصرية القومية والدينية عنصرية ورجعية موجهة ضد اليهود، وموظفة لخدمة الصهيونية والاستعمار. والثانية، وان التزمت نظرياً بالأممية الطبقية، واعتبرت الصهيونية، طبقاً لذلك، دعوة قومية برجوازية، فقد انتهت، عملياً، بقبول «القومية اليهودية» والاعتراف بالدولة اليهودية.

ذلك التنازع بين الأممية والقومية كان اشكالية الخطاب الماركسي في موقفه من المسألة الفلسطينية والجامعة السياسية المصرية.

لنبدأ بالجماعات الماركسية ذات القيادة المصرية او المتمصرة. كانت جماعة الفجر الجديد ـ كما قال احد قادتها ـ تعتبر ان استقلالها عن الأجانب «كان قراراً هاماً وفريداً في الحركة الشيوعية؛ اذ استمرت المنظمات الاخرى والاجانب يلعبون فيها دوراً كبيراً، ممّا أثّر في سياستها. وظلّ

بعض التنظيمات الماركسية التي تأسست في مصر أقرب الى الاممية، ولها علاقات خاصة، حلقية، بأبناء جنسيات مختلفة»[٩٣]. فكيف انعكس استقلال «الفجر الجديد» عن الاجانب، وتمايزها عن الجماعات الماركسية الأممية في رؤيتها الى المسألة الفلسطينية ؟

نشر صادق سعد، في العام ١٩٤٦، كتاباً بعنوان «فلسطين بين مخالب الاستعمار»، معبراً، الى حد كبير، عن رؤية جماعة الفجر الجديد للمسألة الفلسطينية؛ فاعتبر «ان قضية فلسطين قضية تحرر من الاستعمار والحكم الرجعي، وان اليهود ليسوا أمة، والصهيونية حركة رجعية». وربط الصهيونية بالاستعمار، اذ ان «هدف الصهيونية الواعي المقصود [هو] طرد العرب من أراضيهم لاحتلالها، وقد رسم هذا الهدف منذ صدور وعد بلفور»[٩٤].

أما موقف الجامعة القومية، فانها تشعر باطراد توغّل اليهود الاجانب في فلسطين، أو بتعبير أصحّ باطراد احتلال الصهيونيين لفلسطين؛ وكان طبيعياً ان يتسبب هذا في عداء العرب لليهود. ثم حكم صادق سعد على ذلك الموقف بأنه «يعطي للاستعمار ذريعة للبقاء»، وذلك ان الاستعمار والصهيونية يحاولان «ان تظهر الحركة الوطنية امّا كحركة عنصرية موجهة ضد اليهود، واذاً فعلى الانجليز ان يوجدوا التوازن بين العنصرين ـ يقصد اليهودي والفلسطيني ـ بالاحتلال العسكري لفلسطين، واما كحركة رجعية موجهة ضد المطالب ' القومية' اليهودية وضد النظام ' الديمقراطي' الصهيوني». ثم اقترب الكاتب من موقف الدعاية الاستعمارية والصهيونية من الحركة الوطنية العربية، ليؤكد «ان قيادة الحركة العربية الوطنية توجهت الى كبش الفداء، وهو اليهود، وان العرب قاموا بسلسلة من المذابح ضدهم؛ وانه، في احداث حائط البراق ١٩٢٩، قتل العرب اليهود وقتل الانجليز العرب، وان ذلك ما وجّه ' الحركة الوطنية ' الى [وجهة] ' حركة دينية وعنصرية ضد اليهود ' »[٩٥]. وكتب «جهاد» مقالة بعنوان «حوادث ٢ نوفمبر» فوصف الصهيونية بأنها «حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران، الاميركي والبريطاني، الآن لتثبيت دعائمهما في بلادنا العربية»، وبعد ان أكد ان «عدونا الاول هو الاستعمار البريطاني»، انتقد الاحداث التي وقعت في مصر اثناء الاضراب العام، احتجاجاً على وعد بلفور، ووصل الى ان الاخوان المسلمين و«مصر الفتاة» يقومان بتحويل الحركة الوطنية المصرية عن مجراها الحالي ضد الاستعمار البريطاني والاستبداد الرجعي، الى «حركة عنصرية»[٩٦]. اذن، تحققت رؤية «الفجر الجديد» للمسألة الفلسطينية في رفض الصهيونية، من جهة، والدفاع عن اليهود واتهام الحركة الوطنية بالعنصرية، من جهة أخرى. وكتب صادق سعد، مفسراً عنصري الرؤية؛ فالصهيونية «حركة رأسمالية استعمارية، يقوم بها كبار الرأسماليين الاحتكاريين، ليستغلوا موارد فلسطين وشعبها وموقعها الاستراتيجي»؛ اما اليهود، فان «ليس جميع الصهيونيين يهوداً»، بدليل «الضربات التي وجّهت الى الصهيونية من اليهود الشرقيين والطبقة العاملة العربية واليهودية على السواء». ثم أشار الى «ان الطبقات الكادحة اليهودية قد بدأت تيأس من سياسة تعاون الطبقات... وهذا ألمر بيرجر، مدير جمعية يهودية أميركية، يقول ان حل المسألة اليهودية لا يكون بانشاء بلد يهودي في فلسطين، ولكن بواسطة الاعتراف لليهود بحقوق ومسؤوليات في أي بلد هبطوا اليه او عاشوا فيه... وهؤلاء يهود الاتحاد السوفياتي يستنكرون الصهيونية ويقطعون علاقاتهم مع جمعية النصر التابعة لها»[٩٧]. ان استعراض عنصري رؤية «الفجر الجديد»، رفض الصهيونية والدفاع عن اليهود، يؤدي الى استنتاج أساسي مفاده انها كانت أقرب الى ان تكون رؤية الى المسألة اليهودية من ان تكون رؤية الى المسألة الفلسطينية! هذه الرؤية الى المسألة الفلسطينية، من خلال الرؤية الى المسألة اليهودية اولاً، ما لبثت ان كانت اكثر وضوحاً عند الجماعة التروتسكية «الخبز والحرية»[٩٨]. ففي

كتابه «الصهيونية»، قدّم انور كامل عرضاً اقتصادياً تاريخياً للمسألة اليهودية عبر المراحل التاريخية المختلفة، العبودية والاقطاع والرأسمالية، لكي يصل الى ان الحركة الصهيونية «انعكاس لتحوّل النظام الرأسمالي من الحرية الى الاستعمارية»؛ وان تحول فكرة «الوطن القومي» لليهود الى حقيقة سياسية واقعة «لم يكن في امكان اليهود تحقيقه، الّا اذا اعتمدوا على القوى الاستعمارية السائدة في فلسطين». ومن هنا كان ارتباط الصهيونية بالامبريالية. ثم قدم كامل تحليلاً طبقياً للصراع في فلسطين. فالاقطاعيون العرب الفلسطينيون، « بحكم طبقتهم، يكرهون أي تغيير يطرأ على حياة البلاد، ويتوقون الى ظروف الماضي وأوضاعه: ظروف النظام الاقطاعي الآخذ في التصدع. ومن هنا حملات الارهاب والافناء التي يثيرونها ضد اليهود. ولكن هذا لا يمنع ـ بطبيعة الحال ـ من وجود فريق، من بينهم، مستعد لاتباع سياسة التوفيق، امّا مع الاستعمارية على حساب الصهيونية، وامّا مع الاستعمارية والصهيونية معاً». والبرجوازيون العرب الفلسطينيون «تابعون للرأسمال الاجنبي في معظم الحالات. فالرأسمالية العربية لم تنمُ، بعد، النمو الكافي، ولم تستقل، بعد، الاستقلال الكافي... ومن جهة أخرى، فان الصناعة الخفيفة، بأكملها، في أيدي الصهيونيين». ومن هنا «كان الصراع الاقتصادي، ثم السياسي، الذي تخوضه الرأسمالية العربية ضد رأس المال الاستعماري وضد رأس المال الصهيوني»؛ كما ان ضعفها وتبعيتها أوجدا «أقساماً منها يؤدي بها كفاحها الى المساومة، ثم الى التعاون على نحو من الانحاء». أما الطبقة العاملة، فان «مقاومتها لليهوديين أشد وأعنف... فالطبقات الدنيا في المجتمع العربي هي التي لاقت من التوسع الصهيوني أشد أنواع الضغط وأعنف ألوان الاضطهاد؛ يضاف الى هذا انه ليس في مصلحتها، ولا في مصلحة فريق منها، ان يتبع سياسة المساومة او التعاون». اذن، اعتبر الكاتب التروتسكي المصري الصهيونية حركة رأسمالية استعمارية. ولأنها كذلك، كان الصراع أعنف بين البروليتاريا الفلسطينية وبين الصهيونيين. واعتماداً على الفكرة التروتسكية «الثورة العالمية»، انتهى الكاتب الى ان نجاح «الجيش الاممي»، أي جيش الثورة العالمية، يتطلب القضاء النهائي على الحركة الصهيونية، «لأنها حركة تعمل على تضليل ' جيش اليهود [الاممي] ' ، وتوجه كفاحه الى غير وجهته المنطقية الصحيحة، بابعاده عن موجة ' التحرر العام ' »[٩٩].

غير ان هناك من رأى انه بتمسكه برفض الصهيونية والدولة اليهودية، «لا يكون أنور كامل مستجيباً للموقف التروتسكي الجديد من الصهيونية؛ ممّا يجعل كتابه عنها، من الناحية الفكرية، مطابقاً للموقف الماركسي ـ اللينيني ـ الستاليني لا التروتسكي»؛ كما ان هناك من اعتبر الكاتب التروتسكي المصري أكثر التزاماً بالتروتسكية من تروتسكي نفسه؛ فالاخير ناهض الصهيونية وتأسيس دولة يهودية، ثم تخلّى عن موقفه وأقر بأهمية «الوطن اليهودي». وفي الحق، ان الرأي الاول يغفل ان الموقف الماركسي اللينيني ـ الستاليني قد تغير هو الآخر واعترف بالدولة اليهودية، وان كلا الموقفين، اللينيني ـ الستاليني والتروتسكي، عبّر كل منهما عن التناقض بين رفضه القومية باسم الاممية ثم الاقرار بالقومية اليهودية. اما انور كامل، فلم يكن بعيداً من ذلك التناقض بين الاممية والقومية، وان كان قد انحاز ـ كمصري ـ الى القومية الفلسطينية؛ وكان مما قاله: «... ولسوف يستمر الكفاح كأعنف ما يكون الكفاح حتى يتحقق للشعب العربي في فلسطين أمل الاستقلال والحرية»[١٠٠].

ماذا عن الجماعات الماركسية ذات القيادات اليهودية والاجنبية ؟

اذا كانت جماعتا «الفجر الجديد» و«الخبز والحرية» اتسمتا بالنظرة الى المسألة الفلسطينية من

خلال المسألة اليهودية (مسألة الاقليات اليهودية)، فان الجماعات الماركسية ذات القيادات الاجنبية كانت أكثر اقتراباً من تلك النظرة. فالاخيرة، اذ تأسست وانتشرت بين أقليات يهودية واجنبية، فقد بدأت بمناهضة العداء للسامية والدفاع عن الاقلية اليهودية، ثم تمركست وشهرت الماركسية في معاداة الصهيونيين والدفاع عن اليهود، وانتهت الى ان توظف الماركسية في خدمة الصهيونية والدولة اليهودية. ومن ثم، فقد اتسقت، نظرياً، مع الماركسية؛ وحركياً، مع الجماعة المصرية الوطنية في عدائها للصهيونية ومناهضتها العداء للسامية؛ كما افتقدت التبرير الايديولوجي والبعد الوطني في توظيفها الماركسية في خدمة الصهيونية، ولتتابع ذلك المسار «التناقضي» من خلال أدبيات تنظيم «اسكرا» والذي تكوّنت من خلاله «الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية»، وتنظيم «حدتو» ـ اكبر التنظيمات الشيوعية في مصر الاربعينات ـ والذي تكوّن من اتحاد «اسكرا» مع «الحركة المصرية للتحرر الوطني».

قال ايلي ميزان، وهو احد قادة اسكرا، ان «ما دفعنا الى الشيوعية سير الاحداث. فقد بدأنا بمعاداة النازية، ومن ثمّ كنّا ضد غزو الحبشة وضد الملكيين في اسبانيا. وكذلك تبنّينا شعار الجبهة الشعبية لتكوين أوسع جبهة ضد النازية. والحقيقة ان تبنّينا لشعار الجبهة الشعبية كان يمثّل نقطة أساسية في موقفنا. وهكذا بدأنا كيهود يحاربون العداء للسامية، ثم انتهينا شيوعيين؛ ولا بد ان ذلك كان، أيضاً، بتأثير عناصر يسارية ساهمت في تأسيس الجمعية (فرع رابطة مكافحة العداء للسامية)»[١٠١].

وذكر ماركسي قيادي آخر انه «تبلور تياران داخل فرع ' الرابطة العالمية لمكافحة معاداة السامية ' في مصر، سرعان ما تباعدا بعد ثلاث سنوات من بدء الرابطة لنشاطها. ضمّ التيار الاول كبار اثرياء اليهود الذين كانوا يموّلون الرابطة بدافع الخوف من دخول الافكار المعادية للسامية الى مصر. وكان هؤلاء الاثرياء ـ في البداية ـ ينظرون الى الافكار التقدمية كدرع لهم وان كشفوا عداءهم الصريح لها بعد سقوط النازية وغياب الخطر المحدق بهم. اما التيار الثاني، فكان ماركسياً...».

وكشف الكاتب نفسه عن «ان كبار اليهود في مصر كانوا يخشون انتشار الحركة المعادية للسامية، ورأوا مساندة بعض الماركسيين باعتبار الحركة الديمقراطية أحسن درع ضد العنصرية». اذن، نحن ازاء يهود يحاربون العداء للسامية؛ وفي اطار الحرب ضد العداء للسامية يظهر دور الماركسية، فنكون ازاء يهود ماركسيين يحاربون العداء للسامية ثم يكافحون ضد الصهيونية. وفي هذا السياق، تكون «الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية» العام ١٩٤٦ من نتاج قسم اليهود في تنظيم «اسكرا»[١٠٢]. فلماذا الكفاح ضد الصهيونية ؟

حسب ما أورده بيان الرابطة، أُنشئت «الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية» من الشعور بخطر الصهيونية على حل المشكلة اليهودية: «ان كفاحنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية». واضح، اذاً، ان مكافحة الصهيونية هي من اجل المشكلة اليهودية التي «قد تفرعت اليوم، فأصبحت ذات ثلاثة جوانب متمايزة الواحدة عن الأخرى... توجد، اولاً، مشكلة الاقليات اليهودية التي تعيش في أغلب انحاء العالم... [وثانياً] مشكلة يهود فلسطين... و[ثالثاً] مشكلة اليهود الذين لا مأوى لهم غير معسكرات المشردين في اوروبا الغربية»[١٠٣].

واذا كانت تلك جوانب المشكلة اليهودية، فنحن «لا نعترض من ناحية المبدأ على فكرة تكوين قومية يهودية في جهة ما من العالم، ولكننا نراه أمراً خيالياً ومستحيلاً... الطريق الوحيد الذي يجب على اليهود ان يسلكوه هو الاشتراك الصحيح المخلص في الحياة القومية للبلد الذي يعيشون

فيه...». ويعني ذلك ان الماركسيين اليهود في رابطة مكافحة الصهيونية، قد أقروا، نظرياً، بتكوين قومية يهودية، ورأوا، عملياً، انه أمر خيالي ومستحيل. ومن هنا كانت «المعارضة للصهيونية التي تدعي بامكان حل المشكلة اليهودية بجمع اليهود في فلسطين». ولا تعني معارضة الصهيونية ـ وفق رأي الماركسيين اليهود في رابطة مكافحة الصهيونية ـ عدم الاهتمام بالمشكلة الفلسطينية «المتصلة بمصير يهود فلسطين الذين بلغ عددهم، الآن، ثلث سكان تلك البلاد. ولا تمنع معارضة الصهيونية من التشهير بجميع المحاولات التي ترمي الى طرد السكان اليهود من فلسطين او عدم الاعتراف لهم بكامل حقوق المواطنين». أي ان المشكلة الفلسطينية هي مشكلة يهود فلسطين دون ان تكون مشكلة عرب فلسطين والاستيطان الصهيوني لارض فلسطين؛ ومن ثم، فان حل المشكلة يتمثل في «ان فلسطين مستقلة وديمقراطية هي الوحيدة التي تستطيع ان تضمن للسكان اليهود حياة رغدة حرة ومثمرة». وهكذا، فان فلسطين المستقلة الديمقراطية ترتجى كضمان للسكان اليهود. ومن كل ذلك، «فان أغراض الرابطة تتفق وخطتها... لحل المشكلة اليهودية في نواحيها المختلفة؛ فلأن الصهيونية ترمي الى زج يهود العالم كله الى مأزق حرج، او لأنها تعرض للخطر مصير يهود فلسطين، كما انها تستغل، لاغراض أنانية، ما يعانيه المهاجرون من بؤس، ولأنها تحاول، أخيراً، عزل الطائفة اليهودية المصرية، عزلاً خطيراً، عن مجموع الشعب المصري، فان الرابطة تعتبر ان الصهيونية هي أخطر حركة ظهرت في تاريخ اليهود، لأن الصهيونية عقبة في طريق حل المشكلة اليهودية. والكفاح ضد الصهيونية واجب مقدس على كل يهودي ويهودية...». وبالاجمال، فان «مكافحة الصهيونية» في بيان «الرابطة الاسرائيلية...» هي من اجل يهود فلسطين، لأن الصهيونية تعرض مصيرهم للخطر. واذا كانت الرابطة توجهت الى يهود مصر، فذلك ـ كما قال عزرا هراري، سكرتير الرابطة ـ كان مرجعه «ان الدعاية المسمّمة نشطت في مصر اخيراً، نشاطاً كبيراً، مما يهدّد العلاقات بين العرب واليهود بتسميم الجو في بلد كمصر، عاش فيه اليهود اجيالاً متعاقبة على أحسن ما يكون الوئام مع زملائهم المصريين». ولذلك، هدفت الرابطة الى «مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر»[١٠٤]. ومكافحة الصهيونية من اجل يهود فلسطين ويهود مصر، هي، في النهاية، من اجل المشكلة اليهودية. وباختصار، كان الحل الماركسي للمسألة اليهودية هو مكافحة الصهيونية. فكيف تحوّل الخطاب الماركسي الى خدمة الصهيونية، وانتهى الى ان يكون الحل الماركسي للمسألة اليهودية هو الدولة اليهودية ؟

قد تفسِّر ذلك كتابات هنري كورييل، مؤسس «الحركة المصرية للتحرر الوطني»، التي اتحدت مع «اسكرا» لتكوّن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)، اكبر التنظيمات الماركسية في مصر بعد الحرب العالمية الثانية.

في تقرير حزبي أعدّه كورييل عن «المسألة الفلسطينية»[١٠٥]، العام ١٩٤٥، نتبين تنظير ذلك التحول. اذ اورد مؤسس «الحركة المصرية للتحرر الوطني» ان الصهيونيين «يشكلون الاغلبية الساحقة ليهود فلسطين، ويتطلعون، دائماً، الى تقرير مركزهم تجاه العرب». أما العرب، فان «كبار الملاك منهم يعادون اليهود، وكلّما زاد عداؤهم لهم زاد بحثهم عن امبريالية، استلهموها، اولاً، في الامبريالية الالمانية، فلمّا بدأ نجمها يغرب بعد [حزيران] يونيو ١٩٤١، بحثوا عن وصاية جديدة لهم في الامبريالية الانجليزية». ودلّل على «ان الجامعة العربية تساير الامبريالية الانجليزية». والدليل ان أمين الجامعة، عبدالرحمن عزام، يهاجم، بشدة، [الصهيونيين] والتدخل الاميركي ويبدي التسامح مع الانجليز. وهذا يعني ان كورييل دان تعاون العرب مع الامبريالية في هجومهم على

اليهودية والصهيونية؛ وبعد ادانة تعاون العرب مع الامبريالية العالمية، دان «الشوفينية العربية». فقد «اظهر بعض العناصر ـ وخاصة العربية ـ اتجاهاً شوفينياً، اذ كانت لا ترى فرقاً بين يهود فلسطين وبين الصهيونية، خاصة وان مجرد وجود هؤلاء اليهود في فلسطين كان يعني ان لديهم صلات تتفاوت قوتها بالصهيونية. ومن الملاحظ ان نفس هذه العناصر اظهرت موقفاً سلبياً تجاه كثير من المواقف النضالية».

وفي تقرير آخر[١٠٦]، اكد كورييل معاداة الامبريالية والتمييز بين يهود فلسطين والصهيونية، فقال: «في الثاني من [تشرين الاول] نوفمبر سنة ١٩٤٥، اليوم الموافق لذكرى اعلان بلفور، حاول الاخوان المسلمون، بتحريض من الامبريالية والحكومة، اثارة المظاهرات المعادية للسامية، وقاموا، بالفعل، بمذبحة حقيقية في حماية البوليس. ولكن ' الحركة المصرية للتحرر الوطني ' استعدت لهذا اليوم وكشفت هذه المناورة في منشور يحدد المطالب الوطنية مرة اخرى ويربطها بالمشكلة الفلسطينية ويرفع الشعارات المعادية للامبريالية والرجعية العربية والصهيونية. وقد اوضحت مجلة ' النضال المشترك ' موقف الحركة من المشكلة: ـ استقلال البلاد، جلاء الجيوش الامبريالية، وحق تقرير المصير للعرب واليهود. اذ رفضت الحركة رؤية المشكلة من زاوية ' الهجرة ' كما فعلت ' اسكرا ' حتى لا تحوّل الاهتمام من المشكلة الرئيسة». ثم ما لبث كورييل ـ بعد تأكيده معاداة الامبريالية وفصل اليهودية عن الصهيونية ـ ان تحوّل الى تأكيد «الحقوق القومية» لليهود، فاتهم الشيوعيين العرب بـ «تجاهل تعاليم ستالين التي تقول ان الشيوعيين يجب ان يهاجموا برجوازيتهم اولاً». وأجاب عن تساؤله عمّا يفعله الشيوعيون العرب بقوله: «انهم يملأون صفحات جرائدهم بهجوم على الصهيونية، ويتركون، جانباً، مهاجمة الرجعية العربية؛ هم بهذا ينفذون الاهداف الرجعية... كما ينسى الشيوعيون العرب ان المشاكل العربية قد تطورت في العشرين عاماً الاخيرة، وان الشيوعيين لا يمكن ان يظلوا على موقفهم الماضي تجاه يهود فلسطين؛ اذ يوجد، اليوم، سكان يهود في فلسطين لهم سمات مميزة تختلف عن يهود الدول الاخرى، وهم سكان لهم ثقافتهم الخاصة، ولغتهم الخاصة، ومؤسساتهم الخاصة. سكان يتكوّن ربعهم، على الاقل، من العمال والفلاحين، وأخذوا يتخذون سمة الشعب العامل. والسكان اليهود في فلسطين يمثلون مركزاً هاماً في الصناعة. ولهؤلاء حقوق قومية، لا يمكن لأي دولة ديمقراطية ان ترفض منحهم اياها. وعلى الشيوعيين النضال من أجل ذلك. عليهم منح هؤلاء السكان حقوقهم السياسية، بما في ذلك حق الانفصال. ولكن ما الذي يقوله الشيوعيون العرب ؟ ان فلسطين عربية ويجب ان تظل كذلك. وهم، بذلك، ينكرون الواقع أياً كانت الاسباب التي فرضته، وبذلك ينكرون النظرية الستالينية»[١٠٧]. ويعني هذا ان كورييل، بعد ان انتقد هجوم الشيوعيين العرب على الصهيونية دون الهجوم على البرجوازية العربية اولاً، أوصى الشيوعيين العرب بالنضال من أجل «الحقوق القومية» ليهود فلسطين، لا النضال من اجل فلسطين العربية اعترافاً بالواقع وبغض النظر عن الاسباب التي فرضته، لتصبح مهمة الشيوعيين العرب: النضال من اجل مشروع الصهيونية باسم النظرية الستالينية.

ولذلك، فان كورييل ـ كما قال طارق البشري ـ «يريد ان يسوق الشيوعيين العرب ـ باسم الستالينية ـ الى الكفاح والنضال من اجل ' حقوق قومية ' لمهاجرين يغتصبون الشعب الفلسطيني». وقد اشار، دعماً لقوله، الى مقولة ستالين عن مهاجمة الشعب لبرجوازيته اولاً، ومقولة لينين عن حق تقرير المصير، بما في ذلك حق الانفصال. ولم يشر الى مقولة ثالثة لستالين تتعلق بالمضمون البرجوازي للقومية، وتفيد بأن «حقوق القومية» اليهودية مقولة برجوازية. وان إعمال المقولتين السالفتين، في

ضوء المقولة الثالثة هذه، يكشف عن ان كوريل يوصي الشيوعيين العرب بمهاجمة البرجوازية العربية والنضال مع البرجوازية اليهودية، أي مع الصهيونية (أخذاً بقوله ان الصهيونية دعوى برجوازية). وبهذا يظهر ان اغفال العنصر القومي العربي لم يكن من اجل الأممية، ولكنه لصالح الصهيونية ومشروعها[١٠٨].

وبمعنى آخر، بدأ كوريل ـ استناداً الى فكرة الاهمية ـ بتأكيد النضال ضد الامبريالية العالمية والبرجوازية العربية، وانتهى بتأكيد النضال من اجل «الحقوق القومية» اليهودية. فهل كان ذلك سبب تأييد «حدتو» وكوريل لتقسيم فلسطين العام ١٩٤٧ ؟

قال كوريل: «فور اعلان الامم المتحدة قرار تقسيم فلسطين، الذي ايده الاتحاد السوفياتي، أصبحت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني هي المدافع عن هذا المشروع برغم معارضة بعض اعضائها ومعارضة الحركات الماركسية الاخرى»[١٠٩]. وأضاف: «كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني هي الحركة الوحيدة التي ساندت، علناً، مشروع تقسيم فلسطين، رغم هجوم الفاشيين والرجعية بأكملها، بينما سيطر التشاؤم والانهزامية على الحركات الاخرى»[١١٠].

ونشرت «حدتو» بياناً برّرت فيه الدفاع عن تقسيم فلسطين بأن «سياسة الاستعمار التي سار عليها رؤساء الحكومات العربية هي المسؤول الاساسي عن تقسيم فلسطين»، لأنهم حالوا دون «ايجاد جو من الالفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية». وأشار البيان الى الازمتين، السياسية والاقتصادية، التي يعاني منهما الاستعمار والرجعية، وانهما رأيا في اشعال حرب عنصرية مخرجاً من أزمتهما. ثم دافع البيان عن موقف الاتحاد السوفياتي الذي لم يكن أمامه سوى الموافقة على التقسيم «باعتباره الحل العملي الوحيد في الظروف الحاضرة، الذي يحقق انهاء الانتداب البريطاني وجلاء القوات الاستعمارية عن الاراضي المقدسة»[١١١].

اذن، كان تبرير «حدتو» للدفاع عن تقسيم فلسطين يتحدد في ان الاستعمار والرجعية العربية هما سبب التقسيم، وان التقسيم هو المشروع الوحيد الذي يمكن تنفيذه «في الظروف الحاضرة»، كما قال المندوب السوفياتي في الامم المتحدة، وان التقسيم هو اساس لفلسطين المستقلة الموحدة.

ومن يتابع جريدة «الجماهير»، لسان حال «حدتو» في ذلك الوقت، يلحظ مدى ارتباط موقف «حدتو» بالموقف السوفياتي. فقد أوجزت «الجماهير» مقالة صحيفة «نيو تايمز» السوفياتية التي أوضحت ان الاتحاد السوفياتي قد وافق على التقسيم باعتباره «المشروع الوحيد الذي يمكن تنفيذه في الظروف الحاضرة. وان هذه الموافقة ترمي الى هدف واحد، وهو تسليم فلسطين، في اسرع وقت ممكن، الى سكانها»[١١٢].

ولمّا تفجّرت التظاهرات في أنحاء مصر تأييداً لفلسطين، هاجمت «الجماهير» «محاولات الفاشيين والمضللين لتحويل هذا الكفاح الى كفاح عنصري ضد اليهود»[١١٣]. ثم نشرت «الجماهير» جانباً من تعليق لاذاعة موسكو، الذي رأى ان الرجعيين والفاشيين في البلاد العربية وجدوا في «مسألة فلسطين الفرصة لاستغلال التعصّب الديني لحرف الجماهير العربية عن الهدف الحقيقي»[١١٤].

واذا كانت «حدتو» جعلت من الاستعمار والرجعية العربية سبب تقسيم فلسطين، على الرغم من تأييدها لذلك التقسيم، فقد شددت على الاستعمار، باعتباره العدو الاول، وعلى الحكومات العربية لأنها تريد ان تشعل حرباً عنصرية ـ كما رأت «حدتو» ـ في فلسطين متجاهلة الاستعمار!

فعندما أرسلت الحكومة المصرية جيشها الى العريش، تمهيداً لدخول فلسطين، سألت «الجماهير»: «أذَهب جيشنا المصري الى العريش دون ان يمرّ على فايد وقنال السويس ؟ ألَم ير في طريقه جنود بريطانيا يحتلون ارضنا المقدسة ؟». ثم ذكرت جريدة «حدتو» ان الحكومة المصرية تستغل «مشكلة فلسطين لتحويل انظار الشعب عن قضيته الوطنية، وتشغل أذهانه عن الداء الحقيقي؛ فأُسُس الداء هنا في مصر، وهناك في فلسطين وشرق الاردن والعراق، ما هو الاّ الاستعمار... ان تحرير وادي النيل وتوجيه ضربة قاصمة للاستعمار البريطاني في مصر هو خير مساعدة تقدمها لفلسطين والشعوب العربية»(١١٥).

واتهمت «الجماهير» عبدالرحمن عزام باشا، اذ قال ان القوة اصبحت ضرورية لرد الظلم عن فلسطين، بإثارة «حرب عنصرية طائفية دامية تنهك قوى الجماهير العربية واليهودية معاً. فهل هذا، حقاً، طريق انقاذ فلسطين وتحريرها ؟». واعتبرت «الجماهير» ان العدو الاول هو الاستعمار «ولن يتأتى الخلاص منه باثارة حرب دينية بين العرب واليهود في فلسطين، او بين المسلمين والمسيحيين في لبنان، بل بتوحيد صفوف كل الوطنيين المعادية للاستعمار، أيا كان دينهم، في جبهة تضم شعوب البلاد العربية للنضال والكفاح ضد قوى المستعمر»(١١٦). ووفقاً لمقولة «الاستعمار أولاً»، اعتبرت «حدتو» دخول العرب الحرب ضد الدولة الصهيونية، العام ١٩٤٨، «انحرافاً بالنضال ضد الاستعمار والرجعية». وفي بيان لها، ذكرت «حدتو» «ان قرار زعماء العرب بشأن دخول الحرب، يهدف الى وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا الوطنية المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار... انه يرمي الى صرف انظار الجماهير الكادحة عن الكفاح في سبيل مستوى معيشتها الى امر خارجي ينسيها هذا الكفاح... انه يرمي الى تحويل انظار المعارضة الوطنية الديمقراطية عن العهود الرجعية الحاكمة في الشرق العربي عن مؤامراتها لتكتيله في كتلة استراتيجية خاضعة للاستعمار»(١١٧).

ووصف كورييل حرب العام ١٩٤٨ بـ «الحرب الظالمة ضد دولة اسرائيل»!. وأسف لأن 'حدتو' لم تقدر على تطبيق الخط السياسي الصحيح، وذلك بتحويل الحرب الامبريالية الظالمة الى حرب عادلة ضد الامبريالية والرجعية»(١١٨).

وفي الحق ان موقف «حدتو» المؤيد للدولة اليهودية كان متسقاً مع الاساس النظري الذي وضعه كورييل، ومطابقاً لموقف الدولة السوفياتية. فنظرياً، رأى كورييل ان على العرب ان يناضلوا ضد البرجوازية العربية المرتبطة بالاستعمار اولاً، وان لليهود حقوقاً قومية، بما في ذلك حق الانفصال، وان على العرب ـ وفقاً للنظرية الستالينية ـ النضال من اجل «الحقوق القومية» اليهودية. ووصلت «حدتو»، نظرياً، الى حد تأييد قيام الدولة اليهودية، باعتبارها تمثل «تطوراً اجتماعياً». فقد «دعا بعض قادة 'حدتو' الى تأييد اسرائيل، لأنها تمثّل مرحلة ارقى من التطور الاجتماعي هي المرحلة الرأسمالية ـ البرجوازية ـ الديمقراطية، في حين ان الدول العربية تمثّل مرحلة العلاقات الاقطاعية»(١١٩). وعملياً، كان موقف «حدتو» مطابقاً، تماماً، لموقف الاتحاد السوفياتي من التقسيم، الذي جاء على لسان المندوب السوفياتي، اندريه غروميكو، في هيئة الامم المتحدة، حينما أعلن ان التقسيم «حل رديء، لكنه الحل الوحيد لاعلان استقلال فلسطين وانهاء الانتداب البريطاني». ويعني ذلك، ان هناك أمرين: اما قبول التقسيم، وبذلك يتمكنون من التخلص من السيطرة الاستعمارية؛ واما قبول الوضع كما هو، ومعنى ذلك بقاء فلسطين تحت السيطرة الاستعمارية(١٢٠). هذا التحول في موقف

الاتحاد السوفياتي، قد يبرره مبدأ اخضاع النضال في كل بلد لصالح البروليتاريا العالمية. فمن الممكن ان يكون الاتحاد السوفياتي وافق على مشروع التقسيم «آملاً منه بأن المهاجرين اليهود الذين قاوموا الاضطهاد النازي سيكونون قوة ديمقراطية تقدمية في المنطقة، وسيسيرون في طريق دولة اشتراكية صديقة... او استجابة لرغبات بعض القادة الشيوعيين في اوروبا وللتقرب من الاحزاب الاشتراكية الاوروبية وهي تعطف عطفاً كبيراً على اليهود، وللتساهل مع عواطف يهود الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية... او لأنه لم ير، بشكل كاف، احتمالات الموقف الثوري في بلدان المشرق العربي ولم يثق بهذه الاحتمالات...»[١٢١].

وان يكن موقف «حدتو» يمكن تبريره بمبرّرات موقف الاتحاد السوفياتي الذي يحدّد مصالح البروليتاريا العالمية، فان «حدتو» كانت تستند، في موقفها، ايضاً، الى الاساس النظري الذي وضعه كوريل لانشاء الدولة اليهودية. وبمعنى آخر، ان موقف «حدتو» قبول الدولة اليهودية لم يكن مبرره مجرد التطابق مع موقف الاتحاد السوفياتي، وانما كان مبعثه، أيضاً، الاساس النظري للحركة. وان يكن موقف «حدتو»، أيضاً، المؤيد للدولة اليهودية، هو، في النهاية، تأييد للبرجوازية اليهودية، وللصهيونية، كحركة رأسمالية استعمارية، فان «حدتو»، وباسم الأممية، ظلت تعمل ضد البرجوازية العربية والاستعمار البريطاني.

فكيف انتهى الخطاب الماركسي، في مصر الاربعينات، ليستبدل الاممية، كمنطلق الى العمل ضد الرجعية العربية والرأسمالية الاستعمارية، بالنزعة القومية، كمنطلق الى تأييد البرجوازية اليهودية والصهيونية كحركة رأسمالية استعمارية ؟

لعل التفسير الاول لذلك التناقض البنائي في الخطاب الماركسي، هو تفسير النشأة. فالاحزاب الشيوعية العربية «نشأت، اول ما نشأت، على يد افراد من الاقليات القومية، او العنصرية، او الطائفية، وفي اوساط هذه الاقليات... ان تركيب الاحزاب الشيوعية المحلية وقياداتها كان من العوامل الرئيسة التي حالت دون تحقيق الاندماج الضروري بين الحركة الوطنية والثورة الاجتماعية، بين العقيدة القومية والعقيدة الاشتراكية العلمية... لقد كان يستحيل على القادة الشيوعيين المحليين غير العرب ان يفهموا، فهماً صحيحاً، طبيعة الحركة التي يخوضها الشعب العربي ضد الزحف الصهيوني على فلسطين...»[١٢٢]. ولم تكن الجماعات الماركسية الرئيسة، في مصر الاربعينات، لتشذ عن ذلك. فقد كان مؤسسوها وقادتها من الاقليات القومية والجاليات الاجنبية في مصر[١٢٣]. فجماعة «الفجر الجديد»، وان استقلت عن الاجانب، ضمّت قيادتها صادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش، وكانوا يهود الديانة من اصول غير مصرية، ثم اعتنقوا الاسلام. والجماعة التروتسكية، التي ضمّت كتّاباً وفنانين مصريين، كان خلفها مارسيل اسرائيل.

اما الحركتان الرئيستان، فقد اسسهما وقادهما الاجانب. فحركة «اسكرا» (الشرارة) انشأها هليل شوارتز، وضمّت لجنتها المركزية ايلي ميزان وسني سلامون وعزرا هراري وارمان بيليس؛ و«الحركة المصرية للتحرر الوطني» انشأها هنري كوريل، وسيطر على لجنتها المركزية، على الرغم ممّا ضمّته من مصريين، ثم انشق عنها مارسيل اسرائيل ليكوّن «تحرير الشعب». ومن الحركتين الرئيستين، «الحركة المصرية للتحرر الوطني» و«اسكرا»، تكوّنت باتحادهما الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) القائدة بين الجماعات الماركسية، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨، والتي تشرذمت حين حمي وطيس الصراع من اجل «تمصير» قيادتها. واذ نسجل ذلك، فان هدفنا ليس اتهام

الجماعات الماركسية المصرية، في الاربعينات، في وطنيتها، وانمّا غرضنا محاولة تفسير التناقض في الخطاب الماركسي في تلك المرحلة، بين مناهضة الجامعة القومية، كجامعة سياسية في النضال ضد الصهيونية باسم الاممية، وبين الاقرار بالقومية اليهودية والاعتراف بالدولة اليهودية ـ باسم الاممية ايضاً ـ فيما بعد.

فتأسيس وقيادة اليهود المصريين والاجانب للجماعات الماركسية المصرية «كان من الطبيعي ان يؤكد فكرة الاممية كبديل عن المفهوم القومي، ما دامت الاممية هي الفكرة الوحيدة التي يمكن ان تضع وجودهم على رأس منظمات مصرية. ان الاممية اصل ثابت في الفكر الماركسي النظري؛ ولكن هذا الاصل النظري اتخذ سمات وظلالاً متنوعة بتنوّع البلاد والبيئات السياسية، واتخذ سمات قومية في الحركات النضالية لعدد من البلاد. ولكنه، في مصر الاربعينات، اتخذ شكلاً اقرب الى الحلول محل الجامع القومي. وبهذا المسلك الفكري، وجّه الاتهام الى الحركات القومية والدينية بالعنصرية والشوفينية، واتهام دعاوى التمصير داخل الحركة الشيوعية بالشوفينية ايضاً. فصارت القومية ـ وهي وعاء النضال ضد الاستعمار ـ تهمة، عانى منها عدد من الشيوعيين المصريين أنفسهم في صراعاتهم التنظيمية ضد الاجانب. وجرت تهمة العنصرية، تمليها النشأة اليهودية لهؤلاء القادة في ظروف صراع اليهود ضد عنصرية النازي في ألمانيا، وفي ظروف تصاعد حركة اليهود العنصرية وهي الصهيونية»(١٢٤).

اذن، كانت قيادة اليهود والاجانب للجماعات الماركسية وراء حلول «الاممية» محل «القومية» كجامعة سياسية، وأساس الادعاء في اتهام الجماعات القومية والدينية بالعنصرية، وسلاح المواجهة ضد ما رآه القادة شوفينية العناصر الماركسية المصرية التي طالبت بتمصير قيادة التنظيمات الماركسية.

بيد ان عنصر القيادة اليهودية والاجنبية للجماعة الماركسية المصرية، وان كان وراء نفي «القومية» في مصر اتساقاً مع فكرة الأممية، فانه لا يفسّر، وحده، اخضاع «الاممية» لصالح فكرة القومية اليهودية والدولة اليهودية في فلسطين. فهناك عنصر ثان، هو «ان مبدأ اخضاع النضال في كل بلد لصالح البروليتاريا العالمية (الاممية)، ارتدى، أكثر من أي وقت مضى، شكل خضوع وثيق لمصالح وتقديرات الوطن الاشتراكي الاول (الاتحاد السوفياتي) وقائده الملهم الذي حقق النصر على الفاشية الدولية (ستالين)»(١٢٥).

كما ان هناك عنصراً ثالثاً، وهو ان القادة الاجانب للتنظيمات الماركسية «استهوتهم نظرية ستالين في المسألة القومية، فنسوا التحليل اللينيني للامبريالية»(١٢٦). وبالتالي، فقد عجزوا، استناداً الى النظرية الستالينية، عن ادراك الغزو اليهودي لفلسطين كشكل اساسي من اشكال الامبريالية في الوطن العربي. وكان ذلك طبيعياً، لأن الاجانب الماركسيين في مصر بدأوا معادين للعداء السامية، كما قال هراري، وتحوّلوا الى الماركسية ليرفعوا شعار الاخاء «الاممي» بين المستعمِر اليهودي والمستعمَر الفلسطيني العربي؛ ثم رأوا في نظرية ستالين في المسألة القومية ما يدعم «الحقوق اليهودية العربية»، متجاهلين طبيعة الصهيونية، كحركة رأسمالية استعمارية.

ولذلك، وكما قال صادق سعد، «ساند كبار اليهود في مصر الماركسيين... غير ان هؤلاء الكبار كانوا يعملون، في الوقت نفسه، في محاولة استغلال النشاط الماركسي بين اليهود كفرس يجري مع الفرق الصهيونية»(١٢٧).

ولذلك، أيضاً، قامت التنظيمات الماركسية المصرية، بعد تمصير قيادتها في الستينات، بربط النضال الوطني المصري ضد الاستعمار البريطاني والرجعية العربية بالنضال القومي العربي ضد الزحف الصهيوني، ودمج العقيدة القومية بالعقيدة الاشتراكية العلمية.

---

(١) ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩ (ترجمة كريم عزقول)، بيروت: دار النهار، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧، ص ٢٠٩.

(٢) احمد لطفي السيد، **تأملات في الفلسفة والادب والسياسة والاجتماع**، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٦٥، ص ٧٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٨٧ و٩٠و١٣٢.

(٤) أحمد لطفي السيد، **المنتخبات**، الجزء الثاني، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٣٧، ص ٥٨.

(٥) أحمد لطفي السيد، **صفحات مطوية**، الجزء الاول، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٤٦، ص ١١٨.

(٦) د. عايدة سليمة، **مصر والقضية الفلسطينية**، القاهرة وباريس: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦، ص ٢٤.

(٧) ورد في طارق البشري، «مصر في اطار الحركة العربية»، **المستقبل العربي** (بيروت)، السنة ١، العدد ٢، تموز (يوليو) ١٩٧٨.

(٨) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤.

(٩) د. عواطف عبدالرحمن، **الصحافة الصهيونية في مصر، ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤؛ دراسة تحليلية**، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، بلا تاريخ نشر، ص ٥٢. وتذكر الباحثة، بدون الاشارة الى مصدر: «نجح ليون كاستـرو، من خلال الدور المـزدوج الذي لعبـه في استثمـار كل الامكـانيـات التي أتـاحتها له الحركة الوطنيـة المصريـة لصـالح الحركة الصـهيونية واقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين. فقد جنّد صحيفته اليومية الوفدية للدعاية للفكر الصهيوني. وكان يقوم بتحويل الاعتمادات المخصصة للدعاية للحركة الوطنية المصريـة في الخـارج الى الصندوق القومي اليهودي (الكـيرن كاييمت) لشراء الاراضي الفلسطينية واقامة مستعمرات صهيونية عليها».

(١٠) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤.

(١١) **المصدر نفسه**.

(١٢) طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢**، القاهرة: دار الشرق، الطبعة الثالث، ١٩٨٣، ص ٢٤١.

(١٣) ماريوس كامل ديب، **السياسة الحزبية في مصر؛ الوفد وخصومه، ١٩١٩ ـ ١٩٣٩** (ترجمة عبدالسلام رضوان)، بيروت والقاهرة: مؤسسة الابحاث العربية ودار البيادر، ١٩٨٧، ص ١٨٦.

(١٤) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٥.

(١٥) احمد شفيق، **حوليات مصر السياسية**، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٢٨، ص ٩١٧.

(١٦) محمود ابراهيم الجزيري، **آثار الزعيم سعد زغلول في عهد وزارة الشعب**، الجزء الاول، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٢٧، ص ١٢٩.

(١٧) البشري، «الحركة السياسية في مصر...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٣٨.

(١٨) احمد حسين، **ايماني**، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٤٤، ص ٦٦.

(١٩) **كوكب الشرق** (القاهرة)، ١٠/١/١٩٣٥.

(٢٠) **مصر الفتاة** (القاهرة)، ٣١/١/١٩٣٨.

(٢١) البشري، «الحركة السياسية في مصر...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٤.

(٢٢) **الوفد المصري** (القاهرة)، ٣/٧/١٩٣٨.

(٢٣) **المصري** (القاهرة)، ١٤/١٠/١٩٣٨.

(٢٤) البشري، «الحركة السياسية في مصر...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٥.

(٢٥) **المصري**، ٢٠/٧/١٩٣٨.

(٢٦) **المصدر نفسه**، ٦/٢/١٩٣٩.

(٢٧) **صوت الامة** (القاهرة)، ٢١/١٢/١٩٤٧.

(٢٨) وثيقة الجلسة السرية لمجلس الشيوخ

المنعقدة في الأول من أيار (مايو) ١٩٤٨، **الطليعة** (القاهرة)، العدد ٣، السنة ١١، آذار (مارس) ١٩٧٥، **والوفد** (القاهرة)، ١٩٨٨/٩/١.

(٢٩) د. علي الدين هلال، **السياسة والحكم في مصر، ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢** القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٧، ص ١٩٣.

(٣٠) أنظر **السياسة الاسبوعية** (القاهرة)، ١٩٢٩/٩/٧.

(٣١) **المصدر نفسه**، ١٩٨٨/٦/٢٤.

(٣٢) **السياسة** (القاهرة)، ١٩٨٨/٦/٢٧.

(٣٣) **السياسة الاسبوعية**، ١٩٨٨/١١/٣٠؛ ود. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩١؛ ود. انيس، صايغ، **الفكرة العربية في مصر**، بيروت: مطبعة هيكل الغريب، ١٩٥٩، ص ٢٤٢.

(٣٤) **السياسة الاسبوعية**، ١٩٤٥/٢/٢٧؛ ود. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٢.

(٣٥) **السياسة الاسبوعية**، ١٩٤٧/٩/١١؛ ود. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٢.

(٣٦) **الكتلة** (القاهرة)، ١٩٤٥/١/١.

(٣٧) **المصدر نفسه**، ١٩٤٥/١٢/٢٩.

(٣٨) **المصدر نفسه**، ١٩٤٥/١١/١٤.

(٣٩) **المقطم** (القاهرة)، ١٩٢٥/٤/١٥.

(٤٠) **المصدر نفسه**، ١٩٢٥/٣/٣١.

(٤١) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٢.

(٤٢) **كوكب الشرق**، ١٩٢٥/٩/٥.

(٤٣) **الشورى** (القاهرة)، ١٩٢٥/٩/١.

(٤٤) **الكاتب المصري** (القاهرة)، حزيران (يونيو) ١٩٤٦.

(٤٥) **الدستور** (القاهرة)، ١٩٣٩/٧/٢٨.

(٤٦) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٣.

(٤٧) د. عبدالعظيم رمضان، **تطور الحركة الوطنية في مصر، ١٩١٨ ـ ١٩٣٦**، القاهرة: مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص ٢٩.

(٤٨) محمد رشيد رضا، **تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده**، الجزء الاول، القاهرة: مطبعة المنار، الطبعة الثانية، ١٩٣١، ص ٣٠٦.

(٤٩) د. احمد عبدالرحيم مصطفى، **تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة**، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٧٤، ص ٧٨.

(٥٠) د. عبدالعظيم رمضان، **تطور الحركة الوطنية في مصر، ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨**، بيروت: دار الوطن العربي، ١٩٧٤، ص ١٨٦.

(٥١) **مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنّا**، القاهرة: دار الشهاب، بلا تاريخ نشر، ص ١٧ ـ ١٨.

(٥٢) **المصدر نفسه**، ص ١٩.

(٥٣) **المصدر نفسه**، ص ٢١.

(٥٤) **المصدر نفسه**، ص ١٧٦.

(٥٥) طارق البشري، **المسلمون والاقباط في اطار الجماعة الوطنية**، القاهرة: دار الشرق، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص ٤٧٤ و٥٨١.

(٥٦) الصايغ، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١٠.

(٥٧) «مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنّا»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٨.

(٥٨) د. عبدالرحمن، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٦.

(٥٩) أنظر **الاخوان المسلمون** (القاهرة)، ١٩٤٦/٣/١٢.

(٦٠) **المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١١/٥.

(٦١) طارق البشري، «مصر في اطار الحركة العربية»، **المستقبل العربي**، السنة ١، العدد ٢، تموز (يوليو) ١٩٨٧.

(٦٢) البشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٨١.

(٦٣) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٦ ـ ٩٧.

(٦٤) البشري، «الحركة السياسية في مصر...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٨.

(٦٥) **الاخوان المسلمون**، ١٩٣٦/٥/١٨.

(٦٦) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٦٧) **المصدر نفسه**، ص ٩٨.

(٦٨) الاخوان المسلمون، ١٩/١٠/١٩٤٧.

(٦٩) المصدر نفسه، ١٩/٤/١٩٤٧.

(٧٠) المصدر نفسه، ٩/٥/١٩٤٨.

(٧١) د. اسحق موسى الحسيني، **الاخوان المسلمون؛ كبرى الحركات الاسلامية الحديثة**، بيروت: بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، ١٩٥٢، ص ٣٥١؛ و Mitchell, Richard P.; *The Society of the Muslem Brothers*, London: Oxford University Press, 1969, p. 57.

(٧٢) ديب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٣ ـ ٥٤.

(٧٣) د. ابراهيم شلبي، **تطور النظم السياسية والدستورية في مصر**، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٧٤، ص ٨٨، ٩١.

(٧٤) يرى د. عبدالعظيم رمضان ان للتنظيم «منابع شبه نازية»، وانه مثّل «الجناح الفاشي للاوتوقراطية». انظر د. رمضان، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٧. ويرى ماريوس كامل ديب ان التيار الفاشي هو احد مكوّنات ايديولوجية «مصر الفتاة»، ديب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٥٠.

(٧٤) د. رمضان، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٧٥) حسين، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٢٤ ـ ٣١٥.

(٧٦) **المصدر نفسه**، الطبعة الثانية، ١٩٤٦، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٧٧) **الصرخة** (القاهرة)، ٢٣/١٢/١٩٣٣.

(٧٨) **الثغر** (القاهرة)، ٢٣/٩/١٩٣٧.

(٧٩) **الصرخة**، ١٠/١٢/١٩٣٤.

(٨٠) د. رمضان، «تطور الحركة الوطنية... ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٣.

(٨١) البشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٩٢.

(٨٢) **مصر الفتاة**، ١٨/٣/١٩٤٠.

(٨٣) **الصرخة**، ١٣/١/١٩٣٤.

(٨٤) د. هلال، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٢٩.

(٨٥) البشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٨٢.

(٨٦) **مصر الفتاة**، ١/٩/١٩٣٨.

(٨٧) **المصدر نفسه**، ٢٧/١٠/١٩٣٨.

(٨٨) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٨٩) **مصر الفتاة**، ٢٣/٥/١٩٣٨.

(٩٠) **المصدر نفسه**، ٣٠/٥/١٩٣٨.

(٩١) د. سليمة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٤.

(٩٢) **مصر الفتاة**، ١٦/٢/١٩٤٨.

(٩٣) صادق سعد، «فلسطين بين مخالب الاستعمار»، ورد في طارق البشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٣١.

(٩٤) **الفجر الجديد**، العدد ١٣، بلا تاريخ نشر.

(٩٥) **المصدر نفسه**.

(٩٦) «جهاد» اسم مستعار، ذكر د. رفعت السعيد انه احمد رشدي صالح، في حين أكد عبدالقادر ياسين ان صاحب الاسم المستعار هو صادق سعد. انظر د. رفعت السعيد، «الشيوعيون المصريون والقضية الفلسطينية والقومية العربية»، **قضايا فكرية** (القاهرة)، العدد السادس، نيسان (ابريل) ١٩٨٨، ص ٢٢٩؛ وعبدالقادر ياسين، **القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري**، بيروت: دار بن خلدون، الطبعة الاولى، ١٩٨١، ص ٤٦.

(٩٧) **الضمير** (القاهرة)، ٢٤/١٠/١٩٤٥.

(٩٨) نشأت كتنظيم في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠، وكان ابرز مؤسيسها انور كامل وعبدالعزيز فهمي هيكل واسعد حليم جرجس وفتحي الرملي وصالح عرابي. وفي العام ١٩٤٢، ألقي القبض على ٦٠ عضواً منها بتهمة قلب نظام الحكم، ثمّ حصلوا على البراءة في العام ١٩٥٤.

(٩٩) انور كامل، **الصهيونية**، القاهرة: دار المطبوعات العربية، ١٩٤٤، ص ٢١ ـ ٢٤، و٤٢ ـ ٤٤، و٥٨ ـ ٥٩.

(١٠٠) ياسين، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٩.

(١٠١) د. رفعت السعيد، **اليسار المصري، ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢،

ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(١٠٢) الحديث لصادق سعد؛ ورد في ياسين، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨١.

(١٠٣) ياسين، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٥.

(١٠٣) بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية، القاهرة، حزيران (يونيو) ١٩٤٧، ورد في د. رفعت السعيد، **اليسار المصري والقضية الفلسطينية**»، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥، ص ١٣٠ ـ ١٥٠.

(١٠٤) **الجماهير** (القاهرة)، ٥/٥/١٩٤٧.

(١٠٥) هنري كورييل، «المسألة الفلسطينية»، في د. السعيد، «اليسار المصري والقضية الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**؛ والبشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٢٧ ـ ٦٣٠.

(١٠٦) هنري كورييل، **أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية** (دراسة د. رؤوف عباس وترجمة عزّة رياض)، القاهرة: دار سينا، ١٩٨٨، ص ١٤٤.

(١٠٧) كورييل، «المسألة الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**.

(١٠٨) البشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٣٠.

(١٠٩) كورييل، «أوراق هنري كورييل...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(١١٠) **المصدر نفسه**، ص ١٥٦.

(١١١) **الجماهير**، ٢١/١٢/١٩٤٧.

(١١٢) **المصدر نفسه**، ٣٠/١١/١٩٤٧.

(١١٣) **المصدر نفسه**، ٧/٢/١٩٤٧.

(١١٤) **المصدر نفسه**، ٢١/١٢/١٩٤٧.

(١١٥) **المصدر نفسه**، ١٩/١٠/١٩٤٧.

(١١٦) **المصدر نفسه**، ٢٢/١٠/١٩٤٧.

(١١٧) **المصدر نفسه**، ٢١/١٢/١٩٤٧.

(١١٨) كورييل، «أوراق هنري كورييل...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٢.

(١١٩) انظر الياس مرقص، **تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية في الوطن العربي**، بيروت: دار الطليعة، الطبعة الاولى، ١٩٦٤، ص ٢١؛ ود. انور عبدالملك، **المجتمع المصري والجيش**، بيروت: دار الطليعة، الطبعة الاولى، ١٩٧٤.

(١٢٠) د. السعيد، «اليسار المصري والقضية الفلسطينية»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٦؛ وطارق البشري، **الحركة السياسية في مصر، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢**، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣، ص ٤٦.

(١٢١) مرقص، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٤.

(١٢٢) **المصدر نفسه**، ص ٢١.

(١٢٣) حول نشأة الجماعات الماركسية المصرية انظر Laqueur, W.; *Communism and Nationalism in the Middle East*, London: 1956, pp. 31 - 628.

ود. السعيد، «اليسار المصري، ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠»، **مصدر سبق ذكره**؛ والبشري، «الحركة السياسية في مصر»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٥ ـ ٩١، و٤١٦ ـ ٤٥٦.

(١٢٤) البشري، «المسلمون والاقباط...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٣٥.

(١٢٥) مرقص، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(١٢٦) **المصدر نفسه**، ص ١٥١.

(١٢٧) صادق سعد، **صفحات من اليسار المصري**، القاهرة: بلا ناشر، ١٩٧٦.

تطوّر الاقتصاد الاسرائيلي

(١٩٤٨ ـ ١٩٨٨)

د. محمد صفوت قابل

على الرغم من التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد، فان ما تطمح اليه هذه الدراسة هو، تحديداً، تتبع مراحل تطور الاقتصاد الاسرائيلي، في مجمله، خلال الاربعة عقود التي مرّت على انشاء اسرائيل، لمعرفة عوامل القوة والضعف في هذا الاقتصاد، بعيداً من التهويل، أو التهوين؛ وكذلك لمعرفة كيف ادار الصهيونيون عجلة اقتصادهم وسط حالة العداء العربي الذي كان شاملاً؛ علّ التحديد هذا يفيد في مواجهة الكيان الصهيوني، الذي انتزع ارضاً وشرد شعباً.

سوف نعرض لتطور الاقتصاد الاسرائيلي من خلال نقطتين: الاولى خصوصية الاقتصاد الاسرائيلي؛ والثانية، تطور الاقتصاد الاسرائيلي في مراحل اربع، هي: الاولى من العام ١٩٤٨ الى العام ١٩٥٥، والثانية من العام ١٩٥٦ الى العام ١٩٦٦، والثالثة من العام ١٩٦٧ الى العام ١٩٧٦، والرابعة من العام ١٩٧٧ الى العام ١٩٨٨.

خصوصية الاقتصاد الاسرائيلي

من البديهي انه لا يمكن فهم حركة تطور أي مجتمع الّا بمعرفة الخصائص الاساسية والمحددات التي تحكم حركة المجتمع. وهذا ينطبق على المجتمع الاسرائيلي، بأن هذا المجتمع، بحكم طبيعة تكوينه، يختلف عن غيره من المجتمعات بعديد من الخصائص التي لا يمكن فهم حركة المجتمع بدون الاستيعاب الكامل لها. ويمكننا ان نرصد بعض المحددات لحركة وتطوّر المجتمع الاسرائيلي في ما يلي:

١ ـ اللاشرعية الاقليمية

من المعروف للعموم الكيفية التي أنشئت بها اسرائيل، والتي قامت على اغتصاب الارض والممتلكات من طريق العنف والقوة. ولقد أدى ذلك الى تلازم بين وجود الدولة الصهيونية مع حالة العداء من المحيط العربي الذي غرست فيه. ولقد انعكس ذلك على الاقتصاد والسياسة الاقتصادية لاسرائيل. فلكي تبقى اسرائيل، لا بد وان تحافظ على تفوقها العسكري على الدول العربية، ممّا يمثّل ضغطاً مستمراً على مواردها. وفي الوقت عينه، ان انقطاع الصلات بينها وبين الدول العربية حرمها من المجال الحيوي لتجارتها الخارجية، والتي تعتبر ذات اهمية بالنسبة الى اقتصادها، لندرة الموارد الاولية فيها. وفي ظل هذا الوجود اللاشرعي كان عليها ان تنمّي اقتصادها في مواجهة عداء

ومقاطعة العرب لها، وان تحافظ على قوة عسكرية تمكّنها من فرض الامر الواقع.

٢ ـ الانفاق العسكري وعسكرة المجتمع

نتيجة اللاشرعية الاقليمية، كان لا بدّ ان تحافظ اسرائيل على قوة عسكرية، وان تتحالف مع قوة عالمية لاستمرار فرض وجودها. وقد أدى هذا الى زيادة الانفاق العسكري، ممّا انعكس اثره على الاقتصاد الاسرائيلي. ولضرورة المحافظة على الدولة وجعلها قوة عسكرية أقوى من القوى المحيطة بها، فلقد تطلب ذلك جيشاً كبيراً في العدد والعدة. وبسبب محدودية السكان (مقارنة بالعرب) تمّ وضع نظام للتعبئة، يتحوّل العاملون فيه، في مدى زمني قصير، من الحياة المدنية الى الحياة العسكرية؛ وبالتالي، أصبح المجتمع، في غالبيته، مجتمعاً عسكرياً تتفاعل فيه كل القطاعات مع القطاع العسكري.

ويتمثل التفاعل المستمر بين الاقتصاد والجيش في كيفية استقدام المهاجرين، وتحديد نوعياتهم، والمستوى العمري لهم، وكذلك في اختيار اماكن المستوطنات الزراعية التي تخدم احتياجات الامن، وكذلك اختيار مراكز الصناعات والمشروعات المختلفة. ومن ناحية اخرى، فان الجيش يساهم في النشاط الاقتصادي من خلال اقامة مشروعات البنية الاساسية وبناء الصناعات الحربية التي تغذّي وتتكامل مع باقي الصناعات. ويلاحظ ان أكثر من عشرة بالمئة من القوة العاملة في اسرائيل تعمل، بصفة دائمة، في القوات المسلحة والصناعات الحربية؛ وهي نسبة لا تتفوق عليها في العالم كله سوى الولايات المتحدة الاميركية، حيث تبلغ هذه النسبة ١٤ بالمئة؛ كما انه عند حدوث الحرب يوجه ثلث القوة العاملة الى الاغراض العسكرية[١].

وتخصص اسرائيل نسبة عالية من دخلها للانفاق العسكري. فقبل حرب العام ١٩٦٧ كانت الميزانية العسكرية تمثل عشرة بالمئة من الناتج القومي الاجمالي، ارتفعت الى ١٨ بالمئة في العام ١٩٦٧، ثم أخذت في التصاعد حتى وصلت الى ٣٢ بالمئة في الاعوام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥، ثم تناقصت، فيما بعد، حتى وصلت الى حوالى ٢٢ بالمئة في منتصف الثمانينات.

ويمكن ايضاح التكلفة لعبء الانفاق العسكري عند مقارنته باجمالي تكوين رأس المال. ففي السنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٤ كان اجمالي تكوين رأس المال في اسرائيل يمثل ٣٣ بالمئة من الناتج القومي الاجمالي. وخلال الفترة من ١٩٧٤ الى ١٩٨٤، كان اجمالي تكوين رأس المال في اسرائيل يمثل ٢٢ بالمئة من الناتج القومي الاجمالي. وهذا يعني ان الانفاق العسكري، منذ حرب العام ١٩٦٧، كاد يتساوى مع جملة ما استجد من تكوين رأس المال في اسرائيل[٢].

ويمكن القول ان العبء الاقتصادي للانفاق العسكري كان كبيراً، على الرغم من ضخامة المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة؛ كما ان هذا العبء سيتزايد مع الوقت، حتى ولو بقي الانفاق العسكري من مستوياته الحالية، وذلك بسبب بدء تراكم تكلفة الفائدة على القروض. فلقد انقضت فترات السماح الخاصة بالقروض العسكرية الاولى والرئيسة التي قدمتها الولايات المتحدة. ووفقاً لتقرير اعده مكتب الولايات المتحدة العام للحسابات، فان التكلفة السنوية لتسديد الدين العسكري الاسرائيلي كانت ٧٧٢ مليون دولار العام ١٩٨٢، والمتوقع ان ترتفع الى ١١٠٠ مليون دولار العام ١٩٩٢، نتيجة تراكم نهايات فترات السماح.

ولأن اسرائيل لا ترغب في تخفيض انفاقها العسكري، فانها تضغط على الولايات المتحدة من أجل مستويات أعلى من المعونة. ولقد ارتفعت مساهمة الولايات المتحدة في تمويل الميزانية

العسكرية لاسرائيل في الاعوام المالية من ١٩٧٧/١٩٧٨ الى ١٩٨١/١٩٨٢ من الثلث الى ٣٧ بالمئة في العام المالي ١٩٨٢/١٩٨٣[٣].

وعند تحديد أثر الانفاق العسكري على الاقتصاد الاسرائيلي نجد ان الانفاق العسكري يتكوّن من انفاق بالعملة المحلية، وانفاق عسكري بالعملات الاجنبية، وهو ما يمثّل الواردات العسكرية. وهذا الجزء الاخير تتمّ تغطيته بالمعونات العسكرية والقروض الميسّرة من الخارج، وهو ما تتولاه، حالياً، الولايات المتحدة الاميركية. كذلك، فان الرغبة في استمرارية التفوق العسكري الاسرائيلي على الدول العربية أدى الى توجيه الاستثمارات الى الصناعات الحربية، التي اصبحت على درجة من التقدم تمكّنها من التصدير الى الخارج.

وهكذا نجد ان الانفاق العسكري لا يشكل، بأكمله، عبئاً على الاقتصاد الاسرائيلي، بسبب قيام الولايات المتحدة بتمويل الجزء الخارجي منه، وبسبب استفادة الاقتصاد من الابحاث والصناعات الالكترونية والعسكرية للتصدير. ولكن يبقى، على الرغم من ذلك، ان مخصصات الانفاق العسكري تعتبر أعلى نسبة في العالم (حوالى ٢٢ بالمئة من الناتج القومي الاجمالي).

وعلى الرغم ممّا يمثّله الانفاق العسكري من أعباء على الاقتصاد الاسرائيلي، الّا انه يلاحظ ان هذا الانفاق المتزايد لا يؤدي الى ضغط الاستهلاك الفردي، أو التأثير في مستويات المعيشة المرتفعة، لكون ذلك يعود ـ كما قلنا ـ الى قيام الحكومات المتعاقبة بالاعتماد على الخارج في تمويل جزء كبير من النفقات العسكرية.

٣ ـ ندرة الموارد الطبيعية

تعاني اسرائيل من ندرة في مواردها الطبيعية والمعدنية (باستثناء الفوسفات والبوتاس)، بالاضافة الى نقص في مياه الري (وخاصة في المنطقة الجنوبية منها)، وهو ما يمثّل قيداً على النمو والتوسع في الانتاج الزراعي. لذلك، فهي تعتمد على الخارج في استيراد ما تحتاجه من مواد أولية وطاقة. وتصل نسبة الواردات الى حوالى ٨٠ بالمئة من اجمالي الواردات العامة الاسرائيلية، ممّا يمثّل عبئاً على ميزان المدفوعات الاسرائيلي. ولقد استطاعت اسرائيل التغلب على هذه الندرة بالاتجاه نحو الصناعات الحديثة، حيث يقل الاعتماد على الموارد الطبيعية. وساعدها على هذا وفرة المهارات العلمية والفنية من المهاجرين اليهود اليها.

٤ ـ الاعتماد على الخارج

نتيجة لندرة الموارد الطبيعية، فان اسرائيل تلجأ للخارج للحصول على ما تحتاجه من مواد أولية لازمة لصناعاتها، بالاضافة الى وارداتها من الوقود؛ كما تعتمد اسرائيل على الخارج لتوفير مستلزمات المستوى المعيشي المرتفع لسكانها اليهود، وتوفير وارداتها العسكرية المتزايدة. وهكذا نجد ان النشاط الاقتصادي الاسرائيلي، والنمو الداخلي، وتزايد القدرة على التصدير، والزيادة في مستوى الاستهلاك الحقيقي للفرد، والانفاق العسكري، كلها تعتمد على مقدار ما تستورده اسرائيل.

وهذا الاعتماد على الخارج يؤدي الى انتقال الظواهر السلبية في الاقتصاد الخارجي الى الداخل. ونتيجة لذلك، فان الآثار السلبية تزداد، وهي تتمثّل، أساساً، في ارتفاع نسبة التضخم وتعرّض الاقتصاد الاسرائيلي للأزمات الدورية، بالاضافة الى استمرار وتزايد العجز في ميزان المدفوعات.

وممّا يوضح مدى الاعتماد على الخارج ان نسبة الضرائب، كمصدر من مصادر التمويل

في الموازنة الاسرائيلية، قد انخفضت من ٦٤,٢ بالمئة العام ١٩٥٩، الى ٤٦,٢ بالمئة العام ١٩٧٠، على الرغم من ان الفرد الاسرائيلي يدفع أعلى نسبة ضرائب في العالم؛ وبالتالي، ازداد الاعتماد، في تمويل الموازنة الاسرائيلية، على المصادر الخارجية، مما أدى الى ازدياد الديون الخارجية. كما ان اسرائيل تعتمد على الخارج، اعتماداً كبيراً، في توفير رؤوس الاموال اللازمة لمشروعاتها.

من ذلك يتضح مدى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على الدول الرأسمالية المتقدمة، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية. فوفقاً لاحصاءات وكالة التنمية الدولية الاميركية (A.I.D.) عن العام ١٩٨٣، بلغت المساعدات الاقتصادية الاميركية لدول العالم حوالى ١٤ مليار دولار، خصّص منها لاسرائيل ٢٤٨٥ مليون دولار، أي حوالى ١٧,٥ بالمئة من مجموع المساعدات الاميركية. وتقدَّر المساعدات الاميركية لاسرائيل، منذ انشائها العام ١٩٤٨ وحتى نهاية العام ١٩٨٣، بحوالى ٢٥ مليار دولار. ولقد استمرت المساعدات الاميركية لاسرائيل في التزايد، حتى وصلت الى حوالى ثلاثة مليارات دولار في العام ١٩٨٧.

٥ ـ الهجرة اليهودية الى اسرائيل

تقوم الدولة الصهيونية على فكرة ان تكون دولة يهود العالم اجمع؛ وبالتالي، فهي تسعى الى جذب اليهود من شتى بقاع العالم الى الاستيطان فيها، وذلك من خلال تقوية النزعة الصهيونية لديهم، ممّا يجعل الهجرة الى اسرائيل «واجباً دينياً»، وأيضاً من خلال توفير مستوى معيشي مرتفع يجذب يهود الشتات ويجعلهم يحلمون بالنفوذ والسيطرة والمناصب العليا في هذا الكيان.

والواقع، لقد سبقت الهجرة اليهودية اقامة اسرائيل. فقد جاءت الموجة الاولى للهجرة حوالى العام ١٨٨٢، وكانت مكوّنة من حوالى ٢٠ الفاً من الشباب الصهيوني أطلق عليه «احباء صهيون»؛ ثم، وعلى مدى خمسة واربعين عاماً، من العام ١٩٠٣ وحتى العام ١٩٤٨، قامت الصهيونية بطرد الفلسطينيين واحلال اليهود المهاجرين محلهم. ولقد اصدرت اسرائيل قانونين لتسهيل هذه العملية، هما «قانون العودة»، الذي يتيح لكل يهودي في العالم ان يكون «مواطناً» في اسرائيل؛ و «قانون املاك الغائبين»، حيث تصادر اسرائيل املاك العرب الغائبين، وكذلك الحاضرين الذين اسمتهم «الغائبين الحاضرين». ولقد أدت عمليات الطرد والاحلال هذه الى تملك اليهود للارض العربية. ويتضح ذلك في انه من بين ٣٧٠ مستوطنة اقيمت في الفترة من ١٩٤٨ وحتى بداية ١٩٥٣ كانت ٣٥٠ مستوطنة منها على أراض عربية منزوعة الملكية(٤).

ولقد وصل الى اسرائيل حوالى ٦٧٦ ألف يهودي خلال أربع سنوات، من العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٥١. وبدأت الحكومة الاسرائيلية، منذ العام ١٩٥٢، في انتهاج سياسة اختيار المهاجرين، حيث قررت ان يكون ٨٠ بالمئة من المهاجرين من الشبان الذين لا يزيد عمر الواحد منهم على ٣٥ سنة؛ امّا الـ ٢٠ بالمئة الباقية، فتكون من المهاجرين اليهود الذين تزيد اعمارهم على ٣٥ سنة ولهم عائلات، أو أقارب، في اسرائيل يتعهدون الانفاق عليهم؛ اما الاغنياء، فلم يطبق عليهم شرط السنّ هذا.

ونتيجة الهجرة اليهودية الواسعة تلك، تباينت اصول اليهود الاسرائيليين، حيث ينقسم المجتمع اليهودي الى اليهود الاشكناز ذوي الاصل الغربي واليهود السفاراديم ذوي الاصل الشرقي، بالاضافة الى طائفة الصابرا، وافرادها هم الذين ولدوا في فلسطين، قبل، وبعد، قيام اسرائيل. ويسيطر الاشكناز على مقاليد الامور، على الرغم من تدنّي نسبتهم الى باقي الطوائف(٥).

مراحل تطور الاقتصاد الاسرائيلي

لا شك في ان السياسة الاقتصادية لاسرائيل لا بد وان تتأثر بالمحددات التي تحكم حركة المجتمع الاسرائيلي. فنتيجة للعوامل التي سبق ذكرها، والتي تحدد خصوصية الاقتصاد الاسرائيلي، يمكننا القول ان السياسات الاقتصادية تحدد هي، أيضاً، بـ : ١ ـ طبيعة الظروف والاوضاع السياسية التي يمـرّ بهـا الكيان الصهيوني؛ ٢ ـ طبيعة المرحلة التي يعيشها الاقتصاد الاسرائيلي، وماهية المشكلات التي يواجهها؛ ٣ ـ كيفية العمل على توفير احتياجات الاستيطان للمهاجرين الجدد، وضمان استمرار مستوى معيشي مرتفع للسكان؛ ٤ ـ طبيعة التوجهات السياسية والاقتصادية للحزب الحاكم.

بالنسبة الى الأول، نجد ان الاوضاع السياسية هي التي تفرض السياسات الاقتصادية، وليس العكس حينما يؤثر الاقتصاد في المجريات السياسية، وذلك ـ كما ذكرنا ـ لأنه، نتيجة لعدم الشرعية الاقليمية، أصبح توفير الامن للمجتمع يأتي في المرتبة الاولى.

كمـا يلاحـظ ان الحـرب كانت عامـلاً محفزاً للاقتصاد الاسرائيلي. فمثلاً نجد ان الاقتصاد الاسرائيلي قد تعرض، قبل حرب العام ١٩٦٧، لحالة من الانكماش والركود، وارتفعت نسبة البطالة، وانخفضت الهجرة الى اسرائيل، وهبط معدل النمو الى حوالى ١,١ بالمئة العام ١٩٦٦، بعد ان كان ٩,١ بالمئة. ولكن سرعان ما تغير الحال عقب الحرب، حيث ادى الاحتلال الاسرائيلي لمزيد من الارض العربية الى زيادة الامكانيات والموارد المتاحة للاقتصاد الاسرائيلي؛ كما أدى الانتصار السريع على الجيوش العربية الى ارتفاع مكانة اسرائيل لدى يهود العالم، فعادت الاموال تتدفق عليها، وازدادت معدلات الهجرة اليها، وارتفع معدل النمو الى ١٤,٩ بالمئة العام ١٩٦٨.

بالنسبة الى المحدد الثاني الذي يحدد طبيعة المرحلة التي يمر بها الاقتصاد الاسرائيلي، نجد انه، في بداية نشأة اسرائيل، عندما أخذت أفواج المهاجرين بالحضور، كانت الاولوية في السياسة الاقتصـاديـة هي التركيز على الزراعة لتوفير السلع الغذائية الاساسية، وخاصة في ظل المقاطعة العربية للكيان الصهيوني. ثم، في مرحلة تالية، واعتماداً على الخبرات والمهارات التقنية العالية وعلى رؤوس الاموال التي تحصل عليها من المعونات الاميركية واليهودية، فلقد بدأ التركيز على الصناعة، ثم، في مرحلة أخرى، أصبح التركيز على الصناعات الهندسية والتكنولوجية المتقدمة، وخاصة تلك التي لها علاقة بالصناعات العسكرية.

والمحدد الثالث الذي يحكم حركة الاقتصاد الاسرائيلي هو ضرورة الحفاظ على مستوى معيشي مرتفع لليهود الاسرائيليين، وذلك لتشجيع اليهود الاوروبيين على الهجرة الى اسرائيل. ونجد انه في الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٧٠ بلغت معدلات نمو الناتج القومي الحقيقي من تسعة بالمئة الى ١١ بالمئة سنوياً في المتوسط. وارتفع متوسط الدخل الفردي من ١٠١٧ دولاراً العام ١٩٥٠، الى ١٣٣١ دولاراً العام ١٩٦٥، ثم الى ٢٦٠٤ دولارات العام ١٩٧٤. ويلاحظ ان متوسط الدخل الفردي لا يعبر عن كل نصيب الفرد في اسرائيل. ففي العام ١٩٥٠، كان نصيب الفرد من الدخل القومي ٣٠٩ دولارات، ولكن كان نصيبه من فائض الاستيراد عن التصدير ٢٣٦٠ دولاراً. وفي العام ١٩٦٤، أصبح نصيبه من الدخل القومي ٩٧٣ دولاراً، يضاف اليها ٢١٣ دولاراً هي نصيبه من فائض الاستيراد عن التصدير[٦].

وعـلى الرغم من الازمـة المستمرة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي، ومحاولة الحكومات المتتـابعـة خفض الاستهـلاك الخـاص، الا ان معـدلات النمـو للاستهـلاك الخـاص اخذت في

الارتفاع، حيث ازدادت بنسبة ٤٧ بالمئة العام ١٩٨٣ مقارنة بعام ١٩٨٠؛ وأعلن رئيس قسم الاحصاء في الحكومة، في تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٣، ان مستوى المعيشة ما زال في ارتفاع مستمر، اذ ازدادت احتياجات الفرد بنسبة خمسة الى ستة بالمئة بالمقارنة بالعام ١٩٨٢؛ كما ان ثلث الاسرائيليين يمتلك اجهزة هاتف، وبلغت مشترياته من اجهزة الفيديو ١١٦ الف جهاز، وان ٥١ بالمئة من الاسر الاسرائيلية تمتلك شققاً تتكون من أربع غرف[٧]. ويتضح ممّا سبق ان هذا المستوى المعيشي المرتفع ما هو الاّ مستوى مصطنع يعتمد، أساساً، على ما تحصل عليه اسرائيل من معونات وهبات من الخارج.

اما المحدد الرابع الذي يؤثر في السياسة الاقتصادية الاسرائيلية، فهو طبيعة التوجهات السياسية، والاقتصادية، للحزب الحاكم. ومن المعروف ان حزب العمل الاسرائيلي، والذي يعتبر ذا نزعة اشتراكية، قد تولّى الحكم في اسرائيل منذ نشأتها وحتى أيار (مايو) ١٩٧٧ حين فاز تكتل الليكود في انتخابات الكنيست التاسع، وتولى الحكم بمفرده حتى العام ١٩٨٤ حينما اسفرت انتخابات الكنيست الحادي عشر عن عدم تمكن أي من الحزبين الكبيرين من تشكيل الحكومة بمفرده، ممّا جعلهما يقتسمان الوزارة ورئاسة الوزارة. وسنعرض لاتجاهات وسياسات كل من الحزبين عند توليهما السلطة في سياق عرضنا التالي لمراحل تطور الاقتصاد الاسرائيلي.

المرحلة الاولى، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٥

تزامن اعلان قيام اسرائيل مع الحرب بينها وبين الدول العربية، وبالتالي ازداد الانفاق العسكري، فقدر بحوالى مئة مليون ليرة اسرائيلية في الوقت الذي كان الدخل القومي للدولة العبرية، العام ١٩٤٩، ٢٦٠ مليون ليرة اسرائيلية. كذلك كان على الحكومة ان توفر الاعتمادات اللازمة لتوطين المهاجرين الجدد، حيث ازدادت نسبة السكان، وكان على الحكومة، بالتالي، توفير الغذاء لهؤلاء السكان واحتياجاتهم المعيشية كافة، لذلك اتسمت هذه المرحلة بالاهتمام بالزراعة وانشاء المرافق الاساسية، الامر الذي أدى الى خلق فرص عمل عديدة تكفي المهاجرين لاسرائيل.

واعتمدت حكومة حزب ماباي، الذي تولى الحكم في العام ١٩٤٨، على المعونات الاجنبية، بالاضافة الى فرض مزيد من الضرائب على الافراد، حيث كان تمويل الميزانية العامة، في الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٥١، يعتمد، بحوالى ٧٠ بالمئة، على الضرائب غير المباشرة، وخصّص حوالى ٤٠ بالمئة من الاعتمادات خلال تلك الفترة للمصروفات العسكرية المباشرة[٨]. كما لجأت الحكومة الاسرائيلية الى اتباع سياسة التمويل بالعجز، وأصدرت، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨، سندات قصيرة الاجل على الخزينة كانت قيمتها ٦٦,٦ مليون ليرة اسرائيلية. وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٩، أصدرت سندات جديدة، طويلة الاجل، اطلق عليها اسم «صكوك الارض»، ولقد غطت قيمة هذه السندات ثلث نفقات الميزانيات الثلاث: الميزانية العامة للدولة، وميزانية التنمية، والميزانية العسكرية السرية، وذلك في الفترة من ١٩٤٩ الى ١٩٥١. ونتيجة لما سبّبته هذه السياسة من تضخم وانخفاض كبير في قيمة العملة الاسرائيلية، لجأت الحكومة الاسرائيلية الى الاعتماد على الخارج، حيث حصلت على قرض بمئة مليون دولار من الولايات المتحدة الاميركية في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩؛ ثم عادت وحصلت على قرض اميركي جديد قيمته ٣٥ مليون دولار. وفي أيار (مايو) ١٩٥١، بدأت اسرائيل بترويج سنداتها في البورصة الاميركية؛ كما بدأت في الحصول على معونة سنوية ضمن برنامج المعونة الاميركية. وهكذا تغلّبت اسرائيل على الانهيار الاقتصادي بواسطة هذا التيار المستمر من

المعونة الخارجية التي تدفقت عليها. وللدلالة، يكفي القول انه من ٨٢٢ مليون دولار وردت الى اسرائيل خلال الفترة ١٩٤٩ ـ ١٩٥١، كانت قيمة الاستثمارات الخاصة ١٦١,٢ مليون دولار فقط[٩]. وطبقاً لاحصائيات الامم المتحدة، فان الادّخار المحلي في العام ١٩٥١ كان ١٧ بالمئة من قيمة الاستثمارات في اسرائيل؛ أما باقي الاموال، فقد ورد من الخارج[١٠]؛ كما جاء في تقرير الكونغرس الاميركي، في حزيران (يونيو) ١٩٥٤، ان نصف الميزانية الاسرائيلية، تقريباً، يموّل بالمساعدات الاميركية.

وفي العام ١٩٥٢، أعلنت الحكومة الاسرائيلية ما أطلق عليه «السياسة الاقتصادية الجديدة»، والتي كانت تستهدف تحسين وضع ميزان المدفوعات، وذلك من خلال الحدّ من الطلب على السلع والخدمات، وزيادة الانتاج، وزيادة الصادرات، وتشجيع الاستثمارات الاجنبية[١١]. وقد فشلت هذه السياسة في تحقيق أهدافها، على الرغم من لجوء الحكومة الى التخفيض المستمر في قيمة العملة الاسرائيلية، فاستمرت اسرائيل في الاعتماد على الخارج، وبلغت الديون الخارجية على اسرائيل ٤٠٠ مليون دولار في نهاية العام ١٩٥٣. ويشير الرقم القياسي لعام ١٩٥٤ الى ان تكاليف المعيشة، بالمقارنة بالعام ١٩٥١، قد ارتفعت من مئة الى ٢٠٨، في الوقت الذي ارتفعت الاجور، في تلك الفترة، من مئة الى ١٠٧ فقط، وأصبحت الضرائب تشكل عبئاً ثقيلاً على السكان، حيث كان يستقطع من ٢٠ الى ٥٠ بالمئة من الاجور كضرائب دخل. وفي العام ١٩٥٣، كان هناك حوالى عشرة بالمئة من السكان القادرين دون عمل، وفاقت نسبة النزوح من اسرائيل نسبة الهجرة اليها[١٢].

وعلى الرغم من ذلك، فانه، ابتداء من العام ١٩٥٤، حدث استقرار في التطور الاقتصادي الاسرائيلي. ويرجع سبب ذلك الى المعاهدة الموقّعة بين اسرائيل والمانيا الاتحادية، والتي تنص على التزام المانيا الاتحادية بدفع تعويضات لاسرائيل تصل الى ٨٢٢ مليون دولار كتعويضات عن الخسائر التي لحقت باليهود من المانيا النازية، وكان نصف هذه التعويضات يدفع على شكل معدات وآلات تحتاجها اسرائيل. ولقد بلغت قيمة الواردات الداخلة في حساب التعويضات، العام ١٩٥٣، الى ٧٥ مليون دولار، وهو ما يوازي ربع احتياجات اسرائيل من العملة الصعبة. كما حصلت اسرائيل، قبل بداية عدوانها على مصر، على تعويض من المانيا الاتحادية قدره ٣٠٠ مليون دولار في صورة واردات من المعدات الثقيلة والمواد الخام اللازمة للانتاج.

ولقد ازدادت المعونة الاميركية بقدر كبير؛ اذ بلغت اقصاها في الفترة من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦، حيث وصلت جملتها الى مليار ونصف المليار من الدولارات منذ انشاء اسرائيل وحتى تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٥٦[١٣].

ويتضح من ذلك مدى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على المعونات والدعم الخارجي لكي يستمر الاقتصاد طافياً دون ان ينهار.

المرحلة الثانية، ١٩٥٦ ـ ١٩٦٦

ترتّب على تنامي قوة الثورة المصرية، وازدياد اهتمامها بالقضية الفلسطينية، ودخولها في مواجهة مع الاستعمار البريطاني، ومساعداتها للثورة الجزائرية، ان بدأت النذر بمواجهة سافرة بين مصر واسرائيل، خاصة بعد حوادث الحدود وتوجه مصر الى الحصول على السلاح من المعسكر الاشتراكي. وازداد الاستعداد العسكري في اسرائيل؛ فطبقاً لاحصاءات الاقتصادي الاسرائيلي باتنكين، بلغت المصروفات العسكرية ما يزيد على ٥٠ بالمئة من ميزانية العام ١٩٥٦[١٤]؛ كما نظمت حملات لجمع التبرعات، بالاضافة الى فرض ضريبة عسكرية خاصة[١٥]. ولقد قُدّرت المصروفات العسكرية

المباشرة، المرتبطة بالحرب على مصر، بمبلغ ٢٤٠ مليون دولار، تمّ تمويل هذه النفقات العسكرية من طريق خفض احتياطي العملات الاجنبية، وزيادة الضرائب، وتجميد الاجور، وابطاء عمليات التنمية الاقتصادية، وطلب مساعدات اجنبية، وخاصة من الحكومة الاميركية. وأكد محمد حسنين هيكل الدَيْن على الحكومة الاسرائيلية بالعملات الاجنبية بمدى مساهمة الولايات المتحدة في تمويل الحرب ضد مصر. فقد ازدادت الديون الحكومية الاسرائيلية، في ربيع العام ١٩٥٧، بأكثر من ٢٢ بالمئة، وازدادت الديون قصيرة الاجل، خاصة للولايات المتحدة، بأكثر من ٢,٣ مرة. يضاف الى ذلك ان اسرائيل بدأت المرحلة الثانية من بيع سندات «استقلال اسرائيل»، في أثناء المعارك في شبه جزيرة سيناء، فاستطاعت ان تجمع ٦٠٠ الف دولار في اميركا، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦؛ كما حصلت على تبرعات بلغت ١٢٥ مليون دولار العام ١٩٥٦ من المنظمات اليهودية الاميركية[١٦]. والواقع، لقد تأثر الاقتصاد الاسرائيلي بمشاركة اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر. اذ أدت مشاركتها الى نقص الاستثمارات بحوالى عشرة بالمئة في ميزانية التنمية العام ١٩٥٧/ ١٩٥٨؛ كما اختصرت اعتمادات تطوير الزراعة، وانتاج الكهرباء، ونقصت الاعتمادات المخصصة للاسكان بأكثر من الثلث؛ كما نقص الانتاج الصناعي أيضاً. فبعد ان كان انتاج الصناعة تضاعف، في الفترة من ١٩٤٩ الى ١٩٥٣، ثم ازداد في العام ١٩٥٤ بنسبة ١٥ بالمئة، فانه، في العام ١٩٥٦، لم تتحقق أي زيادة في الانتاج الصناعي على العام الذي سبقه[١٧]. واضطر وزير المالية آنذاك، ليفي أشكول، الى الاعتراف، في خريف العام ١٩٥٧، في الكنيست، بأن حملة سيناء، مع كل الاستعدادات التي جُهّزت لها، قد تركت أثراً عميقاً في الاقتصاد الاسرائيلي.

ولمعالجة ذلك، بدأت الحكومة، في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧، في بيع سندات «قرض الدفاع» بمبلغ ٤٠ مليون ليرة اسرائيلية، واستمرت في تحصيل ضريبة الدفاع.

ونتيجة للمعونات الاجنبية، استطاعت اسرائيل، في الفترة من ١٩٥٨ وحتى ١٩٦٦، أن تبدأ في تطوير اقتصادها، خاصة الزراعة والصناعة. ففي خلال الفترة تلك، حدث أكبر توسع في مساحات الاراضي المستصلحة للزراعة، وطُوِّرت نظم الري، واتجه الاهتمام الى اختصار عدد المحاصيل والتركيز على زيادة غلة المحاصيل باستخدام الوسائل التقنية الحديثة؛ وتوسعت الصناعة الى ان أصبح القطاع الصناعي يمثل أكثر من ٢٥ بالمئة من جملة الانتاج القومي في العام ١٩٦٥.

ورأى الاقتصادي الاسرائيلي باتنكين ان التطور المذكور جاء نتيجة لاعتماد اسرائيل على رؤوس الاموال الاجنبية[١٨]. الّا انه على الرغم من المعونات ورؤوس الاموال الاجنبية، فان هناك سمات مميزة للاقتصاد الاسرائيلي، مثل التضخم المالي الدائم، والخفض المستمر في قيمة العملة الاسرائيلية، والزيادة المستمرة في تكاليف المعيشة، وتضاؤل حجم رأس المال المحلّي المستثمر في الاقتصاد. ومع تزايد هذه السلبيات ترتفع الصيحات في اسرائيل بتزايد الازمة والاخطار بغية استجلاب المزيد من المعونات الاجنبية. وعندما تصل المعونات تعطي جرعة منشطة للاقتصاد، وهكذا دواليك.

المرحلة الثالثة: ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦

لقد كانت سنة ١٩٦٧ حاسمة بالنسبة الى اسرائيل، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية. ففي حزيران (يونيو) من العام المذكور، حققت اسرائيل نصراً على ثلاث دول عربية في الحرب التي سميت بـ «حرب الايام الستة»، والتي أسفرت، من بين ما أسفرت عنه، عن احتلال كامل التراب الفلسطيني، وهضبة الجولان، وصحراء سيناء. كما كانت تلك الحرب نقطة تحوّل هامة في

اقتصاد اسرائيل الذي كان يعاني من متاعب. فقد اعطى انتصار اسرائيل دفعة قوية لاقتصادها، بفعل تأجج الحماس والتعصب لدى يهود العالم، والذي كان من نتائجه تدفق المساعدات على اسرائيل، وأقبال اليهود على الهجرة اليها، فارتفعت الاستثمارات لتصل ٤٤٦ مليون ليرة اسرائيلية العام ١٩٦٨، بعد ان كانت تدنّت الى ٢٥٠ مليون ليرة قبل الحرب، وانخفضت البطالة من ١٢ بالمئة الى خمسة بالمئة وارتفع اجمالي الناتج بأكثر من ١٣ بالمئة، فضلاً عن ان اسرائيل استولت على موارد اقتصادية هائلة نتيجة لاحتلالها للضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء؛ من ذلك، مثلاً، استنزافها لحقول النفط في سيناء، التي أصبحت توفر لاسرائيل حوالى ٩٠ بالمئة من احتياجاتها النفطية؛ كما اصبحت الارض المحتلة سوقاً لمنتجاتها ومصدراً للعمالة الرخيصة وللمنتجات الزراعية.

ولقد كان هيكل الاقتصاد الاسرائيلي، قبل حرب العام ١٩٦٧، يتسم بالاختلال لصالح القطاعات غير السلعية، حيث كان نصيب قطاعات النقل والمال والعقارات والتجارة والخدمات حوالى ٤٧ بالمئة من اجمالي الناتج القومي، في حين كانت الزراعة تمثل نسبة تصل الى ١١ بالمئة، والصناعة ٢٣ بالمئة، والبناء عشرة بالمئة، والقطاع الحربي تسعة بالمئة، وبعد الحرب، ونتيجة لتضخم دور القطاع الحربي، تضاعف نصيبه من اجمالي الناتج حتى وصل ٢١ بالمئة، كما تحسن المركز النسبي للصناعة نتيجة الاهتمام بالصناعات الحربية، وبالتالي ارتفع نصيب الصناعة الى ٢٥ بالمئة من الناتج القومي، وانخفضت مساهمة الزراعة الى سبعة بالمئة، واستمر قطاع البناء يمثل حوالي عشرة بالمئة من الناتج القومي.

كما ازداد معدل النمو للاقتصاد الاسرائيلي في فترة ما بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣؛ واتسمت هذه الفترة بالتركيز على النمو الصناعي، بالاعتماد على مختلف اجراءات الحماية، فبدأ يظهر تغير ملحوظ في هيكل الانتاج الصناعي بانخفاض نصيب الصناعات التقليدية، كالصناعات الغذائية والجلدية والمنسوجات، وارتفاع نصيب الصناعات المعدنية (الآلات الصناعية وآلات الري والمعدات الزراعية وقطع السيارات وصناعة السفن والطائرات)، وكذلك ارتفاع نصيب المعدات الكهربائية والالكترونية. ففي اوائل السبعينات، وصل مجموع الاستثمار الصافي في الصناعات المعدنية والكهربائية والالكترونية الى نحو ٥٠ بالمئة من اجمالي الاستثمارات الصناعية، وتضاعفت قيمة انتاجها بالاسعار الثابتة ثلاثة اضعاف في عشر سنوات (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥)، وارتفع نصيبها، في اجمالي الناتج الصناعي، من نحو ٢٠ بالمئة العام ١٩٦٥، الى نحو ٣٠ بالمئة العام ١٩٧٥. ولقد ساعد على هذا التطوّر ازدياد طلب الصناعات الحربية على هذه المنتجات. وتناقص معدل النمو في الطلب المحلي على الصناعات التقليدية وارتفع معدل نمو الطلب المحلي على السلع الاستهلاكية نتيجة النمو السريع في متوسط الدخل[١٩].

ويمكن القول ان تطوير القطاع الصناعي الاسرائيلي والاتجاه الى الصناعات المتقدمة والدقيقة كان نتيجة الاعتماد على الخبرات العالية من المهاجرين الى اسرائيل، وكذلك الاعتماد على المعونات والاستثمارات الاجنبية. كما استفادت اسرائيل من هذه الصناعات في زيادة حجم صادراتها الصناعية، وخاصة الى الدول المتقدمة التي تعتبر السوق الرئيس لهذه المنتجات، بالاضافة الى تزايد صادراتها العسكرية، ممّا ساهم في خفض العجز في ميزان المدفوعات الاسرائيلي. ولكن، على الرغم من ذلك، لم تكن غالبية الصناعات الاسرائيلية تعمل عند حجم الانتاج الامثل، بل لقد وصلت الطاقات العاطلة، في بعض الصناعات، الى حوالى ٤٠ بالمئة العام ١٩٧٠.

وعلى الرغم من التحسن في اداء الاقتصاد الاسرائيلي نسبياً، الاّ انه، بحكم طبيعة

هذا الاقتصـاد، فان المؤشرات السلبية كانت تتفاقم تباعاً بعد انقضاء مفعول الدفعة القوية التي اعطيت لهذا الاقتصاد. فلقد استمر العجز في ميزان المدفوعات، وتزايد العجز في ميزان الحساب الجاري من ٥٦٠ مليون دولار أميركي العام ١٩٧٠ الى ٨٣٥ مليون دولار العام ١٩٧٦. كما كان متوسط المعدل السنوي للتضخم، خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦، حوالى ٢٣,٧ بالمئة؛ وخلال الفترة عينها كان متوسط معدل النمو السنوي لاجمالي الناتج المحلي ٥,٤ بالمئة، بعد ان كان ٨,٥ بالمئة خلال الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠[٢٠].

وكانت حرب العام ١٩٧٣ نقطة تحول في حياة اسرائيل، حيث استطاعت القوات المسلحة المصرية ان تعبر قناة السويس وتدمّر خط بارليف، وبالتالي لم تستطع اسرائيل ان تقيم، مرة أخرى، مهرجانها الصاخب حول التفوق الاسرائيلي الذي لا يقهر. وأدت هذه الحرب، التي لم تبدأها اسرائيل كالحروب السابقة، الى عديد من الآثار الاقتصادية. فلقد قدّر وزير مالية اسرائيل آنذاك الخسائر المباشرة لحرب تشرين الاول (أكتوبر) بحوالى ثلاثة مليارات دولار؛ كما أدت الحرب الى اعادة النظر في الميزانية وتقليص مخصصات الاستثمار والخدمات، حيث أرتفعت النفاقات العسكرية من ٦,٢ مليارات ليرة اسرائيلية قبل الحرب، الى حوالى ١٥ مليار ليرة بعدها؛ وانخفضت اعداد المهاجرين الى اسرائيل من ٥٦ الف شخص العـام ١٩٧٢، الى نحو ٣٢ ألفاً العام ١٩٧٤؛ كذلك انخفضت معدلات التنمية الاقتصادية من ٩،٢ بالمئة قبل الحرب، الى ٣,٤ بالمئة العام ١٩٧٥[٢١]؛ كما ارتفع العجز في ميزان المدفوعات من مليار دولار العام ١٩٧٢، الى نحو ٣,٥ مليارات دولار العام ١٩٧٤، في الوقت الذي انخفضت التحويلات الاجنبية من ٣٠ بالمئة من العجز في ميزان المدفوعات بعد ان كانت في العام ١٩٧٢ تسهم في تغطية ما يقرب من ٨٥ بالمئة من مجموع العجز هذا[٢٢]..

ونتيجة للمظاهر السلبية هذه، التي توضح طبيعة هيكل الاقتصاد الاسرائيلي، لجأت الحكومة الى اعلان عدد من الاجراءات الاقتصادية، في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤، استهدفت زيـادة الصـادارت، وتقليـل الواردات. وكـان أهم هذه الاجـراءات[٢٣]: ١ ـ تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية بسنبة ٤٣ بالمئة، وهو التخفيض الثامن منذ قيام اسرائيل، ثم اتبعت وسيلة التخفيض الزاحف للعملة بواقع اثنين بالمئة شهرياً؛ ٢ ـ منع استيراد بعض السلع الكمالية لمدة ستة شهور؛ ٣ ـ رفـع التعـرفـة الجمـركية بنسبة ١٥ بالمئة على السلع المستوردة كافة؛ ٤ ـ تجميد الاسعار والاجـور؛ ٥ ـ زيـادة معدلات الضريبة على الارباح الرأسمالية وعلى مؤسسات التأمين والمصارف التجارية لتمويل نفقات الدفاع المتزايدة.

وعلى الرغم من ذلك، فلقد استمرت مظاهر الخلل في الاقتصاد الاسرائيلي، من حيث ارتفاع حجم الديون وتفشي ظاهرة التضخم؛ كما استمر انخفاض معدلات نمو الناتج من عشرة بالمئة العام ١٩٧٢، الى ستة بالمئة في العامين ١٩٧٣ و ١٩٧٤؛ ثم حوالى ثلاثة بالمئة العام ١٩٧٥، فواحد بالمئة العام ١٩٧٦. واستمرت الاسعار في الارتفاع. ففي الفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥، أرتفعت اسعار الوقود أربعة اضعـاف، وارتفعت اسعـار السكر خمسة أضعاف، وخلال الربع الاخير من العام ١٩٧٦ قررت الحكومة زيادة اسعار السلع الاساسية بنسبة ٢٠ بالمئة، واسعار الوقود بنسبة ٥ ـ ١٥ بالمئة واسعار الماء والكهرباء بنسبة عشرة بالمئة.

المرحلة الرابعة، ١٩٧٧ ـ ١٩٨٨

يرجـع تحـديدنا لبداية هذه المرحلة من مراحل تطور الاقتصاد الاسرائيلي الى العام ١٩٧٧،

على أساس انه، في ذلك العام، تولّى تكتل الليكود الحكم، لأول مرة بعد ان كان حزب العمل هو الذي يحكم منذ انشاء اسرائيل العام ١٩٤٨. ويصنّف حزب العمل على انه حزب ذو نزعات اشتراكية، وتقوم سياساته الاقتصادية، بشكل عام، على أساس دور اقتصادي نشط للدولة في المجالات الاقتصادية المختلفة. وقد أسفرت انتخابات الكنيست التاسع، في أيار (مايو) ١٩٧٧، عن فوز الليكود بالحكم، وهو تكتل لأحزاب اليمين في اسرائيل.

ولمعرفة السياسة الاقتصادية لهذا التكتل، والتي يعتبرها البعض بمثابة الانقلاب الاقتصادي في الحياة الاقتصادية الاسرائيلية، لا بدّ من تحديد المبادىء الاساسية لتكتل الليكود والتي على أساسها يضع سياساته المختلفة. ويمكن تحديد هذه المبادىء في[٢٤]: ١ ـ ان «الوطن اليهودي» على ضفتي نهر الاردن يشكل، بأكمله وحدة تاريخية وجغرافية؛ ٢ ـ ان تقسيم «الوطن» هو عمل غير شرعي وغير ملزم للشعب اليهودي؛ ٣ ـ ان مهمة هذا الجيل ان يضمن توحيد الاجزاء المنسلخة عن «أرض الوطن»، وان يقيم عليها السيادة اليهودية؛ ٤ ـ ان عودة الشعب اليهودي الى «موطنه الاصلي» هي أمر حتمي؛ ٥ ـ اقامة مجتمع جديد على كل الاراضي «المحررة»؛ ٦ ـ التوراة يجب ان تكون دستور الدولة الاسرائيلية.

وتعكس هذه المبادىء مدى التعصب والتطرف في فكر الليكود الذي ظهر واضحاً في سياساته، خاصة تجاه الاراضي العربية المحتلة، والتي تجلت في برنامجه لزرع المستوطنات الاسرائيلية، لا سيّما في الضفة الغربية التي يحاول من خلالها تغيير التركيب السكاني لصالح الاسرائيليين. وقد أدى هذا الى وضع مخصصات كبيرة لبرنامج الاستيطان، ممّا انعكس، بدوره، على حجم الانفاق الحكومي.

ويعمل الليكود على احداث تغييرات هيكلية في الاقتصاد الاسرائيلي من طريق[٢٥]:

١ ـ تقليص قطاع الاعمال الخاضع للحكومة، من طريق بيع اسهم الشركات العامة للقطاع الخاص كلما كان ذلك ممكناً، وحرمان القطاع التعاوني من المزايا الاحتكارية.

٢ ـ اخضاع الاقتصاد الاسرائيلي في الداخل، وفي الخارج، لقوى السوق التلقائية، بتحرير قوى العرض والطلب من سياسات الرقابة والاشراف الحكومي، خاصة في ما يتعلق بسعر الصرف وسياسات الاسعار، وتحرير المبادلات الخارجية من صور الرقابة والاشراف الحكومي، والاقتصار على استخدام ادوات السياسة النقدية في مقاومة التضخم ودفع الصادرات.

٣ ـ تقليص الانفاق الحكومي، لا سيما بالتخلص من العمالة الزائدة في القطاع الحكومي وقطاع الاعمال.

٤ ـ تشجيع الاستثمارات المالية الخاصة، سواء المحلية، أو الاجنبية، من طريق رفع القيود المفروضة على النشاط الخاص، أو بمنح صور معينة من الحوافز المالية والضريبية.

٥ ـ التوصل الى نوع من الاستقرار في علاقات العمل بين العمال وأصحاب الاعمال، من طريق الزام العمّال بقبول قرارات التحكيم الاجباري في نزاعات العمل، ومحاولة التوصل الى ايجاد علاقة بين الانتاج والاجر.

وفي محاولة لعلاج المشكلات المستعصية التي يواجهها الاقتصاد الاسرائيلي، والتي تأتي في مقدّمها مشكلة ميزان المدفوعات المتمثلة في العجز الكبير في الميزان التجاري وعبء الدين

القومي، استهدفت حكومة الليكود معالجة هذه المشكلة من طريق الزيادة الفعلية للصادرات، وتقليص الاستيراد، بما في ذلك الاستيراد الامني واقرار سعر تبادلي للعملة يشجع التصدير.

أما مشكلة التضخم الذي وصلت نسبته، وقت تولي الليكود للحكم، ٤٠ بالمئة، فقد استهدف برنامج الليكود كبح التضخم المالي بتقليص العجز في ميزانية الحكومة، وتقليص الاجهزة الزائدة من خلال التحويل المنظم للمستخدمين الى الاعمال الاكثر انتاجية. وعملت حكومة الليكود على تبسيط السياسة الضريبية بانتهاج نوعين من الضرائب فقط: ضريبة تصاعدية على الدخل، وضريبة على القيمة المضافة كنسبة موحّدة على الانفاق.

وبعد عامين من تولي الليكود للحكم، كانت معدلات التضخم آخذة في الارتفاع، وتضخّم فائض الطلب الحكومي الذي وصل، خلال الستة شهور الاولى من العام ١٩٧٩، الى ٢١ مليار ليرة اسرائيلية. لذلك اتخذت الحكومة عدداً من القرارات لايقاف التضخم، هي[٢٦]:

١ ـ اجراء تجميد للقوى البشرية العاملة في جميع القطاعات التي يتم تمويلها من مصادر الميزانية.

٢ ـ تشجيع الاستقالات من الاعمال الخدمية والاتجاه الى القطاع الانتاجي من طريق رفع الحد الاقصى لتعويض الاستقالة الذي لا يخضع للضرائب.

٣ ـ تجميد الاستثمارات الجديدة الخاصة بالبناء والتشييد، فيما عدا الوحدات السكنية.

٤ ـ تجميد جميع اتفاقيات الاجور في القطاع العام حتى الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٨١، على ان تبادر الحكومة، بالتنسيق مع الهستدروت وأصحاب العمل، الى الحفاظ على الاجر الحقيقي.

٥ ـ الغاء عمليات التنمية حتى التي تدخل ضمن ميزانية العام ١٩٧٩، وذلك بغرض تخفيض التضخم وتقليل الفجوة في ميزان المدفوعات. كما لم يتمّ رصد أية مبالغ في ميزانية العام ١٩٨٠ لمشروعات جديدة.

٦ ـ سن قانون «التزام الايداع» من أجل تقليل الاستيراد، وذلك بالزام المستورد بايداع عشرة بالمئة من قيمة الاستيراد لمدة ستة شهور بدون فوائد.

٧ ـ الغاء الدعم تدريجياً عن عناصر الانتاج ورفع سعر الكهرباء.

وأصبح تخفيض سعر العملة الاسرائيلية الاداة الرئيسة للحكومة الاسرائيلية لزيادة صادراتها، ورفع اسعار السلع الاستهلاكية، وبالتالي خفض الطلب عليها، ممّا يقلل من وارداتها. وبهذا تحققت الزيادة في الصادرات وصاحبها نقص في الواردات.

ولاعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على استيراد المواد الاولية اللازمة لصناعاتها، فان تخفيض قيمة العملة أدى الى زيادة أسعار هذه الواردات، ممّا رفع، بالتالي، تكلفة الانتاج، وهو ما انعكس على اسعار التصدير وقلل من فرص نمو الصادرات؛ كما ان الواردات العسكرية لم تتعرض للنقص، ممّا جعل أسعار هذه الواردات ترتفع في ضوء تخفيض سعر العملة؛ وكانت النتيجة استمرار العجز في الميزان التجاري.

ولقد عكس التغير في سعر صرف العملة الاسرائيلية (الشيكل) الاختلاف بين الاسعار المحلية والاسعار الخارجية. وتبعاً لذلك، فان التزايد الحاد في التضخم المحلي، في العامين ١٩٧٩ و ١٩٨٠، كان مصحوباً بتزايد مطرد في معدل تدهور العملة الاسرائيلية، الذي بلغ حوالى ٢٠ بالمئة بالنسبة الى الدولار في الاربعة عشر شهراً التالية لتعديل سعر الصرف في تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٧؛ وزاد التدهور الى ٤٦ بالمئة في العام ١٩٧٩؛ ثم ٥٣ بالمئة العام ١٩٨٠[٢٧]. واستمر مسلسل تخفيض العملة. ففي آب (أغسطس) ١٩٨٣، أعلنت حكومة مناحيم بيغن عن خفض سعر العملة بمقدار ٧,٣ بالمئة. ومع بداية عهد حكومة اسحق شامير، تمّ تخفيض سعر العملة بمقدار ٢٣ بالمئة في تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٣، وأصبح الدولار يساوي ٨٠ شيكلاً بعد ان كان يساوي ٥٣ شيكلاً قبل ذلك بحوالى شهرين. بالاضافة الى ذلك، قامت الحكومة بخفض اعتمادات دعم الغذاء والوقود.

كما أقدمت حكومة شامير على زيادة أسعار السلع الاساسية بنسب تتراوح بين ١٥ و ١٨ بالمئة؛ وكذلك زيادة اسعار الوقود بنسبة ١٥ بالمئة، والكهرباء بنسبة ٢٨ بالمئة؛ وتم اقرار استقطاعات في ميزانية ١٩٨٤/١٩٨٥ تبلغ ٧٠ مليار شيكل، على اساس ان يستقطع ٢٥ مليار شيكل من ميزانية وزارة الدفاع و٤٥ مليار شيكل من باقي الوزارات؛ كما خفضت العلاوات السنوية التي يحصل عليها أصحاب الرواتب بنسبة ٥٠ بالمئة. وعلى الرغم من ذلك، فلقد استمر معدل التضخم في الزيادة حتى وصل الى ١٩٠ بالمئة في بداية العام ١٩٨٤، وهو ما يعد أعلى معدل للتضخم في العالم. كما استمر تراكم العجز في ميزان المدفوعات، حيث ارتفع من ٤,١ مليارات دولار العام ١٩٨١، الى ٤,٧ مليارات دولار العام ١٩٨٢، ثم وصل الى ٥,٥ مليارات دولار العام ١٩٨٣.

ونتيجة لما يعانية الاقتصاد الاسرائيلي من مشكلات مزمنة، حاول وزير المالية، يورام أريدور، وضع خطة ترمي الى ربط صرف الشيكل بسعر صرف الدولار؛ ولكنه، في مواجهة الانتقادات العنيفة لهذه الخطة، اضطر الى الاستقالة، وتعرضت حكومة شامير لثلاثة اقتراحات بسحب الثقة منها في كانون الثاني (ينايير) ١٩٨٤، بسبب فشلها في معالجة الازمات الاقتصادية. وعلى الرغم من استطاعتها الفوز بثقة الكنيست بأغلبية ضئيلة، الاّ انها كانت استنفدت كل فرصها في التغلب على ما يعانية الاقتصاد من أزمات، وذلك بحكم طبيعة الاطراف المكونة لهذا التكتل، وتعارض أهدافها، وبحكم طبيعة الاقتصاد الاسرائيلي ذاته.

حكومة الوحدة الوطنية

اسفرت الانتخابات العامة التي اجريت في تموز (يوليو) ١٩٨٤ للكنيست الحادي عشر عن حصول التجمع العمالي (المعراخ) على ٤٤ مقعداً مقابل ٤١ مقعداً لليكود، وحصول الاحزاب الاخرى، وعددها ١٣ حزباً، على ٣٥ مقعداً. وقد أدت هذه النتيجة الى عدم تمكن أي من الكتلتين الكبيرين من تشكيل الحكومة بمفرده.

وبعد مفاوضات شاقة، اتفقا على تشكيل ما سمي بحكومة الوحدة الوطنية، التي تناوب رئاستها كل من شمعون بيرس واسحق شامير. وكان الهدف الرئيس لهذه الحكومة هو مواجهة الازمة الاقتصادية الخانقة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي.

ولقد أقدمت هذه الحكومة على اتخاذ اجراءات عدة سميت بـ «الرزمة الشاملة»، الاولى والثانية والثالثة، بهدف تخفيض المرتبات والاجور وتجميد الاسعار للسيطرة على التضخم الجامح.

وكالعادة، لجأت اسرائيل الى الحكومة الاميركية، لمنحها مزيداً من الاعانات، فحصلت على ١,٢ مليار دولار في تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٤، كدفعة أولى من المعونة الاقتصادية، وهو ما أطلق عليه الرئيس رونالد ريغان «شبكة الامان»، التي تعمل على «منح اسرائيل مهلة لالتقاط الانفاس قبل اتخاذ السياسات الصعبة والكفيلة بخفض التضخم والعجز في ميزان المدفوعات».

وفي اطار ما سمي بـ «الرزمة الشاملة»، وقّعت الحكومة، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤، اتفاقاً مع أرباب العمل والهستدورت نص على تجميد الاسعار والاجور لمدة ثلاثة شهور، ورفع ضريبة القيمة المضافة. كما عملت الحكومة على زيادة ايراداتها من طريق رفع أسعار العديد من السلع والخدمات.

وعلى الرغم من هذه الاجراءات، كانت الميزانية العامة لعام ١٩٨٥/١٩٨٦ حوالى ٢٣ مليار دولار، بعجز بلغ ثلاثة مليارات دولار. وقد وصلت الميزانية العسكرية الى حوالى ٤,٤ مليارات دولار يتم تمويل ٤١ بالمئة منها من طريق المساعدات الاميركية العسكرية البالغة ١,٨ مليار دولار. ومثّل الانفاق العسكري ٣٠ بالمئة من مجمل الناتج القومي العام ١٩٨٤، بعد ان كان سبعة بالمئة عقب حرب تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٣[٢٨].

أما بالنسبة الى الميزان التجاري، فلقد تحسن بصورة ملحوظة خلال العام ١٩٨٤، وذلك لنمو الصادرات بمعدل أكبر من نمو الواردات، حيث كان معدل نمو الصادرات ١٣,٦ بالمئة، بينما معدل نمو الواردات ٢,٤ بالمئة. ولقد وصلت قيمة الصادرات ٥٨٠٤ ملايين دولار، ومجموع الواردات ٩٨٨٩ مليون دولار، وبالتالي وصل العجز التجاري ٤٠٨٥ مليون دولار[٢٩].

وفي اطار «الرزمة الشاملة» عقد، في اوائل العام ١٩٨٧، اتفاق بين وزارة المالية الاسرائيلية والهستدروت. وبمقتضى هذا الاتفاق تمّ تخفيض نسبة الزيادة في الاجور المرتبطة بالزيادة في الاسعار، والتي حددت بـ ٢,٧ بالمئة، ويتم تقديمها في نيسان (ابريل) ١٩٨٨. أما الاسعار، فاتفق على استمرارها حتى آذار (مارس) ١٩٨٨. والتزمت وزارة المالية بعدم رفع اسعار السلع المدعمة حتى هذا التاريخ، باستثناء أجور الانتقال في المواصلات العامة. وبالنسبة الى رجال الاعمال، فقد ازدادت مساهمتهم في صناديق المعاشات الخاصة بالعاملين بنسبة واحد بالمئة، ابتداء من نيسان (ابريل) ١٩٨٨.

وعند بيان اثر هذه السياسات نجد، من خلال الارقام الصادرة عن الادارة المركزية للاحصاء في اسرائيل، انه، في خلال العام ١٩٨٦، لم تتحقق أية زيادة في انتاج السلع والخدمات؛ كما ان معدل النمو لاجمالي الناتج المحلي كان في حدود واحد بالمئة مقارنة بحوالى اثنين بالمئة في الاعوام الثلاثة السابقة عليه. وبالنسبة الى الادّخار، فقد تقلص الى أدنى مستوياته على مدى أعوام عدة، حيث سجل ٢١ بالمئة في العام ١٩٨٦، مقارنة بـ ٢٤ بالمئة العام ١٩٨٥، و ٣٦ بالمئة العام ١٩٨٤[٣٠]. كما قامت الحكومة بسحب ما يعادل ٦١٥ مليون شيكل من التعامل، وذلك بتخفيض حجم انفاق وزيادة الضرائب المفروضة على العائدات مع طرح سندات حكومية للتداول.

ولقد نجحت حكومة الوحدة الوطنية هذه في كبح جماح التضخم وزيادة الاستثمارات. وبالطبع، فان العلاج الاساسي لمشاكل هذه الفترة كان، كما هو الحال دائماً، مزيداً من المعونات الخارجية، وخاصة الاميركية.

الخلاصة

نخلص، ممّا سبق، الى ان الاقتصاد الاسرائيلي له خصائصه الفريدة التي ينفرد بها عن باقي اقتصاديات دول العالم المختلفة، وان اسرائيل لا تستيطع الحياة دون دفعات قوية من المعونات ورؤوس الاموال الاجنبية في شرايين اقتصادها. فمهما كانت المشاكل مستعصية، فان اسرائيل تجد من يمدها بالعون في الوقت المناسب، سواء بالجهد والعمل والاستيطان داخلها أو باستثمار رؤوس الاموال فيها كما يفعل يهود العالم، أو يمدها بالمعونات والقروض طويلة الاجل، كما تفعل الولايات المتحدة الامريكية. ولا شك في ان هناك سياسة مقصودة من قبل الاسرائيليين في تضخيم حجم مشكلاتهم الاقتصادية، وذلك لتحفيز يهود العالم والقوى الاجنبية المساندة لاسرائيل على تقديم مزيد من الدعم لها.

ومن تتبع مراحل تطور الاقتصاد الاسرائيلي، نجد ان مظاهر الازمة وأسبابها متكررة عبر كل مرحلة من هذه المراحل. فمن تضخم تزداد معدلات ارتفاعه، وزيادة في الواردات عن الصادرات، وبالتالي عجز في ميزان المدفوعات وتزايد الديون الخارجية، الى زيادة في الاستهلاك الخاص وعدم قدرة الحكومة على توفير فرص العمل للباحثين عنه، ممّا يزيد معدلات البطالة، وكذلك يزيد النزوح من اسرائيل.

كذلك نجد ان السياسات الاقتصادية للحكومات الاسرائيلية المتعاقبة كانت تهدف الى تقليص العجز في ميزان المدفوعات، وتخفيض الطلب المحلي، وكبح جماح التضخم، وزيادة الصادرات بمنح اعانات للمشروعات التي تعمل في مجال التصدير. وعلى الرغم من ان هذه السياسات قد نجحت جزئياً، في بعض الاحيان، في لجم، أو ابطاء، وتيرة تفاقم المشاكل الاقتصادية، الّا أن هذه المشاكل سرعان ما كانت تعود الى التفاقم على نحو أوسع وأكثر حدّة.

---

(١) د. فؤاد مرسي، **الاقتصاد السياسي لاسرائيل**، القاهرة: دار المستقبل العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص ١١٧.

(٢) جويل بينين، «اسرائيل؛ الاقتصاد السياسي ومستقبل الدولة العسكرية»، **المستقبل العربي** (بيروت)، العدد ٩١، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٦، ص ١٠٥؛ نقلاً عن **الجيروزاليم بوست** ويكلي، ١٩٨٤/١١/٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٤) د. مرسي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٣.

(٥) لمزيد من التفاصيل، أنظر ميساء سخيطة، «الاستراتيجية الصهيونية في الهجرة...»، **شؤون عربية** (تونس)، العدد ٣٣/٣٤، تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٣، ص ٨٤؛ ومحمد جمال محمد، «التعددية في المجتمع الاسرائيلي»، **المستقبل العربي**، العدد ٨٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٥؛ وهيلدا صايغ شعبان، **التمييز ضد اليهود الشرقيين**، بيروت، مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٧١.

(٦) د. مرسي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٦.

(٧) عصام هاشم، «حقيقة الازمة الاقتصادية في الكيان الصهيوني»، **شؤون عربية**، العدد ٤٠، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٤، ص ١٩٧.

(٨) *Foreign Commerce Weekly*, February 28, 1949, p. 19.

(٩) Saaki, E.; "Israel's New Economic Policy", *Public Finance*, Vol. 9, No. 3, p. 274.

(١٠) *Economic Developments in the Mid-dle East*, New York: United Nations, 1955, p. 122.

(١١) Tadmor, C.; *Israel Economic Survey*, Jerusalem: 1952, p. 9.

(١٢) جالينا نيكيتينا، **دولة اسرائيل: خصائص التطور السياسي والاقتصادي**، القاهرة: دار الهلال، بلا تاريخ نشر، ص ١٨٣.

(١٣) **المصدر نفسه**، ص ١٨٤.

(١٤) Patinkin, D.; *The Israel Economy*, Jerusalem: 1960, p. 55.

(١٥) Boxor, B.; *Israel Shipping and Foreign Trade*, Chicago: 1957, p. 64.

(١٦) نيكيتينا، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(١٧) *Economic Developments in the Middle East, 1955 - 1956*, New York: United Nations, 1957, p. 66.

(١٨) Patinkin, ***op. cit.***, p. 126

(١٩) د. جلال أمين، **المشرق العربي والغرب**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، ١٩٧٩، ص ٦١ ـ ٦٢.

(٢٠) البنك الدولي، **تقرير عن التنمية في العالم، ١٩٧٨، ملحق مؤشرات التنمية الدولية**، واشنطن: البنك الدولي، ١٩٨٣، ص ٨٤.

(٢١) د. السيد عليوه، «الاقتصاد الاسرائيلي اقتصاد حرب»، **الاقتصاد العربي** (بغداد)، العدد ٤، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧، ص ١٢٠.

(٢٢) د. يوسف شبل، «الاقتصاد الاسرائيلي في عشر سنوات»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٤١ /٤٢، ص ٣١٠.

(٢٣) **نشرة منظمة التحرير الفلسطينية** (بيروت)، ١٦/١٢/١٩٧٦، ص ٤٧٤.

(٢٤) **المجتمع الاسرائيلي**، الكتاب الرقم ٢، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ مؤسسة «الاهرام»، ١٩٨٢، ص ٢٥.

(٢٥) **اتجاهات الصحافة الاسرائيلية، كانون الثاني (يناير) ـ حزيران (يونيو) ١٩٧٨**، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ مؤسسة «الاهرام»، ١٩٧٨، ص ١١٥.

(٢٦) «المجتمع الاسرائيلي»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦١.

(٢٧) "Israel-Recent Economic Development", *I.M.F.*, May 1981, p. 78.

(٢٨) **التقرير الاقتصادي العربي الموحّد**، ١٩٨٥، ابو ظبي: صندوق النقد العربي، ١٩٨٦، ص ١٨٩.

(٢٩) **المصدر نفسه**، الجدول ١٥/٢، الملحق الاقتصادي، ص ٤١٤.

(٣٠) **الاهرام الاقتصادي** (القاهرة)، العدد ٩٣٩، ١٢/١/١٩٨٧، ص ٦٠.

القمر الاصطناعي الاسرائيلي وتحديّات الامن العربي

د. نبيل ابراهيم أحمد

في تمام الساعة الحادية عشر وثلاثة وثلاثين دقيقة من صباح ١٩/٩/١٩٨٨، انضمت اسرائيل الى نادي خاص جداً يضم ثماني دول تملك صواريخ متوسطة المدى قادرة على اطلاق قمر اصطناعي الى الفضاء. ومن المنتظر ان يقوم هذا القمر ـ التجريبي ـ والذي أطلق عليه اسم «افق ـ ١»، بالدوران حول الكرة الارضية مرة كل ٩٠ دقيقة، ويبلغ طوله حوالى مترين وثلاثين سنتيمتراً، ويزن ١٥٦ كليوغراماً، منها ثلاثة كليوغرامات معدّات مسح واستطلاع.

ومهما قيل عن المهمة الاستطلاعية، أو التجسسية، لهذا القمر، الاّ ان لا شك في انه يمثّل تهديداً للامن العربي، حسب ما أكدت ذلك الاحاديث التي أطلقها المسؤولون الاسرائيليون. فقد قال الرئيس الاسبق للمخابرات الاسرائيلية (الموساد)، مائير عاميت: «ان اسرائيل سئمت تلقي الفتات وقررت تطوير قدرتها الذاتية في مجال التجسس. ان ' أفق ـ ١ ' يعد أنسب اداة لرصد ما يدور في الاقطار الاخرى في وقت السلم». وقال رئيس وكالة الفضاء الاسرائيلية، البروفيسور يوفال نئمان: «ان اطلاقنا ' أفق ـ ١ ' ينطوي على طاقة عسكرية؛ غير ان اخراجها الى حيّز التنفيذ يحتاج الى المزيد من العمل».

غير ان تصريحات المسؤولين في اسرائيل ما زالت مقتضبة. فلم يزد رئيس الوزراء، اسحق شامير، في تعليقه، على انه «انجاز كبير»؛ أما شمعون بيرس، فقد قال: «يجب الاّ يعتبر هذا الانجاز ضمن سباق التسلح الاستراتيجي في المنطقة». وهكذا ظهرت مخاوف وزير الخارجية من احتمالات قيام الدول العربية باطلاق قمرها الاصطناعي، تحقيقاً للتوازن الاستراتيجي في المنطقة. أما عن الصاروخ الذي يحمل القمر، فتدل الشواهد على انه «اريحا ـ ٢» متوسط المدى، الذي يبلغ مداه حوالى تسعمئة كيلومتر، ويمكن تزويده برؤوس نووية، أو كيميائية.

وتكمن قوة القمر الاصطناعي الاسرائيلي في تلك الكاميرات التلفزيونية المتميّزة التي تمّ تزويده بها، والتي تعمل بالاشعة تحت الحمراء. ويؤكد هذا ان الولايات المتحدة الاميركية قد وقع اختيارها على هذه الكاميرات من صناعة البصريات الاسرائيلية للاشتراك في برنامج «حرب النجوم». ولا تنحصر أهمية اطلاق «أفق ـ ١» في قدراته على تحقيق مهامّه التجسسية فقط، ولكن تضاف اليها عملية الاطلاق التي تمّت بنجاح، والتي أكدت قدرة اسرائيل على تطوير محركات الصواريخ. وحتى لو لم يكن «افق ـ ١» مكلفاً بمهام تجسسية، فان مجرد ارساله الى مداره بنجاح يعني ان اسرائيل ستستطيع اطلاق مركبات تجسس فضائية أخرى في مدى زمني لن يزيد على ثلاث سنوات.

تطوّر صناعة الفضاء في اسرائيل

كانت البداية في شهر تموز (يوليو) ١٩٦١، حينما التقت مجموعة من المسؤولين الاسرائيليين، ابرزهم دافيد بن ـ غوريون وغولده مائير وشمعون بيرس، حين تجمّع هؤلاء من أجل مشاهدة اطلاق اول صاروخ اسرائيلي «شافيت»، الذي انطلق الى مسافة لم تتعد ٨٠ كيلومتراً، سقط بعدها. ثم تطوّرت هذه الصناعة مدعمة بتقدم علمي اسرائيلي، وأجنبي، ومساعدات مالية من دول مختلفة. وكانت ثمرة هذا التخطيط تطوّر الصاروخ غبريئيل، والصاروخ أريحا الذي تمّ بواسطته اطلاق القمر «أفق ـ ١». وفي العام ١٩٨١، وبالتعاون مع صناعة الفضاء الاوروبية، استطاعت اسرائيل ان تخطو خطوات سريعة تكلّلت بالنجاح باطلاق قمرها الاصطناعي الاول. وتأمل، استكمالاً لهذا النجاح، ان تتمكّن من اطلاق القمر الاصطناعي «عاموس» في العام ١٩٩١، وهو قمر خاص بالاتصالات، وتساهم فيه وكالة الفضاء «اريانا»، الفرنسية. بالاضافة الى ذلك، فقد توّجت اسرائيل تعاونها مع الدول العاملة في مجال هذه الصناعة بتوقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الاميركية العام ١٩٨٦، وهو الاتفاق الذي، بمقتضاه، يمكنها الاطلاع والتعرف مباشرة على احدث التطورات التكنولوجية الاميركية، والخاصة بحرب النجوم.

البعد العلمي والتكنولوجي لصناعة الفضاء

استطاعت اسرائيل، بخصوصية علاقتها مع الولايات المتحدة الاميركية، ان تتعلق بها مدّعية بامكانية اسهامها بقدر في هذا المشروع. الاّ ان هدفها الرئيس كان الاستفادة من التقدم العلمي الذي حقّقته الولايات المتحدة الاميركية في مجال صناعة الفضاء، بالاضافة الى ما تحصل عليه من دول اوروبا، خاصة فرنسا. وبذلك تمكّنت من ان تحرز موقعاً متميزاً بين الدول المتقدمة في هذه الصناعة، واستطاعت تطوير صناعتها المتعلقة بالفضاء، مثل محركات الصواريخ ومعدات المسح والاستطلاع والكاميرات التلفزيونية والخلايا الضوئية، بالاضافة الى المعدات الارضية، مثل الحاسبات الآلية التي تستقبل معلومات الفضاء. لقد تمكنت اسرائيل من تحقيق هذا التقدم بفضل اشتراكها في بحوث «حرب النجوم» مع الولايات المتحدة الاميركية بلا شك، علاوة على التخطيط الاستراتيجي الذي بدأته العام ١٩٦١. وباطلاق القمر الاصطناعي الاسرائيلي، بدأ سباق للتسلّح من نوع جديد في الشرق الاوسط ، حيث تسرب سباق التسلح التقليدي الى الفضاء، تقوده اسرائيل وبدون منافسة، بقدرة على الاطلاع وكشف اعماق واسرار الدول العربية، من المغرب الى الخليج.

ومهما قيل عن هذا القمر انه نموذجي تجريبي سيبث طيلة اسابيع تقارير بواسطة اشارات لاسلكية، الاّ ان من الواضح، وطبقاً للتجارب السابقة، ان من يبدأ في غزو الفضاء، فانه ملزم بمواصلة التجارب حتى يحقق النجاح المخطط له؛ أي ان اسرائيل سوف تطوّر قدرتها على صنع اقمار اصطناعية كوسيلة انذار ذاتية، علاوة على امكان استخدامها في الاغراض المدنية. وقد عبّر عن هذا رئيس مجلس ادارة الصناعات الجوية الاسرائيلية، مردخاي هود، حين قال ان مؤسسته تدرس، الآن، عرض تقديم خدمات اطلاق اقمار اصطناعية لدول مختلفة في العالم، ممّا يدر على اسرائيل أرباحاً متوقعة تقدر بنحو مليار دولار سنوياً.

وهكذا، لم تغفل اسرائيل البعد الاقتصادي لهذه الصناعة، حيث وضعت في اعتبارها ان قدرتها الاقتصادية لن تمكنها من استمرارية التقدم في هذا المجال، خاصة وان الارقام المبدئية ـ كما ذكر خبراء الفضاء في اوروبا ـ تشير الى ان تكلفته قد قاربت المليار دولار وليس ١٩٠ مليون دولار

كما تدّعي اسرائيل. وأياً كان الرقم الصحيح، فان اسرائيل لن تترك فرصة تسويق مثل هذا التقدم العلمي الاّ وستستغلها بما يعوّضها التعويض الذي يوفر لها الاستمرارية في هذا المجال.

ان تكنولوجيا الفضاء التي اخترقتها اسرائيل من طريق اطلاقها للقمر الاصطناعي تعتبر أحد مجالات التكنولوجيا المتقدمة وهي التي سوف تحدد، وحتى اوائل القرن المقبل، من هي الدول العظمى في النظام الدولي. وهذه المجالات هي: تكنولوجيا الفضاء، وتكنولوجيا الهندسة الوراثية، وتكنولوجيا الاتصالات الالكترونية، وأخيراً تكنولوجيا الحاسبات الآلية.

ان التكنـولوجيات الاربع السابقة متداخلة، متصلة ببعضها، وأصعبها، بلا شك، تكنولوجيا الفضاء؛ أي طالما ان اسرائيل تمكّنت من التوصل الى اسرار صناعة الفضاء، فان من السهل عليها التعامل مع الثلاث الاخرى. وهذا معناه ان التخطيط الاستراتيجي لها يبنى على ان تحتل مكانتها كدولة كبرى قبل نهاية هذا القرن.

ان استشراف المستقبل يؤكد ان معايير القوة التقليدية في طريقها الى الزوال، وستحل محلها معايير جديدة تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة؛ أي انه لا مجال، الآن، للتحدث عن ظروف اطلاق هذا القمر، أو مدى اسهام كل من الولايات المتحدة وأوروبا فيه، سواء في التمويل أو المساعدة الفنية. ان أسلوب الدول العربية الذي تتناول به القضايا الهامّة لن يجدي في مثل هذه الحالة، لأن قضايا التقدم العلمي هي قضـايا مصيرية، ومن ثمّ، فان ما وصلت اليه اسرائيل هو الذي يجب ان يكون محل الدراسة، وهو الذي يطرح على مائدة الحوار الاستراتيجي، وليس كيف وصلت اسرائيل اليه ؟ ان دراسة الكيف تكون من اجل الاستفادة به كتجربة وخبرة، وليس لتسفيهه وتحقيره حتى تمر العاصفة الاعلامية التي تحيط به.

البعد الامني للقمر الاصطناعي الاسرائيلي

أكّـدت اسرائيل، دائماً، التهديدات التي يتعرض لها امنها القومي، وانها دولة ليس لها عمق استراتيجي يمكنها من تلقي الضربة الاولى، لأن حدودها مع دول المواجهة لا تعطيها الزمن المسموح به من تلقي الانذار حتى بدء الاستعداد للقتال؛ ومن ثم، فان نظرتها الى الامن القومي تعتمد، كلية، على نقل ميدان المعركة الى خارج أراضيها، بالاضافة الى ضرورة توفر المبادأة لديها لتوجيه ضربة اجهـاض لأي قوة عربية تحاول الهجوم عليها. هذه السياسة هي التي تحدّد استراتيجية القتال الاسرائيلية، أي بيانات حديثة يتم تحويلها الى معلومات يستفاد منها في اتخاذ القرار المناسب. ولقد كانت القـوات الاسرائيلية تعتمد، الى وقت قريب، على التعاون مع اجهزة المخابرات الاميركية، وفي الوقت عينه تخطط لتقليص هذا الاعتماد وتحقيق قدر أكبر من الاستقلالية عن الولايات المتحدة. ولم يكن هذا خافيـاً عن اجهـزة المخـابـرات العربية. فقد طوّرت اسرائيل اسلحتها النووية، وصناعة الطائرات، وصناعة الصواريخ متوسطة المدى، وتعمل، الآن، في مجال صناعة الصواريخ طويلة المدى. والقارىء لتاريخ اسرائيل المتتبع له يدرك البعد الامني الواضح في السياسات الاسرائيلية المختلفة، ومـدى التصميم على دعم قدرتهـا الدفـاعيـة؛ أي ان الهـدف الاكبـر واضح، ومحدد، وما القمر الاصطناعي، أو الصواريخ، الخ، الاّ وسائل لتحقيق هذا الهدف. ولا يقصد بذلك العرض تعظيم قدرة اسرائيل حتى نصل بأنفسنا الى حد الاحباط أو التقليل من شأنه. ان مصادر المعلومات المختلفة ـ منـذ الستينـات ـ تحذر الدول العربية من التقدم العلمي الاسرائيلي ومن الخطوات الجادة التي تخـطوها لدعم امنها القومي. ولكن رد الفعل العربي كان بطيئاً، ولم يحسن الاستفادة ممّا وصل

اليه من معلومات. وعلى الرغم من التكلفة الاقتصادية التي تصاحب مثل هذه الصناعة، فان الواضح ان الولايات المتحدة الاميركية، سواء من خلال دعم نقدي مباشر أو استثمارات في تجارب «حرب النجوم»، تقوم بتمويل جزء كبير من التكاليف؛ أي ان اسرائيل، من طريق الاموال الاميركية، تمول برنامجها الاستقلالي عن الولايات المتحدة. وهكذا نجد ان المعلومات المتعلقة بصناعة الفضاء الاسرائيلية تكاد تكون معلنة ويعرفها الجميع، وكان آخرها ما أعلنه رئيس الاركان الاسرائيلية الاسبق، مردخاي غور، في حديث له: «ان اسرائيل بدأت في تطوير قمر اصطناعي خاص بها بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، بعد أن رفضت واشنطن تزويدها بمعلومات كافية التقطتها الاقمار الاصطناعية الاميركية... ان المعلومات التي تجلبها الولايات المتحدة تكون أحياناً غير كاملة، أو تصل متأخرة، كما حدث عند حرب يوم الغفران...».

وهكذا وجدت اسرائيل سبباً جديداً لهزيمتها في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣. ولكن هذه المبرّرات غير مسموح لها في تبرير اطلاق القمر الاصطناعي. ان هذا الاطلاق ليس موقفاً تكتيكياً ينتهي بسقوط القمر، أو حتى استمراره في الامداد بالمعلومات. انه يعبّر عن استراتيجية دولة في اختراق مجال علمي جديد يعتبر قمة التكنولوجيا وبداية الطريق الى دولة قوية. ان الخلافات الاميركية ـ الاسرائيلية التي يدعي بها بعض المسؤولين في اسرائيل، يمكن التوصل الى حل لها يرضي الاطراف المعنيّة، ولكن هذه هي عادة اسرائيل في اخفاء الحقائق لتبرير سياستها العدوانية امام الرأي العام العالمي. أما وقد اتضح البعد الاستراتيجي من اطلاق القمر الاصطناعي، فالدور على الدول العربية لتحديد الاهداف المطلوبة في المرحلة المقبلة، انطلاقاً الى تخطيط استراتيجي عربي تشترك فيه الامكانات العربية.

التخطيط الاستراتيجي العربي لتحقيق اهداف المرحلة المقبلة

ساهم الاعلام العربي، منذ اطلاق القمر الاصطناعي الاسرائيلي، سواء قاصداً أو غير قاصد، في اضفاء قدر كبير من الاهمية على هذا الحدث. وتعدّدت التفسيرات عن ابعاد هذا الانجاز. الّا ان اغلب ردود الفعل العربية لا يتعدى الشجب والاستنكار، ناهيك عن التقليل من الآثار الحقيقية المترتبة على هذا العمل. لقد اطلقت اسرائيل قمراً اصطناعياً من أجل اهداف محددة لا تعلمها الّا القيادة السياسية الاسرائيلية. هذا القمر كانت له وسيلة اطلاق عبارة عن صاروخ لم يتم التعرف عليه، انما هو في الغالب «اريحا ـ ٢». وكثرت التعليقات، وأغلبها يركّز على البعد الاستطلاعي وعلى امكان استخدام الصاروخ «اريحا ـ ٢» في اطلاق رؤوس حربية نووية الى اي هدف يبعد من اسرائيل في حدود ألف كيلومتر. ولقد تناست هذه التعليقات ان من ضمن وسائل اطلاق الرؤوس النووية الطائرات المجهزة لذلك الغرض؛ وبالطبع لدى اسرائيل منها العديد، والّا لما كانت اجهدت نفسها في صناعة نووية بدون وسيلة اطلاق؛ أي أن الفرضية من استخدام الصاروخ في اطلاق نووي لا تشكل بعداً حقيقياً. أما البعد الاستطلاعي وحداثة المعلومات، فان حجم الانفاق على هذه الوسيلة يعتبر باهظاً بالنسبة الى العائد منها، أي ان تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية في الحصول على المعلومات ـ وهذا ميسور ـ يعتبر أجدى.

اذن، فالبعد الحقيقي من اطلاق هذا القمر هو البعد العلمي والتكنولوجي، أي حزمة متكاملة من الاهداف الاستراتيجية تبعد كثيراً من الاهداف المعلنة. هذه الحزمة تشكل التحدي الحضاري للدول العربية جميعها؛ بمعنى، لم تعد الوسائل أو الانجازات التي تعلن عنها اسرائيل هي التحدي؛ لم

تعد القنبلة النووية أو الصاروخ الذي سوف يطلقها أو حتى الصناعة الحربية مجتمعة هي التحدي الذي يواجه الامة العربية؛ انما التحدي، الآن، هو اسرائيل نفسها، والتقدم العلمي والتطور التكنولوجي الذي حققته، أو الذي تسعى الى تحقيقه؛ هذا التقدم هو الذي سيجعل منها دولة قوية مصنّفة ضمن الدول المتقدمة.

أمّا وقد تعرّفنا على اهداف اسرائيل الحقيقية، وظهر حجم الاخطار المحيطة بالوطن العربي، فان من الواجب على الدول العربية ان تحدد اهدافها المستقبلية، تمهيداً لتبنّي استراتيجية عربية. هذه الاستراتيجية لن يتم تنفيذها الّا من خلال أعلى سلطة سياسية في الدولة، لأن مثل هذه الصناعة غالباً ما تتطلب دعماً سياسياً يمكنها من تذليل الصعاب التي قد تعترضها. ان الفرصة مواتية، فالخبراء والعلماء العرب متوفرون في الوطن العربي، والموارد المادية متاحة، ولا ينقص الّا الاطار المؤسسي والمناخ العلمي المناسب، أي انشاء مؤسسة عربية لصناعات الفضاء لها اهداف استراتيجية واضحة، أهمّها تقليص الفاصل الزمني وتحقيق التوازن الاستراتيجي ـ خاصة في مجال صناعة الفضاء ـ بين الدول العربية واسرائيل، مع التركيز على ان هذا الهدف مرحلي، أي ان التفوق العلمي والتكنولوجي العربي لا بد وان يكون هو الهدف الرئيس.

لم يعد هناك شك في ان لا سلام في المنطقة العربية بدون توازن في القوى. وان ما تدعي به اسرائيل من ضرورة تفوقها الكمي والكيفي في المعدات بات يشكل نوعاً من الابتزاز نحن في غنى عنه، ومن ثم اصبح لزاماً على الدول العربية ان تستعد لمعركة علمية ضارية تخوضها ضد عدو شرس، وتكون الغلبة فيها لمن يحسن استخدام موارده، خاصة الدعم السياسي.

ردود الفعل الاسرائيلية على «اعلان الاستقلال»

تباينت ردود الفعل الاسرائيلية على القرارات التي أصدرها المجلس الوطني الفلسطيني، في دورته التاسعة عشرة غير العادية في الجزائر، التي تضمّنت اعلان وثيقة الاستقلال، والبيان السياسي بالدعوة الى عقد المؤتمر الدولي للسلام، على أساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨، مقرونين بحق تقرير المصير والعودة.

لقد خلقت القرارات تلك حالة من القلق والارباك داخل الكيان الاسرائيلي، وأغلقت الطريق أمام خياراته، بما فيها «الخيار الاردني» الذي يتبنّاه حزب العمل، وذلك بعد اعتراف الاردن بالدولة الفلسطينية المستقلة، وخيار «الحكم الذاتي» الذي يتبنّاه الليكود، بعد اعتراف مصر.

فعلى الصعيد الرسمي، اتسمت غالبية ردود الفعل الاسرائيلية برفض قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، حيث انبرت المحافل السياسية، أي قيادة الحزبين، الليكود والمعراخ، لمقاومة هذه النقلة النوعية في تطور القضية الفلسطينية بشكل خاص، والنزاع العربي ـ الاسرائيلي بشكل عام، وذلك على جبهتين: الاولى، محاولة التقليل من أهمية الحدث واستشفاف معاني خفية لقرارات المجلس الوطني تتناقض مع المفهوم المعلن، والتشكيك في صدق نوايا م.ت.ف. مهما صدر عنها من قرارات؛ والثانية، عبر التحرك السياسي الواسع للحؤول دون اضفاء الشرعية الدولية على قرارات الجزائر، ولمنع توالي اعتراف دول العالم بالدولة الفلسطينية المستقلة.

وفي هذا السياق، أيضاً، اصدر مدير عام هيئة الاركان الاسرائيلية، بايعاز من وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، تعلمياته الى موظفي الهيئة بالتعتيم، اعلامياً، على وقائع اجتماعات المجلس، وبالذات كلمة زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، التي أعلن فيها قيام الدولة الفلسطينية المستقلة. لكن، على الصعيد البرلماني، كان هناك انقسام في الكنيست؛ اذ اعتبر معسكر اليسار ان قرارات المجلس جاءت لتعبّر عن واقعية جديدة في العمل الفلسطيني، وعن اتجاه ايجابي ينبغي النظر اليه والتعامل معه.

موقف الحكومة

أعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، رفضه لقرارات المجلس. قال: «اننا نعارض اقامة دولة فلسطينية في أرض ـ اسرائيل... على اسرائيل الاستعداد لخوض حرب سياسية ضد الاعتراف السياسي بقرارات الجزائر... سوف نعمل على اقناع العالم بأن الاعتراف بالقرار معناه المساعدة في عملية القضاء على اسرائيل» (**يديعوت أحرونوت**، ١٥/١١/١٩٨٨). وفي مقابلة مع اذاعة «أوروبا واحدة»، أعرب شامير عن رفضه ان يكون عرفات مفاوضاً، وقال: «ان تبنّي م.ت.ف. القرار ٢٤٢، كأساس للمؤتمر الدولي، هو مناورة تكتيكية، وان هدف المنظمة لا يزال القضاء على اسرائيل» (**عل همشمار**، ١٧/١١/١٩٨٨).

وفي مقابلة مع صحيفة «معاريف» (١٨/١١/١٩٨٨)، قال شامير: «ان وجود م.ت.ف. بحد ذاته، وعملياتها، لهما أمر موجّه ضد اسرائيل، وان م.ت.ف. تستعين، في ذلك، بأطراف عديدة. وعندما فشلت عملياتها الارهابية في ارباك الحياة في اسرائيل أخذت تستخدم وسائل تضليل سياسي لارباك العالم، وللظهور في صورة الاعتدال. والواقع انه لا يوجد لديهم أي تفكير، أو قدر بسيط من النيّة، لتغيير هدفهم الاساسي، المتمثّل في الرغبة في تدمير اسرائيل؛ ومن واجبنا ان نكشف للعالم... دعاية م.ت.ف.».

وفي السياق ذاته، صدر بيان عن مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية جاء فيه: «ان قرارات م.ت.ف. واعلان الدولة الفلسطينية المستقلة هما مناورة اعلامية مضلّلة، تهدف الى خلق انطباع من اعلان لمنفذي

' الاضطرابات ' في [الضفة الغربية] وقطاع غزة» (**معاريف**، ١٦/١١/١٩٨٨). وحسب قول الناطق بلسان الحكومة الاسرائيلية، فان «القرارات والاعلانات التظاهرية الاخيرة قد اثبتت ان المنظمات ليس لها علاقة بالواقع، وليس من شأنها التأثير في المسار السياسي. فما زالت م.ت.ف. متمسّكة بايديولوجية معارضة وجود اسرائيل، وتتطلع الى ازالتها وفقاً للبرنامج المرحلي الذي تتبعه؛ وبهذا، فهي ما زالت ضد السلام. أما اسرائيل، فما زالت متمسّكة بتوجهاتها نحو السلام، عبر اجراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية، وممثلين فلسطينيين ليسوا أعضاء في م.ت.ف. بهدف تجسيد اتفاقيتي كامب ديفيد» (**المصدر نفسه**).

اتفق مع هذا الرأي القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير الخارجية، شمعون بيرس، اذ قال: «لقد أثبتت م.ت.ف. مرة أخرى، ان ليس لديها القدرة والرغبة للاعتراف بالواقع. وقد اتسمت تصريحاتها الاخيرة بعدم الوضوح والتفسيرات المزدوجة؛ ولذا، فان أي اعتراف، أو اضفاء طابع الشرعية على تلك القرارات، لن يخدم مصلحة السلام في الشرق الاوسط» (**يديعوت أحرونوت**، ١٥/١١/١٩٨٨).

وفي الاطار ذاته، قال الناطق بلسان وزارة الخارجية الاسرائيلية، الون ليئل: «ان اعلان الاستقلال الفلسطيني الذي صدر عن المجلس الوطني هو مسار من جانب واحد؛ وان ذكر القرار الرقم ٢٤٢ بالصيغة التي ورد فيها لا يظهر اعترافاً باسرائيل. فقد ربطت م.ت.ف. اعترافها بالقرار ٢٤٢ بقبول مبدأ حق تقرير المصير وقبول باقي قرارات الامم المتحدة ازاء الشرق الاوسط ، وهذه الشروط تظهر عدم فائدة الاعلان... ان اعلان حق تقرير المصير وفق صيغة م.ت.ف. معناه العملي ازالة اسرائيل...» (**معاريف**، ١٦/١١/١٩٨٨).

وفي بداية الحملة الاعلامية ضد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، قال بيرس ان «قرارات المجلس لم تؤد الاّ الى تعقيد الوضع في الشرق الاوسط» (**يديعوت احرونوت**، ١٨/١١/١٩٨٨). وادعى بيرس، خلال لقائه بستين سفيراً اجنبياً معتمدين في اسرائيل، بأن «القرارات ليست الاّ محاولة لتغيير القرار ٢٤٢، ومن ثمّ قتل هذا القرار» (**معاريف**، ٢٠/١١/١٩٨٨). وأضاف: «ان قرارات م.ت.ف. تثبت ان المنظمة تغفل نظرية المراحل الخاصة بها على تحديد ورسم حدود؛ وان القرارات لا تتضمّن اعترافاً بأسرائيل، أو نبذاً للارهاب، أو اعترافاً بالقرار ٢٤٢» (**يديعوت أحرونوت**، ٢٠/١١/١٩٨٨).

أما وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي، اريئيل شارون، فقد كان أكثر تطرفاً في رفضه، ليس للقرارات الفلسطينية فحسب، وانما للوجود الفلسطيني برمّته؛ اذ قال: «طالما ان م.ت.ف. موجودة ونشطة، فلا يمكن ان يكون هناك سلام في منطقتنا. واننا ننظر بعين الخطر الى القرارات التي اتخذت في الجزائر، لأن هذه القرارات من شأنها زيادة ' الارهاب ' » (**عل همشمار**، ١٧/١١/١٩٨٨). وطالب شارون الحكومة بتطبيق القانون الاسرائيلي، فوراً، على أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى لا تكون هناك امكانية لاقامة دولة فلسطينية غرب نهر الاردن (**معاريف**، ١٦/١١/١٩٨٨). وانتقد شارون الآراء القائلة ان هناك تغيّراً سياسياً في مواقف م.ت.ف. وقال: «ان ما فعلته هو مجرد مسار غير عادي في سياق توجهها الاعلامي نحو الخارج. ومن المحتمل ان تخدع دول العالم بهذا المسار. وانه لمن المؤسف، حقاً، ان يرحّب الحاخام الاكبر ليهود فرنسا بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني». وحذّر شارون من ان كل موقف يهودي، أو اسرائيلي، لصالح م.ت.ف. في اعقاب تلك القرارات، سوف يمهّد الطريق لاعتراف دول العالم بـ م.ت.ف. (**يديعوت احرونوت**، ١٧/١١/١٩٨٨).

ولم يترك شارون هذه المناسبة تذهب هدراً دون تصفية حساباته مع حزب العمل، حيث عاد وأكد انه «لم يكن باستطاعة المجلس الوطني الفلسطيني ان يتخذ ما اتخذه من قرارات لو لم نكن قد فقدنا السيطرة الامنية داخل اسرائيل، ولولا أوهام شمعون بيرس السياسية» (**المصدر نفسه**). وحذّر شارون من ان «اعلان الاستقلال الفلسطيني ليس كلمات فقط؛ فهو سيؤدي الى اعتراف من قبل دول كثيرة بالدولة الفلسطينية؛ وان م.ت.ف. سوف تحظى بشرعية أوسع، بينما تقف اسرائيل ازاء خطر متزايد في موضوع الامن، وفي الموضوع السياسي أيضاً» (**المصدر نفسه**). ورفض القرارات الفلسطينية، كذلك، رئيس الاركان الاسرائيلية، دان شومرون، بقوله: «لا يوجد في اعلان م.ت.ف. أي اعتراف باسرائيل؛ كما لا يوجد قرار واضح بشأن ايقاف النشاط

المعادي لأسرائيل. ان الاعلان لا يتضمّن أي جديد، باستثناء التوجّه الى مشاعر سكان المناطق [المحتلة]، وهو اعلان غامض ولا يتضمن ردوداً واضحة... وبعد موجة الابتهاج في المناطق [المحتلة] سوف يحصل تحوّل ويضطر السكان الى محاسبة الذات، لأنهم هم وحدهم من سيدفع الثمن» (**المصدر نفسه**، ١٥/١١/١٩٨٨).

بيان الحكومة

قبل ان تعقد الحكومة الاسرائيلية جلستها لمناقشة قرارات المجلس الوطني، عقد الطاقم الوزاري المصغر جلسة بتاريخ ١٦/١١/١٩٨٨، ساد فيها اجماع على ان «القرارات لا تتضمّن تغيراً جوهرياً، وان من الواجب الاستعداد لاحباط الاعتراف الدولي بالدولة الفلسطينية المستقلة». وكان الوزير عيزر وايزمان الوحيد، تقريباً، الذي قال بوجوب البحث، أيضاً، عن الجانب الايجابي في القرارات (**هآرتس**، ١٧/١١/١٩٨٨). وبتاريخ ٢٠/١١/١٩٨٨، عقدت الحكومة الاسرائيلية جلستها الاسبوعية، التي صدر في ختامها بيان، جاء فيه: «ان اعلان المجلس الوطني الفلسطيني هو عملية أخرى من تكديس الاوهام لخداع الرأي العام العالمي، وان م.ت.ف. لم تغيّر ميثاقها وسياستها وأساليبها. ويجدر بنا ان نوجه اهتمام الدول المعنيّة بدفع مسيرة السلام في الشرق الاوسط قدماً، ونقنعها بأن م.ت.ف. كانت العقبة الاساسية أمام السلام؛ ولذا، ينبغي ان تمتنع هذه الدول عن منح تأييد واعتراف باعلان المنظمة، وان السلام بين اسرائيل وجاراتها لن يتأتى الّا من طريق المفاوضات. أما ' المناورة' الاخيرة من قبل المجلس الوطني الفلسطيني، فلن تؤدي الّا الى الحؤول دون اجراء مفاوضات جادة ومفيدة. وكل من يقدّم يد العون الى م.ت.ف. في هذا الشأن، فهو انما يمنع، أو يبعد، السلام عن منطقتنا» (هآرتس، ٢١/١١/١٩٨٨).

وزارة الخارجية؛ هجوم اعلامي

بدأت وزارة الخارجية الاسرائيلية، بتوجيهات شمعون بيرس، بـ «هجوم اعلامي» واسع في الدول كافة، لاقناعها بأن اعلان الاستقلال الفلسطيني لا يتضمّن أي جديد. ففي اليوم التالي لصدور اعلان الاستقلال، عقد وزير الخارجية، بيرس، اجتماعاً لادارة وزارته، تمّ الاتفاق خلاله على وجوب العمل في الدول كافة، بما فيها تلك التي من المفترض ان تعترف بالدولة الفلسطينية المستقلة. وقبلت ادارة الخارجية اقتراح الوزير بيرس بالتركيز على تنفيذ ثلاثُ نقاط مبدئية، هي:

« ○ المجلس الوطني الفلسطيني لم يقرر نبذ ' الارهاب ' ، بل على العكس انه يشجع ' الارهاب ' داخل اسرائيل، على غرار قتل الاطفال واستخدام الزجاجات الحارقة ورشق الحجارة. وهذه الحقائق تجسّد نوايا م.ت.ف. أكثر من قرارها الاخير. واذا كانت م.ت.ف. تدّعي بأنها لا توجّه ' الاضطرابات ' في المناطق [المحتلة] يتوجب عليها اثبات ذلك. واذا لم تنجح، فهذا يعني انها لا تسيطر على الارض.

« ○ ان القرار ٢٤٢ لا يحتمل أية اضافات؛ وكل اضافة هي بمثابة تغيير، خاصة وان اعلان الاستقلال يذكر حق تقرير المصير للفلسطينيين وحق العودة، اللذين يعتبران بمثابة فرض شروط مسبقة قبل بدء المفاوضات.

« ○ لا توافق اسرائيل على الاعتراف الغامض بها، أو الاعتراف المشروط بحقها في الوجود. هذا لأن اسرائيل ليست مستترة، أو دولة مع وقف التنفيذ» (**دافار**، ١٧/١١/١٩٨٨).

وفي اطار الجهد الاعلامي المبذول لاحباط تأثيرات القرارات الفلسطينية، اجتمع بيرس مع ستين دبلوماسياً أجنبياً في اسرائيل، حيث أعرب، لأول مرة، عن تشاؤمه من احتمالات عقد مؤتمر دولي، مشيراً الى ان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني واعتراف الاردن بالدولة الفلسطينية المستقلة، يقلّصان احتمال عقد مؤتمر دولي (**عل همشمار**، ٢٠/١١/١٩٨٨). كما قرأ متحدث باسم الخارجية الاسرائيلية بياناً جاء فيه: «ان قبول مبدأ حق تقرير المصير، وفقاً لمفهوم زعماء م.ت.ف. يعني، عملياً، القضاء على اسرائيل. وان م.ت.ف. جعلت نفسها مرفوضة لأن تكون شريكاً في مسيرة السلام، وذلك على خلفية نشاطها، بما فيه الاستخدام المستمر لاعمال ' الارهاب ' »

(يديعوت أحرونوت، ١٦/١١/١٩٨٨). وفي بيان لاحق، قال المتحدث نفسه: «لقد أصبح لدينا، الآن، حضور أكبر لـ م.ت.ف. وحضور أصغر للاردن في مفاوضات السلام المرتقبة. فاذا لم يعد الاردن مفاوضاً، ولم يعد هناك فلسطينيون نستطيع التفاوض معهم، فليس هناك مبرّر لعقد المؤتمر الدولي» (عل همشمار، ١٨/١١/١٩٨٨).

كذلك ساهم في الحملة الاعلامية رئيس الحكومة الاسرائيلية، شامير، الذي قال انه ينوي طرح بديل للمؤتمر الدولي؛ وهـذا البديل هو عقد لقاء يشمل جميع الاطراف لاجراء مفاوضات، بمن فيها وفد فلسطيني وممثلو الدولتين العظميين، بهدف اضفاء شرعية دولية على المفاوضات. كذلك عرض شامير، في مقابلة صحافية، تفاصيل حول الموضوعات التي سيناقشها مع الرئيس المصري، حسني مبارك؛ ومنها مفاوضات دون شروط مسبقة لحل القضية الفلسطينية، على ان تجرى المفاوضات على أساس اتفاقيتي كامب ديفيد، أو أي شيء مماثل؛ ودعوة مصر والاردن ووفد فلسطيني للمشاركة في المفاوضات التي ستجرى على مرحلتين: الاولى لقاء بين الوفود لا تبحث فيه مسألة السيادة؛ والثانية، مفاوضات مباشرة حول التسوية الدائمة تهدف الى ايجاد حل مقبول لدى جميع الاطراف (يديعوت أحرونوت، ١٥/١١/١٩٨٨).

مواقف احزاب وتيارات سياسية

الى جانب مواقف الحزبين الكبيرين، الليكود والمعراخ، اللذين اجمعا على رفض قرارات المجلس الوطني واعلان الاستقلال الفلسطيني، كانت هناك مواقف متفاوتة لاحزاب أخرى؛ منها من رأى في القرارات خطوة ايجابية من جانب م.ت.ف. لكنها غير كافية، ومنها من كان متطرفاً للغاية في رفضها، داعياً الى التصدي لها عبر اقامة المستوطنات الجديدة في المناطق المحتلة وتكثيف الاستيطان القائم وزيادة عدد المستوطنين.

من ضمن الفريق الاول، دعا حزب مبام، في بيان أصدره حول الموضوع، الحكومة الاسرائيلية الى الامتناع عن الرد المتسرّع الرافض لقـرارات المجلس الوطني، ورأى انه ينبغي على اسرائيل فحص المركبّات المختلفة لقرارات الجزائر والتمسّك بالايجابيات التي تضمن مدخلاً للحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني نحو اجراء مفاوضات شاملة للسلام في الشرق الاوسط، حتى التوصل الى حدود آمنة ومعترف بها بين اسرائيل وجيرانها. وأضاف مبام «ان الاطلاع الاولي على قرارات الجزائر يشير الى ان م.ت.ف. نفّذت مرحلة أخرى في مسار الانفصال عن الميثاق الفلسطيني، وقامت بخطوة ذات دلالة نحو شملها في مفاوضات السلام في المنطقة، كممثل للشعب الفلسطيني... هذه هي اللحظة التي من المحتمل ان تجسّد فيها الجرأة الاسرائيلية صيغة باريف ـ شيمطوف والتوصل الى مفاوضات سلام على أساس اعتراف فلسطيني بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨، والاعتراف باسرائيل على أساس متبادل واتفاق مشترك على الخروج الفوري من دائرة العنف والعداء» (عل همشمار، ١٦/١١/ ١٩٨٨).

وفي السياق ذاته قالت حركة «راتس» ان اعتراف المجلس الوطني الفلسطيني بمبدأ تقسيم البلاد دون تحديد حدود، واعترافه بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨، يتضمّن خطوة ذات معنى الى تحقيق سلام وفض النزاع بين الشعبين المقيمين.

وقال عضو الكنيست، يوسي ساريد: «ان قرارات الجزائر لا تشكّل انعطافاً حقيقياً؛ انما ممّا لا شك فيه ان م.ت.ف. وضعت نفسها على مفترق طرق... يمكننا ان نأمل الاستمرار على هذا الطريق حتى الاعتراف الكامل والرسمي باسرائيل، ونأمل في ان لا يطول ذلك أكثر من اللازم... ان م.ت.ف. التي تتبنى مبدأ تقسيم البلاد، والاعتـراف غير المباشر، والاستعداد للمفاوضات، ليست هي م.ت.ف. نفسها التي تبنّت الميثاق الفلسطيني. وهذا، بحد ذاته، ليس تطوراً بسيطاً. من الافضل ان تستعدّ اسرائيل، في أقرب وقت، لمرحلة الاعتراف المتبادل بين الشعبين، والتفاهم فيما بينهما» (هآرتس، ١٦/١١/١٩٨٨).

ومن جهته، رحّب رئيس لجنة الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني، لطيف دوري، باسمه وباسم اللجنة، بقرارات المجلس الوطني بشأن اعلان استقلال الدولة الفلسطينية المرتكزة على قرارات الامم المتحدة، بما فيها قرارا مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨. وجـاء في بيـان اصـدرتـه اللجنـة: «ان تركيـز هذا الاعتـراف على المبـادىء

الديمقراطية والعدل والمساواة يشكّل شهادة تقدير لشعب ناضل من أجل حق تقرير المصير... ان هذا الاعلان يشق الطريق، أيضاً، للاعتراف المتبادل مع اسرائيل، لأن هذا الاتفاق سوف يتمّ بين دول». وندّدت اللجنة، بشدة، بحكومة اسرائيل على ردّها السلبي الرافض لليد الفلسطينية الممدودة للسلام. ودعت قوى السلام في اسرائيل الى البدء بنضال عنيد ومثابر ضد السياسة الخطرة التي تنتهجها الحكومة الاسرائيلية، التي من المحتمل ان تتسبب بحرب جديدة (**عل همشمار**، ١٦/١١/١٩٨٨).

وفي السياق ذاته، بعثت «حركة ٢١ عاماً على الاحتلال» ببرقية تهنئة الى الزعماء الفلسطينيين في المناطق المحتلة قالت فيها: «في الجزائر أُسّست الدولة الفلسطينية... اعلان الجزائر هو خطوة حاسمة نحو السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط والمصالحة بين الشعوب... ما زلنا ننتظر اعترافهم الواضح والصريح باسرائيل ونبذهم للارهاب... وبصفتنا متمسكين بنهج الحركة الصهيونية التي ناضلت من أجل حق تقرير المصير للشعب اليهودي، فاننا نرحّب بخطوتكم نحو تقرير المصير للفلسطينيين واقامة دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل. ان حكومة اسرائيل تتجاهل، عن سبق اصرار، روح الواقعية التي تجلّت في الجزائر، لكي تخلّد الاحتلال والقمع في المناطق المحتلة. نعاهدكم على الاستمرار في النضال ضد هذه السياسة، وضد اهداف حكومة اسرائيل، والسير نحو خلق اجواء الودّ في اسرائيل من اجل مدّ يد السلام الى الحركة الفلسطينية» (**المصدر نفسه**).

وتقاطعت مع هذه المواقف ادارة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح)، لكن دون ابداء تحفظات، حيث رحّبت بقرارات الجزائر، معتبرة اياها ذات أهمية تاريخية بالغة، لكونها صادرة عن المجلس الوطني الفلسطيني. ويعتقد «راكح» بأن ليس لدى حكومة اسرائيل أي تبرير منطقي لرفض مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط بمشاركة م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. واعتبر ان قرار اقامة دولة فلسطينية، سوية مع المطالبة بعقد مؤتمر دولي للسلام على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨، يساعد كثيراً قوى السلام في اسرائيل للنضال من أجل اعتراف اسرائيل بـ م.ت.ف. والانسحاب من المناطق المحتلة واقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل، من اجل المستقبل السعيد لكلا الشعبين (**المصدر نفسه**).

الاحزاب الدينية

اجمعت الاحزاب الدينية الاسرائيلية على رفض قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وشكّكت في مصداقيتها. فقد قال زعيم الحزب الديني القومي (المفدال)، افنير شاكي: «ان اعلان الاستقلال الفلسطيني لا يتضمن أي سند قضائي أو عملي، اضافة الى ان وزنه السياسي صغير جداً. بشكل عام، لم يقصد من الاعلان سوى كسب الرأي العام... وهو يتناقض، بشكل لا يقبل التأويل، مع اتفاقيتي كامب ديفيد، اللتين لا تتضمنان أي ذكر لاقامة دولة فلسطينية في [الضفة الغربية] وقطاع غزة». ووصف شاكي الاعلان بأنه «نمر من ورق، وان الردّ القاطع عليه من جانب حكومة اسرائيل، سوف يعبّر عنه عبر زيادة الاستيطان في [الضفة الغربية] وغزة، وتكثيف المستوطنات القائمة وزيادة عدد سكانها» (**هاتسوفيه**، ١٦/١١/١٩٨٨).

شاركه في هذا الرأي زعيم حركة «شاس»، الحاخام اسحق بيرتس، الذي قال: «من الصعب، حالياً، التطرق الى الموضوع، لأننا لم نحصل الاّ على اجزاء من اعلان الجزائر. غير ان الاعلان، بحد ذاته، يبدو وكأنه اعتراف غير مباشر باسرائيل... ومن الواضح انني أعارض، كلياً، اقامة دولة فلسطينية، لأن مثل هذه الدولة سوف تكون بمثابة السرطان في جسم اسرائيل» (**يديعوت أحرونوت**، ١٧/١١/١٩٨٨).

أما حركة غوش ايمونيم الاستيطانية الدينية، فقد أعلنت «ان الرد الصحيح على اعلان الاستقلال الفلسطيني في الجزائر، هو عبر دفع وتيرة الاستيطان، والسير قدماً في تطوير المستوطنات القائمة، ورفض المؤتمر الدولي، والقضاء على الانتفاضة» (**عل همشمار**، ١٧/١١/١٩٨٨).

آراء وتعليقات أخرى

شغل اعلان الاستقلال والبيان السياسي الفلسطيني حيّزاً في الحياة السياسية الاسرائيلية أبعد مدى

من الحيّز الذي حاولت التصريحات الرسمية للحزبين الكبيرين، الليكود والمعراخ، اعطاءه. فقد دقق المعلقون والمحللون الاسرائيليون المعنيّون بتطورات الموقف الفلسطيني، بحرص شديد، في الموقف الفلسطيني الراهن، بحثاً في التحوّل الواقعي والعقلاني الذي انتهجه القادة الفلسطينيون خلال الفترة المنصرمة من الانتفاضة.

فقد سأل المعلق السياسي لصحيفة «معاريف»، يوسف حاريف، عن الخلافات في الرأي بين شامير وبيرس تجاه قرارات الجزائر، قائلاً: «لقد قال اسحق رابين خلال حملة انتخابات الكنيست الثاني عشر انه يؤيد الحل الوسط الاقليمي (والموجود، عملياً، في خطة الجنرالات، الذي يقف خلفها). فاذا كان معنى المبدأ المقبول لدى المعراخ بشأن ' الارض مقابل السلام ' الانسحاب الشامل من المناطق [المحتلة]، فان رابين يتنازل عن مثل هذا السلام. ولم نسمع بأن بيرس يؤيد اعادة كل المناطق [المحتلة]، علماً بأن ثمة في حزب العمل كثيرين يبدون استعداداً لذلك اذا ما كان السلام كاملاً. فهل يوجد في الجانب الثاني ـ بين القائلين بالاردن وبين القائلين بالفلسطينيين ـ من هو مستعد، بشكل عام، لحل وسط اقليمي ؟ الحقيقة هي ان المشترك بين المعراخ والليكود أكثر من المختلف عليه. فبيرس الذي أيّد عقد مؤتمر دولي كوسيلة للوصول الى مفاوضات مباشرة مع الاردن، أعلن انه، بالوصول الى المفاوضات، سوف يقترح على الاردن تسوية مرحلية. وها هو شامير، أيضاً، المعارض لفكرة المؤتمر الدولي، يتحدث عن تسوية مرحلية مع الاردن. أكثر من ذلك، يميل شامير، أيضاً، الى الموافقة على شيء ما فيه أساس لمؤتمر دولي؛ بمعنى انه بدل ان تدعى الاطراف برعاية كل اعضاء مجلس الامن، يكون الامر برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فقط» (**معاريف**، ١٦/١١/١٩٨٨).

ابعاد قرار اعلان الاستقلال

في سياق الحديث عن ابعاد قرار اعلان اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، قال البروفيسور شاؤول فريدلندر، من جامعة تل ـ أبيب: «لا شك في انه يوجد في الاعلان بعد رمزي هام. فهو مشحون بالعاطفة؛ ولا يدور الحديث، هنا، عن فرحة فارغة، وانما ديناميكية جديدة». ورداً على سؤال اذا ما كان الشعب الفلسطيني، الذي أعلن استقلاله وهو واقع تحت السلطة الاسرائيلية، يستطيع الاكتفاء بهذا الاعلان، قال: «لا أعتقد بأن في الامكان العيش على هذا المنوال سنوات عديدة. ومن الجائز، قطعاً، ان تقرر حكومات متعددة، في اعقاب الاعلان، ان تعترف بالدولة، على الرغم من عدم وجود أرض لها. ولا أشك في ان ذلك سيكون له تأثير على مكانة المناطق [المحتلة]». وحول العبرة التي ينبغي استخلاصها من قرارات الجزائر قال فريدلندر: «العبرة التاريخية هي انه لا يمكن قهر حركة تحرر وطني بالقوة. وسوف نرتكب خطأ تاريخياً، وانسانياً، اذا قمعنا بالقوة حركة كهذه ولم نتوصل معها الى معالجة» (**دافار**، ١٦/١١/١٩٨٨).

وعلّق آخر على النقطة ذاتها قائلاً: «ان اعلان م.ت.ف. عن اقامة دولة فلسطينية اشار الى احداث تغيير في سلّم اولويات المنظمة: منذ العام ١٩٧٤، قرّرت م.ت.ف. ان الدولة الفلسطينية يجب ان تكون نهاية المطاف لمجمل الجهود الرامية الى انسحاب اسرائيل من [الضفة الغربية] وقطاع غزة. واقامة ' دولة الآن ' في الوقت الذي لا تزال اسرائيل موجودة في المناطق [المحتلة] يشير الى اتجاه م.ت.ف. نحو تحويل اعلان الدولة الى وسيلة في مسار انسحاب اسرائيل. ولا شك في ان قرار استباق الامور لم يكن يتأتى لولا الانتفاضة في المناطق [المحتلة]، التي سرّعت المسارات وخلقت وضعاً جديداً. ليس صدفة، أبداً، ان دورة المجلس الوطني الفلسطيني، التي اطلقت عليها م.ت.ف. ' دورة الانتفاضة ' ، هي التي اعلنت قيام الدولة الفلسطينية. وم.ت.ف. تعتقد بأن الانتفاضة اثبتت للجميع ان لدى الشعب الفلسطيني رغبة عامة في التخلّص من اسرائيل والالتصاق بها كمجسّدة للهوية القومية الفلسطينية» (ماتي شتينبرغ، «التغيير على الرغم من الازدواجية»، **هآرتس**، ١٨/١١/١٩٨٨).

اتفق مع هذا الرأي معلّق آخر، حيث قال: «مرّت شهور صعبة على عرفات حتى انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني. فمن جهة، لقد واجه ضغطاً كبيراً من قبل سكان المناطق [المحتلة] الذين طلبوا منه ترجمة المكاسب الاعلامية للانتفاضة الى انجاز سياسي؛ ومن جهة أخرى اصرّت منظمات الرفض بألّا تسمح بأي اعتراف باسرائيل. وهذا يعني ان الانتفاضة هي التي صبّت الزيت في طاحونة التحرك الفلسطيني وحملت قيادة

م.ت.ف. على التقدم بخطوات واسعة نحو بلورة المواقف وتحديدها بما يتلاءم مع الواقع القابل للتحقيق والقادر على تجنيد الرأي العام وحكومات الدول في كل قارات العالم لصالح حل القضية الفلسطينية» (دافار، ١٦/١١/١٩٨٨).

وقال البروفيسور يهوشع بورات، من الجامعة العبرية في القدس: «صحيح ان مناقشات المجلس الوطني الفلسطيني واعلان الاستقلال لم يغيّرا شيئاً من ناحية الواقع الميداني، غير ان الاعلان هو دليل نوايا. ولقد أصبحت نيّة م.ت.ف. لاقامة كيان قومي موقفاً رسمياً الآن. وهي أعلنت انها تريد اقامة دولة في المناطق [المحتلة] التي ستنتسحب منها اسرائيل. وثمة تغيّر ملموس اضافي يكمن في تبني قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، وهناك أهمية كبرى في انهم أكدوا ذلك» (**المصدر نفسه**).

وفي اطار الحديث حول اعلان الاستقلال الفلسطيني، وابعاده على الوضع في المنطقة، كتب المعلق السياسي لصحيفة «هآرتس» (١٨/١١/١٩٨٨): «لقد وقعت اسرائيل، في الماضي، في اخطاء بالغة الخطورة، بعد انتصارها العسكري في حرب الايام الستة في العام ١٩٦٧. فموشي دايان انتظر مكالمة هاتفية من الملك حسين، بدلاً من قيامه بتقديم اقتراح تقوم اسرائيل، بموجبه، بسحب الجيش الاسرائيلي من معظم المناطق التي احتلها خلال الحرب. ولم تكن هناك امنية لتشجيع حركة غوش ايمونيم على ارسال المستوطنين الى المناطق [المحتلة] كما فعل كل من يغئال آلون (الخليل ـ كريات أربع)، وشمعون بيرس (سبسطية، كدوميم ـ أ، وكدوميم ـ ب وعوفرا)، وبسرعة أكثر اريئيل شارون.

«لقد تنكّر مناحيم بيغن لاتفاقيتي كامب ديفيد وحال دون تنفيذهما عبر تعيينه د. يوسف بورغ رئيساً للجنة الوزراية للمفاوضات حول الحكم الذاتي مع مصر. كذلك عرقل شامير مبادرة بيرس السياسية، التي حصل عبرها على موافقة الملك الاردني على عقد مؤتمر دولي دون صلاحية فرض الحلول. وكل خطأ كان أكبر ممّا سبقه.

«غير ان الاعتراف بهذه الاخطاء كافة لا يعني، بالضرورة، انه ينبغي على اسرائيل قبول شروط الاعلان السياسي الفلسطيني كعقاب لها، وشطب اثر الحرب ' الدفاعية ' التي فرضت عليها، ومساعدة م.ت.ف. في التباهي، في القاهرة، وعمّان، بأنها استطاعت ان تمحو أثر هزيمة الجيوش العربية في تلك الحرب. ان عرفات واتباعه يوهمون أنفسهم اذا اعتقدوا بذلك». وختم معلق الصحيفة بالقول: «ان هذا لا يعني، بالضرورة، ان م.ت.ف. لا تصلح شريكاً في المفاوضات. فمع صعوبة نسيان فظائع العشرين عاماً من ' الارهاب ' الفلسطيني داخل اسرائيل، وعلى حدودها الشمالية، وفي وسط البحر، وعواصم العالم، ومطارات أوروبا، من الممكن افتراض قبول مشاركة م.ت.ف. سوية مع الاردن في المفاوضات حول ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية. غير ان اعلان الاستقلال الفلسطيني يضع عراقيل جمّة على هذا الطريق».

اهداف الاعلان

كتب المعلّق العسكري لصحيفة «دافار» (١٦/١/١٩٨٨): «ان لاعلان الجزائر هدفين: حمل الولايات المتحدة على الحوار المباشر والعلني مع م.ت.ف. وتزويد الانتفاضة بالوقود، بعد ان بدأ وقودها بالنفاد. ومن السابق لأوانه تحديد مدى تحقيق الهدف الاول؛ لكن الهدف الثاني قد تحقق على ما يظهر».

أما شموئيل سيغف، فقد كتب: «ان قرارات الجزائر، في ما يتعلق بطريقة الاعتراف بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، لا تلبي الشروط الاميركية والاسرائيلية للتفاوض مع م.ت.ف. لهذا لا تستطيع اسرائيل ان ترى في قرارات الجزائر تسليماً فلسطينياً بوجودها، واستعداداً لنبذ الارهاب، كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية. لكن من الخطأ عدم الاعتراف بالمسار الفعّال هذا، وينبغي اعتباره خطوة في الاتجاه الصحيح، لكنها غير كافية... اذا لم تعترف اسرائيل بالتقدم البطيء، على الرغم من انه غير كاف من م.ت.ف. فانه سيصبح من المشكوك فيه ان ينظر العالم، بجدية، الى الاعلام الاسرائيلي، ومن المشكوك فيه ان نستطيع بلورة سياسات مناسبة مع الولايات المتحدة في هذا الموضوع» (**معاريف**، ١٦/١١/١٩٨٨).

اتفقت مع هذا الرأي صحيفة «يديعوت أحرونوت» (١٥/١١/١٩٨٨)، فكتبت: «بعد اختتام المجلس الوطني الفلسطيني لاعماله، يمكن القول ان م.ت.ف. قامت بخطوة في الاتجاه الصحيح. لكن، من وجهة نظر اسرائيل والولايات المتحدة، انها خطوة صغيرة جداً. فعرفات يتحدث عن الاعتدال والمرونة، لكنه لم يعلن، بشكل قاطع، نبذ الارهاب؛ ووافق على القرار ٢٤٢، لكن منظّمته لم تعترف باسرائيل».

وفي السياق ذاته، قال يورام دنشتاين ان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني «يمكن ان تشكل تحولاً في العلاقات الاسرائيلية ـ العربية، لو انها اعترفت بحدود اسرائيل القائمة منذ اربعين سنة. لكن بدلاً من ذلك، اختار الفلسطينيون نشر اعلان ليس له سوى اهداف دعائية ورمزية. فقد اخرجوا من محفظة التاريخ قرار التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، وكأنه لم تطرأ أية احداث هامة في المنطقة منذ ذلك الوقت. أكثر من ذلك، فقد تجاوز الاعلان ذلك القرار وحدد القدس عاصمة للدولة العربية، الامر الذي يعني انهم يطالبون، فقط، بانسحاب اسرائيل من المناطق [المحتلة] كافة. لقد عدّلوا قرار التقسيم واضافوا اليه القدس عاصمة والتي، حسب القرار، تبقى خارج اطار الدولتين، العربية واليهودية معاً، بل تحت رعاية دولية.

«كثيرة هي العبارات والمقاطع، التي وردت في اعلان الاستقلال الفلسطيني، مقتبسة من اعلان استقلال اسرائيل في أيار (مايو) ١٩٤٨. وليس هناك شك في ان عرفات يريد ان يتحوّل الى بن ـ غوريون فلسطيني. لكن بينما اقام بن ـ غوريون دولة يهودية، فان عرفات أعلن فقط اقامة دولة فلسطينية» (**المصدر نفسه**، ١٦/١١/١٩٨٨).

حرب المراحل

كتب موشي ايشون مقالة نشرها في «هاتسوفيه» (١٨/١١/١٩٨٨)، تحت عنوان «حرب المراحل»، جاء فيها: «لقد أعاد المجلس الوطني الفلسطيني بقراره اعلان الاستقلال الفلسطيني، عملياً، النزاع الاسرائيلي ـ العربي الى شتاء العام ١٩٤٧. وبطبيعة الحال، لا يمكن النظر اليه على انه يشكل ' انطلاقة نحو السلام' ، كما حاولت أوساط معيّنة اسرائيلية تفسيره. هذا القرار يحتوي على عنصر السير قدماً بخطر حرب جديدة في المنطقة. لهذا يجب عدم اعطاء أهمية خاصة للبيان السياسي الذي رافق الاعلان، بشأن استعداد م.ت.ف. الاعتراف بقرار مجلس الامن ٢٤٢.

«ان قرار الجزائر يغيّر الوضع الذي كان قائماً في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧... كذلك يتناقض مع اتفاقيتي كامب ديفيد اللتين تشيران الى اعطاء حكم ذاتي للفلسطينيين في [الضفة الغربية] وقطاع غزة. لهذا، يجب علينا قراءة الخارطة الشرق أوسطية الجديدة التي تطالب م.ت.ف. بعرضها على الساحة الدولية، بصورة صحيحة. هذه الخارطة ليست فقط غريبة علينا، بل، ايضاً، تقوّض أسس الدولة اليهودية القائمة على ' أرض ـ اسرائيل' ... علينا الانتباه لحقيقة توقيت عقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر. فقد تزامن هذا التوقيت مع ذكرى مرور سنة من عمر الانتفاضة في [الضفة الغربية] وقطاع غزة. والهدف من هذا التوقيت هو نفخ الروح في راشقي الحجارة والزجاجات الحارقة...

«هذا استمرار مباشر لـ ' حرب المراحل' التي تديرها المنظمات [الفدائية] ضد اسرائيل. فهذه المنظمات، حتى وهي تعلن عن استعدادها للحوار بشأن السلام، فان هذا الاعلان ما هو الاّ استمرار للاتجاهات العامة في م.ت.ف. ألا وهي اقامة دولة فلسطينية مستقلة على ' أرض ـ اسرائيل' ، يستطيع اليهود العيش فيها كأقلية».

صلاح عبد الله

التلفيق في الادب العبري

Kostler, Arthur; *La Tour d'Ezre,* Paris: Colmann-Lévy, 1974, 434 Pages.

حفل هذا القرن بكتّاب يجرون وراء الاحداث الكبرى؛ بعض عن انتساب صميمي وايمان ثوري وبعض رغبة في المغامرة للمغامرة او سعياً وراء الشهرة: هيمينغواي، مالرو، لوركا، استورياس يزودا، وكثيرون سواهم. منهم أرثر كوستلر الذي نحن في صدد الحديث عنه.

هنغاري الاصل، يهودي الديانة. ولد سنة ١٩٠٥. بعد ان شبَّ، رحل واهله الى انكلترا وتجنس بالجنسية البريطانية. وكتب كل آثاره باللغة الانكليزية، منذ بداية شبابه.

ظهرت على اولى كتاباته الميول الشيوعية واضحة، وبخاصة في الفترة التي كثر فيها اليهود في القيادات الشيوعية. ولمّا قامت الجمهورية الاسبانية وطردت الملك الفونسو الثالث عشر، تحمّس لها حماساً شديداً، حتى اذا انقض عليها الجنرال فرانكو اشترك في القتال ضده وقاتل حتى سقوط مدريد.

من هناك رحل الى الاتحاد السوفياتي، فوصله في نهاية المحاكمات الشهيرة؛ وما لبث ان غادره معارضاً له وكتب «ظلام في رابعة النهار»، الرواية التي ترجمت الى الفرنسية بعنوان «الصفر واللانهاية». ويكاد يجمع النقاد على أن هذا الكتاب هو أهم ما كتب كوستلر. أمّا أنا، فأعتقد بأن أهميته جاءت من ترويج الرأسمالية له. وأرى أن أهم ما كتب هو «برج عذرا» ومجموعة المقالات التي تحمل اسم «اليوغي والكومبير»، وبخاصة المقالة التي تحمل ذات العنوان.

عندما قرأت «الصفر واللانهاية» كان حكمي انه يهودي ينضم الى اليهود الذين خرّبوا في الاتحاد السوفياتي؛ كل الذين أعدموا بنتيجة تصفيات سنة ١٩٣٦ وما تلاها هم يهود. ويبدو ان معركة ستالين معهم ظلت مستمرة حتى موته، بل أذهب الى انها ما زالت قائمة.

بعد ان غادر الاتحاد السوفياتي، جاء فلسطين مع من جاءها من عشيرته وعمل مع جماعة الارغون في بناء المستعمرة التي تحمل اسم الكتاب والتي هي في الواقع «عين غيف». ولقد ظل محافظاً على هذا الاتجاه حتى سنة ١٩٦٧، حين أعلن ان اليهودي أصبح حراً في اختيار وطن له بين الارض التي يقيم عليها أو اسرائيل التي يجب، آنئذٍ، ان يرحل اليها، وان تلغى ازدواجية المواطنة، فيخلص لوطن اقامته أولاً.

ان الذي حفزني الى كتابة نقد لهذه الرواية هو احتواؤها على الافكار الصهيونية حول انشاء الدولة في جو التحدي للعرب، والحقد عليهم، دون رياء ولا مواربة.

يبدأ باهداء الرواية الى جابوتينسكي ورفاقه في عين غيف، ثم يستهلها بجملة لأحد أوائل بناة المستعمرات: «اننا ندع الحياة القديمة التي صارت كريهة لدينا ونبدأ مرة أخرى، من البدء. ان ما نريده ليس تغييراً أو تحسيناً. نريد ان نبدأ من البدء».

يلاحظ القارىء، منذ البدء، ان كوستلر يمتّ الى تنظيم حزبي (هو الارغون)، وانه يبشّر بأفكار يحاول نفسه تكريسها، وانه يدعو ـ حزبه ـ الى الانفصال، والى الابد، عن النموذج اليهودي المعروف في التاريخ: صورة

شيلوح وهزار وضعته يجب ان تدفن في سجل المستقبل. والغريب أنه لا يتخذ من التوراة الّا نموذجاً واحداً هو المكابيون الذين قضوا في انتحار جماعي، أظنه كان الاول في التاريخ المعروف لدينا.

هذه الفكرة تلاحقه في كل صفحات الرواية، كأنه يتنبأ بموت جماعي يهودي جديد. والموت يراود كل شخوص الرواية. وهي تبدأ بأن يقول جوزيف (البطل الرئيس): «اذا وجب ان اقتل اليوم، فلن يكون بالسقوط من الشاحنة... قالها وقد تمدّد على ظهر الشاحنة التي تنقله الى برج عذرا كمصلوب. كأنه يريد ان يقول ان الذاهبين الى بناء مستعمرة، يذهبون وقد وطّدوا أنفسهم على ان يصلبوا... على الموت بطريقة يختارونها هم وليس الصدفة».

ثم يأتي على وصف أبطال الرواية، فرداً فرداً، وينتقي اكثرهم من نزلاء السجون النازية، ان لم نقل كلهم. وهنا يقع الكاتب في اخطاء عديدة، عبر الكتاب، لكنها، برأينا، متعمدة؛ منها ان عدد القتلى اليهود في اوروبا بلغوا خمسة ملايين. وهذا خطأ شائع يذكره الناس في اوروبا دون التحقق من صحته، مع ان عدد جميع اليهود فيها ـ ما عدا الاتحاد السوفياتي ـ كان أقل من مليونين ونصف المليون. وقد سمعت بكتاب ـ لم استطع الحصول عليه ـ هو اطروحة دكتوراه قدمت الى جامعة تولوز، ينفي صاحبها كل الاسطورة التعذيبية التي يتوجع بها اليهود، جملة وتفصيلاً. لا يخفى، طبعاً، ان اناساً منهم ـ وعددهم كبير ـ قد وضعوا في السجون، لكن سلخ الجلود وحرق الاحياء ليس سوى تدجيل دعائي.

أما الكتاب الذي أشرنا اليه، فقد اختفى من السوق بعد نشره، ولم يطبع ثانية، كما هو مصير أي كتاب ينشر في اوروبا واميركا ضد الدعوة الصهيونية.

يلحّ كوستلر على ان هؤلاء القادمين هم ورثة اسرى بابل وهم ابناء عذاب استمر ألفي عام؛ عائلة روتشيلد نفسها منهم، ذاقت ـ في رأي كوستلر ـ العذاب ذاته؛ أما ثروتها، فقد جاءت عفو خاطر ما جرى لها من احداث.

يصرّ، في الرواية، على ضخامة ما يشتريه الصندوق الصهيوني من أراض عربية وغلاء الاسعار التي يدفعون؛ لكنه نسي ان كل ما اشتروه حتى سنة ١٩٤٧ لا يتجاوز اثنين بالمئة من مجموع الارض الزراعية في فلسطين، وأن جل هذه النسبة باعهم اياها اناس غير فلسطينيين. وهذا الاحصاء مأخوذ عن دائرة المساحة البريطانية أيام الانتداب؛ أما بعد العام ١٩٤٨، فقد تبدلت النسبة، تبدلاً فظيعاً، لأن شريعة أخرى غير شريعة القوانين المرعية في دول العالم سنّت وطبقت.

ولقد اتبع خطة في روايته تقضي بأن يتحدث عن نماذج معينة يقابل فيها عربياً بيهودي، وملأ الصفحات بالتغني بالنماذج اليهود، فيما جعل من العرب شعباً لا يستحق الحياة.

دينا فتاة حييّة غريبة الاطوار تعشق وترفض الحب، لأنها تعقدت من المعتقل؛ يقابلها مختار قرية الطابغة السمين، الضخم، الذي يتميز عن الوسط الذي يعيش فيه بأنه يعيش في بيت قذر، ولكنه مبني بناء متيناً، ولو انه غير جميل؛ يسمو كثيراً على بيوت اللبن المهترىء في القرية، ممّا يجعل من المختار أعلى مستوى.

كان ضابطاً في الجيش العثماني. قاتل ضد الجنرال اللنبي. وما زال يحتفظ من حياته العسكرية بمنظار استخدمه كيما يرى ما يفعل المعمّرون الذين نزلوا، فجأة، في «هضبة الكلاب».

أول صورة عن المختار، عندما نظر فرأى المعمّرين يعملون، انه ارتجف واصفرّ ولاحت عليه علائم الغضب على ابنه عيسى الذي اختفى من البيت. غير ان الجد أتى يتوكأ على عصا وسأل ابنه عمّا يجرى وكيف بيعت الارض.

لم يكن المختار طيّعاً مهذباً مع ابيه عن قناعة، وانما تمشّياً مع التقاليد، وخوفاً من مجتمع متخلف. يقول له: «تلك ليست غلطتي. كل القرية كانت تريد البيع. وكان هؤلاء الكلاب سيبيعون ضد ارادتي. وما كنّا نلنا شيئاً».

لم يقل العجوز شيئاً، ولم يتحرك: «لم يصلني غير ثمانمئة ليرة، وكان الآخرون سيبيعون على كل حال، وما كان بوسعي فعل أي شيء. ولقد سرقنا اولئك الخنازير. لقد دفعوا في خبيرة ست ليرات بالدونم وخمسمئة للمختار».

قال ذلك باصرار، وكأنه يريد ان يثبت لقرائه الاوروبيين ان العرب لم يكن همّهم الّا ان يبيعوا اراضيهم، وما كانوا ليترددوا الّا انتظاراً لفرصة دفع أكثر. طبعاً ما ان تظهر هذه المعزوفة حتى تتلقفها بقية الكتب التي تنشر باشراف الحركة الصهونية ـ وهي لا تحصى ـ فتجعل الخطأ صواباً واقعاً لا يمارى فيه، فيما يغط الرأي المضاد في نوم المتخلّفين العميق.

لم يقل العجوز شيئاً. رجع الى غرفته وقد ازداد همّه، والابن قال لنفسه: «ما بوسعي أن أفعل ؟».

حاول ان يؤكد دائماً ان العرب لم يكونوا يصنعون شيئاً، فالطريق الذي يجتازه المختار يومياً في دورته القروية ذاته من أيام الرومان، حفظه عن ظهر قلب، يمرّ فيتجنب الحفر الصغيرة دون ان يتطلع أين تدوس قدماه.

عندما أتي الحديث عن الزراعة أكد ان شيئاً لم يكن مزروعاً. كانت فلسطين عنده شبه صحراء، مع ان فلسطين باعت سنة ١٩٠٠ مليون ونصف المليون صندوق من الحمضيات. وغني عن القول ان الجليل لا يمكن الّا وان يكون اخضر، ما دامت نسبة المطر فيه سنوياً متراً أو تزيد.

صباح وصول المعمّرين الى «برج عذرا»، وبعد ان اقاموا برج مراقبة الجوار والتحركات التي يمكن ان يقوم بهـا العرب، نزل المختار الى القرية، فمر بالشارع الوحيد، وحيّا بعض الوجوه، وسألهم عن أحوالهم وأحوال عائلاتهم واعمالهم. غير ان أحداً لم يحاوره، أو ينبس ببنت شفة، عمّا يجرى على هضبة الكلاب: «ومع ذلك، فقد يمتد عليهم الظل. كانوا يعرفون جميعاً القرار الذي يجب ان يتخذه المختار وغسلوا منه ايديهم؛ هؤلاء الجبناء الانذال، لعلهم يستطيعون القول فيما بعد، أنهم لم يأخذوا علماً بشيء ممّا يمكن ان يحدث في الليلة المقبلة... هذا اذا حصل شيء».

لقد كان موكّلاً باتخاذ القرار وحده؛ فالناس يتهرّبون جميعاً من تحمّل أية مسؤولية. أراد ان يقول ان الروح الديمقراطية غير موجودة عندنا أصلاً، بل ولا يمكن ان توجد. اننا، بتكويننا النفسي الاجتماعي، لا نستطيع اختيارها.

أبوه طعن في العمر، فبات غير قادر على ابداء الرأي. أما «ابنه البكر، ذلك الضبع المجدور، فما يحلم بسوى المال، لعلّه يستطيع ارتياد بيوت الدعارة في سوريا. ولقد كان ينتظر بفارغ الصبر ان تشنق الحكومة أباه، أو ان يقتله الوطنيون العرب».

لم يكن امام المختار الّا هؤلاء. لقد استطاع، حتى الآن، ان يقصيهم عن الطابغة، فما كانوا يظهرون فيها الّا ليلاً، حين يأتي اثنان أو ثلاثة كي يأخذوا منها ما فرض عليها من غنم وبرغل وسمن وسواها، كتموين للثوار الذين يقودهم فوزي القاوقجي. وكانت القرية تدفع لهم راغمة، غير راضية.

كان المختار يدّعي بأن البهائم التي تنقص يسطو عليها فيسرقها اللصوص، وما كان بوسع السلطة ان تثبت عليه شيئاً. فقد تمكن، بوسيلة نفاق وأخرى، ان يحوز على ثقتها.

ذكر كوستلر ان الثورة العربية في فلسطين لم يكن لها من هدف الّا ذبح اليهود، وانها لا خلاف بينها وبين الانكليز ما عدا مفارقات هيّنة، ليست بذات بال. ولقد كانت السلطات تهدم بيوت المتعاملين من السكان مع الثوار، ارهاباً، غير ان البنك العربي يدفع ثمن اقامة غيرها بسخاء، فتقوم البيوت الحديثة مكان المغائر الطينيّة. ولذلك كان الخبثاء لا يعدمون الوسيلة التي تؤول بالسلطة الى هدم بيوتهم حتى تقوم على انقاضها بيوت سكنها معقول. ومتى علم القارىء ان الاوروبي العادي ـ حين يقرأ ـ يتصور ان الواقع قريب من ذلك.

وكان المختار يضع في مكان الصدارة من غرفته صورة المستر تشمبرلين وعليها خرز ازرق كي لا تصيبه العين، كي يثبت للانكليز وفاءه لهم، ويحدث ذلك في تفاهم غير معلن مع ناس القرية.

وتوصل، بعد التفكير، الى ان يدع مهمّة طرد اليهود، الذين اقاموا مستعمرتهم على هضبة الكلاب، لفوزي القاوقجي وأهل الطابغة نيام لا تطالهم يد السلطة، فهي لا تستطيع ان تثبت عليهم شيئاً، ما داموا لم يقوموا بشيء، وأرسل ابنه الى قائد الثورة في هذه الشأن.

«وبعد ان اتخذ هذا القرار أحس بالراحة والسلام بينه وبين نفسه. وهو، تحت مظهره العنيف، يعرف انه ضعيف وفاسد وشره. لكنه كان يعرف، أيضاً، ان حبه لبلاده صادق وانه يدافع عنه ضد المحتل بالحيلة والشجاعة، بالابتسام والخيانة، وكان مستعداً، تماماً، في تلك اللحظة على الاقل، ان يسلّم نفسه للشنق دون ان يرتجف لو وضعوا رقبته في المشنقة».

وفيما كان أهل الطابغة نياماً، كانت التراكتورات تفتح الحدود النهائية لبرج عذرا. وكان قائد المجموعة روبين يقرأ على المعمّرين مهمة كل منهم التي اوكلت اليه من قبل القيادة، وهو «صامت ممسك بأنفاسه».

ولا ينس ان يصف حوارات العرب، ومناقشاتهم، وضجيجها، وفوضاها، فيما يصغي اليهود، في غاية الهدوء والسخر الساكت. وهنا أقحم مشهداً مصطنعاً في صلب الرواية: وفد من وجهاء الطابغة ترافقه جماعة من سكانها بينها نساء واطفال. لم يسمح المعمّرون بالدخول الاّ لاثنين منهم كي يناقشهما بومان.

الوفد تهدد بومان بالموت، فأجاب ذاك بأنهم مستعدون لكل تقلبات القدر، وبخاصة الموت.

لان الوفد قليلاً، فقال: «كيف تأخذون أرض آبائنا وأجدادنا ؟

«اشتريناها بدراهمنا؛ ولقد كانت، قبل ذلك، أرض آبائنا وأجداد أجدادنا...».

وعندما خرج الوفد، تخلّف، قليلاً، أحد عضويه ليقول لبومان: «ان سكان الطابغة هم أناس مسالمون؛ أما عرب الهضاب الاخرى، فهم أقل مسالمة، فخذ علماً... وأضاف بصوت خفيض: ' كلّفني المختار ان انقل لك هذا التحذير، اثباتاً لحسن نيّته، ولو علم الوطنيون بالامر لدفع الثمن غالياً ' ».

أجاب بومان: «مختاركم خبيث. ان احداً لا يحب رؤية بيته وهو يتهدم. مختاركم كثعلب يقطن وجراً له مدخلان، أحدهما شرقي والآخر غربي».

يتضح لدى أي قارىء ان كوستلر يورد هذه الاحاديث كي يناقش حجج العرب بالتمسّك بفلسطين، ويظهر أرجحية الذرائع اليهودية. لكن القفلة كانت، دائماً، من نوع يسترعي الانتباه الشديد. مثلاً، سأل جوزيف بومان: «هل فهمت موقفه ؟ [يعني موقف الوفد].

« ـ لا يجوز لنا ان نبيح لانفسنا فهم موقف الآخرين».

ثم سأل جوزيف لائماً: «لم لا تسمح لهم بالدخول جميعاً واستقبلت اثنين فحسب ؟ هذا تصرف غير كريم».

أجابه بومان بأن تلك مسألة نفسية مدروسة. وهو عنى انه عندما يبيح لهم الدخول يشعرون بانهم مساوون له، وهو يود ان يحدث لهم الصدمة النفسية التي تؤدي بهم الى الاحساس بأنهم أدنى منه، انهم ليسوا احراراً بالتصرف حيث يضع قدمه.

انتقل من وصف هذا اللقاء الى وصف الحياة الجديدة للمعمّرين وألحّ على المظهر الجماعي الذي يجد تتويجاً له في رقصة الهورا. ولقد كنت أمر بها دون اهتمام، لولا انه اعطاها طابعاً سيكولوجياً شديد العلاقة بالبنية الجديدة للمعمّرين. فهي تتوّج عنده في نهايتها بما يشبه الوجد الذي يوحّد بين الجماعة في نغم واحد، وتعبير واحد، وحركة واحدة صوفية يتساوى فيها الموت والحياة، كلهم ساهموا الاّ دينا التي انسحبت وذهبت الى مهجعها ونامت في ثيابها؛ ذلك ان ذكرياتها استيقظت على اقسى ما تكون: توقيف أبيها، ومن ثم توقيفها هي قبل ان تجتاز الحدود، وفقدانها بكارتها ابّان التحقيق، ممّا سبب لديها تآقاً يدفعها الى التقزز من أدنى لمس من أي رجل، وحتى لو كانت لمسة كتف.

بعد ان انتهى الرقص بقليل، بدأ هجوم العرب على المستوطنة؛ حتى اذا احتدم هبّ اعصار امتلأت منه السماء بالغيوم، ثم مطر جزاف انهى المعركة بانسحاب المهاجمين. معركة لم تتكرر فيما بعد، لأن العرب، عنده، لا يقدرون على الاستمرار. قابلية ادراك معنى الحرب غير موجودة لديهم. ترى أكان يعني بالعاصفة ان عناصر الطبيعة تشد أزرهم ؟!

كل شخوص الرواية العرب، عنده، هم اشخاص بلغ النقصان بهم حدّاً يجعل اخلاصهم مستحيلاً، وكأن النقصان هو الاصل، فيما الشخوص اليهود، وكلهم دون استثناء معقّد، لكنها عقد الذين بلا أرض، الغرباء حيث حلّوا، بحيث يقنع القارىء الاوروبي بأن ما من سبيل الى رد انسانيتهم لهم الاّ وجود «الوطن القومي»، وفي فلسطين (أذكّر القارىء بتصريحات جون بول سارتر بعد زيارته الى اسرائيل)، ويلخّص هذا الوضع بجملة لدريفوس: «اذا وجد امامك حاجز ولم تستطع المرور من تحته، لا يبقى لديك الاّ القفز من فوقه».

انتقل في الفصل الثاني، الى التحدث عن التعاونيات، فقدّم لها بجملة من برنامج انشاء التعاونيات الجماعية في فلسطين الذي أقرّ سنة ١٩١١: «ان اقامة المزارع الجماعية في أرض ـ اسرائيل يستهدف ازالة الحقارة العرقية والاجتماعية».

تحدث جوزيف، في مذكراته، عن نفتالي الذي كُرِّس شهيد برج عذرا الاول وبطلها. وزاد، فقال ان هذا الابله لم يكن يؤمن بالعنف، ثم قال: «من أجل ان نرى الابطال يجب ان نستخدم منظاراً لا مجهراً. ان التاريخ هو سلسلة من السخافات التي ينتج تراكمها أثراً من عظمة».

مفهوم عجيب ومبتذل. لكن الذي يدرس، بجرأة، التاريخ اليهودي في كتبه، يصل الى هذه النتيجة. ولا أدري كيف من هذا المنطلق يتصور تاريخهم المقبل وبناء الدولة، لو أننا رأينا من مجمل الكتاب، فيما بعد، ان مهمة الدولة التي تمهد لها وتخلقها التعاونية تتلخص في انتاج بشر جديدين وانشائهم انشاء مختلفاً عمّا عهدوه. قال: «كانت الرفيقات يظهرن ببطون كبرت. انهن في غاية الغرور، لأنهن يزدن الولادة القومية، ولقد بتن أقل جاذبية من قبل، وافترض انهن يغنين النشيد الوطني خلال عملية الانجاب».

ثم تحدث عن زيارة تهنئة بمناسبة مرور عام على انشاء التعاونية، قام بها مختار الطابغة. وبعد ان وجد احد المعمّرين في الوادي الذي يقوم تحت المستعمرة قتيلاً وقد سُمِلت عيناه وانتزعت خصيتاه في كمين نصب لأي يهودي يمكن ان يمر، ويستغرب هذا الضرب من التجاهل للجريمة ويلح على نفاق المختار. وحين اتصل الحديث (حديث المختار) بأنباء الاقتراح القائل بالتقسيم (أي تقسيم سنة ١٩٣٨) أوهم القارىء بأن المختار (ويعني من ذلك العرب ما دام هو النموذج الذي انتقاه منهم) موافق على التقسيم، فسأله عن مصدر اخباره، أجاب المختار، بعد ان غمز بعينه انه بالغ السرية، فقدّر، آنئذٍ، انه ربما كان البائع المتجول الذي مرّ منذ ايام في طريقه بين القرى العربية.

وأعلن، في نهاية الزيارة، انه ليس من حزب امين الحسيني المتشدد، وانما هو من جماعة النشاشيبي المعتدلين، فيما المختار الثاني للطابغة هو من جماعة الحسيني، وان امله عند اقامة الدولة اليهودية ان يعين جابي ضرائب أو مفتشاً للباصات التي تسير على الطرق، وان يشنق المختار الآخر لجرائمه.

غني عن القول ان احداً من العرب، في تلك الاثناء، لم يكن يتصور قيام دولة يهودية. كانوا ينظرون الى المستقبل بكثير من التفاؤل القائم على عدم وضوح الرؤيا السياسية. فكيف يلتمسون عطف عدوهم بهذه الصورة الشائنة ؟

وفي الرواية كثير من الآراء التي يجب الاطلاع عليها، وأهمّها ما تعلق بتربية الجيل الصهيوني الجديد: «اننا نربي اطفالنا كامراء، فيما يعيش الجيل السالف كالخنازير». وذلك مثل عن الغلو الضار الذي تحمله الشدة اذا تصالبت مع التعصب اليساري. اننا نتعامل مع الجيل الجديد وكأنه صنم فيما يؤخذ السالف له على انه «سماد المستقبل»، وذلك ما كان يقوله متزمتو الثورة الروسية في بداياتهم. والنتيجة نسبة مرتفعة من المرضى

بين البالغين وانهيارات كثيرة، بدنية وعقلية. وثمة نتيجة أخرى متناقضة في التربية الجماعية. فهي تقوّي، بدلاً من ان تزيل، التعلق العاطفي بالاصل. ولقد بدت تلك لي من الخصائص المزعجة لعرقنا. الاطفال يسكنون بيتهم منذ ولادتهم تقريباً؛ يعني انهم يتعهدهم أشخاص متخصصون بدلاً من هواة جهلة. (ان وظيفة الاب التي تتضمن أضخم دور في المسؤولية الاجتماعية، هو، وحده، الذي لا يتطلب تفويضاً أو أذناً). ان هذا النهج، يمكّن، عدا عن ذلك، من امتياز يجعل الاهل احراراً في العمل خلال النهار، ويضمن نوماً لا يتقطع في أثناء الليل، كما يحمي الطفل من عقدة العجوز أوديب ومن غيرها من الآفات الاجتماعية.

عقدة أوديب ؟ كنت اتصور كوستلر أكثر حذقاً ومعرفة. ان بعد الاهل عن الطفل هو أهم سبب في عقدة أوديب وسواها من الشذوذ الجنسي. تلك قاعدة باتت لا يجادل فيها علم النفس الحديث، وباتت بيوت الاطفال جائزة وقتاً محدداً من النهار فيما تكون الام في عملها؛ لكن البطل الرئيس في الرواية قال عن نتائج هذه التربية ما يلي:

«مع ذلك، في أعماق ذاتي، ربما كان ربيبي الفطري يقول لي ان ذلك أجمل من ان يكون واقعاً. والمؤسسة لا عيب أبداً فيها. انه النوع الانساني الذي منه الجيل الجديد. لقد لاحظنا منذ وصولهم، تلك الفتيات القصيرات السمان، بعجيزاتهم الضخمة واثدائهن الثقيلة، السابقات اعمارهن جسدياً، والمتأخرات عنه عقلياً، اللائي لم ينضجن، من جهة، وسبقن النضج كثيراً، من أخرى؛ واولئك الصبيان الذين تعضّلهم غير سويّ، الحمقى والاغبياء، وضحكهم العدواني، وأصواتهم النشاز، الذين جرّدوا من التقاليد، والكياسة والاسلوب...

«كان آباؤهم ينتسبون الى أكثر عروق الارض تجوالاً؛ أما هم، ففلاحون شوفينيون. كان آباؤهم كتل أعصاب مفرطة في الحساسية وذوي أجساد غير سوية؛ اما هؤلاء، فأعصابهم كحبال، وأجسادهم كقبيلة طرزانية عبرية تطوف بين هضاب الجليل. آباؤهم كانوا حادّين، عنيفين، متوترين، مبهّرين؛ اما هؤلاء، فبلداء، بلا ذوق، وقساة. آباؤهم اشتهروا بتعدد اللغات، ونشأوا هم على ألّا يتكلموا غير لغة وحيدة، نامت عشرين قرناً قبل ان تنتعش اصطناعياً...

«ان ننتشل العبرية من تحجرها المقدس، فنجعل منها لغة حيّة، كان نصراً رائعاً. غير ان هذه المعجزة تفرض التضحيات. ان أبناءنا يستخدمون لغة لم تتطور منذ بدء العهد المسيحي. وهي لا تحمل أية ذكرى، أو أي اثر لما حدث للانسانية منذ عهد المعبد. تصوروا اللغة الفرنسية وقد انقطعت عن النماء منذ ' نشيد رولان ' مع انها أقرب الينا نحن بعشرة قرون. كلاسيكيّونا نحن هم العهد القديم، وأشعارنا تقف عند نشيد الأناشيد، وأبناؤنا عند يعقوب... وبعدها ألف عام بيضاء». والى ان يقول:

«بتنا لا نشعر بغرابة لغتنا، وحيث يمشي الناس على العكاكيز لا يقف العابر فيتسغرب. وهكذا، فقد رُبّي الجيل الجديد على الكلام بلغة تشكو ضعف الذاكرة. هؤلاء الأولاد لا يكتسبون غير أكثر المفاهيم بدائية عن الأدب العالمي، وتاريخ أوروبا، وليست لديهم غير فكرة غامضة عمّا حدث منذ اليوم الذي فيه، إبّان حكم تيتوس، احتلت الفرقة التاسعة قلعة داوود. انهم لا يتكلمون لغة أجنبية ما، لولا قليل من الانكليزية من مستوى مدرسة ليبنتز. والتراجم التي ليست كثيرة ولا جيدة عن الكلاسيكيين لا تحرّك شيئاً فيهم. ان عقولهم مقطوعة عنها الهرمونات الانسانية. وبالمقابل، فان معلوماتهم العلمية هي أعلى من معلومات الطلاب في البلدان الغربية، وهم لا يجهلون شيئاً يختص بالسماء والسقاية والدورة الزراعية. يعرفون أسماء النباتات والطيور. يعرفون كيف يستخدمون البندقية، ولا يخافون العربي، ولا الشيطان. وبتعبير آخر، انقطعوا عن ان يكونوا يهوداً من اجل ان يصبحوا فلاحين عبرانيين».

التربية الجديدة، إذاً، تستهدف اقتلاع الاحساس الانساني وزرع العداء في الأجيال وتحضير للمذبحة: «ان تذبح الآخر، او ان يذبحك». لقد خلقت جيلاً لا يناقش كثيراً، وانما يندفع الى أمام. واختيرت من التوراة النصوص التي تتغنى بالقتل، ومن الحاخامين من يحضّ عليه. فلا نعجب، بعد ذلك، اذا كان الجيل الذي نسمع بأخباره اليوم ـ وهو ثمرة تلك التربية ـ هو الجيل الذي يقوده كهانا ويكسر عظام البشر بالحجارة. في الوقت

عينه يقارن كوستلر بين المدارس العربية وطرق التدريس:

«دلّهم المختار على بناء متواضع طلي بكلس أبيض، موقعه من القرية في المنطقة المحرّمة عليهم (أي أصل المستعمرة)، تخرج منه جماعة من أطفال صغار حفاة. كانوا في أسمال ورؤوسهم السمراء محلوقة تشبه طابات البلياردو».

ثم تعرّض الى مناقشة قوامها يهود وبريطانيون وعرب، تدور حول التعليم. قال كابلان، موجهاً كلامه الى نيوتن: «اما عن مسألة المدرسة، فأنت تعرفها. اليهود يموّلون مدارسهم الخاصة وتمدّ الحكومة مدارس العرب. ان الجزء الأكبر من عائدات الضرائب يدفعها اليهود، بحيث اننا ندفع عن مدارسنا وعن مدارس العرب. وما دمنا نموّل تعليم العرب، فنحن نطلب، على الأقل، ان يقدّم بشكل ملائم».

أجاب نيوتن، وهو يحاول ان يتخذ لهجة ساخرة: «منذ متى شُغلت قلوبكم بثقافة العرب ؟».

«ـ منذ ان اكتشفت ان الطريقة الوحيدة التي نتفاهم بها معهم هي ان نعلمهم بشكل ملائم. اننا لن نصل الى اتفاق مع عشيرة من الجهلة المتعصبين. أود لو يوضع بعض الفهم في رؤوسهم، لعلنا نجد أمامنا بالغين نستطيع التفاوض معهم».

ترى أية تربية يريد كوستلر ان يمنحها للعرب ؟ تربية القبول ؟ القبول القدري لكل القهر والتعسف ؟

في الرواية، تقصّى حياة العرب نقطة نقطة كي يستخلص منها ما يمكن ان تروّجه الدعاية. مثلاً: التقى جوزيف بوليد الراعي الذي جاء لزيارة أربيه. وبعد ان سأله عن صحته، وصحة أمه، وأبيه، واخوته، وحصانهم، وبغلهم، وحمارهم، وأغنامهم، وكان الجواب في كل الأحوال: «الحمد لله»؛ وأكد على ان التقليد العربي يقضي بكل هذه الاسئلة وان يكون الجواب «الحمدلله»، حتى ولو كانت العائلة كلها مريضة، وقد نفق الحصان وأحد البغلين.

«قال وليد: لاحظت لصديقك ان اشجاركم الفتية هي جد جميلة.

«قال أربيه شارحاً: وليد يحب الاشجار.

«قال وليد: أرى ان الأشجار جميلة.

«سألت: لِمَ لا تزرعون منها في قريتكم ؟

« ـ ظن، قال وليد، وقد رفع رأسه دليل الانكار. هذا مستحيل.

« ـ لماذا

« ـ ظن، الأشجار لا تعيش أبداً.

« ـ ولماذا لا تعيش ؟

« ـ اذا اختصمت مع جارك يقطع لك أشجارك.

« ـ قلت: خسارة، أما من سبيل لمنعه ؟

« ـ ظن، لا. نحن لا نستطيع زراعة الشجر».

وتوقف، هنا، الحوار. والخطير في الامر ان أكثر من تعرّف عليهم في اوروبا يتصورون ان كل أشجار فلسطين هي يهودية، وان العربي هو صحراوي ضد الشجر، ويستشهدون بغزو بني هلال لتونس الخضراء؛ فقد أحرقوا فيها كل أشجارها.

ونعي وليد على صديقه ان اليهود ما ان ينتهوا من بناء حتى يبدأوا باقامة سواه. ما ان ينتهوا من شراء تراكتور حتى يشتروا آخر، دون ان يهتموا بلباس، او معاش، أو لذائذ أخرى. وأضاف قائلاً: «انتم

مساجين. امّا أنا، فحرّ أستطيع ان أرحل متى أردت، او أقيم متى شئت...».

وهو أراد ان يتوصل للقول ان العربي جوّال، لا يرتبط بالارض، وليس له وطن؛ فلماذا يعذبه ضميره اذا طردهم من فلسطين ؟

استمر المؤلف يتحدث بلسان جوزيف عن آثار التعذيب النازي باليهود، قال: «أغلقت عينيّ وأخذت أتخيّل ما كنت أفعل بالبشر الذين جعلوا دينا على هذا الحال. لو اني اضع يدي عليهم». ثم قال: «حتى الآن، وبعد ان استرديت منطقي، متى سنحت فرصة الانتقام سأضع يدي عليها ولو خالفت عقلي وقناعاتي». ثم أعطى مثلاً يشرح فيه وضع اليهودي في فلسطين. حادثة رواها له صديق صقلّي «عن فلاح صقلي حاول قتل عشيق زوجته فوضع في السجن خمس سنوات. فلما انتهت، خرج للتو الى العشيق، فقتله وقضى بقية عمره كلها سجيناً وسعيداً...». وأضاف على هذه الرواية: «يبدو ان الجوّ او الاحتكاك بهذه الارض ' المخردقة ' بمغاور الاجداد يثير مثل هذه العواطف». ثم قال: «اذا لم أعضّ، فان غضبي سوف يعضّ احشائي نفسها. من اجل هذا كان عرقنا كله مقروحاً في أبشع المعاني حرفية».

وقال في الرواية ان المعركة في فلسطين كانت معركة بين حرس الأشجار واعدائها: «كانت تلك أشجاراً دخيلة اذاً (الفستق الحلبي!)، أشجاراً عبرية، كلّ من جذوعها السامقة ينغرز كشوكة في عين كل وطني عربي. ولذلك كانوا ينظمون ليلاً غزوات لقطع الاشجار الفتيّة وانتزاع الغراس من الارض، وتقوم خلال الثورات معارك دامية بين حرّاس الأحراج العبرانيين وذبّاحيهم العرب».

في الرواية أمران أساسيان أراد ان يبرزهما كوستلر: أولهما، ان العرب، في العصر الحاضر، بلا تقاليد، أو ذوو تقاليد من عصور الاحتلال المفرط باضطهاد الأمم، والذي لم يقاوموه بضراوة، وانما تلاءموا معه احتيالاً ونفاقاً. الأمر الثاني، ان اليهود يبنون تقاليد ترتكز، أساساً، على تضحيات المكابيين العنيدة والدوغما التوراتية وما فيها من اخبار وأماكن؛ لكن بايمان جديد يكاد يكون علمانياً.

وبعد ان مرّ بحياة العرب، نقطة نقطة، حتى المطعم العربي وحتى المحاكمة التي يحاكم فيها قروي عربي لأنه كان يستخدم، على الرغم من الانذار، بغلته المريضة المقروحة دون ان يعالجها، تأتي المقارنة مع المطعم اليهودي والمقهى اليهودي ومع ناج من الغرق رمى نفسه في البحر من سفينة للمهاجرين (الفارين من أوروبا) فسبح حتى الشاطىء، وعندما وصله أغمي عليه، ورآه، طبعاً، عربي، فوشى به الى الشرطة، فاقتادته الى التحقيق، فالمحكمة، يختاره كوستلر من نزلاء داشو والناجين من المذبحة الهتلرية. ترى كيف «رمط» منها ؟

العربي في الرواية يناور ويكذب، ويخاف من رقيب الشرطة، فيما يقف خرّيخ داشو برجولة ودقّة وشجاعة. لم أتصور ان كاتبا له أهمية يتهافت الى هذا الدرك.

بعد هذا كله، نصل الى حادثة الرواية الرئيسة. كيف قتلت دينا ؟ دينا المسكينة التي أصيبت بتعقيد نفسي بين يدي التحقيق النازي. دينا التي تضيق أنفاسها اذا ذهبت رياح الخماسين ويهدىء لواعجها القمر الصافي. دينا التي رفضت الزواج وأولعت بالتأمل في مقابر جدودها قبل هدم الرومان لمعبد سليمان.

في اثناء احدى نزواتها، خرجت من سهرة مع بعض رفاقها، وفي موجة من الغيرة سببها انها لم تستطع الزواج (من عقدتها النفسية) من حبيبها الذي مني بغيرها، فذهبت الى الاسطبل وأيقظت الفرس «سالومي»، وامتطتها، ونزلت الوادي لزيارة قبر جد من الجدود.

كانت حوادث الاعتداء العربية كثيرة (ولو ان تأثيرها لا يؤبه له)؛ لكن دينا لم تتراجع؛ على العكس، كانت أمثال هذه الحوادث تزيد في رغبتها بالمغامرة.

منذ ان اتجهت باتجاه الوادي تحوّلت ريح الخماسين الى ما يشبه الصبا الناعمة. غير انها التقت، في سبيلها، فلاحاً لم يخف عليها انه من الطابغة، وقدّرت من ثنيّتيه المفقودتين ومن عينه الضائعة انه ابن

المختار. خافت ولكزت الفرس باتجاه مغارة قبر احد الجدود (كما تسمّيه)، وأحست، حين اقتربت منه وابتعدت من الفلاح، بالطمأنينة.

تدلّت من ثقب باب المغارة ونزلت. هالتها الرائحة القذرة؛ فلقد استخدمها الرعاة العرب لقضاء حاجاتهم. جاءت عدة مرّات قبل هذه الزورة، وفي كل مرة استفدحت عدم وجود الرأس مع بقية العظام، وتساءلت عمّن أخذه. وحفرت الارض قليلاً لعلها تعثر على عملة ما، فلا بد ان يكون الذين دفنوه قد وضعوا بعض النقود.

لم تعثر على شيء، فخرجت من المغارة وهبّت عليها من جديد، حارة لاهبة، ريح الخماسين. وامتطت سالومي راجعة الى برج عذرا. في الطريق رأت فاقد ثنيّتيه ومعه اثنان. في اليوم التالي وجدت دينا قتيلة.

قال جوزيف: «ليس هناك من شيء هام أرويه. يقول الطبيب انهم كانوا على الأقل اثنين. ويبدو انها دافعت عن نفسها بعنف، لأن أظافرها كلها تكسّرت، وعليها دم، وتحتها نتف جلد، كما كانت بقايا جلد بين أسنانها. ولقد عدّوا في جسدها سبعاً وعشرين طعنة خنجر لم تسبب أي منها وفاة سريعة. كان أنفها محطماً، وانتزع منها شعر بجلد. هذا كل شيء، لولا انهم سرقوا أيضاً سالومي».

ماتت، اذاً، دفاعاً عن الفرس، خشية ان يسرقها اللصوص العرب ؟

عجيب! كوستلر الذي ادعى، في شبابه، بالشيوعية والنضال من اجل الديمقراطية وضد النازية يكتب ذلك ؟ هل بوسع القارىء ان يروي، أو يتصور، ان النازيين كتبوا مثل هذه الأشياء عن اليهود ؟ لقد قرأت كثيراً من الأدب النازي والفاشي، فلم أجد فيه ما وجدته في هذه الرواية، وفي آثار أخرى يهودية، من بله.

بعد حادثة دينا وسالومي، أخذ جوزيف يطالب بالانضمام الى الارغون كي يكون ارهابياً؛ لكنهم لم يقبلوا به، لأن حقده لم يكن كافياً. وعيّنوه مذيعاً في الاذاعة السرية باللغة الانكليزية، لأنها لغته الأصلية.

جيء بالشرطة التي استخدمت الكلاب، فتبعت الأثر حتى وصلت الى بيت المختار؛ لكن ذلك لا يثبت شيئاً، لأن الناس في القرى القريبة يؤمّونه جميعاً كل يوم. وقرر أصدقاء جوزيف ان ينتقموا، لكن حين يتأكدون من هو القاتل وليس جزافاً كما هي عادة العرب!

ذات مساء طُرق باب المختار، ودخل اثنان جاءا في سيارة، فاقتحما الباب واستيقظ الخادم وبعده المختار. قال احدهما: «أنت مطلوب يا مختار.

« ـ من يطلبني ؟

« ـ سألا الخادم الخروج، وقالا للمختار بصوت خفيض: فوزي!

« لبس وخرج معهما، فقاداه الى المكان ذاته الذي قتلت فيه دينا، وأخذا منه خنجره فطعناه به حتى الموت، بعد ان ضربه احدهما بالمسدس الى ان سقط أرضاً... كانا متأكدين انه ليس القاتل ومن انه يعرف من هو، فاقتصّوا منه وقتلوه بالطريقة عينها وبوسيلة التعذيب ذاتها. لكن الفرق بينه وبين دينا انه لم يقاوم.

«غضبت الطابغة غضباً شديداً لموت المختار من اجل امرأة جديرة بالقتل، لأنها كانت تلبس أكماماً قصيرة وبنطالاً قصيراً دون حشمة...». هكذا!

«وهاجم أهل الطابغة برج عذرا لكن حرسها ردّهم بسهولة. وبعد ذلك استأنفا حياة الجار والجار.

قال في الرواية، وهنا النقطة التي تستحق أكثر من سواها التأمل، على لسان بومان، وهو أكثر الشخوص تمثيلاً لأفكار الارغون: «لا بد لجنودنا من نظام. ولا نظام من غير طقوس... انه مناف للعقل ان يتعرض رجل الى نيران رشاش، لأن رجلاً آخر أمره بذلك؛ مع هذا، فالجيش مبنيّ على مبدأ لامنطقي بأن ذلك هو الواجب. ولذلك كان لكل جيش تقليده وخرافته. وهو ذا الدور الذي تلعبه التوراة والمكابيون في تقليدنا وخرافتنا، أأعجبك ذلك أو أعجبني أم لم يعجبنا، سيان».

والحق ان الصهيونية افترضت، منذ مؤتمر بازل ١٨٩٧، ان حربها بدأت مع العرب. وأخذت، منذئذٍ، تقيم مراكز سرية للتدريب في كل مكان وجدوا فيه، او ينتسبون الى الجيوش المحلية، أو يبادرون الى الخدمة الاجبارية، حتى اذا انتهوا منها سجلوا أنفسهم في سجلات الاحتياط الصهيونية (في حرب العام ١٩٧٣ جاء منهم الى فلسطين خمسون الفاً من الخبراء المدربين، من مختلف جهات أوروبا). ولقد اتخذت حياتهم الطابع العسكري منذ الطفولة الى الشباب. نواديهم المنتشرة في العالم تقوم على هذا الامر بالاشتراك والتعاون مع الكنس. لقد أدركت الصهيونية معنى الحرب، وما تقتضيه من حشد للطاقة الانسانية. أكانت حباً أم حقداً.

ولقد تميّز الاعداد الحربي العربي بمميزات تكاد تكون على طرف النقيض. تميّز بالخفّة والخيال. ان دراسة المعارك التي امتدت من العام ١٩٢٠ الى العام ١٩٤٨ تؤيد ذلك. لقد طرأت تبدّلات أساسية في صفوف المقاومة وفي بعض الدول العربية، لكن حشد الأمة لم يتسن لنا حتى الآن. وقد يطوي جيلنا تراب الوقت قبل ان تحقق تلك الأمنية، ولأعط مثلاً:

نأخذ مدارسنا، فهي الاساس وهي التي يجب ان يبنى فيها الانسان المحرّر. يندر ان تجد فيها ملعباً او أشجاراً. انها أشبه بالمعتقلات. لقد أطلقت الثورة في مصر شعار «العلم لكل الشعب» وهو شعار حق وضروري، لكنه لا يحتمل الخلل أبداً. الطاقة الاقتصادية المصرية بعيدة من ان تحققه، ولقد لجأ القائمون على الأمر الى الاحتيال على ضيق المكان، فضاعفوا الدوام في البناء: صف يدرس قبل الظهر، وآخر بعده. وأجازوا اعداداً في الصف تخالف كل قواعد التعليم. لكن لا حيلة باليد. نجم عن ذلك ـ بالاضافة الى أمور كثيرة أخرى لسنا في مجال بحثها ـ تدنّ مخيف في التدريس وتأثير المعلم المرهق، مادياً ومعنوياً، فبات حضوره للدرس شكلياً روتينياً، وأسلمت أجيالنا الجديدة لمسلسلات التلفزيون التي يتفنن باعثها برداءتها وثقل دمها وتوجيه جاهل ودنيء.

لقد أصبحت التقاليد العسكرية العربية والفروسية سيرة تفتح للتسلية، من دون ان تتحول الى تقليد حقيقي منظم معدّ للقرن العشرين؛ وعلى من يحاول ان يردّ على الظلم، والاحتقار، والاحتلال، ان يكون على مستوى الحرب وان ينعش الرجولة في الانسان ويدرّبه على تحقيق المثل، لا ان يذلّه حتى فقدان نسغ المقاومة.

بقي ان أقول، ان الرواية كانت من أهم ما ساهم، وبخاصة في اوروبا الغربية، في تكوين صورة العربي فيها؛ لأن شعوب تلك البلدان شعوب قارئة؛ الكتاب فيها غذاء يعدل الطعام. أما الكتاب العربي، فلا وجود له. ترى ألأننا أمة لم تبدأ فيها محاولة جدية لمحو الأمية ؟

د. سامي الجندي

هجوم السلام الفلسطيني

شهدت الساحة السياسية الفلسطينية، بعد الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، نشاطاً مكثفاً، تركز على نتائج تلك الدورة، وتوجه، كلياً، الى الساحة الدولية على نحو «هجوم سلام فلسطيني» حسبما وصفته اوساط دبلوماسية عدة.

الّا ان هذا الهجوم، جوبه، منذ البداية، برفضين: الاول، اسرائيلي قاطع؛ والثاني، أميركي متريث ومترقب. لقد تجسد الرفض الاميركي في اعتبار نتائج المجلس الوطني غير واضحة، وغير كافية لبدء حوار أميركي ـ فلسطيني؛ ذلك لأن م.ت.ف. لم تعترف صراحة وجهاراً باسرائيل؛ كما ان الفقرة المتضمنة الاعتراف بالقرارين الدوليين ٢٤٢ و ٣٣٨ غير كافية. ثم صعّدت الولايات المتحدة موقفها المعادي لـ م.ت.ف. بأن منعت منح تأشيرة لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، لدخول الولايات المتحدة من أجل القاء كلمة فلسطين في الجمعية العامة للامم المتحدة. وقد لقي المنع الاميركي ادانة شاملة من قبل الدول الاعضاء في الامم المتحدة، باستثناء اسرائيل، وبريطانيا التي أبدت تحفظها.

وعلى الرغم من ان القرار الاميركي لم يخل من مفاجأة لم يتوقعها البعض، الّا انه، في جوهره، جاء مستنداً الى تراث اميركي طويل، يمكن ان يقال فيه الكثير حول «الانحياز الاميركي لاسرائيل ومساندتها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، خلال الاربعين عاماً الماضية من تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي. لكن هذا الانحياز لم يكن واضحاً وجلياً ومسرفاً في عدائه» على النحو الذي جاء مؤخراً «حين أصرّت الادارة الاميركية، وعلى لسان وزير خارجيتها، جورج شولتس، على عدم منح ياسر عرفات، تأشيرة دخول لأميركا»، (محمود الزايد، **الافق**، نيقوسيا، ١٩٨٨/١٢/٨). وقد برّرت الادارة الاميركية رفضها اعطاء تأشيرة بأنه «لا يكفي ان تعترف م.ت.ف. صراحة بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، وضمناً بوجود اسرائيل؛ ولا يكفي ان تبدي المنظمة استعداداً لقيام تعايش سلمي بين الدولة الفلسطينية والدولة اليهودية؛ ولا يكفي ان تدين م.ت.ف. والقيادة الفلسطينية الارهاب والعمليات الارهابية؛ بل يجب، أيضاً، ان تتخذ القيادة الفلسطينية اجراءات ملموسة تؤدي الى طرد جميع الذين تعتبرهم واشنطن ' ارهابيين' من صفوف م.ت.ف.» (عبدالكريم أبو النصر، **المستقبل**، باريس، ١٩٨٨/١٢/١٠).

ورأت أوساط سياسية فلسطينية في قرار الولايات المتحدة هذا محاولة للابتزاز والضغط، الامر الذي تعاملت معه المنظمة بالاستمرار في «هجوم السلام» من جهة، وعدم التراجع أمام الضغوطات، من جهة أخرى. ومن خلال ذلك، تمكنت م.ت.ف. من انتزاع قرار خاص من الجمعية العامة للامم المتحدة، يقضي بنقل المناقشات بشأن القضية الفلسطينية من نيويورك الى جنيف، وبذلك «كسبت م.ت.ف. الجولة الاولى من معركتها ضد التعنّت الاميركي... [و] خرجت منتصرة في هذه المعركة، وبدت الولايات المتحدة معزولة، الّا من تأييد اسرائيل لها. ولا شك [في] ان نتيجة هذه المعركة بامكانها ان تسلّح م.ت.ف. بعناصر جديدة للخروج بمزيد من المكتسبات من اجتماعات الجمعية العامة في جنيف» (**الهدف**، نيقوسيا، ١٩٨٨/١٢/١١). كذلك رأت أوساط أخرى ان رفض الولايات المتحدة اعطاء التأشيرة كان بمثابة «صفعة» من الولايات المتحدة الى جهود السلام في الشرق الاوسط أرادت من خلالها «دفع الفلسطينيين، مرة أخرى، الى التطرف، ووضع سلاح في يد التيارات والاتجاهات التي وقفت موقفاً معادياً من التوجهات الفلسطينية الجديدة» (صالح قلاّب، **المجلة**، لندن، ١٩٨٨/١٢/١٣).

مبادرة السلام الفلسطينية

في أثناء القائه خطابه في الامم المتحدة، في جنيف، طرح رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، مبادرة سلام فلسطينية قوامها ثلاثة مبادىء أساسية، هي:

«١ ـ العمل الجاد لعقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، تحت اشراف الامين العام للامم المتحدة، وبناء على مبادرة الرئيسين [ميخائيل] غورباتشيوف و [فرانسوا] ميتران.

«٢ ـ اشراف مؤقت للامم المتحدة على أرضنا الفلسطينية المحتلة، وتشرف، في الوقت عينه، على انسحاب القوات الاسرائيلية من بلدنا.

«٣ ـ التوصل الى تسوية سلمية شاملة بين اطراف النزاع العربي ـ الاسرائيلي، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل، في اطار مؤتمر دولي للسلام يحقق المساواة وتوازن المصالح، خاصة حق شعبنا في التحرر والاستقلال الوطني، وحق العيش والسلام والامن للجميع، ووفقاً للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨» (أنظر نص الخطاب في «وثائق» هذا العدد، ص ١٣٣ ـ ١٤١).

الّا ان هذه المبادرة سرعان ما جوبهت بتحفظ اميركي جديد، لأن واشنطن ـ على حد تعبير المسؤولين الاميركيين ـ «كانت تنتظر أكثر منها، أو تحديداً أكثر منها وضوحاً. فواشنطن كانت تريد، على الاقل بدل ان يقال دولة فلسطين واسرائيل، ان يرد في النص اسم دولتي فلسطين واسرائيل» (**المستقبل**، ١٧/١٢/١٩٨٨).

الى ذلك رأت أوساط سياسية عربية، ان المبادرة الفلسطينية ترتكز على ادراك الفلسطينيين «ان ميزان القوى الاقليمي لا يتيح لهم انجاز حق تقرير المصير بالقوة، فالتقطوا اللحظة الراهنة ليدفعوا بقضيتهم في سياق العلاقات الدولية؛ هذه الخطوة التي من أهم مقوّماتها اعادة الاعتبار الى الشرعية الدولية التي رفضت يوماً ان تجعل من اتفاقيتي ' كامب ديفيد ' وثيقة من وثائق الصراع في الشرق الاوسط، لأن المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية استندت الى اتفاق ثنائي برعاية اميركية فقط، ولم تأخذ في الاعتبار مجمل القرارات التي تطالب المبادرة الفلسطينية بتطبيقها الآن» (عبدالله اسكندر، **اليوم السابع**، باريس، ١٩/١٢/١٩٨٨).

وفي هذا السياق، قام عرفات بزيارة القاهرة، فأجرى مباحثات مع الرئيس حسني مبارك؛ ودعا، خلال مؤتمر صحافي عقد في القاهرة (١٨/١٢/١٩٨٨)، «القادة الاسرائيليين الى التحلّي بالمرونة من أجل تحقيق السلام والانضمام الى مفاوضات في اشراف الامم المتحدة» (**النهار**، بيروت، ١٩/١٢/١٩٨٨)، مؤكداً «ان السلام بالنسبة الى م.ت.ف. هو مسألة استراتيجية، وليس تكتيكاً. وأعرب عن استعداده لفتح حوار مباشر مع اسرائيل في اطار مؤتمر دولي للسلام» (**السفير**، بيروت، ١٩/١٢/١٩٨٨). وعملياً، استمرت الدعوة الفلسطينية للقادة الاسرائيليين الى ضرورة البدء بفتح حوار جدي ومسؤول، لحل أزمة الشرق الاوسط، وخاصة على الساحة الدولية. الى ذلك أعلن عرفات، في مؤتمر صحافي آخر عقده في فيينا، عن «ان المسؤولين الاسرائيليين يحاولون تخريب عملية السلام بكل الوسائل، وانهم قرّروا مواصلة نشاطاتهم الارهابية، وهم يهيئون، في الوقت نفسه، عملية عسكرية في جنوب لبنان»، وأضاف: «في مقابل هذه السياسة الاسرائيلية الرافضة للسلام، والمصرّة على مواصلة القمع والاحتلال، أُعلن، مجدداً، التزامنا بمبادرة السلام الفلسطينية» (**النهار**، ٢١/١٢/١٩٨٨).

وخلال عملية هجوم السلام، أوضح عرفات ابعاد تلك السياسة، عبر مؤتمر صحافي في اليوم التالي لخطابه في جنيف، وأعلن فيه، «حق كل الاطراف المعنية بصراع الشرق الاوسط في الوجود في سلام وأمن، بما فيها دولة فلسطين واسرائيل، وجيرانهما الاخرين، بموجب القرارين ٢٤٢ و٣٣٨»، وقال: «اننا ننبذ كل أشكال الارهاب بصورة شاملة ومطلقة، بما فيها ارهاب الفرد والجماعة والدولة» (فريد الخطيب، **الحوادث**، لندن، ٢٣/١٢/١٩٨٨). واثر المؤتمر الصحافي، صرح وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، بأن «موقف عرفات انتقل من الغموض الى الوضوح، استجابة للشروط الاميركية» (**المصدر نفسه**).

وفي المقابل، أجمع مراقبون على «ان المبادرة الفلسطينية تمكنت... من احراج الخصوم،

الولايات المتحدة واسرائيل. واضطرت واشنطن، أخيراً، الى النزول عن الشجرة العالية التي تسلّقتها برفض منح الرئيس الفلسطيني تأشيرة دخول الى نيويورك، العاصمة الاولى للامم المتحدة؛ فيما تعمّقت العزلة الاسرائيلية، بدليل الاعترافات الدولية المتتالية بدولة فلسطين، والترحيب العالمي الشامل بخطاب عرفات في جنيف، وبالتجاوب الاميركي معه» (سعادة سوداح، **فلسطين الثورة**، ١٩٨٨/١٢/٢٥).

من جهة أخرى، رأت أوساط سياسية فلسطينية ان نجاح السياسة الفلسطينية يستند، في جزء أساسي منه، الى الدعم العربي لهذا القرار، مشيرة الى انه «اذا كان الفلسطينيون يدركون أهمية ان يتحركوا باستمرار من داخل حركة عربية أوسع، فان على الادارة الاميركية القديمة ـ الجديدة ان تدرك أهمية المساندة العربية للسياسة الفلسطينية. فمن خلال هذا الادراك وحده يكتشفون كم ان سياستهم المعادية للفلسطينيين هي سياسة معادية للعرب في الوقت نفسه، وهي، في النهاية، ولهذا السبب، سياسة تنعكس سلباً على مصالحهم في المنطقة العربية» (بلال الحسن، **اليوم السابع**، ١٩٨٨/١٢/١٢).

بدء الحوار الاميركي ـ الفلسطيني

يبدو ان ثلاثة عوامل اساسية تضافرت ودفعت في اتجاه بدء الحوار الاميركي ـ الفلسطيني. أول هذه العوامل هو ان مبادرة السلام الفلسطينية اتخذت أبعاداً دولية، وحققت، في فترة وجيزة، ثقلاً دولياً معترفاً به. والثاني تمثّل في فشل الولايات المتحدة في دفع قيادة م.ت.ف. الى تنازلات تمس جوهر مقررات المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة. والثالث هو عزلة الولايات المتحدة، دولياً، التي أحدثتها مبادرة السلام الفلسطينية، وفرضت على واشنطن ضرورة التعاطي مع الوقائع السياسية الجديدة لـ م.ت.ف.

عملياً، بدأ الحوار بعدما قررت الولايات المتحدة الاميركية، بتاريخ ١٤/١٢/ ١٩٨٨، تكليف سفيرها في تونس، روبرت بلترو، بالالتقاء مع مسؤولين في م.ت.ف. فتمّ الاتصال المباشر الاول مساء ١٥/١٢/١٩٨٨ فيما بين السفير ومسؤول في الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. في تونس (**النهار**، ١٦/١٢/١٩٨٨). وبتاريخ ١٦/١٢/١٩٨٨، بدأت جلسات الحوار الفلسطيني ـ الاميركي؛ فشارك فيها وفد فلسطيني قوامه عضوا اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. عبدالله حوارني وياسر عبدربه، ومدير عام الدائرة السياسية، عبداللطيف أبو حجلة، وسفير فلسطين في تونس حكم بلعاوي.

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة انتدبت للحوار سفيرها في تونس فقط، وعلى الرغم ممّا أعقب المباحثات من تضارب في المعلومات حول ما طرحه السفير الاميركي على وفد م.ت.ف. الاّ ان الخطوة لاقت قبولاً وترحيباً في الاوساط السياسية الفلسطينية المشاركة في أطار م.ت.ف. وفي هذا السياق، صرح الامين العام للجبهة الشعبية، د. جورج حبش، في دمشق قائلاً: «اننا نرحب بهذا القرار بغض النظر عن معرفتنا بنوايا وأهداف الادارة الاميركية التي أوضحت بقولها ان بدء الحوار مع م.ت.ف. لا يعني الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وفي اقامة دولته المستقلة» وتابع: «ان جوابنا على الادارة الاميركية بهذا الشأن سيكون بتصعيد نضالاتنا حتى نفرض عليها وعلى اسرائيل الاعتراف بكافة قرارات الشرعية الدولية، بما في ذلك حقنا في تقرير المصير والعودة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة» (**السفير**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

واعتبر المتحدث باسم الجبهة الديمقراطية «الاعلان الاميركي عن بدء الحوار العلني مع م.ت.ف. انتصاراً جديداً للانتفاضة، خاصة انه جاء بعد أيام قليلة من دخول الانتفاضة عامها الثاني» (**المصدر نفسه**). واعتبر عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، هاني الحسن، الموقف الاميركي ببدء الحوار نتيجة من نتائج الانتفاضة ونضال شعبها «الذي انتزع دولته على أرضه وكلّف القيادة السياسية بانتزاع الشرعية الدولية له وفرض وجود هذه الدولة. وبالرغم من ان الاستجابة الاميركية تراها قد جاءت متأخرة عن الاجماع الدولي العام، الاّ انها، وبدون شك، تعد حدثاً مهماً، وتحولاً جذرياً في سرعة تطور الاحداث في منطقة الشرق الاوسط» (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٧/١٢/١٩٨٨).

من جهته، وصف عرفات القرار الاميركي،

بأنه «خطوة في الاتجاه الصحيح». وقال: «بدون شك، فان هذا القرار يقدم فرصة كبيرة للقضية الفلسطينية... [و] ان م.ت.ف. ستواصل استراتيجيتها الجديدة، على الرغم من رفض اسرائيل لتسوية سياسية لخلافاتهما» (**القبس**، الكويت، ١٧ ـ ١٨/١٢/١٩٨٨). ورداً على بعض التعليلات التي ترافقت مع عملية بدء الحوار والقائلة بوجود تراجع فلسطيني أدى الى بدئه، نفى عرفات ان يكون قد «خضع للشروط والمطالب الاميركية»، وقال: «ان هذا القول سخيف... انا لم أغيّر سياستي. [فـ] الذي تغير هو سياسة الولايات المتحدة». وأوضح: «لقد أعلنت انا نفسي منذ خمس سنوات موافقتي على القرار ٢٤٢، حيث طالبت بعقد المؤتمر الدولي لحل القضية الفلسطينية». وفسّر عرفات التغير الاميركي والقبول باجراء الحوار مع م.ت.ف. قائلاً: «ان العالم كله رأى وتأكد ان الموقف الاميركي منحاز تمام الانحياز الى جانب اسرائيل، وان العالم غير مستعد ان يقبل هذا الموقف؛ ووصلت ذروة رفض العالم للسياسة الاميركية عندما منعت واشنطن عني تأشيرة الدخول» (**القبس**، ١٩٨٨/١٢/٢٣).

الى ذلك، أكد عضو الوفد الفلسطيني المحاور، ياسر عبدربه، ان الوفد أكد خلال اللقاء ان م.ت.ف. تأمل في ان يؤدي هذا الحوار الى تقريب عقد المؤتمر الدولي للسلام، بمشاركة جميع الاطراف المعنية بالصراع، «وان الحوار مع الادارة الاميركية له أهميته، لأنه يثبت ان العالم، بفعاليته المطلقة، شهد بأن سياسة م.ت.ف. هي سياسة السلام، وان سياسة حكام اسرائيل هي مواصلة الحرب والارهاب المنظّم ضد الشعب الفلسطيني» (**الحرية**، نيقوسيا، ١٩٨٨/١٢/٢٥).

من جهته، حدد عضو اللجنة المركزية لـ «فتح» صلاح خلف (أبو أياد)، الموقف الفلسطيني من عملية الحوار، بأن م.ت.ف. «ليست مستعدة لالقاء السلاح؛ وان الحفاظ على وحدة المنظمة واستمرار الانتفاضة في الاراضي المحتلة هما الضمانتان الوحيدتان لسلامة القضية الفلسطينية. واذا كانت الادارة الاميركية تتوقع وقف الانتفاضة، وعدم مهاجمة مواقع جيش الاحتلال العسكرية، فان باستطاعة الرئيس ريغان وقف الحوار منذ الآن» (**فلسطين الثورة**، ١٩٨٨/١٢/٢٥).

ورأت أوساط سياسية عربية ان القضية الاساسية لا تزال تتجسّد في الرفض الاسرائيلي، «لذلك سيكون الحوار الاميركي ـ الفلسطيني طويلاً وشاقاً» (ميشال أبو جودة، **النهار**، ١٩٨٨/١٢/١٦)؛ في حين رأت أوساط غربية ان م.ت.ف. تواجه «أصعب الاختبارات التي مرّت بها على الاطلاق... فمشكلة عرفات الفورية ستكون المحافظة على مصداقية طروحاته الاخيرة. فهل الواضح من كلام عرفات، ان م.ت.ف. ستفاوض على أساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ دون وضع الدولة الفلسطينية كشرط مسبق ؟» (الكسندر هيغ، **القبس**، ١٩٨٨/١٢/٢٧؛ نقلاً عن **انترناشونال هيرالد تربيون**، بدون ذكر تاريخ النشر).

نحو اعلان حكومة مؤقتة

عقدت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. في الفترة الواقعة ما بين ٢٤ ـ ١٩٨٨/١٢/٢٦ دورة اجتماعات لها، في بغداد، استعرضت خلالها الوضع السياسي، وفي المقدم منها تطور الانتفاضة في الاراضي المحتلة وما تتطلبه من تعزيز ودعم (وفا، تونس، ١٩٨٨/١٢/٢٧). وقرّرت اللجنة التنفيذية تشكيل لجنة قانونية لوضع صيغة الحكومة الفلسطينية المؤقتة ونظامها الداخلي. وأكدت أوساط اللجنة للمنظمة ان الشهور الثلاثة المقبلة ستشهد ولادة الحكومة الفلسطينية المؤقتة في المنفى، وستشارك فيها جميع الاطراف الفلسطينية (**الحياة**، لندن، ١٩٨٨/١٢/٢٧).

وأفادت أوساط سياسية فلسطينية أخرى بأن محور نشاط المنظمة سيتركز، في القريب العاجل، على رفع مستوى الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، ومحاولة ترتيب لقاء فيما بين وزير الخارجية الاميركية ورئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. وكذلك الاستفادة من التأييد والاعتراف الدولي الواسع بالدولة الفلسطينية وتشكيل الحكومة الفلسطينية المؤقتة.

سميح شبيب

ادارة فلسطينية للتضامن العربي

دخلت الانتفاضة عامها الثاني، وما زالت تتمتع بالعافية التي قاومت كل أشكال العسف الاسرائيلي؛ كما عصت على كل محاولات الاحتواء، مؤكدة انها حقيقة مستمرة حتى تحقيق أهدافها في انجاز التحرر من الاحتلال الاسرائيلي، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة؛ وأحالت جميع الباحثين عن اتصال سياسي بها الى منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني؛ وجعلت من العام ١٩٨٨، فعلاً، العام الدولي للقضية الفلسطينية؛ حتى وزير خارجية الولايات المتحدة، جورج شولتس، الذي طالب الحكومات العربية في العام ١٩٨٢، عند انعقاد قمة فاس، بتصحيح قرارات الرباط (١٩٧٤)، وجد نفسه، في ١٤/١٢/١٩٨٨، يعلن «ان الولايات المتحدة جاهزة للدخول في حوار جوهري مع ممثلي م.ت.ف.» (**الحياة**، لندن، ١٦/١٢/١٩٨٨)؛ كما أعلن الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، في مؤتمر صحافي، «ان الولايات المتحدة توافق، الآن، على اعتبار م.ت.ف. طرفاً في النزاع» (**المصدر نفسه**، ١٧ ـ ١٨/١٢/١٩٨٨). وهذا التطور في العلاقات الاميركية مع م.ت.ف. يعتبر حسب بعض المراقبين، وثبة عنوانها «الانتفاضة».

وعلى ذلك، يرى مراقبون ان «الاعتراف الاميركي بـ م.ت.ف. يشكل بداية رحلة الألف ميل في اتجاه اعتراف واشنطن بالدولة الفلسطينية» (خيرالله خيرالله، **المصدر نفسه**، ١٧ ـ ١٨/١٢/١٩٨٨، ص ٧)؛ وما كان ذلك ليحصل لولا «الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة؛ [و] الاختراق الدبلوماسي الفلسطيني؛ [و] الموقف الدولي المتجاوب مع الاعتدال الفلسطيني؛... [و] شبه التضامن العربي حول ما تمّ فلسطينياً ودولياً؛ كل ذلك يشكل عناصر انقلاب سنة ١٩٨٨ على اخطاء العام ١٩٤٨» (عبدالوهاب بدرخان، **المصدر نفسه**)؛ فـ «القرارات الاخيرة التي صدرت عن المجلس الوطني الفلسطيني، مع رفض واشنطن منح زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، تأشيرة دخول [حشدت] تأييداً ودعماً عربياً قوياً خلف منظمة التحرير الفلسطينية. وبرزت مصر والاردن والعراق كأبطال رئيسيين مدافعين عن القضية الفلسطينية، بعد ان اتخذت م.ت.ف. اخيراً، القرارات التي ظل العرب المعتدلون يحثونها على اتخاذها منذ سنوات. وهناك دول عربية راديكالية، من ضمنها الجزائر وليبيا، تقف، أيضاً، خلف م.ت.ف.... وأعطى القرار الاميركي برفض اعطاء عرفات تأشيرة الزعماء العرب المعتدلين قضية يظهرون من خلالها وحدة هدفهم والتزامهم تجاه القضية الفلسطينية» (جيم موير، **القبس**، الكويت، ٨/١٢/١٩٨٨، ص ٨؛ نقلاً عن **كريستيان ساينس مونيتور**، بدون ذكر تاريخ النشر).

وجاءت ردود الفعل العربية على القرار الاميركي حاسمة. فقد اتصل الملك الاردني حسين، فور صدور القرار، مع الرئيس المصري، حسني مبارك، «وتبادلا الرأي في الخطوات الواجب اتخاذها [في] ضوء قرار وزير الخارجية الاميركية عدم منح تأشيرة دخول للولايات المتحدة للسيد عرفات... [و] اتفقا على ضرورة بذل جهد عربي جماعي لنقل مناقشة الجمعية العامة للامم المتحدة لبند قضية فلسطين من مقر الامم المتحدة في نيويورك الى المقر الاوروبي في جنيف» (**القبس**، ٢٨/١١/١٩٨٨). كما أجرى وزير خارجية الاردن، طاهر المصري، اتصالات مع وزراء الخارجية العرب للامر نفسه (**المصدر نفسه**). وكان عرفات في زيارة للاردن عند صدور القرار الاميركي، حيث بحث مع الملك الاردني في «سبل تعزيز التعاون والتنسيق بين الجانبين بعد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، التي اشتملت على اعلان قيام الدولة الفلسطينية» (**الاهرام**، القاهرة، ٢٨/١١/١٩٨٨). بدوره، أعرب الرئيس المصري «عن أسفه الشديد لعدم موافقة الولايات المتحدة الاميركية على منح تأشيرة دخول للسيد ياسر عرفات... وقال... أنه بعث برسالة الى الرئيس

الاميركي، رونالد ريغان، ووزير خارجيته، جورج شولتس، لاعادة النظر في الموقف الذي اتخذته أميركا بشأن منح السيد عرفات... تأشيرة دخول... ودعا الولايات المتحدة كي تضع في اعتبارها اصدقاءها في المنطقة العربية» (المصدر نفسه، ٢٩/١١/١٩٨٨)؛ كما دعا ملك العربية السعودية، فهد بن عبدالعزيز، «الولايات المتحدة الى الرجوع عن قرارها الخاص بعرفات... الذي يشكل مساساً بالشعب الفلسطيني قاطبة» (المصدر نفسه، ٣٠/١١/١٩٨٨). وكلف الملك فهد سفير السعودية في واشنطن، الامير بندر بن سلطان، بالاتصال بالادارة الاميركية للبحث في شأن القرار الاميركي الرافض لدخول عرفات الى نيويورك (الحياة، ٣٠/١١/١٩٨٨). ورأت أوساط سياسية سعودية مطلعة في الرياض «في القرار الاميركي الرافض... 'عقبة' تضعها الادارة الاميركية... أمام أي دور اميركي لايجاد تسوية عادلة لأزمة الشرق الاوسط؛ وان واشنطن، بهذا القرار، تفقد الكثير من دورها في المنطقة... لأن قرارها هذا يحبط الآمال في امكان تحقيق تسوية سلمية لأزمة الشرق الاوسط بعد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الاخير» (الحياة، ٢٩/١١/١٩٨٨). وأعرب مجلس الوزراء السعودي، في جلسته التي عقدها بتاريخ ٢٨/١١/١٩٨٨، عن «ارتياحه وتقديره لمواقف الدول العربية والاسلامية وبعض الدول الاوروبية من موضوع القرار الاميركي» (المصدر نفسه). ولم تبق دولة عربية الّا وأدلت برأيها المعارض للقرار الاميركي؛ حتى سوريا، اذ قالت الاذاعة السورية، في تعليق لها (٣٠/١١/١٩٨٨)، من دون ايراد اسم عرفات: «ان رفض الادارة الاميركية منح تأشيرة دخول لسياسيين من حقهم شرح وجهات نظرهم امام الجمعية العامة للامم المتحدة، يشكل خرقاً لاتفاق المقرّ والالتزامات الاميركية تجاه المنظمة الدولية» (السفير، بيروت، ١/١٢/١٩٨٨)؛ كما كان وزير خارجية سوريا، فاروق الشرع، أعلن، في ٢٨/١١/١٩٨٨، «ان سوريا لم تفاجأ بالقرار الاميركي... واعتبر تقديم تنازلات للولايات المتحدة لا يمكن الّا ان يضر بالمصالح العربية» (المصدر نفسه). وعلّقت أوساط رئيس عربي على القرار الاميركي بالقول: «ان أميركا برفضها اعطاء تأشيرة يمكن ان يتسبب في قطيعة شاملة بين العرب والولايات المتحدة، التي لا تأخذ بالمستجدات التي جعلت من عرفات رئيس دولة» (الحوادث، لندن، العدد ١٦٧٤، ٢/١٢/١٩٨٨، ص ١١). وأشار رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في رسالته الى لجنة الحقوق الفلسطينية التابعة للامم المتحدة، «الى رفض الادارة الاميركية منح تأشيرة الدخول الى نيويورك... [بأنه] ليس موقفاً معادياً للشعب الفلسطيني وحسب، بل موقف عدائي ضد الامم المتحدة وتدخلاً سافراً في شؤونها الداخلية؛ كما انه تهديد خطير لعضوية الدول الأعضاء في المنظمة... [و] السكوت على هذا القرار يجعل من الامم المتحدة رهينة بيد الادارة الاميركية تخضعها للتهديد الجغرافي، والابتزاز المالي، والضغط السياسي» (القبس، ١/١٢/١٩٨٨).

لقد أدى قرار شولتس بعدم منح تأشيرة دخول لعرفات الى نيويورك الى «عزل الولايات المتحدة دولياً؛ [و] تسجيل انتصار للشرعية الدولية بحد ذاتها، بعدما أدلى المستشار القانوني للامم المتحدة برأيه القائل ان القرار الاميركي هو مخالفة صريحة لاتفاقية المقرّ...؛ [و] تضامن اوروبي غربي مع الموقف الفلسطيني والعربي تجسّد في تنديد حلفاء اميركا واصدقائها بقرار حجب تأشيرة الدخول؛ [و] تمكّن المجموعة العربية من وضع استراتيجية عملية، تدريجية ومنطقية، نجحت في عدم السماح لواشنطن بالفرض على م.ت.ف. مَنْ تعيّن ومَنْ تستثني في وفدها الى الامم المتحدة؛ كما تصدت لمحاولة التحقير الاميركية، معتبرة قرارها طعنة بالكرامة العربية... فتجلّى التضامن والتنسيق العربي في مظاهرة دبلوماسية وسياسية لا تتكرر يومياً على الساحة الدولية» (راغدة درغام، الحوادث، العدد ١٦٧٥، ٩/١٢/١٩٨٨، ص ٣٤). ورأى احد المراقبين ان واشنطن «في أي حال من الاحوال كانت... خاسرة، لأنها وضعت نفسها في مواجهة ليس الدول العربية فحسب، بل جميع دول العالم التي أعلنت اعترافها بالدولة الفلسطينية، وجميع الدول الغربية التي وجدت في اعتراف الفلسطينيين بالقرار ٢٤٢ خطوة ايجابية... [و] القرار الاميركي لم يلق سوى الشجب والاستنكار، وهو يأتي في وقت حققت فيه المسألة الفلسطينية خطوة نوعية كبيرة، ليس من شأن رفض اعطاء

تأشيرة دخول لياسر عرفات، ان يؤخرها او ان يعرقلها» (داوود الصايغ، **الصياد**، بيروت، العدد ٢٣٠١، ١٩٨٨/١٢/٩، ص ٣٥). وكتب آخر: «لكي نكون منصفين، لا بد من القول ان شولتس قد أسدى للقضية الفلسطينية خدمة لم تكن تحلم بها، سواء على المستوى العربي، أم على المستوى الدولي... [ف] غضبة الرأي العام العالمي، والدول كلها في الشرق والغرب، وحتى الصحافة الاميركية، على ما وصفته بالقرار الغبي الذي اتخذه شولتس ' قد فتح المجال لهجمة دبلوماسية عربية، لو اقترنت بتضامن عربي شامل لأمكن تحقيق كثير من الاهداف العربية ' » (نشأت التغلبي، **الحوادث**، العدد ١٦٧٦، ١٩٨٨/١٢/١٦، ص ٢٩). وذهب آخر الى «ان التاريخ سيسجل، استناداً لهذه الحادثة الغريبة، ان شولتس بدلاً من ان يلحق الضرر بالقضية الفلسطينية، الأمر الذي قصده بالتأكيد، ساعدها الى حد كبير. وفي الحقيقة، قد يجد ياسر عرفات الفرصة ذات يوم ليكتب لوزير الخارجية: شكراً مستر شولتس» (باتريك سيل، **القبس**، ٣ ـ ١٩٨٨/١٢/٤، ص ٢).

الامم المتحدة تذهب الى عرفات

في ضوء ردود الفعل على قرار الادارة الاميركية، تحركت العواصم العربية، وحرّكت وفودها في هيئة الامم المتحدة للعمل كي يتمكن عرفات من مخاطبة الجمعية العامة. وكانت القاهرة صلة الوصل. ففي ١٩٨٨/١١/٢٨، وصل الرئيس العراقي، صدام حسين، فجأة، الى القاهرة، واجتمع الى الرئيس المصري، حسني مبارك، حيث أشار الرئيس حسين، بعد اللقاء، الى «ان القضية الفلسطينية تأخذ أسبقية على كل القضايا الاخرى. وهذا أمر طبيعي بعد القرارات التي صدرت في الجزائر عن م.ت.ف... [و] هذه القرارات تتطلب الدعم بأقصى ما نملك من اقتدار وقوة في شتى المجالات، لكي يتبلور عنها ما يخدم شعب فلسطين المجاهد والمناضل من اجل أرضه ومن أجل اقامة دولته المستقلة» (**الاهرام**، ١٩٨٨/١١/٢٩). بعد الرئيس العراقي، وصل الى القاهرة الملك الاردني حسين، في ١٩٨٨/١١/٣٠. وبعد مباحثات مع الرئيس المصري، صرح وزير الاعلام المصري، صفوت الشريف، بـ «ان المباحثات تناولت، من بين ما تناولته، تطورات القضية الفلسطينية، وتقييم ردود الفعل العالمية لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني، والتشاور والتنسيق حول الخطوات المستقبلية بالنسبة لمساندة القضية الفلسطينية وطرحها على الرأي العام العالمي؛ كما تمّ بحث [في] التنسيق العربي لمساندة مقررات المجلس الوطني الفلسطيني» (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٢/١). كما أكد مصدر اردني في عمّان ان من بين ما اهتمّت به المباحثات «المبادرة الدبلوماسية الاردنية ـ المصرية في أعقاب رفض واشنطن منح السيد عرفات... تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة» (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٩٨٨/١١/٣٠). أما عرفات، فحركته لا تهدأ بين العواصم العربية والعالمية. وقد أعرب عن ثقته «بنجاح الدول العربية في محاولاتها نقل مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة قضية فلسطين الى جنيف، ليتسنى له المشاركة فيها»، بعد منعه من دخول الولايات المتحدة (**الحياة**، ١٩٨٨/١١/٢٩).

وبناء على توجيهات وزراء الخارجية العرب، بحث رؤساء الوفود العربية في هيئة الامم المتحدة في الاجراءات الواجب اتخاذها للرد على القرار الاميركي، وتضمّنت، من بين ما تضمنته، «نقل مناقشة القضية الفلسطينية المقرر لها الأول من كانون الاول (ديسمبر)، الى مقر الامم المتحدة في جنيف...؛ [و] ابلاغ دي كويلار بالقرار الاميركي ومطالبته باتخاذ الاجراءات الكفيلة ببحث المخالفة القانونية مع وزارة الخارجية الاميركية...؛ [و] اعداد بيان يفنّد كل الادعاءات التي نسبتها وزارة الخارجية الاميركية الى عرفات كمبرر لهذا الاجراء ضده» (**الاهرام**، ١٩٨٨/١١/٢٨). وقال مندوب جامعة الدول العربية لدى الامم المتحدة، د. كلوفيس مقصود: «ان المجموعة العربية ستطالب الجمعية العامة والامين العام للامم المتحدة بموقف مسجل حول القرار الاميركي... [و] ان آمالنا بأن تعود ادارة ريغان عن قرارها ضعيفة جداً، ولكن لن نتوانى عن استنفاد كل القنوات الدبلوماسية... [ف] قرار المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر باعلان دولة فلسطينية مستقلة يشكّل فرصة تاريخية لاحقاق السلام في الشرق الاوسط؛ وان القرار الاميركي جاء ضربة لهذه الفرصة

التاريخية... [و] المجموعة العربية، وبدعم مجموعات اقليمية أخرى، ستطالب بنقل مناقشة بند فلسطين الى جنيف، اذا لم تتراجع الادارة الاميركية عن قرارها» (**القبس**، ٣٠/١١/١٩٨٨). ولم تتراجع الادارة الاميركية عن قرارها، ورفضت «آخر انذار من الامم المتحدة... وقدمت المجموعة العربية في الامم المتحدة مشروع قرار يطالب بنقل مناقشات بند فلسطين الى المقر الاوروبي للمنظمة الدولية في جنيف... حتى يتاح للسيد عرفات القاء خطابه هناك خلال الفترة من ١٣ ـ ١٥ كانون الاول (ديسمبر)... وقد بادرت المجموعة العربية بتقديم هذا المشروع بعد ساعة تقريباً من تسليم المندوب الاميركي في الامم المتحدة... لدي كويلار قرار بلاده، وكذلك رفض طلب قدمته المنظمة الدولية للادارة الاميركية لاعادة النظر في رفضها» (**المصدر نفسه**، ٣ ـ ٤/١٢/١٩٨٨). وكانت الجمعية العامة نددت برفض الولايات المتحدة منح عرفات تأشيرة دخول، باعتبارها انتهاكاً لالتزاماتها القانونية، ودعت واشنطن الى العودة عن قرارها. وجاء التنديد في قرار صوّتت عليه الجمعية العمومية بأكثرية ١٥١ صوتاً، مع اعتراض الولايات المتحدة واسرائيل، وامتناع بريطانيا عن التصويت (**النهار**، ١/١٢/١٩٨٨). أما بالنسبة الى قرار نقل المناقشات الى جنيف، فقد تضمن: «١ ـ ان الجمعية العامة تعبّر عن استيائها لعجز دولة المقر، الولايات المتحدة، عن الرد الايجابي على الطلب الذي تضمّنه قرارها الصادر [في ١/١٢/١٩٨٨] باعادة النظر والتراجع عن قرارها برفض منح عرفات تأشيرة دخول؛ ٢ ـ تقرر الجمعية العامة، في ظل الظروف الحالية القهرية والضاغطة، ان تتم مناقشة القضية الفلسطينية المدرجة في البند ٣٧ من جدول أعمال دورتها الحالية الـ ٤٣ في مقر الامم المتحدة بجنيف في الفترة ما بين ١٣ ـ ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨؛ ٣ ـ تطلب الجمعية العامة من السكرتير العام للامم المتحدة اجراء الترتيبات لتنفيذ القرار» (**الاهرام**، ٣/١٢/١٩٨٨). وقد صوّت الى جانب القرار ١٥٤ دولة، وعارضته الولايات المتحدة واسرائيل، وامتنعت بريطانيا عن التصويت.

وهكذا، مَثّل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، أمام أعضاء الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٣/١٢/١٩٨٨، وألقى خطابه، الذي عرض فيه الموضوع الفلسطيني ومقرّرات المجلس الوطني الأخيرة؛ وقدم مبادرة فلسطينية للسلام من ثلاث نقاط (انظر نص الخطاب في «وثائق» هذا العدد، ص ١٣٣ ـ ١٤١).

وخلال مناقشات الجمعية العامة لقضية فلسطين، عقدت المجموعة العربية «عدة اجتماعات مع أعضاء الوفد الفلسطيني لاعداد المشروع النهائي الذي طرح على الجمعية العامة للتصويت عليه... وعلى هامش اجتماعات الجمعية العامة... عقدت اللجنة السباعية، المشكّلة لدعم الانتفاضة الفلسطينية، اجتماعاً [١٥/١٢/١٩٨٨] برئاسة عرفات، حضرها وزراء خارجية ومندوبو كل من العراق وسوريا والاردن والمغرب والجزائر وتونس والمنظمة» (احسان بكر، **المصدر نفسه**، ١٦/١٢/١٩٨٨، ص ٤)؛ وكان عرفات قال، في ١٢/١٢/١٩٨٨، في ابو ظبي: «ان الوفود العربية في المنظمة الدولية أعدت عدداً من مشروعات القرارات تجرى مناقشتها مع الاعضاء الآخرين ولجان الامم المتحدة للوصول الى قرار دولي يدعم القضية الفلسطينية» (**الاهرام**، ١٣/١٢/١٩٨٨). وقد أجمعت الوفود العربية، في كلماتها، «على ضرورة دعم الموقف الفلسطيني؛ ودعا وزير خارجية السعودية، الامير سعود الفيصل، في كلمته، الى فرض عقوبات على الطرف الذي يرفض تنفيذ قرارات الامم المتحدة» (**الحياة**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

واختتمت الجمعية العامة مناقشاتها للقضية الفلسطينية «باصدار قرار تاريخي حول القضية الفلسطينية يؤكد الترحيب بقيام الدولة الفلسطينية الجديدة، ويطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وبحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وبضرورة انعقاد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، وتحديد التمثيل الفلسطيني في الامم المتحدة... وينص القرار على ان تحلّ دولة فلسطين محل منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب لدى الامم المتحدة، على ان تظل المنظمة تمارس عملها في الامم المتحدة» (بكر، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤).

هذه الاستجابة الدولية للدبلوماسية الفلسطينية والعربية سببها، كما قال رئيس

اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. «ما أقرّه المجلس الوطني الفلسطيني من قرارات تتجاوب مع الارادة الدولية الهادفة الى تحقيق السلام في الشرق الاوسط [و] يمثّل قاعدة صلبة ومساهمة ايجابية لتحريك الجهد الدولي للسلام وانجاز الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف» (**القبس**، ١٩٨٨/١٢/١)؛ والجهد الدولي قد يصبح قابلاً للتشغيل، اذا تحركت الولايات المتحدة بشكل ايجابي، كما قال عرفات أيضاً، لأن «مؤتمراً دولياً لاحلال السلام في الشرق الاوسط قد يعقد اذا وافقت واشنطن... وان اسرائيل تنفّذ ما تقوله الولايات المتحدة» (**المصدر نفسه**، ١٠ - ١٩٨٨/١٢/١١)؛ ولذا، فان عرفات «يريد اقامة اتصالات مع الولايات المتحدة لتحقيق السلام» (**المصدر نفسه**). لكن للولايات المتحدة مطالبها لاقامة الاتصال مع م.ت.ف.

دخان ابيض

وقد شهد الاسبوعان الاولان من كانون الاول (ديسمبر) اتصالات عربية وعالمية محمومة لاقامة جسر اتصال بين واشنطن وم.ت.ف. وبدا للدول العربية المعنيّة باقامة الاتصال ان ما جاء في البيان السياسي الصادر عن دورة المجلس الوطني الاخيرة، كاف لتلبية المطالب الاميركية. فقد قال الملك الاردني حسين، في خطاب له في بريطانيا: «ان م.ت.ف. الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، تتحمّل مسؤولياتها تجاه التوصل الى سلام حقيقي وعادل... [و] ان الفلسطينيين اظهروا رغبتهم في ذلك، وقد بدا ذلك جلياً في القرارات التي اتخذها المجلس الوطني الفلسطيني... [فهم] أعلنوا قبولهم لقراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس لأي حل سلمي... وكذلك نبذهم للارهاب... وبمثل هذا الموقف الاساسي يكون الفلسطينيون قد تجاوبوا مع المطالب المختلفة، وخاصة تلك التي قدمتها الولايات المتحدة كالتزام تجاه هذه القرارات من أجل تأهيلهم [الفلسطينيين] كشركاء في عملية السلام» (**السفير**، ١٩٨٨/١٢/٥).

وخلال المرحلة ما بين قرار نقل مناقشات الجمعية العامة لقضية فلسطين الى المقرّ الاوروبي في جنيف والقاء عرفات خطابه في الجمعية العامة، شهد بعض العواصم العربية والاوروبية نشاطاً خلف الكواليس اتسم بالضغط في اتجاهين: على الولايات المتحدة كي تقبل ما يعلنه الفلسطينيون؛ وعلى الفلسطينيين كي يعلنوا ما تريده واشنطن؛ وكانت العاصمة السويدية، ستوكهولم، والعاصمة البريطانية، لندن، محطتين رئيستين.

وبعد القاء عرفات خطابه في الجمعية العامة، في ١٩٨٨/١٢/١٣، الذي لاقى قبولاً واستحساناً لدى جميع دول العالم، الاّ الولايات المتحدة، وبالطبع اسرائيل، قال الرئيس المصري، حسني مبارك: «أعتقد بأن هذا يكفي. فعرفات استجاب لكل المطالب، بما في ذلك الاعتراف باسرائيل كدولة تعيش بأمان الى جانب دولة فلسطين» (الان كويل، **انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٩٨٨/١٢/١٥، ص ٤). كما أعربت السعودية «عن ارتياحها الكبير للخطاب الذي ألقاه رئيس اللجنة التنفيذية... [حيث] كان واضحاً ودقيقاً وصادقاً، وتميّزت كافة المبادرات التي تضمّنها خطابه بالموضوعية والاتزان والرغبة الصادقة في السلام الحقيقي، شرط انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها منذ العام ١٩٦٧ مع حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني»، حسب ما ذكرته وكالة الانباء السعودية (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/١٦).

لكن الولايات المتحدة لم تكتف بما ورد في خطاب عرفات. وبدأت الخطوط الساخنة تعمل بين عواصم العالم وواشنطن. فقد قال الرئيس المصري، مبارك: «عندما وجدنا ان العملية اصبحت في منطقة حرجة اتصلت بوزير الخارجية الاميركية، وقلت له: ان هذا الموقف غير معقول. فأنت تعلم الجهود التي بُذلت من اجل اخراج قرارات المجلس الوطني الفلسطيني بهذا الشكل، ثم المجهودات التي بذلت من اجل خطاب ابو عمار، وتفاهمنا مع جميع الاطراف، فلماذا لا تساندون الدول العربية المعتدلة [؟] فمن غير المعقول ان نكون وحدنا على المسرح، وأصدقاؤكم في المنطقة غير راضين عن هذا الموقف... [و] لا بد ان تساعد أصدقاءك في المنطقة» (من مقابلة مع مبارك، **الشرق الاوسط**، ١٩٨٨/١٢/٢٢، ص ٤).

وبدا ان كل شيء في طريقه الى الانهيار. فقد قال مسؤولون عرب: «ان السيد عرفات بدا يوم

الاربعاء [١٤/١٢/١٩٨٨] معتقداً وكأنه يُدفع بعيداً تحت ضغط الشروط الاميركية لفتح الحوار بما يمس شرفه. وخلال النقاش مع المجموعة العربية، قالوا ان رئيس م.ت.ف. سأل زملاءه: هل تريدونني كالسادات ؟» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٥/١٢/١٩٨٨)؛ وكان رأي «بعض مستشاري القائد الفلسطيني انه يجب ان يذهب الى الحدود القصوى في الوفاء بتعهداته، لأن الاحترام الناقص للاتفاق الضمني مع الاميركيين يعني اننا قلنا كل شيء دون ان نسجل أي مكسب سياسي. وتعرض رئيس اللجنة التنفيذية لنصائح مماثلة من جانب السعودية والمصريين والمغاربة، فيما بادرت المجموعة العربية بتوجيه انذار الى اميركا تخبرها بأن العرب سيتخذون قرارات خطيرة، اذا لم تبادر الولايات المتحدة، باتخاذ موقف ايجابي من خطاب عرفات» (باهي محمد، **السفير**، بيروت، ٢٢/١٢/١٩٨٨).

ونظّمت شبكة تلفزيونية، عبر أقمار الاتصالات، لقاء جمع بين بسام ابو شريف واليهودية الاميركية ريتا هاوزر، اعترف فيه ابو شريف بـ «ان خطاب عرفات لبّى ' حرفياً ' شرطين من الشروط الثلاثة؛ اما الاعتراف الصريح بحق اسرائيل في الوجود، فان صيغته في الخطاب تغيرت قليلاً. فأجابت هاوزر قائلة: ' واتمنّى ان تتوضح هذه النقطة غداً خلال المؤتمر الصحافي الذي سيعقده عرفات في بيان واضح ينطق عبره بالكلمات نفسها التي تريدها وزارة الخارجية: واحد، اثنان، ثلاثة... وانت تعرف ان لا بد من التصريح بالمواقف بالصورة المحددة... وأكرر اني آملة بأن تتأكد من ان يقول عرفات غداً ما يريد شولتس سماعه ' » (راغدة درغام، **الحوادث**، العدد ١٦٧٧، ٢٣/١٢/١٩٨٨، ص ٢٨ ـ ٢٩). أما وزيرا خارجية السويد ومصر، فقد أبلغا الى شولتس «انهما يسعيان لاقناع عرفات باتخاذ خطوة اضافية. وفي جنيف حمل عبدالمجيد رجاءه الشخصي الى عرفات... وقد ضغط العرب المعتدلون، مصر والاردن والعراق، أيضاً، على عرفات كي يحاول، مرة أخرى، توضيح آرائه. وأخيراً نجحت كل هذه الضغوط» (إد ماغنيسون وآخرون، **تايم**، العدد ٥٢، ٢٦/١٢/١٩٨٨، ص ١٣)؛ وأبرق وزير خارجية السويد الى واشنطن «يعلن ان كل شيء لا يزال ممكناً» (باهي محمد، **مصدر سبق ذكره**).

وفي ١٤/١٢/١٩٨٨، تلا عرفات بياناً، في جنيف (نصه في «وثائق» هذا العدد، ص ١٤١ ـ ١٤٣). وبعد البيان بساعات، أعلن الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، في بيان له، فتح حوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية (نص البيان في «وثائق» هذا العدد، ص ١٤٤). ثم اصدر وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، بياناً مماثلاً لبيان الرئيس ريغان؛ وبدا، بعد البيان الاميركي، ان العالم قد تنفّس الصعداء، باستثناء اسرائيل. وانفرجت أسارير معظم الزعماء العرب للقرار الاميركي. فقد بعث الرئيس المصري، حسني مبارك، برسالة «الى كل من الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، ووزير خارجيته، جورج شولتس، شكرهما فيها على موقف الولايات المتحدة الاميركية من القضية الفلسطينية... وأوضح ان هذه الخطوة ستفتح الباب لمرحلة جديدة من السلام والاستقرار في الشرق الاوسط» (**الاهرام**، ١٦/١٢/١٩٨٨)؛ وأضاف: «الحمد لله ان الحوار قد بدأ، وأتمنّى من اخواننا الفلسطينيين... ألّا تصدر التصريحات يميناً ويساراً... لأن هذه عملية غاية في الأهمية، ويجب الحذر في اصدار التصريحات حتى لا تستخدمها اسرائيل ضد الحوار الاميركي ـ الفلسطيني... [فـ] ما حدث هو نقطة تحوّل مهمة جداً» (من مقابلة مع مبارك، **الشرق الاوسط**، ٢٢/١٢/١٩٨٨). وقال مدير مكتب الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، ان القرار الاميركي «سيحسّن علاقات واشنطن مع العالم العربي... [وهو] سيحافظ، على الخط المعتدل والايجابي داخل صفوف منظمة التحرير، وان مصر تقدر قرار ريغان، وتأمل ان يكون بداية تفهّم اميركي لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير» (**الحياة**، ١٦/١٢/١٩٨٨). واعتبر وزير خارجية مصر، د. عصمت عبدالمجيد، «ان الحوار الاميركي ـ الفلسطيني سيسهم بدور فعّال في احراز تقدم حقيقي للتوصل الى تسوية سلمية دائمة وعادلة، [وناشد] اسرائيل... ان تتجاوب مع نداء السلام... [و] تشارك قريباً بدورها الايجابي في هذه المرحلة التاريخية» (**الاهرام**، ١٩/١٢/١٩٨٨).

وقوّم البيان الختامي الصادر عن قمة دول مجلس التعاون الخليجي (٢٢/١٢/١٩٨٨)،

ايجابياً، الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، «وأعرب عن أمله في ان يسفر الحوار القائم بين الولايات المتحدة وم.ت.ف. عن مواقف من شأنها ان تؤدي الى اتخاذ الاجراءات السريعة لعقد المؤتمر الدولي» (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/٢٣)؛ وناشد البيان «الدول التي لم تبادر بالاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة الى القيام بذلك» (**المصدر نفسه**).

وبدوره، أعرب الملك الاردني حسين عن تقديره لبدء الحوار بين الادارة الاميركية ومنظمة التحرير الفلسطينية؛ وأكد «دعم الاردن لمنظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ومؤازرته الكاملة لجهود المنظمة لتحقيق أماني الشعب الفلسطيني في السلام العادل والشامل» (**السفير**، ١٩٨٨/١٢/١٩).

وصرّح رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في بيان أصدره بالاشتراك مع رئيس ألمانيا الديمقراطية، ايريك هونيكر (١٩٨٨/١٢/١٥)، «بأن القرار الاميركي من الممكن ان يسهم في ايجاد تسوية للشرق الاوسط؛ وطالب بخطوات واضحة ومحددة للاعداد لمؤتمر دولي» (**الاهرام**، ١٩٨٨/١٢/١٦).

وقال الامين العام لجامعة الدول العربية، الشاذلي القليبي: «ان اعلان الولايات المتحدة الموافقة على بدء حوار مع م.ت.ف. خطوة ايجابية تتماشى مع تأييد المجتمع الدولي المتعاظم للخط السياسي الذي تنتهجه المنظمة... وأعرب عن أمله في ان تكون هذه الخطوة الاميركية مقدمة لاعتراف صريح بـ م.ت.ف. وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، واقامة دولته المستقلة» (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/١٦).

أما سوريا، فقد قال وزير خارجيتها، فاروق الشرع «انه اذا لم يغيّر الاميركيون سياستهم ازاء ازمة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، فانه ينبغي على الاتحاد السوفياتي اعادة النظر في سياسته الوفاقية في الشرق الاوسط» (**السفير**، ١٩٨٨/١٢/٢٢)؛ وأضاف: «ان سياسة م.ت.ف. لن تؤدي الى أية نتائج... [و] ما يجرى الآن هو مقامرة، وليس صنع سياسة... حيث لا يوجد هناك أي دليل يوحي بأن الاسرائيليين مستعدون للقبول بأي حق من حقوق الشعب الفلسطيني» (**المصدر نفسه**). وقال دبلوماسيون عرب: «ان التحرك الاميركي ضد سوريا في حالة حيرة؛ فالاسد لا يستطيع تجاوز المعادلة العربية... وفي نفس الوقت لا يستطيع، ببساطة، التخلي عن موقفه المتطرف الذي شكل، لفترة طويلة، فيتو على قرار الاجماع العربي... لكن المسؤولين المصريين تحدّوا قدرة الأسد على محاصرة القرار العربي» (الان كويل، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٧ ـ ١٨/١٢/١٩٨٨، ص ١ و٥).

تضامن عربي

يتفق معظم التحليلات للتطورات التي حصلت فيما بين ١٥/١١/١٩٨٨ ـ ١٥/١٢/١٩٨٨، على انها حدث تاريخي. فقد «غيّر القرار الاميركي الخاص بالتحدث الى م.ت.ف. المعلم السياسي للشرق الاوسط بصورة دراماتيكية، وعزز احتمالات السلام في المنطقة بدرجة كبيرة» (باتريك سيل، **القبس**، ١٩/١٢/١٩٨٨، ص ١ ـ ٢)؛ وهو «بمثابة اعتراف بشرعية ياسر عرفات الذي تصفه اسرائيل بأنه ' عدو ' . وفي هذا الصدد، يعتبر هذا التحول في موقف واشنطن، الذي لم يكن متوقعاً على الاطلاق، حدثاً تاريخياً» (فرانسوا اوتيه، **القبس**، ٢٠/١٢/١٩٨٨، ص ٨؛ نقلاً عن **لوفيغارو**، بدون ذكر تاريخ النشر)؛ وأهم المكاسب التي تحققت من القرار الاميركي الاخير «يمكن ايجازها في نقطتين هامتين: الاولى، ان اميركا، لأول مرة، تعترف بحق م.ت.ف. في تمثيل الشعب الفلسطيني والتحدث نيابة عنه... واذا كانت اميركا قد أعلنت ان قرارها لا يعد اعترافاً بالدولة الفلسطينية، الّا انه يعد اعترافاً بالكيان الفلسطيني والهوية الفلسطينية...؛ الثانية، سقوط الحظر الرسمي الذي فرضه كيسنجر على السياسة الاميركية، بل وعلى عديد من الدول الغربية بعدم التعامل او الاتصال بالمنظمة» (سلامة احمد سلامة، **الاهرام**، ١٨/١٢/١٩٨٨، ص ٧).

وسوف يساعد القرار الاميركي الدول العربية المعتدلة «التي كانت محرجة بشكل كبير جداً من التأييد الأعمى لاسرائيل. وسوف يوقف الراديكاليون العرب نيرانهم في الوقت الحاضر ليروا ماذا سيحدث... والحقيقة ان الرافضين اصبحوا على الهوامش الى حد كبير؛ ومن المتوقع ان

يظهر اجماع عربي في القمة العربية المقبلة يؤكد من جديد على استعداد عام للتعايش مع اسرائيل في سلام، اذا ما وافقت على قيام دولة فلسطينية وانسحبت الى حدود ما قبل حرب العام ١٩٦٧» (سيل، **مصدر سبق ذكره**).

ورأى مراقبون عرب ان «علينا... ان نتمسك بفضيلة الحذر والتحفظ والرويّة، وننتظر لنرى كيف تسير الاتصالات الاميركية ـ الفلسطينية، حتى ندرك حقيقة التغيّر الذي حدث في الموقف الاميركي ومداه» (سلامة، **مصدر سبق ذكره**). وفي ضوء ذلك، رأى آخر «ان الهدف الرئيس، الآن، يكمن في توحيد الموقف العربي لدعم الطرف الفلسطيني بكل السبل وعلى كل الاصعدة... وزيادة الضغط الممكن على الولايات المتحدة الاميركية لدفعها نحو العمل بقوة لعقد مؤتمر دولي للسلام، تمثّل فيه جميع الاطراف بما فيها دولتا فلسطين واسرائيل، لوضع تسوية شاملة للصراع. كلام بسيط وسهل، لكن صعوبته الحقيقية تكمن في كلمتي التوحّد العربي... [و] يبدو الأمل معقوداً على عقد قمة عربية شاملة... وشرط نجاحها في قدرتها على تحقيق اكثر من انجاز... أولاً، ان تكون قمة شاملة، أي تحضرها مصر وسوريا وليبيا في نفس الوقت؛ وثانياً، ان تضع استراتيجية عربية موحّدة تساند التوجه الذي اختاره الفلسطينيون لأنفسهم وبأنفسهم؛ وثالثاً، ان تُحَل العقدة السورية وتفك عزلتها، أي ان تصفى الخلافات السورية مع كل من مصر والعراق وم.ت.ف. ولبنان» (صلاح الدين حافظ، **الاهرام**، ١٩٨٨/١٢/٢١، ص ٧). ومن خلال مثل هذه القمة، حسب مراقب آخر، «يمكن للمنظمة ان تضع صياغة مناسبة جديدة للدور العربي المطلوب؛ دور يستطيع ان يستوعب، جماعياً، كل المزايدات والمناقصات التي اعتاد عليها العرب، ويستخلص منها موقفاً موحّداً يتعرض للمبدأ العام ولا يتطرق الى التفاصيل؛ يساند ولا يطالب؛ يدعم ولا يتدخل... [و] القمة القادمة سوف تكون القمة العربية الاولى في تاريخ القمم العربية التي تشارك فيها م.ت.ف. وهي في موقع المسؤولية تجاه شعبها، وليس تجاه أعضاء القمة... فالمنظمة، الآن، تمثل شعباً تمثيلاً حقيقياً وتتلقى مباشرة توجيهاً منه، ولا يمكن لأي عضو آخر في الجامعة... ان يزعم، لأسباب قومية او حزبية او شخصية، ان من حقه التحدث باسم الشعب الفلسطيني... فمنظمة التحرير مطالبة بأن تجدِّد وتتجدد، والحكومات العربية مطالبة بأن تراجع مفاهيم وعادات وسلوكيات؛ والعمل العربي المشترك مطالب بابداع... وكل القوى السياسية والقيادة العربية مطالبة بأن تتجاوز مرحلة اليأس والاحباط» (جميل مطر، **المصدر نفسه**). فمنظمة التحرير التي أعلنت قيام الدولة الفلسطينية «تحتاج، وهي التي غيّرت استراتيجيتها السياسية، الى تغيير استراتيجي عربي يؤدي الى التأثير القوي لفتح الطريق أمام الاستقلال... [و] التغيير الاستراتيجي العربي مسؤولية عربية، فردية وجماعية في آن، وهو، بصورة خاصة، مسؤولية عظمى تتحملها الجامعة العربية أمام التاريخ. فهل نقدر نحن، كل العرب، على تحمّل هذه المسؤولية العظمى ؟» (معن ابو نوار، **الشرق الاوسط**، ١٩٨٨/١٢/١٩، ص ١١).

أحمد شاهين

«توازن» الحوار

ما كاد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، ينتهي من مؤتمره الصحافي الذي عقده في جنيف على هامش دورة الجمعية العامة للامم المتحدة، حتى اثيرت التساؤلات في الاوساط السياسية التي تابعت كلماته، ودارت، في الاجمال، حول موضوع واحد هو: كيف ستسرد الولايات المتحدة الاميركية ؟ وهل تستجيب لفتح حوار مباشر مع م.ت.ف. ؟

بالطبع، كان رد الادارة الاميركية انها اختارت اقامة «حوار جوهري» مع المنظمة، في الفترة الانتقالية، حيث تكون العادة الامتناع عن اتخاذ قرارات حاسمة وهامّة، ومن نوع ملزم للادارة اللاحقة، خصوصاً في فترة الاستعداد لانتقال السلطة من ادارة الى أخرى.

ولكن، مرة أخرى، لماذا حدث هذا التحول الغريب في الموقف الاميركي ؟ بعض المراقبين أشار الى ان المؤتمر الصحافي الذي عقده الزعيم الفلسطيني، بعد خطابه، هو الذي اقنع الطرف الاميركي بالعدول عن وعد كيسنجر، بعد تأكيد اعتراف منظمته بحق الاطراف جميعاً بالعيش في أمن وسلام، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل وجيرانهما، وقبولها القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ كقاعدة لمفاوضات سلام في اطار المؤتمر الدولي، ونبذها، تماماً، لجميع أشكال الارهاب (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

على ان التسلسل الزمني لما حدث، خلال الشهر المنصرم، هام في اطار تقويم أهمية بدء الحوار بين الولايات المتحدة والمنظمة، وهو ينطلق من تاريخ المواجهة التي تمثّلت في عزل الولايات المتحدة، في تظاهرة فريدة من نوعها، عندما صوّتت ١٥٤ دولة الى جانب قرار تبنّته الجمعية العامة، أكدت فيه حق المنظمة في ان تعيّن، بحرية، أعضاء وفدها للمشاركة في دورات المنظمة الدولية، واعتبرت القرار الاميركي بعدم منح تأشيرة دخول عرفات الى نيويورك بأنه يشكّل مخالفة صريحة للالتزامات القانونية الدولية للبلد المضيف بموجب اتفاقية المقرّ (**نيوزويك**، ١٢/١٢/١٩٨٨، ص ٢٨).

هكذا تحرّكت المجموعة العربية لتطلب من الجمعية العامة الانتقال الى جنيف ما بين ١٣ و ١٦ كانون الاول (ديسمبر) لمناقشة بند فلسطين، بالنظر الى الظروف التي فرضها القرار الاميركي برفض تأشيرة الدخول لعرفات (باتريك تايلور، **الغارديان ويكلي**، ٤/١٢/١٩٨٨). غير ان تلك المواجهة التي أسهمت في عزل الولايات المتحدة دولياً، والتي أسفرت عن تضامن وتنسيق عربيين في دهاليز المنظمة الدولية، فانها، أيضاً، صعّدت من حدة المواجهة والعداء بين الولايات المتحدة وم.ت.ف. ممّا تنافى مع الهدف الفلسطيني الاساسي وهو جرّ واشنطن الى التعامل مع المنظمة (**تايم**، ٥/١٢/١٩٨٨، ص ٢٧).

فرصة كسر حلقة المواجهة الفلسطينية ـ الاميركية توفرت في العاصمة السويدية، ستوكهولم، عندما توجّه وفد يضم خمس شخصيات يهودية اميركية للاجتماع برئيس المنظمة، احتجاجاً على قرار وزير الخارجية، جورج شولتس، من جهة، ولكن بالتنسيق مع وزارة الخارجية الاميركية، من جهة أخرى (**الايكونوميست**، ١٠/١٢/١٩٨٨، ص ٦٠). وقد صدر عن هذا الاجتماع الذي عُقد يومي ٦ و ٧ كانون الاول (ديسمبر) وثيقة عرفت باسم «وثيقة ستوكهولم»، توضح مقررات دورة المجلس الوطني الاخيرة في الجزائر، وتؤكد الاعتراف الفلسطيني بوجود اسرائيل كدولة في الشرق الاوسط، وتطالب باقامة الدولة الفلسطينية الى جانبها (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٨/١٢/١٩٨٨). وبينما سقطت تلك الصيغة دون تلبية المطالب الاميركية لاقامة الحوار، تمّ الاتفاق مع الوفد اليهودي على اعلان عرفات، بوضوح كامل،

استجابته لهذه المطالب خلال خطابه من على منصة الجمعية العامة، في ١٣ منه، في جنيف، حسب ما قالته ريتا هاوزر، أبرز أعضاء الوفد اليهودي الذي أصدر، في ستوكهولم، بياناً مشتركاً مع الزعيم الفلسطيني (المصدر نفسه).

هنا، بالتحديد، برزت للولايات المتحدة سوأة سياستها الخارجية، حيث أصبحت رمزاً للعداء للمصالح الدولية كلها، باستثناء مصلحة اسرائيل. ففي معرض رده على ما ورد في «وثيقة ستوكهولم»، وهو ما اعتبره المراقبون والمحلّلون السياسيون، في واشنطن، استجابة صريحة وواضحة من المنظمة لمطالب الادارة الاميركية قبل بدء الحوار والتعامل معها، قال شولتس: «لقد قرأت وأطلعت على التقارير المتعلقة بما أعلنه عرفات في العاصمة السويدية، واننا نرحّب بذلك»، الاّ انه أضاف، مؤكداً موقف ادارته، بالقول انه «ما زال على المنظمة الشيء الكثير للقيام به قبل ان تتعامل الولايات المتحدة معها». وأكد رفضه قول م.ت.ف. انها استجابت للمطالب الاميركية، وقال: «ان على المنظمة الاعتراف، صراحة، بقبول القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨. وبحق اسرائيل في الوجود، ونبذ الارهاب» (المصدر نفسه، ١٩٨٨/١٢/٩).

أما «مستعرب وزارة الخارجية» لشؤون الشرق الاوسط، ريتشارد مورفي، فقد أعلن ان التصريحات التي أدلى بها عرفات في ستوكهولم، وأشار فيها الى ان المنظمة تعترف بوجود دولة يهودية الى جانب الدولة الفلسطينية، تمثّل «تقدماً موضع ترحيب» لدى دوائر صنع القرار في واشنطن. وذكر مورفي، الذي كان يتحدث في ندوة نظّمها مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في العاصمة الاميركية حول الانتفاضة الفلسطينية، ان تصريحات عرفات تعتبر خطوة الى أمام، لكنه أضاف «انها ما تزال دون المطلوب، ولكنها، بالتأكيد، تسير في الاتجاه الصحيح» (ميدل ايست انترناشونال، ١٩٨٨/١٢/١٦، ص ٤ ـ ٥).

الرسالة ؟

ما يلفت الانتباه، على هذا الصعيد، هو تبلور بعض التراجع النسبي في الموقف الاميركي؛ وصار في الامكان القول ان المحرّك الاساسي للانفتاح على م.ت.ف. كان يستهدف تقليص وتحجيم الخسائر ما أمكن ذلك، ولم يعد أمام الادارة من خيار سوى «شدشدة» مفاصل هذا الموقف و«تشميع» خيوطه. ولا شيء يعزّز هذا التفسير سوى تلك السابقة لدى ادارة ريغان، التي أسرعت في الابلاغ الى جهتين عربيتين بارزتين لهما علاقات وثيقة مع قيادة م.ت.ف. بأمور شكّلت نوعاً من رسالة شفوية أميركية الى عرفات قبل القائه خطابه في جنيف. وحسب مصادر دبلوماسية مطلعة، أدرجت هذه الامور في عدد من النقاط، لعل أهمها:

«أولاً: ان قرار منع دخول عرفات الى الولايات المتحدة ليس قراراً اميركياً موجهاً ضد اللغة السياسية الجديدة التي بدأت م.ت.ف. تنطق بها، منذ صدور مقررات الجزائر، ولا يهدف الى توجيه ضربة للجهود التي تبذلها القيادة الفلسطينية من أجل اثبات رغبتها في التفاوض، سلمياً، مع اسرائيل.

«ثانياً: ان الادارة الاميركية، الحالية والمقبلة، تنويان، فعلاً، تشجيع م.ت.ف. والفلسطينيين عموماً على التحرك، جدياً، نحو مفاوضات السلام مع اسرائيل، ونحو بناء جسور من الثقة مع الاسرائيليين. لذلك يتمنّى المسؤولون الاميركيون الاّ يغلق الفلسطينيون والعرب المعنيّون مباشرة بهذه القضية الباب أمام الحوار مع الادارة الاميركية الحالية، أو المقبلة، بشأن كيفية بدء مفاوضات السلام، وحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي والمشكلة الفلسطينية سلمياً؛ ويتمنّى المسؤولون الاميركيون، بشكل خاص، الاّ تتراجع قيادة م.ت.ف. عن مقررات الجزائر، بل ان تعمل على تطويرها وتوضيحها، بحيث تلبّي كل الشروط المطلوبة لكي تصبح م.ت.ف. طرفاً في مفاوضات السلام المقبلة.

«ثالثاً، تتمنى الادارة الاميركية، في هذا المجال، ان يخطو ياسر عرفات خطوة كبيرة في جنيف، وان يذهب أبعد ممّا ذهب اليه حتى الآن، وان يعلن، بشكل خاص، في خطابه في الجمعية العامة للامم المتحدة، اعترافه، واعتراف المنظمة، الرسمي باسرائيل، واستعداده، واستعداد المنظمة، للتفاوض معها سلمياً، وألاّ يكتفي، فقط، بالتحدث عن قبول المجلس الوطني الفلسطيني لدولتين، واحدة فلسطينية والثانية يهودية؛ واذا ما حدث مثل هذا الاعتراف الواضح في جنيف، واذا ما خطا عرفات مثل هذه الخطوة الكبيرة، فان الموقف الفلسطيني يصبح، بالفعل، مقبولاً؛ وحينذاك، فقط، يمكن

توقّع بدء نوع من الحوار الفلسطيني ـ الاميركي حتى في عهد ادارة ريغان الانتقالية» (**القبس**، الكويت، ١٣/١٢/١٩٨٨).

في الخطاب الموعود، تحدث عرفات عن «احترام حق العيش والسلام والامن للجميع، وفقاً للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨. وقال، ان المنظمة ستعمل للوصول «الى تسوية سلمية شاملة بين اطراف النزاع العربي ـ الاسرائيلي، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل والدول المجاورة الاخرى في اطار المؤتمر الدولي». و«كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية»، أضاف عرفات، «أعلن من هنا، مرة أخرى: انني ادين الارهاب بكل أشكاله، واحيّي، في الوقت ذاته، جميع من أرى أمامي في هذه القاعة ممّن اتهمهم جلادوهم ومستعمروهم بالارهاب في أثناء معارك تحرير بلادهم من نير الاستعمار، وهم، اليوم، القادة الامناء لشعوبهم» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤/١٢/١٩٨٨).

ولكن، على الرغم من ان الخطاب تضمّن مبادرة سلمية ونداءً موجهاً الى «قادة اسرائيل» من أجل الشروع في بدء مفاوضات في جنيف «لصنع السلام» في الشرق الاوسط، فانه بدا واضحاً ان الزعيم الفلسطيني، حسب مصادر اميركية، رفض الذهاب بعيداً في تلبية المطالب الاميركية التي نقلت اليه في الايام الاخيرة، والتي دعت الى اعلان اعتراف واضح، وصريح، بحق اسرائيل في الوجود (**تايم**، ١٦/١٢/١٩٨٨، ص ٨). ولكن لوحظ انه ضمّن خطابه عبارة «دولة اسرائيل»، الامر الذي دفع دبلوماسياً غربياً تابع الخطاب الى القول: «اذا كانت الولايات المتحدة تعتقد بأن لفظ هذه العبارة يعني الاعتراف باسرائيل، ففي استطاعتها، عندئذ، مباشرة الحوار مع المنظمة... أما اذا كانت ترى أن على القيادة السياسية الفلسطينية تلبية شروطها حرفياً، فهذا معناه ان الحوار مؤجل» (**الحياة**، لندن، ١٤/١٢/١٩٨٨).

مرة أخرى، كانت ردود وزارة الخارجية الاميركية، في الاجمال، سلبية. وقال الناطق تشارلز ريدمان: «اننا استمعنا الى خطابه [عرفات]، بدقة، ووجدنا فيه أشياء هامة وتطورات ايجابية»؛ لكنه كرر موقف بلاده السابق بقوله: «الّا ان ما ورد في الخطاب ما زال غامضاً بشأن قضايا رئيسة، وهي قبول القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، والاعتراف بحق اسرائيل في الوجود، ونبذ الارهاب». وأكد «ان على م.ت.ف. وعرفات ان يعلنا، بوضوح وبساطة، دون غموض، الاعتراف بهذه الشروط الاميركية كي يبدأ الحوار بين الولايات المتحدة والمنظمة». وأضاف: «ان هذا لم يحدث في خطاب عرفات؛ ولذلك، فان سياسة واشنطن، في هذا الشأن، لا تزال كما هي». وكرّر القول: «ان ما ورد في خطاب عرفات هو خطوة متقدمة في العملية الجارية، لكن لا يزال مطلوب منه تلبية هذه الشروط بوضوح وصراحة» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤/١٢/١٩٨٨). وكشف ريدمان ان بلاده تجاوبت مع «دول قامت بدور الطرف الثالث» وطلبت من الولايات المتحدة تقديم مطالبها، الّا انها لم تجر أي اتصال مباشر مع المنظمة. وأكد ان المسؤولين لم يروا نص الخطاب قبل توزيعه الرسمي، وأشار الى ان شولتس، شخصياً، قوّم خطاب عرفات، وقال انه ينقصه الوضوح والكلام المباشر غير الغامض حول بعض المسائل (**المصدر نفسه**).

«الطرف الثالث»، كما تبيّن فيما بعد، كان حكومة السويد، وبالذات وزير خارجيتها ستين اندرسون، الذي لعب دور الوسيط وساعي البريد، فيما كان، عملياً، تفاوضاً غير مباشر بين الولايات المتحدة والمنظمة. فبعد خطاب عرفات، بدأت السويد تحركها الدبلوماسي الذي ركّز، في البداية، على معرفة ما تريده الولايات المتحدة، تماماً، لبدء الحوار، بعدما اعتبرت ان خطاب الزعيم الفلسطيني في الجمعية العامة كان «غامضاً». وانصبّت جهود اندرسون، التي رافقتها اتصالات عربية بالادارة الاميركية، على الوصول الى نص محدّد يتلاءم مع الاتفاق الاميركي ـ الفلسطيني الذي تمّ التوصل اليه قبل القاء رئيس المنظمة خطابه في الجمعية العامة، وهو الخطاب الذي كان يفترض ان يؤدي الى فتح الحوار (**نيوزويك**، ١٩/١٢/١٩٨٨، ص ٢٨).

كانت حجّة عرفات، في كل الاتصالات غير المباشرة الجديدة مع الادارة الاميركية، انه استجاب للمطالب، وقال: «استخدمت المعاني ذاتها، ومن دون شك لا نستطيع ان نضع في اللغة العربية ما نضعه في أي لغة أخرى، مثل الايطالية، أو الالمانية، أو الانكليزية؛ فلكل لغة روحها واسلوبها

وعباراتها. المهم المعنى» (**كريستيان ساينس مونيتور**، ١٩ ـ ١٩٨٨/١٢/٢٥، ص ١ و ٣٢). وتلافياً لأي التباس جديد، اتفق، في النهاية، على ان يلقي الزعيم الفلسطيني نصّاً بالانكليزية يستهل به مؤتمره الصحافي المقرر، ويضع حداً للأخذ والرد (**تايم**، ١٩٨٨/١٢/٢٦، ص ١٢). هكذا أُجريت المفاوضات في شأن النص الجديد عبر السويد. وكان الى جانب عرفات، في هذه المفاوضات، مجموعة من الشخصيات الفلسطينية، من بينها باسل عقل وحسيب صباغ ومنيب المصري؛ فيما راح الجانب السويدي يجري اتصالات مع ستوكهولم وواشنطن. وعُلم ان الجانب الذي كان يتلقى الاتصالات، في العاصمة الاميركية، هو مكتب الوزير شولتس؛ أما الشخص الذي تفاوض معه السويديون، فكان مساعد وزير الخارجية، تشارلز هيل، المعروف بتعاطفه الشديد مع اسرائيل (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/١٦).

وزارة الخارجية الاميركية أصرّت على «ترابط» الشروط الثلاثة، وحرفياً، باللغة التي صاغتها؛ وافهمت الوسيط السويدي ان لا مبرر «للغموض» الفلسطيني، ولا حاجة للولايات المتحدة الى القبول بالغموض، طالما ان م.ت.ف. هي التي تريد الحوار مع واشنطن وليس العكس. وقد ساعد على تماسك هذا الموقف ـ حسب رأي مصادر دبلوماسية مطلعة في واشنطن ـ ان التيار المتشدد في الادارة الاميركية تجاه م.ت.ف. يعتقد بأن المنظمة «قدمت تنازلات هامّة، ولكن غير كافية، وانها بدأت السير على طريق سياسي لن تستطيع الرجوع منه؛ ولذلك، لا داعي للاسراع في ملاقاتها في منتصف الطريق». وأضاف دعاة هذا التيار، ان واشنطن تستطيع الانتظار لعامين أو أكثر «تضطر المنظمة، خلالها، القبول الكامل بالشروط الاميركية وبالحوار معها». ويعتقد هؤلاء ـ حسب المصادر الدبلوماسية نفسها ـ بأن موقف شولتس يخدم السياسة الاميركية في المنطقة على المدى البعيد، ذلك ان الدينامية الراهنة في العالم العربي، وداخل م.ت.ف. بالاضافة الى عوامل خارجية أخرى، مثل السياسة السوفياتية «المرنة» تجاه نزاعات العالم الثالث، كلها عوامل «سترغم م.ت.ف. عاجلاً أو آجلاً، على تلبية المطالب الاميركية» (**تايم**، ١٩٨٨/١٢/٢٦، ص ١٢).

الحوار المشروط

اذن، ما الذي قاله عرفات وجعل الادارة الاميركية تبدل رأيها ؟ في مؤتمره الصحافي في مقر المنظمة الدولية في جنيف، تلا عرفات بياناً مقتضباً، أوضح فيه الموقف الفلسطيني من الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، وفصل بين هذين القرارين والقرار ١٨١ «الذي هو أساس الاستقلال الفلسطيني»، في حين ان القرارين الآخرين هما «الاساس للمفاوضات مع اسرائيل في اطار المؤتمر الدولي». ولبّى الزعيم الفلسطيني، بذلك، مطلب الاعتراف بالقرارين المذكورين، وحدهما، أساساً للمفاوضات، كما لبّى شرط «القبول باسرائيل» عندما أعلن انه أوضح في خطابه في الجمعية العامة ان «من حق كل الاطراف في المنطقة العيش في سلام وأمن، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل والدول المجاورة الاخرى بموجب القرار ٢٤٢» (**المصدر نفسه**، ص ٧).

في غضون ثلاث ساعات فقط، أعلن شولتس، شخصياً، ان المنظمة لبّت المطالب الاميركية، وعليه «فانني اعطي وزارة الخارجية الاميركية سلطة الدخول في حوار جوهري مع ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية». لكنه حرص على تأكيد أمرين اساسيين؛ أولهما، ان الاميركيين يعدون بالحوار بينهم وبين م.ت.ف. فقط، ولا يضمنون موافقة اسرائيل على المشاركة عبر المؤتمر الدولي؛ وثانيهما، ان الاميركيين سيتفاوضون حول «الحقوق السياسية» للشعب الفلسطيني، ويوضحون أن فهمهم لهذه «الحقوق السياسية» لا يعني، بأي شكل من الاشكال، الموافقة على الدولة الفلسطينية المستقلة (**كريستيان ساينس مونيتور**، ١٩ـ ١٩٨٨/١٢/٢٥، ص ٣٢).

وبالطبع، فان القرار الاميركي القاضي باقامة «حوار جوهري» مع م.ت.ف. يمثّل تحوّلاً أساسياً في سياسة واشنطن حيال النزاع العربي ـ الاسرائيلي. وحسب رأي بعض المراقبين السياسيين، ان هذا الحد يمثّل تطوراً كبيراً وبالغ الاهمية، يغيّر كل المعادلات الداخلية في الولايات المتحدة. فقد ظل اسم م.ت.ف. بالنسبة الى قطاع من الرأي العام الاميركي، مقترناً بـ «الارهاب»، ولهذا لم يكن مقبولاً في الجلسات الخاصة حتى مجرد البحث في المشكلة

الفلسطينية. أما الآن، فالفلسطينيون لم يعودوا يقرنون بالارهاب، تلقائياً، وهذا، في حد ذاته، تغيير. وأضاف المراقبون هؤلاء، ان من الصعوبة بمكان التقليل من أهمية هذا القرار؛ فحتى وقت قريب، لم يكن ممكناً تصور التزام اميركي من هذا القبيل، اذ كان يمكن له ان يؤدي الى انهاء الحياة السياسية لأي عضو في الكونغرس. وللمرة الاولى أصبح ممكناً لوزارة الخارجية الاميركية النظر الى شخص عرفات كزعيم يمكنه تحقيق السلام؛ كما يمكنه، في الوقت عينه، القيام بعمليات عسكرية، أو «ارهابية» كما تسميها الادارة الاميركية (جون روبرتس، **الحياة**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

بدء الحوار اسقط، اذاً، الفكرة الاميركية السائدة، تقليدياً، بأن منظمة التحرير الفلسطينية «لا تمثّل أحداً»، وفتح باباً جديداً وهاماً على العلاقة الاميركية ـ الفلسطينية. كما ان الحوار مع المنظمة يوصد الباب الذي حاولت اسرائيل ان تبقيه مشرعاً لايجاد بديل من المنظّمة يقوم بالمفاوضات بدلاً منها.

ولدى اعلان الحوار الاميركي مع المنظمة، أوضح الرئيس ريغان «ان على م.ت.ف. ان تقرن كلامها بالافعال، وانها اذا لم تفعل ذلك... فستعود الامور الى ما كانت عليه» قبل قرار ادارته «بدء حوار جوهري معها»؛ وأضاف، ان الولايات المتحدة «ستقطع اتصالاتها» اذا حصل تراجع من المنظمة حول الشروط المعروفة. وأكد ان ادارته طمأنت اسرائيل ان الحوار الذي ستفتحه مع المنظمة لا يعني تراجعاً عن التزام بلاده بأمن اسرائيل؛ وأوضح ان الحوار «سيكون خطوة هامة أخرى نحو ما نحاول القيام به منذ ثمانية أعوام، وهو تحقيق السلام في الشرق الاوسط» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

من جهته، كشف الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية، تشارلز ريدمان، ان بلاده أبلغت قرارها الى الحكومة الاسرائيلية عبر سفيرها في واشنطن. وكرر موقف البيت الابيض بأن «الاعمال هي المقياس»، وزاد ان «موضوع الارهاب» سيكون أول بنود جدول الحوار الذي «ليس نهاية في ذاته، فالهدف هو السلام الشامل». وفي معرض تأكيده كلام الادارة الاميركية عن استمرار واشنطن في «معارضتها للدولة الفلسطينية المستقلة» التي أعلنها المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، قال، ان «للفلسطينيين الحق في السعي الى الدولة المستقلة، وفي استطاعتهم طرح الموضوع على طاولة المفاوضات»، معترفاً، ولو بصورة غير مباشرة، بأن حوار واشنطن مع المنظمة هو حوار مع أحد اطراف النزاع في الشرق الاوسط، وان هذا الحوار «سيطوَّر تطويراً شاملاً مع تولي الادارة الجديدة السلطة» (**المصدر نفسه**).

وحتى ذلك الوقت، فان «القناة الرسمية الوحيدة» لاقامة الحوار محصورة، حالياً، في شخص السفير الاميركي في تونس، روبرت بلترو، الذي «دشّن» أول جولة محادثات مع الوفد الفلسطيني (**تايم**، ٢٦/١٢/١٩٨٨، ص ٨).

وتفاصيل ما دار بين الطرفين توحي، حتى الآن على الاقل، بحرص واشنطن على ابقاء خيوط الودّ مع الطرف الفلسطيني، باختيار بند الحوار في «خلّاط» الحلول الكبير والذي سيصنع «كعكة السلام» على نار الانتفاضة في الارض المحتلة. لكن نظرة أخرى الى المدى البعيد تؤكد ان الهدف من القرار الاميركي ليس أكثر من اعادة «تشميع» لخيوط شبكة المصالح المهددة، لأكثر من سبب، بالتقطع والتمزق على اعتاب الرئاسة الاميركية الجديدة.

ن. ح.

مواجهة وبناء ذاتي

تزاحمت الاحداث المصيرية، في الفترة الواقعة بين ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) و ١٥ كانون الاول (ديسمبر). فبعد أعلان قيام الدولة الفلسطينية، جاء خطاب رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في الامم المتحدة، وبدء الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، ودخلت الانتفاضة عامها الثاني. وقد أثبتت الاحداث اخفاق اسرائيل في استعادة السيطرة على الارض، في الوقت الذي لجأت قوات الاحتلال الى المزيد من العنف. الاّ ان بروز القيود السياسية الدولية على حرية العمل العسكري قد وضع سقفاً، كما يبدو، على الخيارات الاسرائيلية في المرحلة المقبلة. وعلى الرغم من ذلك، استمرت الاعتداءات على جنوب لبنان.

الانتفاضة بعد عام

بمناسبة مرور عام على انطلاق الانتفاضة أُصدر العديد من الاحصاءات والتقديرات لخسائر الطرفين، الفلسطيني والاسرائيلي. فقدرت الصحافة الغربية عدد الشهداء الفلسطينيين بـ ٣٢٥ الى ٣٥٠، وعدد الجرحى بحوالى ١١ الفاً (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٩٨٨/١١/٢٦ و١٩٨٩/١/٤). ولم يبتعد هذا التقدير من تقدير الوكالات الدولية بأن ٣٥٠ فلسطينياً استشهدوا، فيما اصيب ٢٠ الفاً بجروح (**السفير**، بيروت، ١٩٨٨/١٢/٨). وفي المقابل، أظهر كشف أعدته م.ت.ف. غطّى الشهور العشرة الاولى للانتفاضة استشهاد ٥٢٣ فلسطينياً كمجموع عام، منهم ٣٠٠ بالرصاص و ٢٨ بالتعذيب والضرب و ٦٥ بالغاز و ١٩ دهساً و ١١١ لأسباب مجهولة (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١٩٨٨/١٢/١١). ويبدو ان سبب وجود الفارق يعود الى شمول ضحايا لم يثبت استشهادهم على أيدي الجيش تحديداً، أو على أيدي المستوطنين، وشمول آخرين لم يتأكد ارتباط سبب قتلهم بقمع الانتفاضة.

أصدرت وكالة غوث اللاجئين الدولية (أونروا)، في هذه الاثناء، احصاء أعدته وقدرت فيه عدد الشهداء الفلسطينيين بـ ٣٠٩ و الجرحى بثلاثين ألفاً، عدا عشرين ألف معتقل. وأوضح التقرير ان ٩٩ من الشهداء هم من قطاع غزة ومعهم ١٢ الف جريح؛ بينما استشهد ٢١٠ فلسطينيين في الضفة الغربية وجرح ٢٤ الفاً (**السفير**، ١٩٨٨/١٢/١٥). وأضافت الوكالة ان ١٢ فلسطينياً قضوا ضرباً و ٣٠ خنقاً بالغاز. ولم يتضح، تماماً، اذا كان هذا الاحصاء يشمل جميع الضحايا، أم المصابين المسجلين لدى الوكالة فحسب، اذ قدّمت مصادر غربية أخرى، تستند الى قائمة يومية، تقديراً باستشهاد ٣٩٣ فلسطينياً خلال السنة الاولى من الانتفاضة، منهم ٢٩٨ بالرصاص و ٦٩ متأثرين بالغاز و ٢٦ نتيجة الضرب (**ميدل ايست انترناشونال**، ١٩٨٨/١٢/١٦). وجدير بالذكر ان الرقم غير الرسمي للاصابات الذي صرّح به نائب رئيس الاركان الاسرائيلية، اللواء أيهود براك، هو ٣٠١ شهداء و ٣٦٤٠ جريحاً، ويرجّح ان ذلك هو العدد الذي يعترف الجيش بالمسؤولية المباشرة عنه (**السفير**، ١٩٨٨/١٢/٨). وأضاف ان عدد المعتقلين بلغ ٥٥٠٠، وهو أيضاً رقم لا يشمل من اطلق سراحهم بعد سجنهم سابقاً. أما هيئة «الحق» القانونية الفلسطينية، فقد أحصت اعتقال ١٨ ألف فلسطيني عدا ٣٠٠٠ معتقل اداري، منهم ١٥٠٠ ما زالوا قيد الاعتقال (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٢/٨).

أما على الجانب الاسرائيلي، فلم يزد عدد القتلى على ١٣. غير ان أرقاماً متضاربة قد صدرت عن عدد الجرحى، اذ أعلنت الاذاعة الاسرائيلية ان ألف اسرائيلي أصيبوا بجراح خلال السنة الماضية، معظمهم من الجنود (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٢/٩). غير ان المصادر الغربية قدرت الجرحى المدنيين وحدهم بـ ٤٢٠ (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٩٨٩/١/٤).

كما ان الخسارة التي تشكو منها اسرائيل تشمل ضرراً فادحاً أصاب الاقتصاد الاسرائيلي. وهنا تتضارب التقديرات، حيث أكدت صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية، مثلاً، ان الكلفة اليومية الاجمالية التي تتحمّلها اسرائيل، بسبب الانتفاضة، تبلغ ثلاثة ملايين شيكل، أي ١١٣٨ مليون شيكل (٧٥٨ مليون دولار) خلال السنة الكاملة (**فلسطين الثورة**، ١١/١٢/١٩٨٨). غير ان دراسة تفصيلية لخسائر كل قطاع اقتصادي اسرائيلي أشارت الى وصول الكلفة الشهرية الاجمالية، المباشرة وغير المباشرة، الى ١٦٠ مليون دولار، أي حوالى ١٩٢٠ مليون دولار سنوياً (**السفير**، ٩/١٢/١٩٨٨). وتدل بضعة احصاءات جزئية على نوع الضرر المباشر الذي ألحقته «القوات الضاربة» الفلسطينية بالممتلكات الاسرائيلية في الارض المحتلة. فمثلاً، لقد تعرّضت شركات النقل الى عطب ٣٠٠٠ باص، منها ٤١ تمّ حرقها تماماً (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤/١/١٩٨٩). كما أتت النيران التي أضرمها الفلسطينيون على ما مجموعه ١٧٧٧١ هكتاراً من الغابات والبساتين والحقول الاسرائيلية، في ٦٥٠ حادثة حرق متعمّد (**السفير**، ٩/١٢/١٩٨٨).

أحداث الانتفاضة

في الوقت الذي تطلّع الفلسطينيون والاسرائيليون الى الاحداث السياسية المصيرية في الخارج، انتقل مركز نظرهم من المجريات التفصيلية داخل الارض المحتلة الى الاتجاهات والموازين العامة. ولكن لم تتوقف أعمال المقاومة والانتفاضة، ولا ممارسات قوات الاحتلال، في هذا الاثناء؛ لكنها عبّرت، الى حد كبير، عن حالة المراوحة بانتظار نتائج التحرك الخارجي. وقد ساهمت صعوبة تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة والتخوّف من الاستياء الدولي في تقييد حرية العمل العسكري الاسرائيلي نوعاً ما، بينما ركّز الفلسطينيون على البناء الذاتي المؤسسي. لكن ذلك لا يعني تقليل أهمية النشاط الفلسطيني خلال الفترة، اذ أكدت اسرائيل ان عدد السياح الاجانب قد انخفض الى ٧٠ ألفاً خلال فترة عيد الميلاد، أي بانخفاض ١٤ بالمئة مقارنة بالسنة السابقة (**المصدر نفسه**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

استمرت المجابهة الفلسطينية للاحتلال وسقط المزيد من الشهداء. فقد استشهد ١٢ فلسطينياً بين ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) و ١٥ كانون الاول (ديسمبر)، بينما اصيب ١٧١ آخرون، على الاقل، بجروح، حسب الاحصاء اليومي. وجدير بالذكر ان أحد الشهداء لقي مصرعه بحادثة وقعت داخل معتقل انصار ـ ٢، في العاشر من كانون الاول (ديسمبر). وكان الحراس الاسرائيليون قد فتحوا النار وجرحوا ستة معتقلين آخرين في سجن انصار ـ ٣ حيث يقبع ٢٥٠٠ فلسطيني، في ٢٣ الشهر السابق (**المصدر نفسه**، ١٢/١٢/١٩٨٨؛ **وهآرتس**، ٢٤/١٢/١٩٨٨). ويضاف الى ذلك ان راعياً فلسطينياً استشهد خلال عراك، في ١٤ كانون الاول (ديسمبر)، حيث تصدى لأحد المستوطنين المسلحين الذي كان يهدّده، فقتله بضربه على رأسه بحجر ثمّ انتزع بندقيته وقتل أحد الجنود، الاّ انه سقط برصاص الجنود الآخرين (**الحياة**، ١٥/١٢/١٩٨٨). ولم تكن هذه الحادثة الاولى من هذا النوع؛ اذ قتل اسرائيلي آخر بحجر، في السادس من الشهر عينه (**السفير**، ٧/١٢/١٩٨٨). أما على صعيد المقاومة المسلحة، فقد استمر التصدي للدوريات والسيارات والمراكز الاسرائيلية، ولو بوتيرة أدنى من الشهر السابق؛ لكن ثمّة ثلاث عمليات بارزة. فقد قذف أحد العاملين في الارض المحتلة عبوة ناسفة على دورية مؤلّلة في رام الله، في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر). وأُلقيت قنبلة يدوية على باص اسرائيلي في الخليل، في الرابع من كانون الاول (ديسمبر)، الاّ انها اخطأته وأنفجرت دون اصابة أحد (**فلسطين الثورة**، ١١/١٢/١٩٨٨). وتعرّضت القنصلية الاميركية في القدس لزجاجتين حارقتين، في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، أي خلال الخلاف الفلسطيني ـ الاميركي حول منح رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات تأشيرة لزيارة مقرّ الامم المتحدة في نيويورك (**المصدر نفسه**، ١١/١٢/١٩٨٨).

في المقابل، تابعت قوات الاحتلال محاولتها لقمع الانتفاضة ومنع البناء المؤسسي الوطني. فقد واصلت عمليات هدم المنازل الفلسطينية، التي بلغ مجموعها، خلال الفترة المعنيّة، ٢١ منزلاً. وشهد تاريخ ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) العملية الاوسع، حيث تمّ هدم سبعة منازل في مخيم الجلزون،

وأربعة في الخضر، واثنين في بيت أمرّ، ومنزل في عابود. كما تعرض منزل اضافي للهدم في عصيرة القبلية، في السابع من كانون الاول (ديسمبر)، وستة أخرى في قلقيلية، في ١٤ الشهر (**المصدر نفسه**، ١١ و١٨/١٢/١٩٨٨). ويذكر ان قوات العدو هدمت ما مجموعه مئة منزل، وأغلقت ٤٥، خلال السنة الاولى للانتفاضة، عدا عشرات المنازل التي أُزيلت بحجة انها غير مرخصة (**السفير**، ٨/١٢/١٩٨٨). هذا، ولم يختلف مصير الاشجار المثمرة كثيراً، اذ واصلت القوات الاسرائيلية اقتلاعها كاجراء عقابي وقائي. وكانت حصة الاسد من الخسارة من نصيب بلدة قلقيلية، التي فقدت ٣٥٠ شجرة في الثامن من كانون الاول (ديسمبر) وحده (**فلسطين الثورة**، ١٨/١٢/١٩٨٨)؛ كما خسرت قرية كفر لاقف ٥٠ شجرة في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر)، والبريج ٣٥ أخرى في الثالث من الشهر التالي، ضمن مجموع عام بلغ ٤٦٠ شجرة خلال شهر. يضاف الى ما سبق احياء سياسة الابعاد، بعد ان جمّدتها الحكومة الاسرائيلية لبعض الوقت. فقد نقلت قوات الاحتلال ثلاثة فلسطينيين الى منطقة جنوب لبنان، في ١٤ كانون الاول (ديسمبر)، وهم ضمن مجموعة قوامها ٢٤ شخصاً ينتظرون الترحيل منذ فترة، بينما سبق ان رحّل العدو ٣٢ فلسطينياً، فارتفع المجموع الى ٣٥. كما يذكر ان انتماء المبعدين الثلاثة الجدد يتوزع بين «فتح» و «الجهاد الاسلامي»، بينما لا انتماء رسمي للثالث (**الحياة**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

اذا كانت الاجراءات المذكورة أعلاه لا تزيد على كونها استمراراً لاساليب العدو المعهودة، فان الامر الجدير بالملاحظة هو الاتجاه الاوسع لسياسته. ويظهر خير تجسيد لذلك الاتجاه في فرض نظام حظر التجول ليس على القرى والمدن الفردية وحدها، بل وعلى المناطق الكاملة. وقد تعرضت غالبية انحاء الضفة الغربية لذلك النظام لمدة خمسة ايام متتالية، أي من ١٢ الى ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر)، خلال انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر. أما قطاع غزة، فقد فرض العدو عليه حظر التجول لمدة أسبوع كامل، من ١٢ حتى ١٨ من الشهر عينه (**السفير**، ١٧ و ١٩/١١/١٩٨٨). وكشف الحاكم العسكري لقطاع غزة، اريبه راموت، عن نظرة القيادة الاسرائيلية؛ اذ صرّح في ١٨ الشهر عينه بأن حظر التجول أثبت فاعليته بفرض الهدوء (**المصدر نفسه**، ١٩/١١/١٩٨٨). غير ان ما لم يذكره الضابط الاسرائيلي هو ان ضمانة تقيُّد الفلسطينيين بالحظر هي وجود سبعين ألف جندي في المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، وهو الامر المكلف جداً بالنسبة الى اسرائيل (**الاوبزرفر**، ١١/١٢/١٩٨٨). ويضاف الى ما سبق حقيقة اضطرار سلطات الاحتلال الى اللجوء الى منع التجول في ١٦٠٠ مناسبة خلال السنة الاولى للانتفاضة، منها ٤٠٠ حالة استمرت لمدة ثلاثة أيام متتالية أو أكثر (**السفير**، ٨/١٢/١٩٨٨). أما على صعيد آخر، فقد أمرت الادارة العسكرية سكان مخيم جباليا تسليم جميع ما لديهم من اطارات سيارات، فيما عدا اطار احتياطي واحد لكل سيارة، وذلك في محاولة لمنع المواطنين من اقامة الحواجز النارية على الشوارع. وهدد الاسرائيليون بفرض غرامة مقدارها ٦٠٠ دولار على كل مخالف لهذا الامر (**المصدر نفسه**، ٥/١٢/١٩٨٨).

تجسّد الاتجاه العام للسياسة الاسرائيلية ضد الانتفاضة، أيضاً، في منح المستوطنين المسلّحين المزيد من الحرية بالتصرف ضد المواطنين الفلسطينيين. وأُصدر القرار الاخطر، في هذا المجال، في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر)، حين أكد الجيش انه لن يتدخل ضد المستوطنين عند استخدامهم اسلحتهم، الّا اذا أطلقوا النار «بطريقة غير مشروعة» (**فلسطين الثورة**، ١١/١٢/١٩٨٨)؛ علماً بأن المستوطنين قاموا بقتل ١٣ فلسطينياً على الاقل خلال السنة الماضية (**انترناشيونال هيرالد تريبون**، ٤/١/١٩٨٩). كما تبيّن ميل المستوطنين نحو اختلاق الحوادث؛ مثلاً عند قيام أحدهم باستفزاز الراعي الفلسطيني الذي قتل مستوطناً وجندياً في ١٤ كانون الاول (ديسمبر). كما دانت محكمة اسرائيلية مستوطناً آخر، في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، بتهمة قتل راع ثان، في الخامس من أيار (مايو) الماضي، وحكمت عليه بالسجن الفعلي مدة ثلاث سنوات (**المصدر نفسه**، ١/١٢/١٩٨٨). وفي اطار المحاكمات عموماً، أصدرت المحكمة العسكرية الاسرائيلية قراراً بالسجن مدة ٢١ يوماً على ١٨ جندياً مظلياً، وسبعة

أيام على ثلاثة آخرين، بتهمة التصرف دون أوامر في كسر النوافذ والممتلكات الفلسطينية في مخيم قلندية، في وقت سابق؛ كما تمّ سجن قائد الوحدة لمدة أسبوعين ونقله الى موقع آخر (**المصدر نفسه**، ٢٦ ـ ١٩٨٨/١١/٢٧). هذا، وشملت المحاكمات قضية جنديين رفضا تأدية خدمتهما الاحتياطية في المناطق المحتلة، اللذين انضما الى ٤٩ جندياً آخر سبق لهم ان أدّوا فترات اعتقال للسبب ذاته، في الرابع من كانون الاول (ديسمبر).

تواصلت، أيضاً، الاجراءات الامنية ـ العسكرية المباشرة ضد الانتفاضة. فقد ظهرت الطائرات المروحية، في مناسبات عدة، لتشارك في قمع التظاهرات ومطاردة المواطنين، كما حصل عند قيامها بالقاء القنابل المسيلة للدموع على غزة، في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر). الاّ ان الظاهرة اللافتة الجديدة هي استخدام المروحيات بطريقة عسكرية تقليدية واضحة؛ مثلاً حين انزلت جنوداً في منطقتي جبل أبو ظهير وحي المراج في جنين لاعتقال المواطنين، في ٢١ من الشهر عينه (**فلسطين الثورة**، ١٩٨٨/١٢/١١). ثم قامت طائرات مروحية بقصف الكهوف بجوار كفر مالك، في ١٢ كانون الاول (ديسمبر)، اعتقاداً بوجود الفلسطينيين المطاردين داخلها (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٢/٢٥).

وأجرت قوات الاحتلال حملة أمنية واسعة ضد العاملين في اللجان والمنظمات الفلسطينية، خلال الفترة الماضية. وجاءت الخطوة الاولى باعتقال مجموعة قوامها ١٣ من البدو في الجليل، اتهموا بالانتماء الى «فتح»، وبتنفيذ هجوم بقنبلة أدى الى اصابة ٢٥ اسرائيلياً في حيفا، في ٢٠ آب (أغسطس) الماضي (**السفير**، ٧ و ١٩٨٨/١٢/١٢). وكان من بين المعتقلين اثنان من الجنود وامرأتان. ثم أعلن، في اليوم التالي، عن كشف ٩٣ خلية فلسطينية واعتقال ٦١٠ من اعضائها، في انحاء الارض المحتلة. وقد أوضحت السلطات الاسرائيلية أن ٦٢ خلية تمّ اكتشافها في الضفة الغربية، و٢٧ في قطاع غزة، وأربع في الارض المحتلة العام ١٩٤٨، وان غالبيتها تنتمي الى «فتح»، بينما ينتمي بعضها الى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين و«المجلس الثوري ـ فتح» وحركة المقاومة الاسلامية (حماس) (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٢/٨). ويرجّح ان تكون أكثرية الخلايا تلك، في الواقع، لجاناً شعبية وشبيبية أو جماعات «القوات الضاربة» في الداخل. هذا، وعادت قوات الاحتلال فأعلنت، في ١٣ من الشهر ذاته، عن انها اعتقلت خلايا عدة تابعة لـ «فتح» في قطاع غزة، منها خلية في عبسان هاجمت اسرائيليين من مستعمرة رامات هشارون في الخريف، وخلية وضعت عبوات ناسفة داخل محطات نقل الجنود، وخلية في دير البلح زرعت عبوات جانبية قرب الطرق، عدا اعمال قذف قنابل المولوتوف العديدة (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/١٤).

اعتداءات على لبنان

نفّذ سلاح الجو الاسرائيلي غارة جديدة على أهداف فلسطينية قرب صيدا، في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر)، حيث قامت أربع طائرات بمهاجمة مواقع للجبهة الشعبية والتنظيم الناصري، موقعة خمسة شهداء و ١٥ جريحاً (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ١٩٨٨/١١). ثم نفّذت الطائرات غارات وهمية فوق صيدا في الخامس من كانون الاول (ديسمبر)، بينما واصل سلاح البحرية حصاره للشاطىء اللبناني، تحسباً للعمليات الفدائية ولفرض الحصار الامدادي على القوات والمخيمات الفلسطينية في الجنوب. وكانت القطع البحرية الاسرائيلية استولت على قارب سياحي قبالة الصرفند وأطلقت النار على زوارق الصيد قرب صور، في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، الى جانب متابعة دورياتها العادية (**السفير**، ١٩٨٨/١١/٢١).

وكانت العملية البارزة هي الانزال الذي نفّذته مجموعة مشتركة جوية ـ بحرية ـ برية اسرائيلية ضد المواقع الفلسطينية في منطقة الناعمة، جنوب بيروت، فجر التاسع من كانون الاول (ديسمبر). وقد بدأت العملية بانزال مجموعة جنود مظليين بواسطة المروحيات فوق تلال الناعمة ـ بعورتا ـ الدامور، وبواسطة الزوارق على الساحل المقابل، عند الثانية فجراً، فهاجموا مواقع محصنة للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة. وقد استخدم المهاجمون أربعة كلاب مفخخة بالعبوات الناسفة والمدرّبة على دخول الانفاق، من أجل تفجير، أو فتح، التحصينات المنيعة داخل التلال، الاّ انها فشلت جميعاً في

تأديـة المهمّة (**الاوبزيرفر**، ١١/١٢/١٩٨٨). كما تعرّضت مجموعة الاقتحام الاسرائيلية للمضايقة، فيمـا سارعت عنـاصر الجبهـة والحـزب التقدمي الاشتـراكي ومنظمات أخرى الى المكان، فحاصرت مجمـوعـة من أربعـة مظليين، ممّا دفع العدو الى ارسـال موجـات متتـاليـة من الطائـرات المقـاتلة والمـروحيـات والزوارق البحـريـة لمهاجمة القوات الفلسـطينيـة. وقـد استمرت المعركة حتى الثامنة والنصف صباحاً، تخللها أكثر من ١٧ غارة جوية متنـوعـة، وانتهت بجلاء الجنود المحاصرين الذين تسلّقوا أطراف طائرتين مروحيّتين جاءتا لانقاذهم، على الرغم من كثـافـة النـيران الارضيـة. وقـد استشهد تسعة عناصر خلال الهجوم، منهم أربعة تابعـون للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة وخمسة ينتمـون الى الحـزب التقـدمي الاشتـراكي، فيما اصيب ١١ آخـرون بجروح. وأعلنت اسرائيل، في المقابل، عن مقتل قائد القوة المهاجمة، العقيد عامير ميدال، وجرح ثلاثة جنود، دون ان تحقق أهدافها. ويذكر ان الناطق الرسمي نفى علاقة توقيت العملية بمرور ذكرى انطلاقة الانتفاضة، علماً بأن مراقبين عديدين اعتبروا ان الجيش الاسرائيلي كان يسعى الى اثبات عدم فقدانه لقوته الرادعة (**السفير**، ١٠ و١٢/١٢/١٩٨٨؛ **والحياة**، ١٠/١٢/١٩٨٨).

د. يزيد صايغ

بدء الحوار الاميركي ـ الفلسطيني
«هـزّة أرضية» فـي اسرائيل

الى متى يبقى الاسرائيليون اسرى الوهم بأنهم يستطيعون الاستمرار في احتلال الاراضي العربية ؟ والى متى يتجاهل الاسرائيليون الحقائق الجديدة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ؟ لا بل، الى متى يظل يطلب الاسرائيليون من الولايات المتحدة الاستمرار في تأييد سياساتهم، وتوفير الحماية لها، والدفاع عنها في المحافل الدولية المختلفة ؟

هذه الاسئلة، وأخرى غيرها كثيرة، هي محور النقاشات الجارية داخل اسرائيل حيث وقع الاعلان الاميركي عن بدء الحوار مع م.ت.ف. وقع الصاعقة على اسرائيل، بل ان البعض شبهه بمثابة «هزة أرضية»، أو «يوم غفران جديد» أصاب اسرائيل.

لقد اختلف رد الفعل الاسرائيلي بين خطاب ياسر عرفات، في قصر الامم، في جنيف، بتاريخ ١٣/١٢/١٩٨٨، وبين الاعلان الاميركي عن بدء الحوار مع م.ت.ف. في ١٥/١٢/١٩٨٨. لقد تنفّس قادة اسرائيل الصعداء، بعد خطاب عرفات ورد الفعل الاميركي الاولي الذي اعتبر ان ما جاء في الخطاب لا يلبي المطالب الاميركية للبدء بالحوار. ففي معرض تحليلهم للخطاب، قال خبراء وزارة الخارجية الاسرائيلية، ان عرفات «لم يعبّر، بصورة قاطعة، عن نقطة واحدة من النقاط التي وضعتها له الادارة الاميركية كشرط للتفاوض معه». واضافوا ان عرفات دان، حقاً، كل أشكال الارهاب، لكنه «مستمر في تأييد الانتفاضة، ويعتبر انها ليست شكلاً من اشكال ممارسة الارهاب ضد اسرائيل»؛ وان عرفات ليس مستعداً لالغاء الميثاق الفلسطيني، وحتى انه «تحاشى التحدث، بصورة واضحة، عن حق اسرائيل في الوجود» (**معاريف**، ١٥/١٢/١٩٨٨). ونقلت مصادر اسرائيلية مقرّبة من رئيس الوزراء، اسحق شامير، ان الارتياح كان واضحاً على وجه شامير، حينما قال، في معرض ابداء رأيه حول رد الفعل الاميركي الاولي: «كنت متأكداً ان الولايات المتحدة ستـرد هكـذا» (**يـديـعـوت أحـرونـوت**، ١٨/١٢/١٩٨٨). وفي اجتماع للطاقم الوزاري المصغر، عبّر شامير عن تفاؤله ازاء الموقف الاميركي: «هذه المرة، كما في السابق، ينقذنا العرب، وعرفات لا يستطيع التصريح بما طلبت منه الولايات المتحدة التصريح به. ان رد الولايات المتحدة على خطاب عرفات الغى أهمية كل ما فعله عرفات» (**معاريف**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

أما زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، فقد كُلِّف بمهمة الرد على خطاب عرفات في الكنيست الاسرائيلي بتاريخ ١٤/١٢/١٩٨٨؛ فاعتبر الخطاب «خيبة أمل سياسية» وبدل مواجهة المسائل، فقد اختار عرفات التملّص منها «واستخدم، كثيراً، كلمة ' سلام' . على ان هذه الكلمة لا يجوز ان تكون مجرد نعت وزخرفة، فالسؤال ما هو مضمون السلام ؟» (**دافار**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

ويمكن اختصار الموقف الاسرائيلي الرسمي بما يلي: «ما يقوله عرفات ليس هاماً. فالكلمات التي يقولها لا تغيّر صفته، أو تطلعه الى ازالة اسرائيل. فعرفات غيّر تكتيكه في اطار خطة المراحل التي تتبعها م.ت.ف. والتي أولها قبول اراض غرب الاردن؛ وبعد ذلك ازالة اسرائيل. لن نتحدث، أبداً، مع م.ت.ف. وممثليها. ولن تكون م.ت.ف. شريكاً في السلام مع اسرائيل» (**معاريف**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

تغيّرت اللعبة

ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى بدأت أجهزة الاتصال تعمل. ومنذ منتصف ليلة ١٤ ـ ١٥/ ١٢/ ١٩٨٨ وحتى الصباح، كانت الاتصالات بين السفير الاسرائيلي في واشنطن ومكتب

رئيس الحكومة في اسرائيل تجرى على قدم وساق، لمتابعة تطورات القرار الاميركي الجديد «غير المتوقع» لبدء الحوار مع م.ت.ف.

فالقرار ـ حسب ما قال الاسرائيليون ـ غيّر «اللعبة العامة» في أزمة الشرق الاوسط. ان جميع الادارات الاميركية المتعاقبة رفضت الحوار مع م.ت.ف. أما، الآن، فقد تحوّلت م.ت.ف. الى «شريك شرعي في المسار السياسي، من وجهة النظر الاميركية». ويبدو ان الادارة الاميركية أدركت ان أي حل لأزمة الشرق الاوسط لن يتقدم بدون مشاركة م.ت.ف. ويعتقد الاسرائيليون بأن الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، قام بمهمة صعبة قدمها الى وريثه جورج بوش؛ وبذلك يكون قد «وفّر على وريثه القرار الصعب، باعلانه بدء الحوار مع م.ت.ف.» (**المصدر نفسه**). ولأن الاسرائيليين يعرفون، أكثر من غيرهم، معنى القرار الاميركي، فقد جاء رد فعلهم غاضباً وعنيفاً. فقد وصفه شامير بأنه «أمر خطير، وصعب، وكئيب» (**يديعوت أحرونوت**، ١٨/١٢/١٩٨٨). وأضاف، ان الولايات المتحدة «انساقت مع الموجة الجارية للتعاطف مع م.ت.ف. وهذا يضع الحلف بينها وبين اسرائيل في امتحان حقيقي». ووجّه شامير نقداً شديداً الى الادارة الاميركية، لأنها ـ على حد زعمه ـ ترفع راية «النضال» ضد الارهاب، «بينما تتحاور مع أكثر التنظيمات ارهاباً في العالم». وقال ان الدولة الفلسطينية في مفهوم م.ت.ف. «هي الحد الادنى». ولذلك، فان كل من «يجلس في مفاوضات معها يكون كأنه يقبل بهذا المبدأ» (المصدر نفسه). ونقلت أوساط الليكود عن شامير قلقه الشديد من القرار الاميركي، واستياءه من الطريقة التي نقل القرار بواسطتها اليه فشكلت «اهانة شخصية» له. وذكرت الاوساط نفسها ان شامير يخشى من ان يتطور الموقف الاميركي الى تأييد اقامة دولة فلسطينية، خاصة وان ادارة بوش ـ بيكر، تظهر «برودة» أكثر من ادارة ريغان ـ شولتس تجاه اسرائيل. وقالت أوساط صحافية، ان شامير أبلغ الى السفير الاميركي، في اسرائيل، توماس بيكرنغ، الذي سلّمه رسالة من وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، ان القرار الاميركي «خطأ خطير»، واصفاً مسار اتخاذ القرار وطريقة ابلاغه الى اسرائيل بأنها «تصرفات غير مقبولة بين الحلفاء. وطلب نقل هذا الكلام الى شولتس» (**هآرتس**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

وقد لقي هجوم شامير على سياسة الولايات المتحدة تأييداً من جميع الاحزاب والتيارات اليمينية في اسرائيل. فقد اعتبر رئيس قائمة المفدال، أفنير شاكي، الاعتراف الاميركي بـ م.ت.ف. قراراً «تعيساً ومؤسفاً جداً، ولا يساهم في تقوية اسرائيل، وانما في اضعافها». وأضاف: «ونحن مطالبون بعمل دعائي دولي شامل، وبحجم لم نعرفه منذ قيام الدولة، لأن حكومة شامير تواجه تحدياً من الدرجة الاولى» (**معاريف**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

وأعتبر عضو الكنيست رفائيل ايتان (تسومت) ان ما جرى هو نتيجة ضعف اسرائيل في فرض القانون والنظام في المناطق المحتلة وايقاف الانتفاضة؛ ولأن اسرائيل «لم تطبق السيادة الاسرائيلية على مناطق أرض ـ أسرائيل، بحيث أوحت الحكومة للعالم كله بأننا، أيضاً، لا نعترف بضم هذه المناطق الى اسرائيل» (**المصدر نفسه**). أما رد قادة غوش ايمونيم ومجلس المستوطنات اليهودية في الاراضي المحتلة، فقد كان من أقسى الردود على ما أسموه «انجراف» الولايات المتحدة تجاه م.ت.ف. وقد رأى هؤلاء ان أميركا «ارتكبت فعل خيانة»، لأنها، بفتح الحوار مع م.ت.ف. تكون «غرزت خنجراً في ظهر اسرائيل» (**هآرتس**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

في المقابل، لم تكن مواقف الكتلة الكبيرة الاخرى واضحة ومبلورة بعد القرار الاميركي، باستثناء تصريحات غير مبلورة عن استعداد للحوار مع فلسطينيين من المناطق المحتلة، شرط ايقاف الانتفاضة. وذكرت أوساط صحفية ان الاعلان الاميركي فجّر خلافاً داخل حزب العمل حول أسلوب التعامل مع الوضع الجديد. فبينما كان زعماء الحزب يحاولون الخروج من مأزقهم بمساومة شامير للدخول في الحكومة الجديدة، أيّد عشرة أعضاء كنيست في حزب العمل بيان «منبر الحمائم» في الحزب الذي رأى ان «الوضع الجديد» يحتّم على العمل ان «يقوّم الوضع بما يتلاءم معه». ودعا البيان الى «الامتناع عن السلبية المطلقة في ما يتعلق بـ م.ت.ف. وأيضاً في ما يتعلق بالمعارضة القاطعة لاقامة مستوطنات جديدة». وقال سكرتير حزب

العمل عضو الكنيست، عوزي برعام، ان التطورات الاخيرة، يجب ان لا تثير الغضب، وخيبة الامل، «وانما الاستعداد والمبادرة. ويجب تحديد سياسات لا تظهر ان لدينا جبهة رفض جديدة». ونشرت سكرتارية «جيل الاستمرار» في حزب العمل بياناً تضمّن موقفاً مختلفاً عن موقف المجموعة السابقة، حيث دعا الى منع انهيار المواقف السياسية لحزب العمل، وأيّد موقف الحزب الثابت في ما يتعلق بعدم الموافقة على اقامة دولة فلسطينية تابعة لـ م.ت.ف. بين اسرائيل والاردن. وذكر البيان ان «توطين الشعب الفلسطيني يجب ان يكون في اطار دولة اردنية ـ فلسطينية، وليس على حساب اسرائيل» (**المصدر نفسه**).

ومن أبرز المواقف «الحمائمية»، ظهرت مواقف الوزيرين عيزر وايزمان ومردخاي غور وسكرتير حزب مبام العازر غرانوت. فقد أعرب وايزمان عن استعداده للقاء ياسر عرفات والتباحث معه (**يديعوت احرونوت**، ١٦/١٢/١٩٨٨). ودعا غور الى الرد، فوراً، بايجابية على التوجه الايجابي لـ م.ت.ف. على أساس ان المنظمة، يمكنها «اتخاذ خطوات عملية وعلنية لايقاف الارهاب عملياً» (**المصدر نفسه**، ١٨/١٢/١٩٨٨). وأيّد غرانوت التفاوض مع م.ت.ف. والابتعاد من السياسة التي «تكبّل أيدي شامير ـ نتنياهو، لأنها ستؤدي الى عزلة خطيرة لاسرائيل على الساحة الدولية، والحاق الضرر بها من جانب اصدقائها» (**عل همشمار**، ١٤/١٢/١٩٨٨).

خيارات الخروج من المأزق

يهمنا، هنا، رصد الخيارات الاسرائيلية التي يطرحها أصحاب الرأي في اسرائيل، كمخرج للازمة التي تواجهها حكومتهم. فازاء التطور الجديد الذي نشأ، فان العزلة المطلقة هي ما ينتظر اسرائيل في المرحلة القريبة المقبلة. فبدء الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، يعني ـ في رأيهم ـ اعترافاً اميركياً ضمنياً بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني، واعترافاً بحقه في تقرير المصير، حتى لو لم يعلن هذا الاعتراف صراحة (رون بن ـ يشاي، **يديعوت احرونوت**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

ثمة بدائل عديدة طرحها الاسرائيليون للخروج من المأزق. منهم من دعا الى تطبيق تسوية، من جانب واحد؛ ومنهم من راهن على توقف الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، استناداً الى «عدم قدرة م.ت.ف. على الالتزام بتعهداتها»؛ ودعا آخرون الى التفاهم، مجدداً، مع الولايات المتحدة.

التسوية من جانب واحد

ان اصحاب هذا الطرح هم، في الاساس، من كتلة اليمين ومن مؤيديها. ورأى هؤلاء ان اسرائيل بحاجة، الآن، الى التحرك وطرح مبادرة سياسية، حتى تفك عنها العزلة العالمية، وعليها ان توقف عملية الانجرار وراء الرفض المطلق. وهم ينتقدون حالة الجمود السائدة في اسرائيل والناجمة عن تعادل القوى السياسية الحاكمة خلال السنوات الماضية، ممّا أعجزها عن اتخاذ قرار. ورأى هؤلاء أيضاً، ان تصلّب رئيس الحكومة، بمحافظته على سياسة «الوضع الراهن»، أدى الى خنق عنصر المبادرة لدى اسرائيل. وفي هذا الصدد، طرح مدير عام وزارة الخارجية السابق، دافيد كيمحي، مشروعاً لاحراج م.ت.ف. قوامه التحاور مع قيادة الانتفاضة الفلسطينية في الداخل، و «التفاوض معها على الحكم الذاتي الحقيقي، كمرحلة الى تسوية سلمية وبذلك يظهر للعالم اذا ما كان عرفات سيسمح لهم بالتحدث معنا». وحسب كيمحي وآخرين، فان المطلوب هو طرح مبادرة سلام من «أي نوع لملء الفراغ القائم على الساحة الدولية». ويعتقد هؤلاء بأن قيام المسؤولين باتخاذ قرار بشأن تسوية دائمة «هو الشرط الاول لأنهاء الانتفاضة»؛ وبدون هذا، فان «الانتفاضة سوف تستمر»، وسوف تتطور «الى استخدام الاسلحة النارية» (**المصدر نفسه**).

ونُقل عن موظفين بارزين في وزارة الخارجية الاسرائيلية أنهم حذّروا المستويات السياسية من تدهور الموقف السياسي الاسرائيلي في العالم، مقابل تحسن مكانة م.ت.ف. وقالوا انه «بدون مبادرة سياسية ومع استمرار اعمال القتل والاجراءات المشددة في المناطق [المحتلة] فان ايقاف التدهور غير ممكن» (**هآرتس**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

ويبدو ان جهات في حزب العمل تؤيد هذا التوجه، على أساس دمج هذا الاقتراح، مع اقتراح وزيري المعراخ، شمعون بيرس واسحق رابين،

لاجراء انتخابات في المناطق المحتلة وتطبيق الحكم الذاتي، على قاعدة اتفاقيتي كامي ديفيد. لكن هذه المبادرة تواجه انتقاداً نظراً الى انها «مجرد مبادرة» يقصد منها تجاوز الوضع الناشىء و «تلافي مواجهة مع الولايات المتحدة»، ولا تتمتع بعناصر النجاح (دافار، ١٨/١٢/١٩٨٨)، خصوصاً ان الانتخابات في الظروف الحاضرة ستؤمن الفوز للشخصيات الفلسطينية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية (عل همشمار، ١٨/١٢/١٩٨٨).

الحوار الاميركي ـ الفلسطيني

يشكّك بعض الاسرائيليين بنوايا م.ت.ف. وبتنفيذ التزاماتها ازاء المطالب الثلاثة التي وضعتها الولايات المتحدة للبدء بالحوار معها. ويعتقدون بأن م.ت.ف. ستظهر مواقفها الحقيقية في المفاوضات السرية بدون بهرجة أو «مناورات لكسب وسائل الاعلام». وحسب قول الاسرائيليين هؤلاء، فان الولايات المتحدة ستكتشف ان سعي م.ت.ف. هو «جزء من مبادرة اضعاف اسرائيل، وتصفية وجودها في اطار خطة المراحل التي وضعتها م.ت.ف.» (دافار، ١٦/١٢/١٩٨٨). ويبرّر آخرون شكوكهم بأن عرفات لم يدعُ زعماء اسرائيل الى بدء مفاوضات، وانما قال: «تعالوا الى هنا، الى جنيف، برعاية الامم المتحدة، حتى نستطيع، سوياً، بناء السلام... ومن يعرف لغة م.ت.ف. المزدوجة يدرك انه [عرفات] يدعو الاسرائيليين الى جنيف لتلقي تعليمات بشأن اقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس»، بالاضافة الى ان عرفات «يبحث عن قوة دفع للانتفاضة؛ والاعلان الاميركي عن بدء الحوار يفتح الطريق لاعلان حكومة فلسطينية، الى جانب ان عرفات يستثمر هذا الاعلان، كشهادة لنجاح سياسته المعتدلة في انظار مشعلي الاطارات في الضفة الغربية» (موشي زاك، معاريف، ١٦/١٢/١٩٨٨).

في المقابل، ثمة من الاسرائيليين من يدعو الى امتحان مواقف م.ت.ف. الجديدة. ويتنازع هذا الرأي تياران: الاول يدعو اسرائيل الى المناورة في هذا المجال؛ في حين يرى الثاني ان تحولاً نوعياً قد حدث في مسار السلام في الشرق الاوسط، وان الحقائق اثبتت ان لا سلام بدون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية، ولذلك لا خيار سوى وضع م.ت.ف. في تجربة عملية «أي امتحان نبذ الارهاب والعنف. فاذا ما نفذت هذا الشرط، فسوف تكون شريكاً في المفاوضات» (يديعوت احرونوت، ١٨/١٢/١٩٨٨).

وتوقع البعض ـ في سياق لفت نظر الحكومة الاسرائيلية ـ ان تنفذ م.ت.ف. الالتزامات التي وعدت بها، ممّا سيؤدي، بالضرورة، الى نجاح الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، وتطوّر العلاقات بين الجانبين، الفلسطيني والاميركي، وصولاً الى المؤتمر الدولي. وعندها ستدعى اسرائيل الى المؤتمر؛ وفي حالة رفضها قد يعقد المؤتمر بدونها (عل همشمار، ١٨/١٢/١٩٨٨).

التفاهم مع الولايات المتحدة

يعترف بعض الاسرائيليين بأن مؤسستهم السياسية ركبها جنون العظمة، ولم تستوعب الاشارات السياسية الواردة من الادارات الاميركية المتعاقبة، منذ ادارة نيكسون، مروراً بادارة كارتر، وانتهاء بادارة ريغان، حيث طرحت الاخيرة مشروعاً للسلام في ١/٩/١٩٨٢. فلقد كان على الحكومة الاسرائيلية ان تدرك ان الولايات المتحدة «لن توافق، الى ما لا نهاية، على استمرار سيطرة اسرائيل الدائمة على المناطق [المحتلة]» (عل همشمار، ١٨/١٢/١٩٨٨). فالاعلان الاميركي ببدء الحوار مع م.ت.ف. جاء نتيجة مسارات ثلاثة: ١ ـ جهود الدولتين الاعظم لحل النزاعات الاقليمية؛ ٢ ـ الضغط الداخلي المتزايد بين الفلسطينيين للوصول الى حل سياسي، يكون للاميركيين دور فيه؛ ٣ ـ بروز دور م.ت.ف. في اعقاب فشل «اتفاق لندن» والانتفاضة الفلسطينية وسياسة الانفصال الاردنية. اضافة الى ذلك، فان الولايات المتحدة، كدولة عظمى، ترسم سياساتها حسب مصالحها، ولديها تأثير كبير في أزمة الشرق الاوسط، ولا تستطيع ان تعزل نفسها، بعد ان عززت م.ت.ف. مكانتها. وبناء عليه، دعا بعض الاسرائيليين الى التفاهم مع الولايات المتحدة على أساس:

«١ ـ الاستمرار بالتنسيق السياسي الوثيق، من خلال استمرار المعارضة الاميركية لكل أشكال المفاوضات، التي لا يستطيع فيها طرف ثالث فرض، أو حظر، حل من أي نوع، بين الطرفين المعنيين.

«٢ ـ استمرار الالتزامات الاميركية بتدعيم الامن والاقتصاد الاسرائيليين.

«٣ ـ وقف كل اتصال مع م.ت.ف. اذا ما استمرت في تشجيع ' الارهاب ' . ويعزو اصحاب هذا الرأي ضرورة تعزيز التفاهم مع واشنطن الى الوضع الجديد في المنطقة والعمل لتجنّب العزلة المطلقة التي تعاني منها اسرائيل على الصعيد العالمي. ففي هذا الوضع «لا يمكن العمل حسب صيغ الجمود السابقة. لقد بدأ مسار من المحتمل ان ينتهي الى تسوية سياسية مفروضة، قسرية، تمنع حرباً على المدى القصير والمتوسط، لكن ليس على المدى الطويل» (د. افرايم سنيه، **هآرتس**، ١٨/١٢/١٩٨٨).

محمد عبد الرحمن

بداية العام الثاني للانتفاضة
مزيد من الضغط الدبلوماسي

عندما اندلعت الانتفاضة الشعبية في الضفة الغربية وقطاع غزة، بتاريخ ١٢/٩/ ١٩٨٧، كان أبرز الاسئلة التي طرحت، وظلت تتردد على امتداد أكثر من نصف عام هي لماذا هذا التاريخ بالذات ؟ ولماذا « صمت» الفلسطينيون، في المناطق المحتلة طيلة ٢٠ عاماً ؟ وما الذي تغير فجأة حتى انطلقوا، وبهذا القدر من العنف والزخم، في مواجهة محتليهم الاسرائيليين ؟

في النصف الثاني من العام الاول للانتفاضة صار السؤال الاهم هو أين يتجه الفلسطينيون ؟ وهل ستتمكن اسرائيل من وضع حد لانتفاضتهم التي بدأت ترسم معالم مرحلة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني، أم تستمر الانتفاضة في تطوير هذه المرحلة وتدخل عامها الثاني ؟ وأين، والى متى، تسير ؟

انتهى العام الاول واجتازت الانتفاضة عتبة العام الثاني بنجاح نسبي كبير. وأصبح السؤال الواقعي الوحيد يدور حول ما حققه الفلسطينيون بعد عام من انتفاضتهم، التي بدت أنها آخذة في السير نحو ترجمة الاهداف السياسية الوطنية المعلنة لمنظمة التحرير الفلسطينية في الاستقلال والعودة وتقرير المصير وبناء دولة فلسطينية مستقلة.

في الاجابة عن الاسئلة الاولى، انتهت غالبية المداخلات والاجتهادات، التي سعت الى رسم ردود واضحة على الاسئلة المثارة، الى تحديد الاسباب الرئيسة، غير المباشرة، لاندلاع الانتفاضة، بحيث تنحصر في ثلاثة محاور، هي: تطور وعي السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وتبلور وتمايز هويتهم الوطنية؛ والضغوطات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية اليومية التي تعرض لها الفلسطينيون في هاتين المنطقتين وعانوا من وطأتها على امتداد ٢٠ عاماً من عمر الاحتلال، بما تضمّنته من اعمال قمع وضرب واعتقال وطرد وابعاد وتدمير منازل ونسف بيوت وتشريد وسجن واعتقال واهانات، على المستويات الشخصية والانسانية والوطنية وغير ذلك؛ ويأس الفلسطينيين من استمرار الاحتلال وغياب الحلول الواقعية لمشكلاتهم.

أما في النصف الثاني من العام الاول من عمر الانتفاضة، فقد بدأت تتشكل ملامح التوجهات السياسية الفلسطينية، وأخذت تتبلور بصورة واضحة، وأصبحت مكتملة مع صدور قرارات المجلس الوطني في دورته التاسعة عشرة غير العادية التي عقدت في الجزائر من ١٢ ـ ١٥/١١/١٩٨٨. فقد رسمت تلك القرارات الملامح الفعلية للنشاط الوطني الفلسطيني بكل مستوياته منذ ذلك التاريخ وللمراحل اللاحقة حتى يومنا هذا. وقد اجابت بالفعل عن غالبية الاسئلة التي طرحت في الربع الاخير من العام الاول للانتفاضة. وكان عنوان الاجابة الرئيس هو ان الجميع في الداخل الفلسطيني ـ الانتفاضة، والخارج الفلسطيني ـ م.ت.ف. دخل مرحلة الهجوم السلمي. فما الذي حققه الفلسطينيون حتى اندفعوا، بلا تردد، نحو الهجوم، يمارسونه على المستويات، المحلية والاقليمية والدولية ؟ وما هو حجم الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بهم ؟ وكذلك، ما هو حجم منجزاتهم الفعلية ؟ وأين أصبحت انتفاضتهم ؟ وفي أي موقع بات محتلوهم، في ظل هذا الهجوم السلمي الكبير ؟

نتائج ذات شقّين

في حساب الخسائر البشرية والمادية الفلسطينية، في الضفة والقطاع، جاءت الارقام التي أوردتها غالبية الصحف الاسرائيلية مختلفة

عن بعضها البعض، في ما يتعلق بعدد القتلى الفلسطينيين، ومتفقة، كلها، في عدد القتلى الاسرائيليين. وربما يرجع ذلك الى قلة عدد القتلى والجرحى بين الاسرائيليين، أو الى وفاة بعض الجرحى الفلسطينيين بعد نقلهم الى المستشفيات، أو أخذهم منها، أو عدم الاعلان عنهم أصلاً.

وأضاف آخرون الى هذا الخسائر والاضرار المعيشية الناجمة عن تحطم اقتصاد المناطق المحتلة بسبب تغيب العمال العرب عن العمل في اسرائيل، ووقف العمل، جزئياً، في قطاعات الانتاج والتجارة، وارتباك الاعمال الزراعية، والعقوبات الاقتصادية التي فرضتها اسرائيل في مجال التسويق، والقيود على استيراد رأس المال والغاء مشاريع مختلفة، وهو ما أدى، بمجموعه، الى انخفاض ايراد الفلسطينيين وتدهور مستوى معيشتهم بصورة حادة. الى ذلك برزت مظاهر اختلال النظام الاجتماعي والتوازن الاجتماعي التقليدي. وتعطلت دراسة مئات آلاف الطلاب. واضطر السكان الى البقاء في البيوت في أثناء فرض حظر التجول. وظهرت الفوارق الطبقية بشكل واضح، ونشأ جو من الفوضى والارتباك، وأدت اجراءات العقوبات ضد الفلسطينيين الى جعل حياتهم اليومية صعبة جداً. والنتيجة العامة هي تحول المجتمع الفلسطيني، في الضفة والقطاع، الى مجتمع منهك اقتصادياً واجتماعياً؛ ومع ذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأنه غير قادر على مواصلة انتفاضته (د. أفرايم سنيه، «حساب عام على الانتفاضة»، **الملف**، نيقوسيا، العدد ٥٧/٩، كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٨٨، ص ٨٣٠؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٨٨/١١/٢٩).

واستخلص قائد المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي، الجنرال عميرام متسناع، ان الاوضاع، منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، أخذت تتجه نحو تراجع عدد حوادث العنف والضحايا. وصرح متسناع: «انني ما ازال اشعر بعدم الرضا عمّا سوف أفعله لمجرد استيقاظي في الصباح... فثمة شعور حقيقي بالارتياح لملاحظة الهبوط في مستوى حوادث الشغب والضحايا. في آذار (مارس) هذا العام [١٩٨٨]، كان هناك شعور حقيقي بأن الوضع قد أفلت من يد الرقابة» (ديفيد ريتشاردسون وكينيث كابلان، «بعد عام على الانتفاضة تمكّن جيش الدفاع من الفوز بالسيطرة»، **جيروزاليم بوست**، ١٩٨٨/١٢/١٧).

اذا كان لبعض هذا الاستخلاص ما يسنده، فان المظهر الخارجي العام للاحداث في الضفة والقطاع لا يعكس حقيقة التحولات في شكل، ومضمون، الانتفاضة. «فبعد عام، دخلت الانتفاضة الفلسطينية مرحلة فكرة الدولة. وبات من الصعب قياسها بحجم التظاهرات واعمال العنف وحسب، أو عدد الضحايا بين اليهود والعرب. فقد مضت الانتفاضة بشكل أعمق من ذلك، ونفذت الى جميع مظاهر الحياة الفلسطينية» (جويل غرينبرغ، «فكرة الدولة»، **المصدر نفسه**، الطبعة الدولية، ١٩٨٨/١٢/١٧). لقد تحولت الانتفاضة ـ كما قال رئيس رابطة الصحافيين العرب، رضوان ابو عياش ـ الى طريقة للعيش (اندرو وايتلي، «الانتفاضة تحولت الى طريقة في العيش»، **القبس**، الكويت، ١٩٨٨/١٢/١٢؛ نقلاً عن **فايننشال تايمز**، بدون ذكر تاريخ النشر). وقد تلقّى الفلسطينيون، من كل الاعمار والطبقات، خلال العام الاول من الانتفاضة، جرعة قوية من التعليم الوطني. فقد انتشر الوعي السياسي والتفكير الوطني داخل المجتمع الفلسطيني. فعندما فتحت المدارس، ذكر مدرّسون ان طلابهم امضوا كل لحظة فراغ في رسم العلم الوطني وكتابة الشعارات الوطنية على الالواح السوداء. لقد تعزز الوعي السياسي بمعان جديدة، وتمّ تحديد وربط كل تاريخ وطني فلسطيني باضراب معيّن. وتحوّلت المناقشات، في البيوت والمدارس وأماكن العمل، الى القضايا السياسية. لقد خلق هذا كله جيلاً ذا وعي سياسي كبير. على المستوى الاجتماعي، وقرّبت الانتفاضة المجتمع الفلسطيني من بعضه البعض، وأخذ الناس يهتمون بمشكلات بعضهم ويساعدون بعضهم على المستوى الاقتصادي، وأصبحوا قابلين لنسيان الخلافات والمشاحنات القديمة. وفي حالات كثيرة لعبت القيادة الموحّدة دوراً هاماً في حل الخصومات والنزاعات العائلية؛ ووحدت الاضرابات بين غالبية الطبقات الاجتماعية؛ واختلفت طرق الزواج ومهوره عمّا كان عليه الحال من قبل. لقد علّمت الاحداث، التي وقعت في القرى البعيدة، الفلسطينيين اشياء جديدة عن وطنهم. فقد باتت القرى البعيدة غير المعروفة

ذات اسماء متداولة. ويمكن القول ان أعظم تعبير عن وحدة المواطنين تجلى في قيام القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، التي عكست رغبات الناس وآمالهم، ومثّلت جسراً بين المناطق المحتلة وقيادة م.ت.ف. في الخارج. لقد أظهرت وقائع الدورة ١٩ للمجلس الوطني الفلسطيني دور القيادة الوطنية الموحدة في صنع القرار. لقد أعطت الانتفاضة الفلسطينيين شعوراً بالفخر بفلسطينيتهم، بعدما كانوا يشعرون بالهزيمة؛ ويمكن ملاحظة ذلك في صفوف العمال الذين يذهبون الى العمل في اسرائيل. فقد بات أرباب العمل الاسرائيليون ينظرون اليهم بجدية، وخطورة، وهم فخورون بهذه النظرة. وهناك حقيقة أخرى تشكل مصدر الفخر والاعتزاز الفلسطيني في كل مكان، هي تولّي الفلسطينيين زمام أمورهم بأيديهم ومواجهتهم الجيش الاسرائيلي وقتاله من أجل مستقبلهم (داود كُتّاب، «منجزات الانتفاضة»، **ميدل ايست انترناشيونال**، العدد ٣٤٠، ١٦/١٢/١٩٨٨).

الى ذلك، فالانتفاضة ليست منجزات في الجانب الفلسطيني، كما سبقت الاشارة، ولا تفجر مشاعر الآلاف من الوطنيين فحسب، بل هي، أيضاً، تراجع جزئي للحكم الاسرائيلي في المناطق المحتلة أمام شبان منظمين الى هذا الحد أو ذاك. ويمكن تلمّس ذلك في اضراب شبكة التعليم الحكومية، واستقالة مئات العاملين العرب من الادارة المدنية، وغلق فروع المصارف الاسرائيلية في المدن العربية، وشلّ جزء من ادارة الحكم الاسرائيلي، واستقالة رجال الشرطة وموظفي الضرائب وموظفي مكاتب الترخيص، وما الى ذلك. وفي المقابل، نلحظ انتشار التعليم الشعبي في القرى، وظهور الجمعيات الخيرية التي تملك عيادات طبية تابعة لها، ومطابخ الفقراء، والصفوف الدراسة الخاصة بمساعدة المعوقين والايتام، ويقع معظمها تحت رعاية الوقف الاسلامي، وبعضها تحت رعاية مؤسسات كنسية وأخرى. وهناك، أيضاً، الجميعات الخاصة التي تتلقى المساعدة من الخارج وتشرف على رياض الاطفال وصفوف محو الامية ومعاهد تأهيل النساء للخياطة والتطريز ومركز رعاية الام والطفل وصفوف تعليم الطباعة والبستنة. وهناك اللجان الشعبية التي غالباً ما يكون نشاطها اشبه بنشاط رجال شرطة متطوعين يحاولون فرض عدالة من نمط خاص ويتولّون توزيع اعباء الانتفاضة على الجميع (داني روبنشتاين، «ثورة وانضباط»، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، نيقوسيا، العدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، صفحة ٨٤٦؛ نقلاً عن **دافار**، ١٤/١٠/١٩٨٨).

وتضيف مصادر اسرائيلية ثلاث نتائج أساسية للانتفاضة، هي: ارتفاع مكانة سكان المناطق المحتلة بين الفلسطينيين، حيث عززت الانتفاضة ثقتهم بأنفسهم وزادت في كبريائهم؛ واعطى العدد الكبير من الضحايا الذين سقطوا بين صفوفهم شرعية اخلاقية لهذا الاعتزاز وتلك الثقة، فقد انتقل مركز ثقل «التضحية الفلسطينية» من لبنان الى المناطق المحتلة؛ وكذلك احدثت الانتفاضة هزة قوية في أوساط الرأي العام الاسرائيلي، فقد وضع الاسرائيليون، الذين تعوّدوا على ان حكم مليون ونصف المليون فلسطيني لا يكلفهم سوى ازعاج أمني بسيط، تجاه حقيقة انه لا يمكن الاحتفاظ بالوضع القائم لفترة طويلة؛ واضافة الى ذلك، فقد طرحت الانتفاضة المشكلة الفلسطينية على جدول الاعمال الدولي، وحوّلتها من مشكلة اعطيت اهمية ثانوية في جدول اعمال العالم العربي وأهمية ضعيفة في جدول الاعمال الدولي الى قضية اقليمية ودولية ملحّة (د. سنيه، **مصدر سبق ذكره**).

لكن التحوّلات السياسية في المسار الفلسطيني العام، بدءاً من الربع الاخير من السنة الماضية، ١٩٨٨، تركت انعكاسات معينة داخل المناطق المحتلة ليست كلها ايجابية بطبيعة الحال، وان كان ذلك هو السمة العامة. ففي ذروة الاحتفالات باعلان المجلس الوطني دولة فلسطينية مستقلة، تعرّض الفلسطينيون، في الضفة والقطاع، لقمع اسرائيلي مضاد. وسرعان ما اكتشفوا المسافة بين الاعلان النظري عن قيام الدولة وبين تحقيق قيامها. لقد تمّ تحويل الانتباه، فجأة، نحو المبادرة الدبلوماسية الفلسطينية. وبينما تركز هدف جميع الفلسطينيين على تحقيق قيام دولة مستقلة، فقد كان الذين يعيشون تحت الاحتلال منضوين تحت لواء النضال من اجل تحقيق أهداف قصيرة الامد. وانطلق السؤال الذي عرفته هذه المرحلة، الى أين تتجه الانتفاضة ؟

بعد اعلان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وجدت القيادة الفلسطينية نفسها في مواجهة مشكلات محلية داخلية. فالاصوليون الاسلاميون لم يكونوا سعداء لاعلان الاستقلال الذي صدر عن الدورة التاسعة عشرة، والذي استند الى قرار الامم المتحدة الرقم ١٨١ المعروف بقرار التقسيم. كذلك أظهر مؤيدو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موقفاً رافضاً لقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢. وأصدر كلاهما، الاصوليون من اتباع «حماس» وانصار الجبهة الشعبية، بيانات أوضحوا فيها اسباب معارضتهم لجزء من، او كل، القرارات التي اعتمدت في دورة المجلس الوطني في الجزائر. اضافة الى ذلك، دعا الطرفان الى اضرابات عامة في مواعيد تختلف عن تلك التي قررتها القيادة الموحدة. أما مؤيدو «فتح»، وبدرجة أقل انصار الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والحزب الشيوعي الفلسطيني، فقد التزموا جميعاً جانب الاضرابات الرسمية. وعلى الرغم من حاجة الجميع الى دعم استمرارية الانتفاضة، الاّ ان ذلك لم يحل دون انطلاق الجدل والمناقشات حول الطرق الكفيلة بتحقيق هذه الاستمرارية والاهداف التي ينبغي التوجه نحو انجازها. وفي هذا الصدد، ظهرت اتجاهات متباينة. فثمة من رأوا ان القاء الحجارة وحرق اطارات السيارات وما شابه لم تعد كافية. كذلك نمت لدى آخرين وجهة نظر تفيد بضرورة الاتجاه نحو بناء مؤسسات الدولة. وتقوم فكرة هؤلاء على ضرورة بناء المؤسسات التي سوف تشكل بديلاً من الادارة المدنية الاسرائيلية. وثمة اتجاه آخر يقول بضرورة تخفيض المستوى الحالي للانتفاضة، لاعطاء السكان استراحة هم في حاجة ماسة اليها. ومع ان اصحاب هذا التوجّه لم يخفوا ثقتهم بقرار اعلان دولة مستقلة، الاّ انهم يرون ان الحاجة لا تستدعي، على سبيل المثال، الاضراب يومياً، خصوصاً وان العالم استمع الى صرخات الاعتراض ضد الاحتلال الاسرائيلي من خلال الاضرابات الجزئية. غير ان هناك من رأى أن أي تخفيض في مستوى الانتفاضة سوف يُفهَم على انه تراجع. وسوف ينتهز الاسرائيليون هذه الفرصة لممارسة المزيد من الضغط على الفلسطينيين في المناطق المحتلة، على أمل التخلّص من الانتفاضة كلياً ونهائياً (داود كُتّاب، «الانتفاضة الى أين ؟»، **ميدل ايست انترناشيونال**، العدد ٣٣٩، ١٩٨٨/١٢/٢).

انتخابات وهدنة خارج السياق

منذ بيانها السابع والعشرين، «كفّت» القيادة الموحدة عن اعلان مطالبتها باجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية وقطاع غزة. وهو المطلب الذي ظل يتردد في بياناتها منذ البداية، وكان من بين أبرز مطالبها المعلنة وأكثرها أهمية. فقد خلت البيانات من ٢٧ الى ٣١ من هذا المطلب، وأخذ التركيز يتزايد على دعم المعركة السياسية التي خاضتها، وتخوضها، م.ت.ف. على المستويات، المحلية والاقليمية والدولية، والتي حققت، من خلالها، نجاحات كبيرة وهامّة. وتقدّم قراءة النداء ٣١، الصادر عن القيادة الموحدة تحت عنوان «نداء الحقوق الوطنية الثابتة»، نموذجاً أمثل لسياق ومضمون البيانات الاخيرة للقيادة الموحدة. فبعد تحديده البرنامج النضالي اليومي للمواطنين، للفترة من ١٩٨٨/١٢/٢٥ الى ١٩٨٩/١/٩، شدد البيان على التوجهات السياسية التالية: خطاب فلسطين التاريخي الذي ألقاه رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في جنيف، ومبادرة السلام التي تضمنها الخطاب؛ مطالبة الدول العربية بترجمة اعترافاتها بقرارات المجلس الوطني الاخيرة وبالدولة الفلسطينية واقعياً، عبر فتح سفارات فلسطينية في عواصمها، ومواصلة الضغط على الادارة الاميركية من أجل الاستجابة لحقوق الشعب الفلسطيني، وفي مقدمها الاعتراف الرسمي بالدولة الفلسطينية؛ ان القيادة الموحدة التي ترحب بالقرار الاميركي فتح الحوار مع م.ت.ف. تعتبر هذا القرار أحد انجازات الانتفاضة، وتطالب الادارة الاميركية بتطوير موقفها السياسي عبر الاقرار بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، والاعتراف بدولة فلسطين، واعادة فتح مكتب م.ت.ف. في واشنطن؛ ترحّب القيادة الموحدة بقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية والمتعلقة بالاعتراف بدولة فلسطين، ودعوتها الى عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط بمشاركة دولة فلسطين؛ تنظر القيادة الموحدة بايجابية الى التطورات في موقف دول

أوروبا الغربية تجاه القضية الفلسطينية، وتدعوها الى تطوير موقفها عبر الاعلان عن اعترافها بدولة فلسطين ورفع مستوى تمثيل م.ت.ف. الدبلوماسي في العواصم الاوروبية، وزيادة ضغوط اوروبا الغربية، الاقتصادية والسياسية، على اسرائيل، لارغامها على الاستجابة للارادة الدولية؛ تدعو القيادة الموحدة القوى الديمقراطية الاسرائيلية، التي تعترف وتقرّ بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية، الى ممارسة الضغط على الحكومة الاسرائيلية، عبر تشكيل معسكر السلام الاسرائيلي، على قاعدة الاقرار بحق الشعب الفلسطيني في تجسيد دولته المستقلة والاعتراف بما تضمّنته القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية (**الحرية**، نيقوسيا، العدد ١٣٦٨/٢٩٣، ١ ـ ١٤ كانون الثاني ـ يناير ١٩٨٩، ص ١٢).

في اطار هذه التوجهات يبرز، بوضوح، الانسجام والتكامل ما بين مطالب القيادة الموحدة للانتفاضة وتحركات ونشاطات م.ت.ف. السياسية، كما يعكسها نشاطها الدبلوماسي السلمي. وفي الوقت عينه، يبدو أي طرح آخر، مغاير لهذا السياق، غريباً، بل وخارج سياق العملية النضالية، وحتى متعارضاً معها. وهو ما واجهته محاولتان سياسيتان جرتا خلال الشهر الماضي، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ومطلع كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، وتتعلقان بمواقف صدرت عن كل من رئيس جمعية الدراسات العربية، في القدس، فيصل الحسيني، الذي يمضي فترة اعتقال اداري، ورئيس بلدية بيت لحم، الياس فريج. وقد تمثلت المحاولة الاولى في مواقف نسبت الى الحسيني؛ والثانية في دعوة صريحة اطلقها فريج لاقرار هدنة مؤقتة في المناطق المحتلة يتخللها اجراء انتخابات بلدية، وهي دعوة لم يلبث ان تراجع عنها فريج أمام الضغوط الفلسطينية، في الداخل والخارج.

فقد نسب الى مصادر فلسطينية وأخرى اسرائيلية قولها ان شخصيات فلسطينية من الضفة الغربية طرحت فكرة اعلان هدنة في الانتفاضة. جاء ذلك في أثناء محادثات أُجريت مع دبلوماسيين أجانب وخلال اتصالات غير مباشرة مع الادارة المدنية الاسرائيلية. وأضافت المصادر ان زعماء الانتفاضة يبحثون في وقف الانتفاضة، اذا افرجت اسرائيل عن نحو ١٥٠٠ فلسطيني معتقلين دون محاكمة، وسمحت باجراء انتخابات حرّة للمجالس البلدية. ونسب الى مصدر فلسطيني، على علم بالاتصالات، أن زعماء الانتفاضة حاولوا جسّ النبض بشأن فكرة اعلان نوع من الهدنة، الاّ ان الفكرة لا تزال في طور أولي. ونسب الى عضو الكنيست يائير تسبان (مبام) قوله ان رئيس جمعية الدراسات العربية، فيصل الحسيني، أكد موضوعة اجراء انتخابات على مستوى المناطق المحتلة لاختيار ممثلين فلسطينيين يمكنهم اجراء محادثات مع السلطات الاسرائيلية. واستناداً الى تسبان، فقد أكد الحسيني ان الفائزين، في هذه الانتخابات، سوف يطالبون حتماً بضمّ م.ت.ف. الى المفاوضات (**القبس**، ١٩٨٨/١٢/٣٠؛ نقلاً عن **رويتر**، بدون ذكر تاريخ النشر). ونسب الى الحسيني قوله ان الانتخابات تعتبر أمراً مرغوباً فيه، اذا أُجريت بصورة حرة وديمقراطية، ولم يكن لها أي علاقة بمشروع الحكم الذاتي (**النهار**، بيروت، ١٩٨٨/١٢/٣٠). وذكر فلسطينيون أنه من شبه المؤكد ان تسفر الانتخابات، اذا ما اجريت فعلاً، عن فائزين من انصار م.ت.ف. غير ان اسرائيل لم ترد، بعد، على ذلك، وعلى فكرة اجراء هدنة (**القبس**، ١٩٨٨/١٢/٣٠). الى ذلك، نقل عن مصدر اسرائيلي قوله ان موفدين فلسطينيين زاروا تونس، مؤخراً، وعادوا الى الارض المحتلة حاملين موافقة م.ت.ف. على ان يتقدم عدد من الشخصيات في الاراضي المحتلة، معروفة بتأييدها للمنظمة، الى الانتخابات المحتملة، وان السلطات الاسرائيلية «على علم بذلك» (**المصدر نفسه**؛ نقلاً عن **وكالة الصحافة الفرنسية**، بدون ذكر تاريخ النشر).

يبدو ان هذه التحركات لم تنشأ من فراغ. فقد كشف اثنان من أبرز معلقي الصحافة الاميركية، هما رولاند ايفانس وروبرت نوفاك، عن ان مسؤولين اميركيين طلبوا من م.ت.ف. أن تعلن موافقتها على اجراء انتخابات في الارض المحتلة، وفي وقت مبكر من السنة الحالية ١٩٨٩، شرط ان تتمّ الانتخابات بدون اشراف دولي. وفي مقابل ذلك، تضمن الولايات المتحدة تقديم اسرائيل تنازلات عدة، أهمها أربعة: ضمان عدم توسيع المستوطنات المقامة في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وسحب الجيش من المدن

والقرى والمخيمات العربية في الارض المحتلة؛ واعادة فتح المدارس الفلسطينية؛ وايقاف اعمال الاعتقال الاداري العشوائي واعمال الطرد غير القانوني (**نيويورك تايمز**، ٢٨/١٢/١٩٨٨). واذا ما صحّت هذه المعلومات، فانها تظهر، بوضوح، اتجاه الادارة الاميركية نحو الضغط على اسرائيل للاقرار بالمطالب الاربعة الرئيسة التي ظلت تمثل أهم، وأبرز، المطالب المباشرة للمواطنين في الضفة والقطاع على امتداد الشهور التسعة الاولى من عمر الانتفاضة؛ غير انها تظل اقلّ بكثير من المطالب الحالية للانتفاضة، كما عكستها البيانات والنداءات الصادرة عن القيادة الموحدة، وتمثل محاولة لتجنّب المطالب الفلسطينية المباشرة الخاصة بالاعتراف بـ م.ت.ف. والحقوق الوطنية المشروعة، كما جسّدها النشاط الدبلوماسي لـ م.ت.ف. نفسها.

في السياق عينه، وربما الى جانبه أيضاً، كشف رئيس بلدية بيت لحم، الياس فريج، انه حضّ رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، على الموافقة على تحقيق هدنة في المناطق المحتلة لمدة عام تفسح في المجال لاجراء انتخابات وتنشيط الجهود الدبلوماسية. وأوضح فريج أنه وجه رسالة، بهذا المعنى، الى عرفات بواسطة الرئيس الروماني، نيكولاي تشاوشيسكو، في أثناء محادثات اجراها في بوخارست في وقت سابق من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨ («النهار»، **مصدر سبق ذكره**).

في مقابل هذه التحركات، أعلنت أوساط م.ت.ف. والقيادة الموحدة موقفاً رافضاً بالمطلق. وردت عليها بشكل حاسم وسريع. فمن جهة، أعلن عرفات «ان أحداً لن يتمكن من ايقاف الانتفاضة». وصرح بأن «كل مسؤول فلسطيني يدعو الى ايقافها [الانتفاضة] يعرض نفسه لرصاص شعبنا» (**القبس**، ٣/١/١٩٨٩). وأصدرت القيادة الوطنية الموحّدة بياناً حول ذلك، بتاريخ ٣٠/١٢/١٩٨٨، تضمّن ثلاثة بنود رئيسة، هي: ان الانتفاضة مستمرة حتى ترضخ اسرائيل لمبادرة السلام الفلسطينية الداعية الى عقد المؤتمر الدولي بمشاركة م.ت.ف. ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، من أجل تحقيق الانسحاب الكامل من الاراضي التي احتلت العام ١٩٦٧ كافة، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، بعاصمتها الابدية قدس العروبة والاسلام؛ وان كافة المشاريع الوهمية المطروحة على الساحة، والتي تروّج لها اسرائيل، بدءاً بفكرة الانتخابات ومروراً بفكرة تلبية بعض المطالب الحياتية وانتهاء بمبادرة شامير الاعتراضية، انما تستهدف، جميعها، اجهاض الانتفاضة؛ وتدعو القيادة الوطنية الموحدة ابناء الشعب الفلسطيني الى تفويت الفرصة على العدو، بعدم الالتفات الى الشائعات المدسوسة والمسمومة، وتؤكد ان هدف الانتفاضة هو تطبيق مقررات دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة بخصوص السلام، وان عنوان الشعب الفلسطيني في كافة اماكن تواجده هو م.ت.ف. وهي وحدها المخوّلة بالتحدث عنه بشأن السلام (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٧٣١، ٨/١/١٩٨٩).

في اعقاب هذه التصريحات والبيانات، أعلن فريج سحب دعوته الى هدنة مؤقتة في المناطق المحتلة. وأكد ان الاضطهاد الاسرائيلي يجعل السلام امراً مستبعداً. واعترف فريج بأن دعوته الى هدنة مدتها عام، تشرف عليها الامم المتحدة، بهدف الوصول الى مؤتمر دولي، قوبلت بالرفض من جانب م.ت.ف. وقال: «حيث أن م.ت.ف. تعتبر اقتراحي سابقاً لأوانه، فاني احترم قرارها تماماً». وأضاف، ان ثمة دوائر «أساءت فهم فكرة الهدنة، بوصفها دعوة الى انهاء الانتفاضة من جانب واحد»، وان اقتراحه تمّ بنية حسنة على أمل ان يؤدي ذلك الى عقد مؤتمر دولي للسلام (**السفير**، بيروت، ٤/١/١٩٨٩).

ربعي المدهون

نص خطاب الأخ ياسر عرفات في الجمعية العامة للأمم المتحدة

السيد الرئيس،

السادة الأعضاء،

لم يدر بخلدي، قط، ان لقائي الثاني، منذ العام ١٩٧٤، مع هذا المجلس الموقّر سيكون في مدينة جنيف المضيافة. فقد كنت اعتقد بأن المواقع والمواقف السياسية الجديدة التي انتقل اليها شعبنا الفلسطيني، خلال اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني، في الجزائر، والتي أعلنت، كلها، وسط استحسان وترحيب دوليين كبيرين، سوف تفرض عليّ الحضور الى مقر المنظمة الدولية، في نيويورك، لاطلاعكم على مقرراتنا وتصوراتنا بالنسبة الى قضية السلام في وطننا، كما صاغها مجلسنا الوطني الفلسطيني، وهو أعلى سلطة تشريعية في الجسم الفلسطيني السياسي.

لذلك، فان لقائي معكم، اليوم، في جنيف، بعد ان حال قرار اميركي جائر دون ذهابي اليكم هنالك، هو مصدر اعتزاز وسعادة لي. فالاعتزاز مصدره وجودي معكم، وبينكم، لأنكم المنبر الأم لكل قضايا الحق والسلام في العالم؛ اما سعادتي، فانها مستمدة من وجودي في جنيف، حيث العدل والحياد نبراس ودستور في عالم تدفع غطرسة القوة أصحابها الى فقدان الحياد وحاسة العدل فيهم. ومن هنا، فان قرار جمعيتكم الموقرة، الذي صدر بموافقة الدول الـ ١٥٤ بعقد الاجتماع هنا، لم يكن انتصاراً على القرار الاميركي، ولكنه انتصار الاجماع الدولي للحق ولقضية السلام، باستفتاء لم يسبق له مثيل، وهو دليل على ان قضية شعبنا العادلة قد استقرت في نسيج الضمير الانساني.

ان شعبنا الفلسطيني لن ينسى لهذا المجلس الموقر، او لهذه الدول الصديقة، هذه الوقفة مع الحق والعدل، صوناً للقيم والمبادىء التي قامت من اجلها منظمة الامم المتحدة، والذي سوف ينعكس ثقة واطمئناناً لجميع الشعوب التي تعاني من الظلم والقهر والاحتلال، وتناضل، مثل شعبنا الفلسطيني، من أجل الحرية والكرامة والحياة.

وبهذه المناسبة، أتقدم بالشكر العميق الى كل الدول والقوى والمنظمات الدولية والشخصيات العالمية التي ساندت شعبنا وأيدت حقوقه الوطنية، وخاصة الاصدقاء في الاتحاد السوفياتي، والصين الشعبية، والدول الاشتراكية، ودول عدم الانحياز، والدول الاسلامية والدول الافريقية، والدول الآسيوية، ودول اميركا اللاتينية، وكل الدول الصديقة الاخرى؛ كما اشكر دول اوروبا الغربية واليابان على مواقفها الاخيرة تجاه شعبنا، وأدعوها الى مزيد من الخطوات على طريق التطوير الايجابي لهذه القرارات، لفتح آفاق السلام والحل العادل في منطقتنا، منطقة الشرق الاوسط.

وكذلك أتقدم بتأكيد تضامننا ودعمنا لحركات التحرير، في ناميبيا وجنوب افريقيا، في كفاحها، مع دعمنا لدول المواجهة الافريقية ضد اعتداءات نظام جنوب افريقيا العنصري.

واغتنم هذه الفرصة، كذلك، لأعبر عن شكري وامتناني لتلك الدول الصديقة التي بادرت بتأييدنا ومساندة قرارات مجلسنا الوطني والاعتراف بدولة فلسطين.

ولا يفوتني ان انوّه بالشكر الجزيل لسيادة الأمين العام للامم المتحدة، السيد خافيير بيريز دي كويلار، ومساعديه، على جهودهم المتواصلة في انجاز ما تصبو اليه البشرية من انفراج دولي وحلول لمشاكلها، وبخاصة ما يتعلق بقضية فلسطين؛ كما أتقدم بالشكر والتقدير الى رئيس وأعضاء اللجنة المعنيّة بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف، لجهودهم تجاه قضية شعبنا؛ كذلك تحيتي وشكري للجنة التسعة لدول عدم الانحياز الخاصة بقضية فلسطين، على كل ما تقدمه من عمل بنّاء لقضية شعبنا.

واليك يا سيدي الرئيس أحرّ التهاني بمناسبة

انتخابكم رئيساً لهذه الجمعية؛ وكلّي ثقة بحكمتك ودرايتك؛ كما أحيي سلفك على قيادته الرفيعة لأعمال الدورة السابعة.

وأخيراً، أرفع التحية والشكر الجزيل الى الحكومة السويسرية والى الشعب السويسري على كل ما قدمه من مساعدة كبيرة وتسهيلات وجهد في هذا السبيل.

السيد الرئيس،

السادة الأعضاء،

قبل أربعة عشر عاماً، في الثالث عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٤، تلقيت دعوة مشكورة منكم لطرح قضية شعبنا الفلسطيني أمام هذه الجمعية الموقرة. وهاأنذا اعود اليكم، بعد كل هذه السنوات الحافلة بالاحداث الجسام، لأرى شعوباً جديدة قد احتلت اماكنها بينكم، تتويجاً لانتصاراتها في معارك الحرية، والاستقلال؛ لممثلي هذه الشعوب، أقدم تهاني شعبنا الحميمة، وأعلن للجميع اني اعود اليكم بصوت أعلى، وتصميم أقوى، وثقة أعظم، لأؤكد انه لا بد لنضالنا من ان يثمر، ولدولة فلسطين، التي أعلنّا عن قيامها في مجلسنا الوطني، من ان تأخذ مكانها بينكم، لتشارك، وإيّاكم، في ترسيخ ميثاق هذه المنظمة وشرعة حقوق الانسان، ووضع حدّ للمآسي التي تتعرض لها البشرية، وارساء قواعد الحق والعدل والسلام والحرية للجميع.

قبل أربعة عشر عاماً، وعندما قلتم لنا، في قاعة الجمعية العامة: «نعم لفلسطين وشعب فلسطين؛ نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ نعم للحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين»، توهّم البعض ان قراراتكم لن يكون لها أثر يذكر؛ دون ان يدرك ان تلك القرارات كانت من أهمّ الينابيع التي روت غصن الزيتون الذي حملته يومئذٍ، ليتحول، بعد ان سقيناه بالدم والدمع والعرق، الى شجرة جذورها في الارض وفرعها في السماء، واعدة بثمار الانتصار على القهر والظلم والاحتلال؛ اعطيتمونا الأمل بانتصار الحرية والعدل، فاعطيناكم جيلاً من أبناء شعبنا، كرّس العمر لتحقيق هذا الأمل. انه جيل الانتفاضة المباركة الذي يحمل، اليوم، حجارة الوطن ليدافع بها عن شرف هذا الوطن، وليكون جديراً بالانتماء الى شعب يتعطش الى الحرية والاستقلال.

فتحية اليكم، جميعاً، من أبناء شعبنا البطل، رجالاً ونساء، ومن جماهير انتفاضتنا المباركة التي تدخل عامها الثاني بهذا الزخم الكبير، وهذا التنظيم الدقيق، وهذا الاسلوب الحضاري والديمقراطي في مواجهة الاحتلال والقهر والظلم والجرائم الوحشية التي يرتكبها، يومياً، المحتلون الاسرائيليون ضده.

تحية اليكم من شبّاننا وشاباتنا في سجون الاحتلال ومعتقلاته الجماعية؛ تحية اليكم من اطفال الحجارة يتحدون الاحتلال، بطائراته ودباباته واسلحته، معيدين الى الذاكرة الصورة الجديدة لداوود الفلسطيني الأعزل امام جالوت الاسرائيلي المدجج بالسلاح.

لقد قلت، في ختام كلمتي في لقائنا الاول، انني، كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية، اؤكد اننا لا نريد ان نرى نقطة دم يهودية، او عربية، تراق؛ ولا نريد استمرار القتال دقيقة واحدة. لقد توجهت، وقتها، اليكم لنختصر كل هذه العذابات والآلام، ولنسارع الى وضع أسس السلام العادل المبنيّ على ضمان حقوق شعبنا وتطلعاته وأمانيه، وحقوق جميع الشعوب، سواء بسواء.

وقلت: اني اتوجه اليكم لأنْ تقفوا مع نضال شعبنا من أجل ممارسة حقه في تقرير مصيره، ولأنْ تمكّنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجباري الذي دُفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف، ولأنْ تساعدونا على انهاء هذا الظلم الذي تعيش فيه اجيال شعبنا على مدى عقود عدة من السنين، حتى يتمكن من العيش في وطنه ودياره، حراً، سيداً، متمتعاً بحقوقه الوطنية والانسانية كافة.

وكان آخر ما قلت من على هذا المنبر: ان الحرب تندلع من فلسطين، والسلم يبدأ في فلسطين. وكان الحلم الذي يراودنا، حينذاك، ان نقيم دولة فلسطين الديمقراطية التي يعيش فيها المسلم والمسيحي واليهودي على قدم المساواة، حقوقاً وواجبات، في مجتمع واحد موحّد، أسوة بشعوب أخرى على هذه الارض وفي عالمنا المعاصر.

وكم كانت دهشتنا كبيرة، عندما رأينا المسؤول الاسرائيلي يفسّر هذا الحلم الفلسطيني، المستلهم من ارث الرسالات السماوية التي أنارت سماء فلسطين، ومن القيم الحضارية الانسانية الداعية الى التعايش في مجتمع ديمقراطي حر، على انه مخطط يستهدف تدمير كيانه والقضاء عليه.

وكان علينا، يا سيادة الرئيس، ان نستخرج

العبرة من صعوبة هذا الواقع، وان نلحظ بُعد المسافة بينه وبين الحلم، فبادرنا، في منظمة التحرير الفلسطينية، الى البحث عن الصيغ البديلة، الواقعية، والقابلة للتحقيق، لايجاد حل للقضية، يعتمد العدل الممكن لا المطلق، ويضمن حقوق شعبنا في الحرية والسيادة والاستقلال؛ كما يضمن للجميع السلام والأمن والاستقرار، ويجنّب فلسطين والشرق الاوسط حروباً ومعارك لا تزال مستمرة منذ أربعين عاماً.

أَوَلَم نكن نحن، يا سيادة الرئيس، من بادر الى اعتماد ميثاق الامم المتحدة، وقراراتها، وشرعة حقوق الانسان، والشرعية الدولية، أساساً مرجعياً لحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ أَوَلَم نرحّب ببيان فانس ـ غروميكو في العام ١٩٧٧، كبادرة تصلح أساساً لمشروع حل لهذا الصراع ؟ أَوَلَم نوافق على الاشتراك في مؤتمر جنيف، طبقاً للبيان المصري ـ الاميركي سنة ١٩٧٧، لدفع عجلة الحل والسلام في المنطقة ؟ أَوَلَم نعتمد مشروع السلام العربي في فاس، العام ١٩٨٢، ومن بعده مشروع الدعوة الى مؤتمر دولي للسلام برعاية الامم المتحدة ووفق قراراتها ؟ أَوَلَم نؤيد مشروع بريجينيف للسلام في منطقة الشرق الاوسط ؟ أَوَلَم نرحب ونؤيد بيان البندقية الصادر عن دول السوق الاوروبية المشتركة بشأن أسس السلام العادل في المنطقة ؟ أَوَلَم نرحب ونؤيد مبادرة الرئيسين، [ميخائيل] غورباتشيوف [وفرنسوا] ميتران بشأن اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي ؟ أَوَلَم نرحب بعشرات البيانات والمبادرات السياسية التي تقدمت بها المجموعات والدول الافريقية، والدول الاسلامية، ودول عدم الانحياز، والدول الاشتراكية، والدول الاوروبية، وغيرها، بهدف ايجاد تسوية سلمية ترتكز على مبادىء الشرعية الدولية لتأمين السلام وحل الصراع ؟ فماذا كان موقف اسرائيل من هذا كله ؟ مع انه ما من مبادرة واحدة، أو مشروع واحد، أو بيان واحد، من كل ما أشرت اليه يخلو من مراعاة التوازن السياسي، او يغفل مطالب ومصالح أطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي كافة.

لقد كان موقف اسرائيل، من هذا كله، المزيد من تصعيد مخططاتها الاستيطانية والتوسعية، وتأجيج عملية الصراع بتعميم الخراب والدمار وإراقة الدماء، وتوسيع جبهات الصدام حتى شملت لبنان الشقيق الذي اجتاحته جيوش الاحتلال سنة ١٩٨٢، وما تمّ في اثناء ذلك الغزو من مذابح ومجازر ضد الشعبين، اللبناني والفلسطيني، بما فيها مذابح صبرا وشاتيلا، ولا تزال اسرائيل تحتل جزءاً من جنوب لبنان حتى الآن، ويواجه، لبنان، يومياً، الغارات والاعتداءات الجوية والبحرية والبرية، ضد مدنه وقراه، وضد مخيماتنا في الجنوب.

وانه لمن المؤلم، والمؤسف، ان تستمر الحكومة الاميركية، وحدها، في دعم ومساندة هذه المخططات الاسرائيلية العدوانية التوسعية، وفي دعم اسرائيل باستمرار احتلالها للاراضي الفلسطينية العربية، وفي استمرار جرائمها وسياسة القبضة الحديدية ضد أطفالنا ونسائنا.

كما وانه لمن المؤلم، والمؤسف كذلك، استمرار الحكومة الاميركية في رفضها الاعتراف بحق ستة ملايين فلسطيني بتقرير مصيرهم، وهو حق مقدس بالنسبة الى الشعب الاميركي والى شعوب الارض قاطبة؛ واذكّرهم بموقف الرئيس ولسون، صاحب المبادئ العالميين في العلاقات الدولية، وهما عدم جواز احتلال اراضي الغير بالقوة، وحق تقرير المصير للشعوب؛ وعندما استُفتي الشعب الفلسطيني العام ١٩١٩، بواسطة لجنة كينغ ـ كراين، اختار الولايات المتحدة كدولة انتداب، ولكن الظروف حالت دون ذلك، وجاءت بريطانيا بديلاً منها. وانني لأتوجه الى الشعب الاميركي متسائلاً: هل من الانصاف ان لا يطبق على الشعب الفلسطيني ما شرّعه الرئيس ولسون بهذا الخصوص ؟

ان الادارات الاميركية المتعاقبة تعترف بأن شهادة الميلاد الوحيدة لقيام دولة اسرائيل هي القرار ١٨١ الصادر عن الجمعية العامة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، والذي وافقت عليه، في حينه، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وهو ينص على قيام دولتين في فلسطين، واحدة عربية فلسطينية والثانية يهودية. فكيف تفسر الحكومة الاميركية موقفها الذي يقر، ويعترف، بنصف هذا القرار المتعلق باسرائيل، وترفض نصفه الآخر المتعلق بالدولة الفلسطينية ؟ بل وكيف تفسّر حكومة الولايات المتحدة عدم التزامها بتنفيذ قرار سبق لها وان تبنّته أكثر من مرة في جمعيتكم الموقرة، وهو القرار الرقم ١٩٤، والقاضي بحق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم التي طردوا منها، او التعويض على من لا يرغب في العودة ؟

ان حكومة الولايات المتحدة تعلم بأن ليس

من حقها، أو من حق غيرها، تجزئة الشرعية الدولية وتفتيت احكام القوانين الدولية.

السيد الرئيس،

ان نضال شعبنا المتواصل في سبيل حقوقه يعود الى عشرات السنين؛ قدم خلالها مئات الآلاف من الشهداء والجرحى، وعانى من كل أنواع العذاب المأساوي؛ ولكنه لم يهن، ولم تفتر عزيمته، بل عززت اصراره في تشبّثه بوطنه الفلسطني، وبهويته القومية.

ان قادة اسرائيل، الذين أخذتهم النشوة الخادعة، توهّموا انه، بعد خروجنا من بيروت، سيبتلع البحر المنظمة؛ ولم يتوقعوا ان يتحول رحيل المنافي الى مسار للعودة الى الوطن، الى ساحة الصراع الحقيقية، الى فلسطين المحتلة؛ فكانت الانتفاضة الشعبية الباسلة داخل ارضنا المحتلة؛ الانتفاضة التي قامت لتستمر حتى تتحقق اهدافنا في الحرية والاستقلال الوطني.

وانه لمّا يشرّفني، يا سيادة الرئيس، ان أكون واحداً من أبناء هذا الشعب الذي يسطّر، بدماء اطفاله ونسائه ورجاله، اروع ملاحم المقاومة الوطنية، ويجترح معجزات يوميّة أشبه بالاساطير، كي تستمر انتفاضته، وكي تنمو، وتكبر، حتى تفرض ارادتها، ولتثبت ان باستطاعة الحق ان يقهر القوة. فتحية اكبار لهذه الجماهير من شعبنا التي تصنع اليوم هذه التجربة الثورية الديمقراطية الفريدة؛ انه الايمان الذي لم تزعزعه كل آلة اسرائيل العسكرية؛ ولم يرهبه الرصاص بكل انواعه؛ ولم ينل منه دفن الاحياء، وكسر العظام، واجهاض الحوامل، والاستيلاء على مصادر المياه؛ ولم يوهن عزيمته الاعتقال، والسجن، والنفي، والطرد خارج الوطن. اما العقاب الجماعي، ونسف البيوت، وغلق الجامعات والمدارس والنقابات والجمعيات والمؤسسات، وتعطيل الصحف، وحصار المخيمات والقرى والمدن، فلم تزد هذا الايمان الاّ رسوخاً لتعمّ الثورة كل بيت، ولتتجذّر في كل شبر من أرض الوطن.

ان شعباً هذه سيرته، وهذا تاريخه، لا يمكن ان يُهزَم؛ ولا يمكن لكل قوى البطش والارهاب ان تثنيه عن عقيدته الراسخة بحقه في وطنه، وبقيَم العدل والسلام والمحبة والتعايش السمح. وكما حمتنا بندقية الثائر، فحالت دون تصفيتنا وتدمير هويتنا الوطنية في ساحات المواجهات الساخنة، فنحن على ثقة تامّة بقدرتنا على حماية غصننا الأخضر في ساحات المواجهات السياسية. ان هذا الالتفاف العالمي حول قضيتنا العادلة لتحقيق السلام القائم على العدل، يُظهر، بشكل ساطع، ان العالم يدرك، بلا التباس، من هو الجلاّد ومن هو الضحية، ومن هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه، ومن هو المناضل من أجل الحرية والسلام ومن هو الارهابي.

وها هي الممارسات اليومية لقوات جيش الاحتلال وعصابات المستوطنين المتعصبين المسلحين، ضد شعبنا وأطفالنا ونسائنا، تفضح وجه الاحتلال الاسرائيلي البشع، وتظهره على حقيقته العدوانية.

ان هذا الوعي العالمي المتنامي قد مسّ التجمعات اليهودية نفسها، داخل اسرائيل وخارجها، وأخذ يفتح عيونها على حقيقة المشكلة وعلى جوهر الصراع، وخاصة أمام الممارسات الاسرائيلية اليومية غير الانسانية التي تدمّر روح الديانة اليهودية السمحة نفسها.

لقد بات من الصعب، والى حدود المستحيل، ان لا يُعلن اليهودي رفضه للاضطهاد العنصري وتعلّقه بالحريات وبحقوق الانسان وان يصمت على جرائم وانتهاكات اسرائيل ضد حقوق الانسان الفلسطيني والشعب الفلسطيني والوطن الفلسطيني، خاصة أمام الممارسات اليومية البشعة للمحتلين وعصابات المستوطنين.

اننا نميّز، سيادة الرئيس، بين المواطن اليهودي الذي سعت الدوائر الاسرائيلية الحاكمة الى طمس وتزييف وعيه وصورة ضميره باستمرار، وبين ممارسات قادة اسرائيل. بل اننا ندرك انه يوجد، داخل اسرائيل وخارجها، من اليهود الشرفاء والشجعان الذين لا يقرّون حكومة اسرائيل على سياسة القمع والمذابح والتوسع والاستيطان والطرد، ويقرّون لشعبنا حقوقه المتساوية في الحياة والحرية والاستقلال. وانني، باسم الشعب الفلسطيني، اشكرهم على هذا الموقف الشجاع الشريف.

ان شعبنا لا يريد حقاً ليس له، ولا تقرّه عليه الشرعية الدولية والقوانين الدولية. وهو لا يسعى الى حرية تقهر حرية غيره، أو الى مصير يلغي مصير شعب آخر. ان شعبنا يرفض ان يتميز على غيره، ويرفض لغيره ان يتميز عليه. شعبنا يريد التساوي مع كل الشعوب، له ما لها، وعليه ما عليها. وانني اتوجه بندائي هذا الى كل الشعوب في العالم، وخاصة

التي عانت من الاحتلال النازي واعتبرت ان من واجبها ان تطوي صفحة القهر والظلم من جانب أي شعب ضد شعب آخر، وان تمد العون الى كل ضحايا الارهاب والفاشية والنازية، لأن ترى، اليوم، بوضوح، ما يلقيه عليها التاريخ من مسؤوليات تجاه شعبنا المعذّب، الذي يريد لأطفاله مكاناً تحت الشمس في وطنهم، يعيشون فيه أسوة ببقية أطفال العالم، احراراً فوق أرضهم الحرة.

السيد الرئيس،

انه لمّا يدعو الى التفاؤل ان تصل مسيرتنا النضالية الى ذروة الانتفاضة الراهنة في ظل مناخ دولي يتّسم بسعي حثيث، وجاد، الى الانفراج والوفاق الدوليين، والتقدم للشعوب. واننا لنشهد، بسرور بالغ، النجاحات التي حققتها الامم المتحدة، وامينها العام، بالاسهام الفعّال في التوصل الى حلول لكثير من المشاكل وبؤر التوتر في العالم، في ظل هذا الوفاق الدولي الجديد.

ومن المؤكد انه يستحيل ترسيخ هذا المناخ الايجابي الدولي الجديد دون الالتفات الى مشاكل الارض وبؤر التوتر المنتشرة فيها، ممّا يمكّننا من صوغ ضمير انساني أكثر دقة ومسؤولية في تقييم أعمال الانسان والدول، ويملك شفافية الاستشراف لما يحمله القرن المقبل علينا من تحديات ومسؤوليات جديدة، بعيداً من الحروب والدمار، من أجل المزيد من الحرية والرفاه والسلم والتقدم للبشرية.

ولا يختلف احد، هنا، يا سيادة الرئيس، على ان قضية فلسطين هي مشكلة المشاكل المعاصرة. فهي الأقدم عمراً على جدول أعمالكم؛ وهي الاكثر تعقيداً وتشابكاً؛ وهي الأشد خطراً بين القضايا الاقليمية على السلام والامن الدوليين. ومن هنا، فانها تحتل مكانة الأولوية بين المشاكل التي تستدعي اهتمام الدولتين الاعظم وجميع دول العالم، وضرورة القيام بالجهد المطلوب لرسم طريق لحلها وفق أسس عادلة، تكون، بحد ذاتها، أكثر ضماناً لتعميم السلام في الشرق الاوسط.

ونحن في منظمة التحرير الفلسطينية، كقيادة مسؤولة عن شعب فلسطين ومصيره، ووفاء منّا لنضال شعبنا، واجلالاً لتضحيات الشهداء، وحرصاً منا على التجاوب مع أجواء الانفراج والوفاق، ووعياً منّا لأهمية الاسهام في المساعي السياسية السلمية لايجاد حل سياسي يضع حداً لمآسي الحروب والقتال، ويفسح في المجال لتعايش سلمي تحكمه القوانين الدولية؛ لذلك دَعوْنا مجلسنا الوطني الفلسطيني الى دورة غير عادية، في الجزائر، بين الثاني عشر والخامس عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المنصرم، وذلك بهدف تحديد، وتوضيح، موقفنا، كطرف أساسي في النزاع العربي – الاسرائيلي، لا حل من دون مشاركته وموافقته.

ويسعدني ان أقول لكم، بكل اعتزاز، ان مجلسنا الوطني، من خلال ممارسة ديمقراطية كاملة الحرية، أكد، من جديد، تحمّله لمسؤولياته الوطنية العليا، فاتخذ من القرارات الجادة، والبنّاءة، والمسؤولة، ما مهّد الطريق لتعميق وابراز رغبتنا واسهامنا في ايجاد تسوية سلمية تضمن حقوق شعبنا الوطنية والسياسية، كما تضمن الأمن والسلام للجميع.

السيد الرئيس،

ان القرار الاول، والحاسم، لمجلسنا الوطني، هو اعلان قيام دولة فلسطين، وعاصمتها القدس الشريف، وذلك استناداً الى الحق الطبيعي والتاريخي والقانوني للشعب العربي الفلسطيني في وطنه فلسطين، وتضحيات اجياله المتعاقبة دفاعاً عن حرية وطنه واستقلاله، وكذلك انطلاقاً من قرارات القمم العربية، ومن قوة الشرعية الدولية التي تجسّدها قرارات الامم المتحدة منذ العام ١٩٤٧، وممارسة من الشعب العربي الفلسطيني لحقه في تقرير المصير والاستقلال السياسي والسيادة فوق أرضه، وطبقاً لقراراتكم المتتالية.

ويهمني، وانا أكرر هذا الاعلان التاريخي أمام الأسرة الدولية، وقد أصبح وثيقة رسمية من وثائق الامم المتحدة، ان أؤكد ان هذا القرار لا رجعة لنا عنه، ولن نتوقف عن العمل حتى يتمّ تحقيقه بدحر الاحتلال، وممارسة شعبنا لسيادته في دولته، دولة فلسطين للفلسطينيين أينما كانوا، يطوّرون فيها هويتهم الوطنية والثقافية، ويتمتعون بالمساواة الكاملة في الحقوق، وتصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الانسانية، في ظل نظام ديمقراطي برلماني يقوم على أساس حرية الرأي، وتكوين الاحزاب، ورعاية الأغلبية حقوق الأقلية، واحترام الاقلية قرارات الأغلبية، وعلى العدل الاجتماعي والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة، على أساس العرق، او الدين، أو اللون، أو بين المرأة والرجل، في

ظل دستور يفرض سيادة القانون، والقضاء المستقل، وعلى أساس الوفاء الكامل لتراث فلسطين الروحي، والحضاري، في التسامح والتعايش السمح بين الاديان عبر القرون.

ان دولة فلسطين هي دولة عربية، وشعبها جزء من أمّته العربية، تراثاً وحضارة وطموحاً للتطور الاجتماعي والوحدة والتحرر، تلتزم بميثاق جامعة الدول العربية وبمبادىء الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان وبمبادىء عدم الانحياز.

انها دولة محبة للسلام، ملتزمة بمبادىء التعايش السلمي، وانها ستعمل، مع جميع الدول والشعوب، من أجل تحقيق سلام دائم قائم على العدل واحترام الحقوق.

انها دولة تؤمن بتسوية المشاكل الدولية والاقليمية بالطرق السلمية، وفقاً لميثاق الامم المتحدة وقراراتها، وترفض التهديد بالعنف، أو القوة، او الارهاب، أو باستعمالها ضد سلامة اراضيها واستقلالها السياسي، أو سلامة أراضي أية دولة أخرى، دون المساس بحقها الطبيعي في الدفاع عن أراضيها واستقلالها.

انها دولة تؤمن بأن الغد لا يحمل غير الأمان لمن عدلوا، او ثابوا الى العدل. تلك هي، يا سيادة الرئيس، دولة فلسطين التي اعلنّا قيامها، وسنعمل على تجسيدها، كي تأخذ مكانها بين دول العالم، لتشارك وتبدع في صيانة عالم حرّ يسود فيه العدل وينعم بالسلام. وسيكون لدولتنا حكومتها المؤقتة بأقرب فرصة، باذن الله. وقد كلّف المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة التنفيذية تولّي مهام هذه الحكومة المؤقتة لحين تشكيلها. ومن اجل تجسيد هذا القرار، اتخذ مجلسنا الوطني جملة قرارات، يهمّني الاشارة الى أهمها، ممّا يؤكد عزمنا على المضيّ الجاد في مسيرة التسوية السلمية العادلة، وبذل أقصى الجهد في سبيل انجاحها.

لقد أكد مجلسنا الوطني ضرورة عقد المؤتمر الدولي الخاص بقضية الشرق الاوسط، وجوهرها قضية فلسطين، تحت اشراف الامم المتحدة، وبمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن وجميع اطراف الصراع في المنطقة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وعلى قدم المساواة، باعتبار ان المؤتمر الدولي يعقد على قاعدة قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ وضمان الحقوق الوطنية والسياسية المشروعة للشعب الفلسطيني، وفي مقدمها حقه في تقرير المصير.

كما أكد مجلسنا الوطني ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي الفلسطينية، والعربية، التي احتلتها العام ١٩٦٧، بما فيها القدس العربية، واقامة الدولة الفلسطينية، والغاء جميع اجراءات الالحاق والضمّ، وازالة المستعمرات التي أقامتها اسرائيل في الاراضي الفلسطينية والعربية منذ العام ١٩٦٧؛ وهو ما أقرّته القمم العربية، وخاصة في القمم العربية في فاس والجزائر.

وأكد مجلسنا الوطني ضرورة السعي الى وضع الاراضي الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس العربية، تحت اشراف الامم المتحدة لفترة محدودة، لحماية شعبنا، ولتوفير مناخ مؤات لانجاح اعمال المؤتمر الدولي، والوصول الى تسوية سياسية شاملة، وتحقيق الامن والسلام للجميع، شعوباً ودولاً، في الشرق الاوسط، بقبول ورضى متبادلين، ولتمكين دولة فلسطين من ممارسة سلطاتها الفعلية على هذه الاراضي؛ وهذا ما أكدته، كذلك، القرارات الصادرة عن القمم العربية. وأكد مجلسنا، كذلك، على حل قضية اللاجئين الفلسطينيين وفق قرارات الامم المتحدة؛ كما أكد على ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية في الاماكن المقدسة، في فلسطين، لاتباع جميع الاديان. كما أكد مجلسنا الوطني على قراراته السابقة بشأن العلاقة المميزة والخاصة بين الشعبين الشقيقين، الاردني والفلسطيني، وان العلاقة المستقبلية بين دولة فلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية ستكون على أسس كونفدرالية، وعلى أساس الاختيار الطوعي، والحر، للشعبين الشقيقين، تعزيزاً للروابط التاريخية والمصالح الحيوية فيما بينهما.

ولقد جدّد المجلس تأكيده ضرورة ان يضع مجلس الامن، ويضمن، ترتيبات الامن والسلام بين جميع الدول المعنيّة بالصراع في المنطقة.

ويهمّني، هنا، يا سيادة الرئيس، ان أشير الى ان هذه القرارات تعكس، كما هو واضح من مضمونها وصياغتها، قناعتنا الراسخة بالسلام والحرية، وفهمنا وتقديرنا العميقين لمناخ التوافق الدولي، وحرص الاسرة الدولية على الوصول الى حلول متوازنة تستجيب للمطالب والمصالح الاساسية لأطراف الصراع؛

كما تعكس هذه القرارات مدى جدية الموقف الفلسطيني من قضية السلام، وحرصه عليها، وضرورة تأمينها وضمانها عبر مجلس الأمن الدولي وتحت رعاية الامم المتحدة.

ان هذه القرارات تحمل الرد الواضح، والحازم، على كل الحجج والمواقف المسبقة، والذرائع، التي كان يسوقها بعض الدول حول موقف وسياسة منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي الوقت الذي كان شعبنا، بانتفاضته ومن خلال ممثليه في المجلس الوطني الفلسطيني، يصوّت من أجل السلام، مؤكداً تجاوبه مع الاتجاه السائد الذي تعززه حقبة الانفراج الجديدة في العلاقات الدولية لحل النزاعات العالمية بالوسائل السلمية، فان الحكومة الاسرائيلية كانت تغذّي النزعات العدوانية والتوسعية والتعصب الديني، لتؤكد تمسّكها بخيار العدوان والتنكر لحق شعبنا.

ان الجانب الفلسطيني صاغ، من جهته، مواقف سياسية واضحة ومسؤولة تنسجم مع ارادة المجتمع الدولي، وذلك في سبيل المساعدة على عقد المؤتمر الدولي للسلام، وانجاح أعماله. وليس في هذا الدعم الدولي الشجاع والمشكور بالاعتراف بدولة فلسطين الاّ الدليل الساطع على صواب مسارنا، ومصداقية قراراتنا وانسجامها مع الارادة العالمية المحبة للسلام.

ومع تقديرنا الكبير للاصوات الاميركية الحرة التي بادرت الى شرح وتأييد موقفنا وقراراتنا، فان الادارة الاميركية ما زالت غير ملتزمة بمعيار موحّد بين أطراف الصراع، وما زالت تفرض علينا، وحدنا، الاقرار بمواقف لا يمكن حسمها قبل التفاوض والحوار داخل اطار المؤتمر الدولي.

ويهمّني ان أذكر ان الاقرار لطرفي الصراع بالمساواة والحقوق على أساس متبادل هو المدخل الوحيد للرد على جميع التساؤلات، من أية جهة تصدر. واذا كانت السياسات الممارسة على الارض تعكس نوايا اصحابها، فان الطرف الفلسطيني هو الأجدر بالقلق وطرح التساؤلات الهادفة الى طمأنته على مصيره ومستقبل هذا المصير، امام دولة اسرائيل المدججة بأحدث الاسلحة، بما فيها الاسلحة النووية.

السيد الرئيس،

لقد جدّد مجلسنا الوطني التزامه بقرارات الامم المتحدة التي تؤكد حق الشعوب في مقاومة الاحتلال الاجنبي والاستعمار والتمييز العنصري، وحقها في النضال من أجل استقلالها. وجدد رفضه للارهاب، بكل انواعه، بما في ذلك ارهاب الدولة، مؤكداً التزامه بقراراته السابقة بهذا الخصوص، وقرار القمة العربية في الجزائر العام ١٩٨٨، وقراري الأمم المتحدة، الرقم ١٥٩/٤٢ لعام ١٩٨٧ والرقم ٤٠/٦١ لعام ١٩٨٥، وبما ورد في «اعلان القاهرة»، الصادر بتاريخ ٧/١١/١٩٨٥ بهذا الخصوص.

ان هذا لموقف واضح يا سيادة الرئيس، ولا لبس فيه. ومع ذلك، فانني، كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، أعلن، من هنا، مرة أخرى: انني أدين الارهاب بكل أشكاله، وأحيّي، في الوقت ذاته، جميع من أرى أمامي في هذه القاعة ممّن اتهمهم جلادوهم ومستعمروهم بالارهاب في اثناء معارك تحرير بلادهم من نير الاستعمار، وهم، اليوم، القادة الأمناء لشعوبهم، والأوفياء الخلص لمبادىء وقيم العدل والحرية.

وتحية اجلال لمن سقط من الشهداء على أيدي الارهاب والارهابيين، وفي المقدم رفيق العمر، نائبي الشهيد الرمز خليل الوزير، وشهداء المذابح التي تعرّض لها شعبنا في مختلف المواقع والأماكن والمدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع، وفي الجنوب اللبناني.

سيادة الرئيس،

السادة الأعضاء،

ان الموقف في وطننا الفلسطيني لم يعد يحتمل الانتظار. وها هي جماهير شعبنا وأطفالنا تتقدم الركب حاملة مشاعل الحرية، وهي تستشهد يومياً من اجل اجلاء المحتل وارساء قواعد السلام في وطنها الحر المستقل وفي المنطقة كلها. لذلك، فان المجلس الوطني الفلسطيني انطلق من قراراته على أساس الواقعية، آخذين بعين الاعتبار ظروف الفلسطينيين والاسرائيليين وتوفر مناخ التسامح بينهما.

ان مسؤولية الأمم المتحدة تجاه قضية شعبنا وحقوقه هي مسؤولية تاريخية واستثنائية. فمنذ أكثر من أربعين عاماً، قرّرت الامم المتحدة، بناءً على القرار الرقم ١٨١، اقامة دولتين في فلسطين، واحدة عربية فلسطينية، وأخرى يهودية. ونحن نرى، اليوم، ورغم الظلم التاريخي الذي لحق بشعبنا، ان هذا القرار

ما زال يوفر شروط الشرعية الدولية التي تضمن حق الشعب العربي الفلسطيني بالسيادة والاستقلال الوطني.

لذلك، فان تسريع وتيرة عملية السلام في المنطقة يتطلب جهداً استثنائياً من جانب الاطراف المعنيّة، والاطراف الدولية، وأخصّ بالذكر الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، اللذين يتحملان مسؤولية كبيرة تجاه قضية السلام في منطقتنا.

ان دور الامم المتحدة والاعضاء الدائمين في مجلس الامن وكل الكتل والهيئات الدولية حيويّ وهام في هذه المرحلة.

لذا، أتقدم بمبادرة السلام الفلسطينية التالية، بصفتي رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي تتولى، حالياً، مهام الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين:

اولاً: ان يتمّ العمل الجاد لعقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، وتحت اشراف الامين العام للامم المتحدة، وذلك بناءً على مبادرة الرئيسين، غورباتشيوف وميتران، والتي أيدها العديد من الدول، وتفضل الرئيس ميتران بعرضها على جمعيتكم في أواخر أيلول (سبتمبر) الماضي، وذلك تمهيداً لعقد المؤتمر الدولي، الذي تؤيده جميع دول العالم، باستثناء حكومة اسرائيل.

ثانياً: انطلاقاً من ايماننا بالدور الحيوي للامم المتحدة وبالشرعية الدولية، فاننا نرى ان يتمّ العمل لاشراف مؤقت للامم المتحدة على أرضنا الفلسطينية المحتلة ووضع قوات دولية لحماية شعبنا، وتشرف في نفس الوقت على انسحاب القوات الاسرائيلية من بلدنا.

ثالثاً: ان منظمة التحرير الفلسطينية ستعمل للوصول الى تسوية سلمية شاملة بين أطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل والدول المجاورة الاخرى، في اطار المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بما يحقق المساواة وتوازن المصالح، وخاصة حق شعبنا في التحرر والاستقلال الوطني، واحترام حق العيش والسلام والأمن للجميع، ووفقاً للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨.

وفي حال الاقرار بهذه الأسس داخل المؤتمر الدولي نكون قطعنا شوطاً أساسياً نحو الحل العادل، ممّا يتيح الاتفاق على كل ترتيبات الامن والسلام.

السيد الرئيس،

ارجو ان يكون واضحاً ان شعبنا الفلسطيني، بقدر ما يحرص على نيل حقوقه الوطنية المشروعة في تقرير المصير والعودة وازالة الاحتلال عن أرض دولته الفلسطينية، فانه يحرص على المسيرة السلمية لتحقيق هذه الاهداف، في اطار المؤتمر الدولي، برعاية الامم المتحدة ووفق ميثاقها وقراراتها.

واني أؤكد اننا شعب يتوق الى السلام مثل كل شعوب الارض، وربما بحماسة أكبر، بسبب طول هذه المعاناة طوال هذه السنوات، وبسبب قسوة الحياة التي يحياها شعبنا وأطفالنا، وبسبب حرمانه من التمتع بحياة طبيعية بعيداً من الحروب والمآسي وعذاب النفس والتشرد، ومعاناة العيش اليومي القاسية.

فلترتفع الاصوات المؤيدة لغصن الزيتون وسياسة التعايش السلمي واجواء الانفراج الدولي؛ ولتتشابك الأيدي دفاعاً عن فرصة تاريخية قد لا تعوّض، تضع حدّاً لمأساة طال عمرها وكلّفت تضحيات آلاف الارواح، ودمار مئات القرى والمدن.

واننا، اذ نمد يدنا بغصن السلام، فلأنه يتفرع في قلوبنا من شجرة الوطن والحرية.

السيد الرئيس،

السادة الاعضاء،

لقد أتيت اليكم باسم شعبنا، باسطاً يدي لنصنع السلام الحقيقي، السلام القائم على العدل.

ومن هذا المنطلق، أطالب قادة اسرائيل بأن يأتوا الى هنا، تحت اشراف الامم المتحدة، لنصنع هذا السلام. وأقول لهم كما أقول لكم: ان شعبنا يريد الكرامة والحرية والسلام، ويريد الأمن لدولته كما يريده لجميع دول وأطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

وهنا أتوجّه، بالتخصيص، الى الاسرائيليين، بكل فئاتهم وقواهم وشرائحهم، وفي مقدمهم قوى الديمقراطية والسلام، وأقول لهم: تعالوا، بعيداً من الخوف والتخويف، لنصنع السلام، وبعيداً من شبح الحروب المتواصلة منذ اربعين عاماً في أتون هذا الصراع، وبعيداً من التهديد بانفجار الحروب المقبلة التي لن يكون وقودها الاّ أطفالنا وأطفالكم. تعالوا لنصنع السلام، سلام الشجعان، بعيداً من غطرسة القوة واسلحة الدمار، بعيداً من الاحتلال والقهر

والذلّ والقتل والتعذيب.

قل: «يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء»، لنقيم السلام على أرض السلام، أرض فلسطين. «المجد لله في الأعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة». «اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام، فحيينا ربنا في السلام وادخلنا الجنّة دارك دار السلام».

وأخيراً، أقول لشعبنا: الفجر آت آت؛ والنصر آت آت؛ واني أرى الوطن في حجارتكم المقدسة؛ أرى علم دولتنا الفلسطينية المستقلة يرفرف فوق روابي الوطن الحبيب.

وشكراً، والسلام عليكم ورحمته وبركاته.

[جنيف، ١٣/١٢/١٩٨٨]

◇
◇ ◇

عرفات: حق الوجود للجميع

[في اليوم التالي لالقائه الخطاب في المقر الاوروبي للأمم المتحدة، في جنيف، عقد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، مؤتمراً صحافياً، حضره عدد كبير من الصحافيين، واستهلّه ببيان قرأه على الحضور قبل ان يجيب عن الاسئلة]

في البداية، أودّ ان اسجّل، مرة أخرى، تقديرنا البالغ لاعضاء الجمعية العامة الذين أيّدوا القضية الفلسطينية. ان مجيئهم الى جنيف سيتمّ تذكّره كعمل مسؤول من العدالة. وما قلته عن أعضاء الجمعية ينطبق، بالخصوص، على معالي الأمين العام، الذي لم يألو جهداً تجاه تحقيق اجتماعنا هنا، في جنيف؛ وكذلك ينطبق هذا، أيضاً، على رئيس الجمعية العامة.

بعد ان قلت ذلك، دعوني أوضح آرائي أمامكم:

ان رغبتنا في السلام هي استراتيجية وليست تكتيكاً مؤقتاً.

اننا مصمّمون على السلام مهما يحدث.

ان حصولنا على دولة يقدّم الخلاص الى الفلسطينيين والسلام الى الفلسطينيين والاسرائيليين.

ان تقرير المصير يعني «البقاء» للفلسطينيين، وان بقاءنا لا يدمّر بقاء الاسرائيليين، كما يدّعي حكّامهم.

أشرت، أمس، الى قرار الامم المتحدة ١٨١ كأساس للاستقلال الفلسطيني؛ وكذلك أشرت الى قبولنا بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس للمفاوضات مع اسرائيل ضمن اطار المؤتمر الدولي. ولقد تبنّى مجلسنا الوطني الفلسطيني، في دورته، في الجزائر، هذه القرارات. وهي تعني حق شعبنا بالحرية والاستقلال الوطني، وفقاً للقرار ١٨١ وحق جميع الأطراف في النزاع بالوجود في سلام وأمن، بما فيها الدولة الفلسطينية واسرائيل وجيرانها، وفقاً للقرار ٢٤٢.

في ما يتعلق بالارهاب، فأنا رفضته أمس بعبارات واضحة؛ ولكن أعيده مرة أخرى وأسجل اننا نرفضه تماماً، وبالمطلق جميع اشكال الارهاب، بما فيها ارهاب الافراد والجماعات والدولة.

بين الجزائر وجنيف أعلنّا موقفنا بوضوح تامّ.

أي حديث آخر، مثل «ان على الفلسطينيين ان يقدّموا أكثر»، أو «هذا ليس كافياً»، أو «الفلسطينيون يقومون بلعبة دعائية وتمارين في العلاقات العامة»، سيكون مدمّراً وغير مجدي.

كفى. كفى. كل الامور المتبقية يجب ان تتمّ حول الطاولة وضمن المؤتمر الدولي.

ليكن واضحاً تماماً انه لا عرفات، ولا غيره،

يمكن ان يوقف الانتفاضة. ستتوقف الانتفاضة فقط عندما تُتخذ خطوات عملية وملموسة تجاه حصولنا على أهدافنا الوطنية واقامة دولة فلسطين المستقلة.

في هذا المجال، أتوقع من السوق الاوروبية المشتركة ان تلعب دوراً أكثر فعالية في تعزيز السلام في المنطقة.

أخيراً، أعلن امامكم، وأرجو ان تقتبسوني في ذلك: اننا نريد السلام؛ واننا ملتزمون بالسلام؛ واننا نريد ان نعيش في دولتنا الفلسطينية وندع الآخرين يعيشون.

هذا وقد أجاب عرفات عن اسئلة الصحافيين. فقد قال، رداً على سؤال حول من يصفون المبادرة الفلسطينية بالغموض: «ان ما قلته واضحاً؛ وانها ليست مشكلتي تعليم الآخرين اللغة».

وحول الموقف الاميركي السريع، والذي صدر عن تشارلز ريدمان، قال: «لا أريد ان أدخل في مباراة كلامية. نحن سنحاول كل جهدنا ان نُفهِم اصدقاءنا واعداءنا وجهة نظرنا».

وعن مشكلة الرهائن الغربيين المحتجزين في بيروت، ذكر عرفات ان الادارة الاميركية كانت طلبت من م.ت.ف. تأمين خروج ١١ ألف مواطن اميركي في بيروت، وقد أخرجت المنظمة خمسة آلاف منهم عبر الجبال، والباقي (أي ستة آلاف) عبر البحر، اضافة الى ان م.ت.ف. هي التي كانت تحمي، وتطعم، وتقدّم المعونات الى الجالية اليهودية في لبنان، والتي كانت تقيم في وادي أبو جميل. وأضاف: «لقد بذلت نفوذي الخاص لدى بعض الصداقات القديمة لي في بيروت وتمكّنت من اخراج عدد من الرهائن المختطفين».

وتساءل عرفات، رداً على سؤال حول الميثاق الوطني الفلسطيني، «هل رفضت اسرائيل القرار الذي يقول ' أرضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل ' »؛ وأضاف: «ان نشيد تكتل الليكود الحاكم الآن يقول: ' الضفة الغربية لنا، وكذلك الشرقية لنا ' ».

ورداً على سؤال «هل تتوقع ان تغيّر الولايات المتحدة موقفها تجاه القضية الفلسطينية»، قال: «انها احدى الدول الخمس؛ والمؤتمر الدولي المتفق عليه هو بمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الامن، بما فيها الولايات المتحدة، بالاضافة الى انها احدى القوتين الاعظم. الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي متفقان، بناء على الاتفاق الدولي الاخير، على حل المشاكل الدولية في العالم، في ناميبيا وكمبوديا وحرب الخليج وافغانستان والصحراء والقضية الفلسطينية وقضية الشرق الاوسط. وجميع هذه القضايا لها لجان، وبعضها وصل الى اتفاق، ما عدا القضية الفلسطينية الموجودة حتى الآن على الرفّ. آمل في ان ترفع الولايات المتحدة الفيتو، حتى نتمكن من حل المشكلة الفلسطينية، لبّ الصراع في الشرق الاوسط».

وحول الوساطة السويدية بين م.ت.ف. والادارة الاميركية، قال عرفات: «معروف ان الاصدقاء السويديين يقومون بوساطة يشكرون عليها. وأنا أشكر السيد وزير الخارجية على بيانه؛ وأنا أؤيد ما جاء في هذا البيان؛ ويكفيني هذا البيان رداً على كل ما يمكن ان يقال».

وبخصوص ما سمي بالتناقض في الحديث عن السلام في ظل الانتفاضة، أكد عرفات «حق شعبنا الفلسطيني في ممارسة كافة أشكال مقاومة الاحتلال»، قائلاً: «نحن نتحدث، الآن، تحت قبة الامم المتحدة، التي ينصّ ميثاقها على حق أي شعب، عندما يواجه احتلالاً او اضطهاداً، ان يستخدم كل الاساليب لمواجهة ولمقاومة هذا الاحتلال. وأظن اننا في اوروبا. هل احتضنت اوروبا الاحتلال النازي وأعطته القبلات ؟ وهل رضي جورج واشنطن بالاحتلال البريطاني ؟ والجزائريون بالاحتلال الفرنسي ؟ والفيتناميون بالاحتلال الاميركي والفرنسي ؟ وهل اميركا اللاتينية رضيت بالاحتلال البرتغالي، او الاسباني ؟ لا يوجد شعب الاّ وقاوم الاحتلال. لقد اصدرت أوامري لشعبي بألاّ يستخدم السلاح. لقد استشهد ٥٣٦ مواطناً فلسطينياً، وجرح ١٩ ألفاً، منهم ٤٧٠٠ معوق. وهناك ٢٨ ألف معتقل في معسكرات الاعتقال الجماعية، وهي أسوأ من المعتقلات النازية، بالاضافة الى سنتين دراستين أغلقت خلالهما جامعاتنا ومدارسنا الثانوية والابتدائية ورياض الأطفال. انها سياسة تجهيل. هذا غير الاعتداءات على الكنائس والمساجد. هناك ٣٤٠٠ حالة اجهاض نساء، حسبما اوردته اللجنة الاميركية الطبية التي زارت أرضنا المحتلة. ان القنابل الاميركية الصنع تؤثر على الحوامل، وقد ساهمت في عملية الاجهاض. كما استُخدم الرصاص الحي، والمطاطي، وأخيراً البلاستيكي الذي لا يظهر في صور الاشعة. ثمّ الأطفال ؟ ألَم ترون الأطفال يُضرَبون ؟ ألَم ترون عمليات تفتيت العظام ؟ ألَم ترون عمليات دفن الاحياء ؟ ألَم ترون عمليات حرق مزارعنا وزيتوننا المقدس. هذا بخلاف استخدام الكلاب ضد النساء والحوامل».

وعلّق عرفات على موقف الاتحاد السوفياتي قائلاً: «ان الاتحاد السوفياتي الصديق يقف مع حقوق شعبنا. وليس من قبيل الصدف انه اتخذ مبادرة لم يتخذها من قبل، عندما اعترف باعلاننا لدولة فلسطين. والرئيس غورباتشيوف، الذي شكرته، تكلّم، في خطابه، في الجمعية العامة للامم المتحدة عن قضية فلسطين، وعن حجب التأشيرة عنّي، وعن افغانستان، ثم تكلّم عن القضايا الأخرى لنزع السلاح».

[نقلاً عن وفا، تونس ١٤/١٢/١٩٨٨]

◇
◇ ◇

رسالة شولتس الى شامير وبيرس قبل بدء الحوار مع م.ت.ف.

اليوم، في المؤتمر الصحافي في جنيف، صرح ياسر عرفات، بأنه يقبل، بدون شروط، قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، واعترف، بصورة واضحة، بحق اسرائيل في الوجود، ونبذ الارهاب. لقد درست، بتمعّن، نص أقوال عرفات، ووصلت الى نتيجة انها تشكّل رداً كافياً على المطالب الاميركية التقليدية لبدء حوار فعّال. وبناء عليه، فاننا نعتزم العمل حسب ما قلنا منذ وقت قريب أننا سنفعله ـ وآخره اعلان الرئيس [رونالد ريغان] في الثامن من كانون الاول (ديسمبر) ـ والبدء بحوار فعلي مع م.ت.ف. وسوف اعلن بياناً يتعلق بهذا الأمر، فوراً، وبعد ان انتهي من كتابة هذه الرسالة. وسيكون الاتصال الاولي بين الولايات المتحدة وم.ت.ف. بواسطة السفير الأميركي في تونس.

انني أدرك مدى حساسية هذا الموضوع لك وللشعب في اسرائيل؛ لكن قرارنا هذا لم يتخذ بسهولة. فخلال ١٣ سنة، استمرت كل الادارات الاميركية في التزامها بالاتفاق المبرم مع حكومة اسرائيل بالنسبة الى الاتصال مع م.ت.ف. وخلال تلك الفترة تمسّكنا بأنه يجب القيام بتغيير في موقف م.ت.ف. ويجب ان يأتي هذا عبر تصريح صريح وواضح بخصوص الموضوع الاساسي للاعتراف بحق اسرائيل في الوجود، والقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، وازاء الارهاب، وأصرّينا، في الأسابيع الاخيرة، على موقف حازم بالنسبة الى هذه الشروط، برفضنا الانجرار الى قبول أقل ممّا طلبناه في العام ١٩٧٥، وقد أعطي التصريح بهذا الشأن، اليوم، بواسطة السيد عرفات.

ان الحوار المعتزم فتحه ليس هدفاً بحد ذاته. وسيكون في صلبه الموضوع الرئيس، وهو التفاوض لانهاء النزاع الاسرائيلي ـ العربي. وسوف نستمر في المتابعة عن قرب، بعد تنفيذ الالتزامات المقدمة من م.ت.ف. وفي ما يتعلق بنبذ الارهاب.

وفي نيّتنا، أيضاً، ان نوضح لـ م.ت.ف. ان امراً ما لن يستطيع ان يزعزع، أو يؤثر، بصورة سلبية، في علاقاتنا مع اسرائيل. وما حفزنا على تفعيل مسار السلام هو الرغبة في رؤية اسرائيل آمنة وقوية، تعيش بسلام مع جيرانها، وان شيئاً ما لن يلحق الضرر بصلب علاقاتنا.

وكما هو مفهوم، سوف نستمر في اتصال وثيق، وسوف نعلمك، مجدداً، بكل ما يحدث في مباحثاتنا مع م.ت.ف. وسنبدأ هذا الحوار بعيون مفتوحة وحذر كبير.

المخلص
جورج شولتس

[نقلاً عن هآرتس، ١٦/١٢/١٩٨٨]

القرار الاميركي بفتح الحوار مع م.ت.ف.

[النص الكامل لبيان الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، المتعلق بفتح الحوار الاميركي مع منظمة التحرير الفلسطينية]

اصدرت م.ت.ف. اليوم، بياناً قبلت فيه قراري مجلس الأمن التابع للامم المتحدة الرقم ٢٤٢ والرقم ٣٣٨، واعترفت فيه بحق اسرائيل في الوجود وأعلنت نبذ الارهاب.

وكانت هذه، لمدة طويلة، شروطنا لاجراء حوار موضوعي. وقد استجابت المنظمة لها. ولذلك فوّضتُ وزارة الخارجية في الدخول في حوار موضوعي مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية.

ان على منظمة التحرير الفلسطينية ان تكون عند كلمتها، ويجب عليها، خاصة، ان تظهر ان نبذها للارهاب سوف يكون شاملاً ودائماً.

ان بدء الحوار بين الولايات المتحدة وممثلي م.ت.ف. خطوة هامة في عملية السلام، وخصوصاً انها تمثّل التطوّر الجاد في التفكير الفلسطيني باتجاه مواقف واقعية وعملية، في ما يتعلق بالقضايا الرئيسة. ولكن هدف الولايات المتحدة سيظل، كما كان دائماً، هو التوصل الى سلام شامل في الشرق الاوسط.

وعلى ذلك، فاننا ننظر الى هذا التطوّر باعتباره خطوة أخرى تجاه بدء مفاوضات مباشرة بين الأطراف، التي وحدها يمكن ان تؤدي الى مثل هذا السلام.

ان التعهد الاميركي الخاص بأمن اسرائيل ورفاهيتها، لا يزال ثابتاً. وفي الحقيقة، ان أحد الاسباب الرئيسة لدخولنا في هذا الحوار هو مساعدة اسرائيل على التوصل الى الاعتراف والأمن اللذين تستحقهما.

النص الانكليزي

The Palestine Liberation Organization today issued a statement in which it accepted United Nations Security Council Resolution 242 and 338, recognized Israel's right to exist and renounces terrorism.

These have long been our conditions for a substantive dialogue. They have been met. Therefore, I have authorized the State Department to enter into a substantive dialogue with PLO representatives. The Palestine Liberation Organization must live up to its statement. In particular it must demonstrate that its renunciation of terrorism is pervasive and permanent.

The initiation of a dialogue between the United States and PLO representatives is an important step in the peace process, the more so because it represents the serious evolution of Palestinian thinking towards realistic and pragmatic positions on the key issues. But the objective of the United States remains, as always, a comprehensive peace in the Middle East.

In that light, we view this development as one more step toward the beginning of direct negotiations between the parties, which alone can lead to such a peace.

The United States special commitment to Israel's security and well-being remains unshakable. Indeed, a major reason for our entry into this dialogue is to help Israel achieve the recognition and security it deserves.

[International Herald Tribune, 16/12/1988]

بيان اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف.

نجـاحـات سياسية كبرى

عقـدت اللجنـة التنفيـذيـة لمنـظمـة التحـريـر الفلسطينية، في الفترة ما بين ٢٤ الى ١٩٨٨/١٢/٢٦، دورة اجتماعات في بغداد، استعرضت خلالها الوضع السيـاسي على السـاحـات، الفلسـطينيـة والعـربية والدولية، وفي مقدمها تطوّر الانتفاضة الشعبية الكبرى في الارض المحتلة، وما تتطلبه من تعزيز ودعم وزخم.

وقد سجّلت اللجنة التنفيذية، بمسؤولية واعتزاز، النجـاحـات السيـاسية الكبرى التي حققتها منظمة التحـريـر على المستـوى العـالمي بوتـيرة متصاعدة، والمتمثّلة في تطوّر التعبير عن الاجماع الدولي على دعم مشروع السـلام الفلسـطيني، كمـا صاغـه المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة، في الجزائر، من اجل انجاز حق شعبنا في الحرية والاستقلال.

لقـد كان لانتقـال الجمعيـة العامة لهيئة الامم المتحـدة من نيـويورك الى جنيف، للاستماع لصوت الحرية الفلسطينية من رئيس اللجنة التنفيذية، الأخ ياسر عرفـات، مغـزى عميق الدلالة يعبّـر عن كثافة الاعتراف العالمي المتسارع بحق شعبنا في انشاء دولته المستقلة على ترابـه الوطني، ويشير الى انتقال الحق الفلسطيني الى تخوم التطبيق العملي.

ان الاصداء العالمية المدوّية، تجاوباً مع الحقوق الفلسـطينيـة، كما عبّر عنها خطاب السلام والحرية الفلسـطيني، قد فتحت آفـاقاً واسعة للأمل الملموس أمام انتفاضة شعبنا البطولية التي عقدت العزم على الاستمرار والتصاعد حتى جلاء الاحتلال الاسرائيلي عن أرضنـا المحتلة، وتمكـين شعبنـا من بنـاء دولته الوطنية المستقلة.

وانـطلاقاً من التزامها الصارم بقرارات المجلس الوطني، ودقّة قراءتها وتطبيقها المنسجمة مع طموحات شعبنا، فقد أكدت اللجنة التنفيذية، مجدداً، ان خطاب الأخ ياسر عرفات في دورة الجمعية العامة في جنيف، وبيـانـه الصحافي هناك، ينسجمان، تماماً، مع هذه القـرارات؛ وعبّـرت اللجنـة عن تنـديدها بالاصوات الشـاذة في المنـطقـة التي ضاقت ذرعـاً بالعـزلة التي وضعتها فيها مكاسبنا الوطنية، فلجأت الى عتمة القـراءة لتغطي دور النجاح، واستهترت بوعي شعب الانتفـاضـة وضميره الوطني الذي عبّرت عنه قيادته الوطنية في بيانها الحادي والثلاثين.

وفي هذا المجال، دعت اللجنة التنفيذية الى المزيد من توحيد الصفوف الوطنية، وصيانتها من أي خدش لا يفيد سوى الاعداء؛ كما عبّرت اللجنة التنفيذية عن ثقتها الأكيدة بصحة برنامجنا السياسي الذي حاصر الاعـداء بالعـزلة العالمية، ودفع الوعي الانساني الى الانخراط في مشروع الحل الفلسطيني، وانهى مرحلة التجاهل الاميركي لمنظمة التحرير الفلسطينية ولحقوق شعبنـا، ممّا يقوّي خُطانا على المضيّ الحاسم في هذا النهج الملتزم بمصلحة شعبنا وأهداف نضاله الوطني، خاصـة وان برنـامجنـا السياسي يستقطب، كل يوم، مزيداً من الالتفاف الوطني، والقومي، والعالمي، حول صلاحيتـه العمليـة لتحقيق التوازن بين الاعتبارات الاقليميـة، والدوليـة، في المناخ الدولي الجديد، ويوفّر عناصر الضغط العالمي الشامل على التحدي الاسرائيلي الذي يجد نفسه معزولاً الى حد الاختناق المَرَضي. فقد بلغ عدد الدول التـي اعـتـرفـت، رسميـاً، بالدولة الفلسـطينيـة حتى الآن أكثر من ٩٠ دولة. وفي هذا السياق، سجّلت اللجنة التنفيذية تقديرها العالي لدعم الدول الشقيقة، والدول الصديقة، وفي مقدمها الاتحاد السوفياتي، وسائر الدول الاشتراكية، والصين، ودول عدم الانـحـيـاز، والدول الاسـلامـيـة، والدول الافـريقيـة، على تأييـدها برنامجنا السياسي واعلان الدولة الفلسطينية.

ولاحظت، بارتياح، التطوّر الذي يسم مواقف دول اوروبا الغربية، بترحيبها المتفاوت المستوى بمشروع السلام الفلسطيني، ودعتها الى المزيد من هذا التطوّر.

وعبّـرت اللجنـة التنفيـذية عن تأثرها وتقديرها العميقين بالمعنى الروحي، والسياسي، الذي أعرب عنه قداسـة البـابـا باستقباله الأخ ياسر عرفات وتأييده حقوق الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة، ودلالة هذا الاستقبـال والمبـاركـة عشية أعياد الميلاد، واعتبرت

هذا الموقف دعماً من الفاتيكان لشعب أرض الانبياء.

ودرست اللجنة التنفيذية مظاهر عزلة السياسة الاسرائيلية الخانقة وتشكيل حكومة الحرب الاسرائيلية الجديدة، وأشارت الى الخطر الذي ينذر به الائتلاف القائم على أساس التنكّر لحقوق الشعب الفلسطيني والاجماع الدولي، وعلى أساس الاصرار على محاولة سحق الانتفاضة الفلسطينية.

ورأت اللجنة التنفيذية ان السياسة الاسرائيلية ستسعى الى مواجهة الاجماع الدولي، والنجاحات الفلسطينية، وفتح باب الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، الى محاولة تصدير ازمتها الداخلية الى مكان آخر، باللجوء الى استخدام ذراعها العسكرية والارهابية ضد مخيمات شعبنا في لبنان بالتواطؤ مع عملائها في المنطقة، وضد بعض البلدان العربية، وخاصة التهديدات الاسرائيلية والاميركية الأخيرة الى ليبيا الشقيقة، في محاولة لصرف النظر عن الجوهر الى مشهد آخر. ومن هنا، فان جنون الارهاب الاسرائيلي يتطلب من الدول العربية المزيد من اليقظة والحذر والانتباه لمواجهة برنامج الحرب الاسرائيلي، وذلك بالاعداد الذاتي لدرء هذا الخطر، وبرفع أشكال التضامن العربي الى مرتبة أرقى، وتقتضي ضرورة سرعة عقد مؤتمر القمة العربي.

كما درست اللجنة التنفيذية، بانتباه شديد، خطة الاحتلال الاسرائيلي لقمع الانتفاضة، مادياً وسياسياً. وتوقفت عند المؤامرة الاسرائيلية الجديدة الداعية الى اجراء انتخابات في الارض المحتلة لتطبيق الحكم الذاتي. ولاحظت ان هذا المشروع ليس مجرّد مناورة، بل هو مشروع سياسي مضاد للمشروع السياسي الفلسطيني، يرمي الى الالتفاف حول القرارات الدولية، والى صرف انظار العالم عن المطالبة بقيام الدولة الفلسطينية، والهائه بمؤامرة اسرائيلية جديدة ترتدي قناع الحل البديل. وقرّرت اللجنة التنفيذية رفض مثل هذه الانتخابات في ظل الاحتلال وفي اطار الحكم الذاتي. ودعت الرأي العام العالمي الى الحذر من الخديعة الاسرائيلية، وأكدت المطالبة بضرورة الانسحاب الاسرائيلي، ووضع الارض المحتلة تحت اشراف دولي مؤقت في مرحلة انتقالية. امّا مهزلة الانتخابات، فقد ردّ عليها الشعب الفلسطيني باختياره منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً له، اختياراً حرّاً، لا رجعة عنه، ولا تردّد فيه.

كما ثمّنت اللجنة التنفيذية دعم العراق لشعبنا، وصمود العراق الشقيق، بقيادة الفارس صدام حسين، وانتصاره المجيد في الدفاع الباسل عن بوّابة الوطن العربي الشرقية؛ هذا الانتصار الذي وفّر للشعب الفلسطيني ولانتفاضته المباركة وضعاً عربياً ودولياً جديداً ساعده في التحرك على خارطة سياسية متطورة.

[نقلاً عن **وفا**، ١٩٨٨/١٢/٢٧]

◇
◇ ◇

قرارات للامم المتحدة حول قضية فلسطين

[قرّرت الأمم المتحدة ان تستخدم، اعتباراً من ١٩٨٨/١٢/١٥، اسم «فلسطين» بدلاً من تسمية منظمة التحرير الفلسطينية؛ واتخذت اربعة قرارات أخرى بشأن القضية الفلسطينية. في ما يلي نص القرارات المتخذة وفقاً لترتيب تقديمها الى التصويت]

القرار الرقم ٥٠ل/٤٣ ايه

ان الجمعية العامّة، وقد نظرت في تقرير اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف،

١ ـ تعرب عن تقديرها للجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف لما بذلته من جهود في اداء المهام التي اسندتها اليها الجمعية العامة.

٢ ـ تؤيد توصيات اللجنة الواردة في الفقرات ١٤١ الى ١٤٨ من تقريرها، وتوجّه انتباه مجلس الامن الى انه ما زال ينتظر اتخاذ اجراء بشأن توصيات اللجنة بصيغتها التي أيّدتها الجمعية العامة مراراً في دورتها الحادية والثلاثين، وما بعدها.

٣ ـ تطلب من اللجنة ان تبقي قيد الاستعراض الحالة المتعلقة بقضية فلسطين، وكذلك تنفيذ برنامج العمل لاعمال الحقوق الفلسطينية، وان تقدم تقارير واقتراحات في هذا الشأن الى الجمعية العامة، أو الى مجلس الامن، حسب الاقتضاء.

٤ ـ تأذن للجنة بأن تواصل بذل جميع الجهود للعمل على تنفيذ توصياتها، بما في ذلك التمثيل في المؤتمرات والاجتماعات وارسال الوفود وادخال ما تراه ضرورياً من تعديلات على برنامج الحلقات الدراسية والندوات والاجتماعات المعتمد من اجل المنظمات غير الحكومية، وان تقدم تقريراً في هذا الشأن الى الجمعية العامة في دورتها الرابعة والاربعين، وما بعدها.

٥ ـ تطلب من اللجنة ان تواصل تعاونها مع المنظمات غير الحكومية في مجال اسهامها في العمل على رفع مستوى الوعي الدولي بالحقائق المتعلقة بقضية فلسطين، وفي تهيئة مناخ اكثر ملاءمة لتنفيذ توصيات اللجنة بصورة كاملة، وان تتخذ الخطوات اللازمة لتوسيع نطاق اتصالاتها بتلك المنظمات.

٦ ـ تطلب من لجنة التوفيق، التابعة للامم المتحدة، والخاصة بفلسطين المنشأة بموجب قرار الجمعية العامة ١٩٤ (د ـ ٣)، ومن هيئات الامم المتحدة الاخرى ذات الصلة بقضية فلسطين، ان تتعاون، تعاوناً تاماً، مع اللجنة، وان تتيح لها، بناء على طلبها، المعلومات والوثائق ذات الصلة التي تكون تحت تصرفها.

٧ ـ تقرر تعميم تقرير اللجنة على جميع هيئات الامم المتحدة المختصة، وتحثّ تلك الهيئات على اتخاذ التدابير اللازمة حسب الاقتضاء، وفقاً لبرنامج التنفيذ الذي وضعته اللجنة.

٨ ـ تطلب من الامين العام مواصلة تزويد اللجنة بجميع التسهيلات اللازمة لاداء مهامها.

القرار الرقم ٥١ ل/٤٣ ايه

ان الجمعية العامة، وقد نظرت في تقرير اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف،

وقد احيطت بصورة خاصة بالمعلومات ذات الصلة الواردة في الفقرات ٩٦ الى ١٣٨ من ذلك التقرير،

واذ تشير الى قراراتها ٣٢/٤٠ ب المؤرخ في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧، و٢٢/٢٨ ج المؤرخ في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨، و٣٤/٦٥ د المؤرخ في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩، و٢٥/١٦٩ د المؤرخ في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٠، و٢٦/١٢٠ ب المؤرخ في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨١، و٣٧/٨٦ ب المؤرخ في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٢، و٣٨/٥٨ ب المؤرخ في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٣، و٢٩/٤٩ ب المؤرخ في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٤، و٤٠/٩٦ ب المؤرخ في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٥، و٤١/٤٢ ب المؤرخ في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٦، و٤٢/٦٦ ب المؤرخ في ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧،

واذ تذكّر بأن العام ١٩٨٩ يوافق الذكرى السنوية الثلاثين لاعلان حقوق الطفل، والذكرى السنوية العاشرة للسنة الدولية للطفل،

١ ـ تحيط علماً، مع التقدير، بالاجراء الذي اتخذه الامين العام امتثالاً لقرار الجمعية العامة ٤٢/٦٦ ب.

٢ ـ تطلب من الامين العام ان يزوّد شعبة حقوق الفلسطينيين التابعة للامانة العامة بالموارد اللازمة، وان يكفل استمرارها في اداء المهام المبيّنة بالتفصيل في الفقرة ١ من قرار الجمعية العامة ٣٣/٤٠ ب، والفقرة ٣ ب من القرار ٣٤/٦٥ د، والفقرة ٢ من القرار ٣٦/١٢٠ ب، والفقرة ٣ من القرار ٢٨/٥٨ ب، والفقرة ٣ من القرار ٤٠/٩٦ ب، والفقرة ٢ من القرار ٤٢/٦٦ ب، وذلك بالتشاور مع اللجنة المعنيّة بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف وتحت ارشادها.

٣ ـ تطلب، أيضاً، من الامين العام ان يوعز الى شعبة حقوق الفلسطينيين بأن تولي، في برنامج

عملها لعام ١٩٨٩، اهتماماً خاصاً بالمحنة التي ألّمت بالاطفال الفلسطينيين في الاراضي الفلسطينية المحتلة.

٤ ـ تطلب، كذلك، من الامين العام ان يكفل استمرار تعاون ادارة شؤون الاعلام وغيرها من وحدات الامانة العامة في تمكين شعبة حقوق الفلسطينيين من اداء مهامها ومن تغطية مختلف جوانب قضية فلسطين بالصورة الملائمة.

٥ ـ تدعو جميع الحكومات والمنظمات الى ان تقدم التعاون الى اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف والى شعبة حقوق الفلسطينيين في ادائها لمهامها.

٦ ـ تحيط علماً، مع التقدير، بالاجراءات التي اتخذتها الدول الاعضاء للاحتفال في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) من كل عام باليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني واصدارها طوابع بريد خاصة بهذه المناسبة.

القرار الرقم ٥٢ ل /٤٣ ايه

ان الجمعية العامة، وقد نظرت في تقرير اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف،

واذ تحيط علماً، بوجه خاص، بالمعلومات الواردة في الفقرات ١٣٩ الى ١٤٠ من ذلك التقرير،

واذ تشير الى قرارها ٦٦/٤٢ ج المؤرخ في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧،

واقتناعاً منها بأن نشر المعلومات الدقيقة، والشاملة، على نطاق عالمي، ودور المنظمات والمؤسسات غير الحكومية، ستظل لهما أهمية حيوية في زيادة الوعي بحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف في تقرير المصير وفي انشاء دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة ودعم هذه الحقوق،

١ ـ تحيط علماً، مع التقدير، بالاجراءات التي اتخذتها ادارة شؤون الاعلام في الأمانة العامة، امتثالاً لقرار الجمعية العامة ٦٦/٤٢.

٢ ـ تطلب من ادارة شؤون الاعلام ان تقوم، بتعاون وتنسيق كاملين مع اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف، بمواصلة برنامجها الاعلامي الخاص، المتعلق بقضية فلسطين خلال العام ١٩٨٩، مع التركيز، بصفة خاصة، على الرأي العام في اوروبا واميركا الشمالية، وان تضطلع، على وجه الخصوص، بما يلي:

(أ) نشر المعلومات المتعلقة بجميع انشطة منظومة الامم المتحدة فيما يتصل بقضية فلسطين، بما في ذلك التقارير الخاصة بالاعمال التي تضطلع بها هيئات الامم المتحدة ذات الصلة.

(ب) مواصلة اصدار واستكمال المنشورات المتعلقة بمختلف جوانب قضية فلسطين، بما في ذلك الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان للسكان العرب في الاراضي المحتلة كما أبلغت عنها هيئات الامم المتحدة ذات الصلة.

(ج) توسيع نطاق المواد السمعية ـ البصرية التي تقوم باعدادها عن قضية فلسطين، بما في ذلك انتاج سلسلة خاصة من البرامج الاذاعية والبثّ التلفزيوني.

(د) تنظيم ايفاد الصحافيين الى المنطقة في بعثات اخبارية لتقصّي الحقائق.

(هـ) تنظيم لقاءات اقليمية وقطرية للصحافيين.

القرار الرقم ٥٣ ل /٤٣ ايه

ان الجمعية العامة، واذ نظرت في تقريري الامين العام،

واذ احيطت علماً، مع التقدير، ببيان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية،

واذ تؤكد ان تحقيق السلام في الشرق الاوسط من شأنه ان يشكّل اسهاماً له شأنه في السلم والامن الدوليين،

واذ تدرك التأييد الساحق لعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط،

واذ ترحّب بنتائج الدورة الاستثنائية التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، بوصفها اسهاماً ايجابياً في تحقيق تسوية سلمية للنزاع في المنطقة،

واذ تنوّه، مع التقدير، بمساعي الامين العام للتوصل الى عقد المؤتمر،

وادراكاً منها للانتفاضة المستمرة للشعب الفلسطيني منذ التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، الهادفة الى انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧،

١ ـ تؤكد الحاجة الملحّة الى تحقيق تسوية

عادلة وشاملة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، وقضية فلسطين هي جوهره.

٢ ـ تطلب عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، برعاية الامم المتحدة، وبمشاركة جميع أطراف النزاع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، على قدم المساواة، والاعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الامن، على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ (١٩٦٧) و٣٣٨ (١٩٧٢)، والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وفي مقدمها حقه في تقرير المصير.

٣ ـ تؤكد المبادىء التالية لتحقيق سلم شامل:

(أ) انسحاب اسرائيل من الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧، بما فيها القدس، ومن الاراضي العربية المحتلة الاخرى.

(ب) ضمان ترتيبات للامن لجميع دول المنطقة، ومن بينها الدول المسماة في القرار ١٨١ (د ـ ٢) المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، داخل حدود آمنة ومعترف بها دولياً.

(ج) حلّ مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وفقاً لقرار الجمعية العامة ١٩٤ (د ـ ٣) المؤرخ في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨، والقرارات اللاحقة ذات الصلة.

(د) تصفية المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧.

(هـ) ضمان حرية الوصول الى الأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية.

٤ ـ تنوّه بالرغبة المعلنة وبالمساعي المبذولة لوضع الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧، بما فيها القدس، تحت اشراف الامم المتحدة، لفترة محدودة، كجزء من عملية السلم.

٥ ـ ترجو من مجلس الامن النظر في التدابير اللازمة لعقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بما في ذلك انشاء لجنة تحضيرية، والنظر في توفير ضمانات لتدابير الامن التي يوافق عليها المؤتمر لجميع دول المنطقة.

٦ ـ ترجو من الامين العام ان يواصل جهوده مع الاطراف المعنيّة، وان يعمل، وبالتشاور مع مجلس الامن، على تيسير عقد المؤتمر، وان يقدم تقارير مرحلية عن التطورات في هذه المسألة.

القرار الرقم ٤٥ ل /٤٣ ايه

ان الجمعية العامة، وقد نظرت في البند المعنون «قضية فلسطين»،

واذ تشير الى قرارها ١٨١ (د ـ ٢) المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، والذي دعت فيه، في جملة امور، الى اقامة دولة عربية ودولة يهودية في فلسطين،

واذ تضع في اعتبارها المسؤولية الخاصة للامم المتحدة في تحقيق حل عادل لقضية فلسطين،

واذ تدرك قيام المجلس الوطني الفلسطيني باعلان دولة فلسطين، تمشياً مع قرار الجمعية العامة ١٨١ (د ـ ٢) المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ وممارسة حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف،

واذ تؤكد الحاجة الملحة الى تحقيق تسوية عادلة وشاملة في الشرق الاوسط تنص، في جملة امور، على التعايش السلمي لجميع الدول في المنطقة،

واذ تشير الى قرارها ٣٢٣٧ (د ـ ٢٩) المؤرخ في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ بشأن منح مركز المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية، والى القرارات اللاحقة ذات الصلة،

١ ـ تعترف باعلان دولة فلسطين الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨.

٢ ـ تؤكد الحاجة الى تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة سيادته على اراضيه المحتلة منذ العام ١٩٦٧.

٣ ـ تقرر ان يستعمل اسم فلسطين، اعتباراً من ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، بدلاً من تسمية منظمة التحرير الفلسطينية، دون المساس بمركز المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية ووظائفها في منظومة الامم المتحدة وفقاً للقرارات والممارسة ذات الصلة.

٤ ـ ترجو من الامين العام ان يتخذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ احكام هذا القرار.

[نقلاً عن وفا، ١٩٨٨/١٢/١٦]

موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/١١/١٩٨٨ الى ١٥/١٢/١٩٨٨

١٩٨٨/١١/١٦

• استشهد مواطن واصيب ثلاثة بجروح خلال الصدامات التي شهدتها الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. في غضون ذلك، استمر نظام حظر التجوّل مفروضاً على عدد من المناطق؛ كما استمر الاستنفار في صفوف قوات الاحتلال، تحسّباً لاندلاع تظاهرات مؤيدة للدولة الفلسطينية المستقلة. وكان المواطنون احتفلوا، أمس، احتفالات ضخمة، بمناسبة اعلان المجلس الوطني الفلسطيني قيام هذه الدولة. وقد شنّت القوات الاسرائيلية حملات دهم واعتقالات في عدد من المدن والقرى، واعتقلت اعداداً من المواطنين (**الدستور**، عمّان، ١٧/١١/١٩٨٨).

• أعلن الرئيس الاميركي المنتخب، جورج بوش، انه اذا كانت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني تتضمّن، حقاً، اعترافاً محدّداً بقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢، فان ذلك سيكون خطوة هامّة الى أمام. وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة لا توافق على اعلان قيام دولة فلسطينية مستقلة، لأن ذلك يعد تقريراً لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة من جانب واحد، في الوقت الذي ترى الولايات المتحدة ان مستقبل هذه الاراضي ينبغي ان يتقرر من خلال المفاوضات. وأوضح المتحدث ان الحكومة الاميركية لم تطلع على النص النهائي لقرارات المجلس، ولكن هذه القرارات سوف تدرس بعناية فائقة (**الاهرام**، القاهرة، ١٧/١١/١٩٨٨). ثم قال المتحدث باسم الخارجية الاميركية، تشارلز ريدمان، ان بيانات المجلس الوطني الفلسطيني لم تستجب للمطالب الاميركية لاجراء حوار بين الولايات المتحدة وم.ت.ف. وأضاف: «ان هناك حاجة للقيام بتحركات أكثر في صدد المسائل الرئيسة» (**الحياة**، لندن، ١٧/١١/١٩٨٨). الّا ان الناطق أشار الى وجود «بوادر مشجّعة معيّنة» عبر تعابير مسار المؤتمر، وقال: «توجد بوادر تجعل في استطاعة الفلسطينيين المحنّكين ان يسيّروا م.ت.ف. على الطريق الايجابي، وهذا امر مشجع، ويجب ان يستمر» (**دافار**، ١٧/١١/١٩٨٨).

• توالت ردود الفعل التي تعترف، او ترحّب، بالدولة الفلسطينية المستقلة. وبدأ المسؤولون الفلسطينيون اتصالات مكثّفة من المتوقع ان تشمل عدداً من العواصم العربية والعالمية لشرح أبعاد التحرك الفلسطيني من اجل السلام وتنسيق المواقف، قبل الزيارة التي سيقوم بها، الى نيويورك، رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، لالقاء كلمته في الجمعية العامة للامم المتحدة. وقد بلغ عدد الدول التي اعترفت بالدولة الفلسطينية المستقلة، حتى الآن، عشرين دولة (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٧/١١/١٩٨٨).

• شنّت اسرائيل، بتوجيهات وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، «هجوماً اعلامياً» كبيراً في دول العالم، كافة، لاقناعها بأن اعلان الاستقلال الفلسطيني لا يحتوي على شيء يفيد تقدم مسار السلام، وان م.ت.ف. لا تزال مُصرّة على «الارهاب». فقد قام بيرس بعقد اجتماع لادارة مكتبه واتفق، خلاله، على انه ينبغي العمل في الدول كافة، بما فيها الدول التي يفترض، أساساً، انها لن تعترف بالدولة الفلسطينية المستقلة. وقد وافقت ادارة المكتب على اقتراح بيرس بشأن التأكيد على ثلاث نقاط: «المجلس الوطني الفلسطيني لم يقر ايقاف ' الارهاب ' ، بل على العكس، فهو يشجع ' الارهاب ' داخل اسرائيل؛ وذكر القرار ٢٤٢ لا يحتمل اضافات، وبشكل خاص عندما ورد في اعلان الاستقلال ذكر حق تقرير المصير للفلسطينيين وحق العودة؛ واسرائيل لا توافق على اعتراف مستتر بها او اعتراف مشروط بحقها في الوجود، هذا لأنها ليست دولة مستترة، او دولة مع وقف التنفيذ» (**معاريف**، ١٧/١١/١٩٨٨).

• تجري لجنة رؤساء المنظمات اليهودية الكبيرة في الولايات المتحدة، في هذه الأيام، بمشاركة

«الرابطة ضد التشهير» الى جانب منظمة بني بريث، مشاورات مع محامين اميركيين وعائلات «ضحايا» م.ت.ف. في الولايات المتحدة، من اجل فحص امكانية البدء باجراءات قضائية ضد ياسر عرفات، في حال قدومه الى نيويورك لالقاء خطاب في الامم المتحدة (**معاريف**، ١٧/١١/١٩٨٨).

• ردّت الشخصيات الفلسطينية في الاراضي المحتلة العام ١٩٤٨ بابداء سرورها لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر. وقال رئيس اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في اسرائيل رئيس بلدية شفاعمرو، نمر حسين: «أفسر قرارات الجزائر كاعتراف بدولة اسرائيل وتنصّل من الارهاب، وبالتأكيد سوف تقرب القرارات السلام في المنطقة» (**دافار**، ١٧/١١/١٩٨٨).

• عبّر الحاخام الاكبر ليهود فرنسا، يوسف سيتروك، بعد خروجه من لقاء مع رئيس الحكومة الفرنسية، ميشيل روكار، عن سروره تجاه احتمال الاعتراف الفعلي بدولة اسرائيل من جانب م.ت.ف. وبعد ان وصف المنظمة بأنها كانت متطرفة و«ارهابية»، قال الحاخام: «آمل في ان لا يكون القرار الفلسطيني مجرد مسرحية» (**دافار**، ١٧/١١/١٩٨٨).

١٧/١١/١٩٨٨

• شهدت الارض المحتلة المزيد من المواجهات الضارية بين المواطنين وجنود الاحتلال الاسرائيلي. وأسفرت المواجهات التي وقعت طيلة الليلة الفائتة، واليوم، عن استشهاد مواطن واصابة ٧٩ بجروح. وتعرّض مواطنون كُثر للاعتقال خلال عمليات الدهم التي تمّت في أكثر من مكان. واصيب ثلاثة جنود اسرائيليين في الضفة الفلسطينية وعدد آخر في قطاع غزة بجراح، وتعرّضت سيارات اسرائيلية عدة للعطب والتدمير. في غضون ذلك، بلغت الاحتفالات الجارية بمناسبة اعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة ذروتها، حيث رُدّدت الشعارات الوطنية واستخدمت مكبّرات الصوت في المساجد وأُطلقت الاسهم النارية (**الدستور**، ١٨/١١/١٩٨٨).

• بلغ عدد الدول التي أعلنت اعترافها بالدولة الفلسطينية المستقلة ٣٠ دولة، حتى الآن. وأيدت ١٢ دولة أخرى الاعلان عن الدولة، دون اعتراف رسمي به. ورحّبت دول أخرى بالقرارات الفلسطينية بشكل عام. وكان موقف مصر هو الأهم على الساحة، بعد تلقيها تحذيراً من رئاسة الوزارة الاسرائيلية من «مغبة الاعتراف» بالدولة الفلسطينية. فقد اعتبر مدير عام ديوان رئاسة الحكومة الاسرائيلية ان اعتراف مصر بالدولة الفلسطينية سيكون ماسّاً بروح اتفاقيتي كامب ديفيد وخرقاً لمعاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية التي تنص على ان مستقبل المناطق المحتلة يتحدد في اطار المفاوضات، فقط. وعلى اثر هذا التصريح، ترأس الرئيس المصري، حسني مبارك، اجتماعاً للحكومة المصرية، ثمّ صرّح للصحافيين بأن مصر تؤيد جميع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، وان هذا «التأييد أقوى من الاعتراف» (**القبس**، الكويت، ١٨/١١/١٩٨٨).

• نعت جبهة التحرير الفلسطينية أمينها العام، طلعت يعقوب، الذي وافته المنيّة، بعد ظهر اليوم، في الجزائر. وقال بيان النعي ان يعقوب استشهد وهو في ذروة عطائه لشعبه وانتفاضته (**وفا**، تونس، ١٨/١١/١٩٨٨).

• قال رئيس لجنة الخارجية والأمن عضو الكنيست الاسرائيلي، آبا ايبن، ان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر تشكّل خطوة أولى باتجاه مفاوضات السلام بين اسرائيل والفلسطينيين. وقال، أيضاً، في مؤتمر صحافي، ان قرارات الجزائر هي بداية تحوّل في نهج م.ت.ف. ازاء دولة اسرائيل. وأضاف انه ينبغي على م.ت.ف. السير طويلاً حتى تنضج الظروف لمفاوضات بينها وبين اسرائيل. وعبّر عن أسفه لأن المنظمة لم تقل اقوالاً واضحة أكثر في موضوع الاعتراف باسرائيل وبقراري الامم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ (**عل همشمار**، ١٨/١١/١٩٨٨). وقال الحاخام، مناحم بورمان، من مستوطنة تيكوع ومن مؤسسي حركة غوش ايمونيم، «ان هناك جانباً ايجابياً في قرارات الجزائر، على الرغم من صدق اولئك الذين يقولون ان هذا كله مناورة دعائية؛ فان اعلان أقوال بشكل علني ورسمي، يحتمل، بحد ذاته، ان يحرّر قوى تقليدية ومحبة للسلام بين صفوف الشعب الفلسطيني» (**عل همشمار**، ١٨/١١/١٩٨٨).

• أرسلت «لجنة ضمان الطرق»، وهي تنظيم مسلّح شكّله المستوطنون اليهود في الضفة الفلسطينية، رسالة شكر الى وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، والى رئيس الاركان الاسرائيلية، دان شومرون، على ما وصفوه بالنجاح في قمع سكان المناطق المحتلة العرب في يوم اعلان الاستقلال

الفلسطيني (دافار، ١٨/١١/١٩٨٨).

• امتدحت رئيسة وزراء بريطانيا، مارغريت تاتشر، التي تزور واشنطن، قبول المجلس الوطني الفلسطيني لقراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨ ورفضه الارهاب، لكنها أسفت لعدم اعتراف الفلسطينيين، صراحة، باسرائيل ونبذ العنف بكل أشكاله. وحضّت تاتشر الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، والرئيس المنتخب، جورج بوش، على اتخاذ موقف بنّاء من المواقف الجديدة التي أعلنتها م.ت.ف. (الحياة، ١٨/١١/١٩٨٨). وأبلغ المتحدث باسم السوق الاوروبية المشتركة الى الصحافة، ان وزراء خارجية دول السوق سوف يبحثون في مسألة الدولة الفلسطينية وامكانية الاعتراف بها، خلال اجتماعهم يوم الاثنين المقبل (القبس، ١٨/١١/١٩٨٨).

١٩٨٨/١١/١٨

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى فاس، في زيارة للمغرب هي الاولى بعد انتهاء أعمال المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، واعلان قيام الدولة الفلسطينية (الحياة، ١٩/١١/١٩٨٨). وعقد عرفات اجتماعاً مع الملك الحسن الثاني، حيث أُجري بحث في آفاق العمل على الساحة العربية، والدولية. وكان علم فلسطين مرفوعاً، في اثناء المحادثات، على القصر الملكي، تعبيراً عن تأييد المغرب للدولة الفلسطينية (وفا، ١٩/١١/١٩٨٨).

• تواصلت المواجهات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلي، في الوقت الذي حاصرت القوات الاسرائيلية المساجد في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة ومنعت المواطنين من اداء صلاة الجمعة، وواصلت عمليات الاعتقال الجماعي في مختلف المناطق. واتضح ان أكثر من مئة مواطن اصيبوا بجروح، خلال اليومين الاخيرين، في حين اعتقل حوالى مئة آخرين. وقامت القوات الضاربة التابعة للانتفاضة بمهاجمة الدوريات الاسرائيلية الراجلة والمؤللة وعصابات المستوطنين اليهود، فأحرقت ١٢ سيارة. وفي سياق الاحتفالات باعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، شهدت مناطق عدة عروضاً عسكرية للفرق الضاربة الفلسطينية (الدستور، ١٩/١١/١٩٨٨).

• أعلن الاتحاد السوفياتي اعترافه باعلان الدولة الفلسطينية المستقلة. وقال النائب الاول لوزير الخارجية السوفياتية، الكسندر بيسميرتنغ، في بيان لوزارته تلاه في مؤتمر صحافي: «ان الاتحاد السوفياتي يعترف باعلان الدولة الفلسطينية، انطلاقاً من ادراكه ان تحقيق التسوية الشاملة سيؤدي كذلك الى الاستكمال الفعلي لعملية قيام هذه الدولة». ووصف البيان قرارات دورة المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة بأنها تشكل مساهمة هامة في عملية التسوية السياسية في الشرق الاوسط؛ وعبّر عن ارتياح الاتحاد السوفياتي لها (القبس، ١٩/١١/١٩٨٨). ورحّب وزير خارجية المانيا الاتحادية، هانز ديتريش غينشر، بالقرارات الفلسطينية ووصفها بأنها هامة (الاهرام، ١٩/١١/١٩٨٨).

١٩٨٨/١١/١٩

• وصف رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، ردود الفعل الدولية على اعلان المجلس الوطني الفلسطيني اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بأنها ايجابية، في مجملها. واعتبر عرفات اعتراف الاتحاد السوفياتي باعلان الدولة اعترافاً فعلياً بالدولة الفلسطينية وعدّ هذا الاعتراف عملاً مسؤولاً وودياً؛ وقال انه يطمئن الفلسطينيين (الاتحاد، حيفا، ٢٠/١١/١٩٨٨).

• نفّذ المواطنون الفلسطينيون اضراباً شاملاً عن العمل في الارض المحتلة، بمناسبة «يوم الشهيد الفلسطيني»، وجرت مواجهات حادة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، في نابلس وطولكرم والخليل، سقط، خلالها، ١٧ شاباً اصيبوا برصاص الاحتلال. واعادت السلطات فرض حظر التجول على قطاع غزة، بعد تظاهرات ومواجهات عنيفة. وأُعلنت مدينة نابلس منطقة عسكرية مغلقة، بعد ان اشتبك المواطنون فيها مع قوات الاحتلال (الدستور، ٢٠/١١/١٩٨٨).

• بعث القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير الخارجية، شمعون بيرس، برسائل الى وزراء خارجية الدول كافة التي لها علاقات دبلوماسية مع اسرائيل، أوضح فيها موقف اسرائيل، وادّعى بأن الطريق الى السلام لا تمر عبر الاعتراف بالدولة الفلسطينية. وأشارت مصادر في القدس الى ان مقاومة اسرائيل لهذا الاتجاه تمرّ في طريق طويل، صعب ومعقّد، وعبرت عن الخشية من ان الامر هو مسألة وقت حتى تعترف الدول الاوروبية بالدولة

الفلسطينية، وسوف تشكّل قرارات الاعتراف ضغطاً على اسرائيل (**يديعوت احرونوت**، ٢٠/١١/١٩٨٨).

• يعتقد وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، بأن قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، والاعتراف الاردني بالدولة الفلسطينية المستقلة، يقلّصان الامكانية الحقيقية لعقد مؤتمر دولي. وقد عبّر بيرس عن تشاؤمه، لأول مرة، ازاء احتمال عقد المؤتمر الدولي، خلال لقائه مع ٦٠ دبلوماسياً، يمثلون ٤٥ دولة تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل (**دافار**، ٢٠/١١/١٩٨٨).

• افتتحت، في القاهرة، ندوة حماية المقدسات الدينية والتراث الثقافي في فلسطين. وقد حضر الندوة عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. عبدالله حوراني، الذي تلا رسالة موجهة الى الندوة من رئيس اللجنة، ياسر عرفات (**الشرق الاوسط**، ٢٠/١١/١٩٨٨).

• أوصت اللجنة السياسية الخاصة، التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة، باعتماد عشرة قرارات هامة، وحاسمة، تتعلق بالقضية الفلسطينية والشرق الاوسط وأوضاع الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة (**البعث**، دمشق، ٢٠/١١/١٩٨٨).

• أكد نائب وزير الخارجية البلغارية، لوبان غوتسف، في حديث مع مراسل صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية، انه سوف يُعيّن، في العام ١٩٨٩، دبلوماسي بلغاري في تل ـ أبيب ودبلوماسي اسرائيلي في صوفيا. وأضاف: «حالياً، لا استطيع التحدث عن مستوى هذا التمثيل، ومتى، بالتحديد، سوف يتم» (**يديعوت احرونوت**، ٢٠/١١/١٩٨٨).

٢٠/١١/١٩٨٨

• اجتمع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، مع الرئيس العراقي، صدام حسين، في بغداد. وقد اكد حسين اعتراف العراق بالدولة الفلسطينية المستقلة ودعمه للانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة. وتمّ، خلال اللقاء، تقويم المواقف الايجابية للدول العربية التي أعلنت اعترافها بالدولة الفلسطينية، وكذلك دول منظمة المؤتمر الاسلامي والوحدة الافريقية وعدم الانحياز، والدول الاشتراكية، والدول الأخرى الصديقة. وشكر عرفات الرئيس حسين على التأييد والدعم (**وفا**، ٢١/١١/١٩٨٨).

• سقط شهيد جديد في قرية باقة الحطب، فيما استمرت الصدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وقد تركزت الاشتباكات، بصفة خاصة، في نابلس ورام الله وبيت لحم وجباليا، واصيب، خلال هذه المصادمات، خمسة مواطنين بجروح. واصدرت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة نداءها الرقم ٢٩، فأعلنت «مبايعة الشعب الفلسطيني لقرار اعلان الاستقلال وبقية قرارات المجلس الوطني»، وأيدت «اقرار وثيقة الاستقلال والاعلان عن الدولة الفلسطينية المستقلة واقرار البرنامج السياسي الواضح، تعبيراً عن الضرورة الوطنية لاستثمار الفرصة التاريخية [المتاحة] لشعبنا» (**الدستور**، ٢١/١١/١٩٨٨).

• اعترفت جمهورية مصر العربية بالدولة الفلسطينية المستقلة، طبقاً للنقاط الواردة في البيان السياسي الصادر عن اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة، في الجزائر. وصرّح متحدث رسمي مصري بأن مصر تعتبر الاعتراف سارياً، اعتباراً من تاريخ ١٥/١١/١٩٨٨، وتأمل في ان تؤدي هذه الخطوة البنّاءة الى خدمة قضية السلام والاستقرار في المنطقة (**الاهرام**، ٢١/١١/١٩٨٨). وقد رحّب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، الشيخ عبدالحميد السائح، بالخطوة المصرية، وقال ان رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، سوف يزور القاهرة، قريباً (**الشرق الاوسط**، ٢١/١١/١٩٨٨).

• عبّرت وزارة الخارجية الاسرائيلية عن أسفها للاعتراف المصري بالدولة الفلسطينية؛ غير ان الرد الاسرائيلي الرسمي سوف يرسل الى مصر، بعد دراسة الموقف المصري عن كثب (**يديعوت احرونوت**، ٢١/١١/١٩٨٨).

• احتلفت حركة «ناتوري كارتا» اليهودية في اسرائيل والشتات باعلان الاستقلال الفلسطيني. وقد مارس الحجاج في كنيس ناتوري كارتا طقوساً عبّروا، خلالها، عن ابتهاجهم بعرفات وبالدولة الفلسطينية المستقلة (**دافار**، ٢١/١١/١٩٨٨).

• قال الكاتب الاسرائيلي، يزهار سميلنسكي، في اجتماع عقدته حركة «الى هنا» في جامعة تل ـ أبيب، كُرِّس لموضوع «هل م.ت.ف. طرف في المفاوضات في ضوء قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر»: «ان الموضوع الاساس هو هل نحن ما زلنا بشراً... نحن نسيطر على بني البشر؛ وكل يوم نعمل على

تدمير انسانيتهم...». كذلك تحدث عن بهيمية المجتمع الاسرائيلي ازاء ما يجرى في المناطق المحتلة، وعن الاتفاق على عدم القدرة على فعل أي شيء. وذكر ان اليهود يقومون بتدمير جسد المواطن العربي ويقطعون، وفي الوقت عينه، أنفاس الانسان الاسرائيلي (**يديعوت احرونوت**، ١٩٨٨/١١/٢١).

• في ختام الزيارة التي قام بها الزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، الى الهند، عبّر بيان مشترك، هندي ـ سوفياتي، عن ارتياح الجانبين للاعتدال والواقعية اللذين اظهرهما المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة؛ كما عبّر البيان عن دعمهما اعلان الدولة الفلسطينية المستقلة، وأبديا قلقهما ازاء تزايد سباق التسلّح في الشرق الاوسط (**الحياة**، ١٩٨٨/١١/٢١).

• قال رئيس وزراء فرنسا السابق، بيار موروا، خلال زيارته لمدينة صفد، انه يؤيد اقامة دولة فلسطينية، لكن، في الوقت ذاته، يجب ضمان حدود آمنة لاسرائيل (**دافار**، ١٩٨٨/١١/٢١).

• حذّر اصدقاء اسرائيل في مجلس الشيوخ والنواب الاميركيين من التبعات الخطرة المترتبة على العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية، في حال سحب الجالية اليهودية تأييدها السياسي والاقتصادي لاسرائيل، كرد على تعديل قانون «من هو اليهودي» ؟ (**دافار**، ١٩٨٨/١١/٢١).

١٩٨٨/١١/٢١

• اجرى رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الموجود في زيارة للقاهرة، مكالمة هاتفية مع الملك الاردني حسين، في عمّان، وتبادل معه الرأي حول التطورات الاخيرة. وقدّم عرفات الشكر الى الملك على الموقف الاردني المساند لـ م.ت.ف. ولقضية الشعب العربي الفلسطيني. وهنأ الملك عرفات على نتائج المجلس الوطني الفلسطيني والقرارات الايجابية التي صدرت عنه. وأكد الملك دعم الاردن الكامل للمنظمة وللمسيرة القومية في دعم الشعب العربي الفلسطيني لتحقيق اهدافه وغاياته الوطنية (**الدستور**، ١٩٨٨/١١/٢٢).

• اجرى رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. مباحثات، في القاهرة، مع الرئيس المصري حسني مبارك. وقد تناولت المباحثات، التي دامت ساعتين، القرارات التاريخية التي اتخذها المجلس الوطني الفلسطيني في ١٩٨٨/١١/١٥؛ كما تناولت خطة التحرك السياسي التي بدأت م.ت.ف. بتنفيذها منذ اعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، والاوضاع داخل فلسطين المحتلة، وتصاعد حملات القمع الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني. وعقد عرفات ومبارك، عقب اجتماعهما، مؤتمراً صحافياً اكدا فيه الاتفاق بين مصر وم.ت.ف. على التنسيق والعمل المشترك على الصعيدين، العربي والدولي، لعقد المؤتمر الدولي الفاعل للسلام في الشرق الاوسط. كما اكدا ان زيارة عرفات للاردن ستتم في وقت قريب (**وفا**، ١٩٨٨/١١/٢٢).

• شهدت الارض المحتلة مواجهات عنيفة، بين الموطنين وقوات الاحتلال، سقط خلالها عدد كبير من الفلسطينيين جرحى، فيما اعتقلت سلطات الاحتلال عدداً آخر، وهدمت منازل عربية. وقد تركزت هذه المواجهات في رام الله وقلندية وبيت لحم وبيت ساحور ومخيم العزّة وقرى شعشبونه وارطاس ونحالين وحجّة وعزّون وباقة الحطب وزيتا وعنبتا وصوريف واذنا وبني نعيم ومخيم بلاطة، ومدن جنين وقلقيلية والخليل ونابلس. وشهدت مدن قطاع غزة وقراه ومخيماته تظاهرات طالبية وجماهيرية تخللتها اشتباكات عنيفة مع قوات الاحتلال (**الدستور**، ١٩٨٨/١١/٢٢).

• سُلِّمت الى القنصليات الغربية في القدس المحتلة وثيقة وقّعها عدد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية تدعو الى الاعتراف بدولة فلسطين المستقلة. وطلبت الوثيقة من قناصل هذه الدول ان تعترف بلادهم بهذه الدولة (**وفا**، ١٩٨٨/١١/٢٢).

• قُدّمت ملفات اتهام ضد أربعة مواطنين عرب من قرية الطيبة، في المثلث، الى محكمة الصلح في كفار سابا، بتهمة القيام بمقاومة رجال الشرطة في اثناء القيام بهدم ١٥ منزلاً، أُقيمت دون ترخيص في القرية (**هآرتس**، ١٩٨٨/١١/٢٢).

• أُصدر بيان فلسطيني ـ جزائري مشترك، عقب الزيارة التي قام بها الى الجزائر، رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات. وقد اوجز البيان مجرى المحادثات الفلسطينية ـ الجزائرية التي تمّت خلال الزيارة، وعكس تقويم الطرفين الايجابي لاعلان قيام الدولة الفلسطينية ولردود الفعل العربية والدولية ازاءه (**وفا**، ١٩٨٨/١١/٢٢).

• قال القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير الخارجية، شمعون بيرس، لسفير مصر في اسرائيل، محمد بسيوني، الذي استدعي الى وزارة الخارجية الاسرائيلية، في أعقاب قرار مصر الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة، «ان الاعتراف المصري بالدولة التي أعلنت في الجزائر، لا يتلاءم، أبداً، مع مبدأ المفاوضات لايجاد حل شامل للنزاع ـ المبدأ الذي يلزم مصر واسرائيل، سوية». وقد عبّر بيرس عن أسفه ازاء هذه الخطوة المصرية، وطلب من السفير نقل كامل قلق اسرائيل الى حكومته ازاء هذا التطوّر (**هآرتس**، ٢٢/١١/١٩٨٨).

• انتخب عضو الكنيست، دوف شيلانسكي (ليكود)، رئيساً للكنيست الاسرائيلي الثاني عشر، بأغلبية ٦٤ صوتاً (أصوات الليكود وكتل اليمين والمتدينين)، مقابل ٥٥ صوتاً حصل عليها عضو الكنيست الرئيس السابق للكنيست، شلومو هيلل (أصوات المعراخ والمركز وكتل اليسار) (**هآرتس**، ٢٢/١١/١٩٨٨).

• رحّب وزراء خارجية دول المجموعة الاوروبية، المجتمعون في بروكسل، رسمياً، بالبيان السياسي الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني، واعتبروه خطوة ايجابية في مجال حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي. لكن الوزراء، الذين يمثلون ١٢ دولة، لم يعترفوا، رسمياً، بالدولة الفلسطينية التي أعلن المجلس قيامها. ووجدها اليونان لمّحت الى ان حكومتها تدرس، جدياً، هذا الموضوع الذي سيتزامن مع اعترافها باسرائيل (**الحياة**، ٢١/١١/١٩٨٨).

٢٢/١١/١٩٨٨

• أعلن رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، ان الرئيس حسني مبارك أبلغ اليه موافقة الادارة الاميركية على منحه تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة لحضور اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة. وفي واشنطن، قال مسؤولون في وزارة الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة لم تتخذ قراراً بهذا الشأن (**الشرق الاوسط**، ٢٣/١١/١٩٨٨).

• أشاد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، بالقرار المصري الاعتراف بالدولة الفلسطينية، وأكد انه موقف تاريخي وشجاع يتصدى لكل ما يقال في المنطقة العربية. وقال عرفات، في الكلمة التي ألقاها في الجلسة الختامية للندوة الدولية لحماية المقدسات الدينية والتراث الثقافي في فلسطين، ان اعتراف مصر بدولة فلسطين له أبعاده ومراميه، وجوهره يختلف، اختلافاً كلياً، عن الاعترافات الاخرى (**الحياة**، ٢٣/١١/١٩٨٨).

• كُشف النقاب عن قيام القوات الاسرائيلية بعملية تنكيل وحشية ضد أهالي مخيم قلندية للاجئين قرب رام الله يوم الاحد الماضي. فقد دهم الجنود المخيم واقتحموا المنازل وضربوا المواطنين وأهانوهم وكسروا النوافذ والاثاث ودمّروا السيارات التي مروا بها. في غضون ذلك، تواصلت المواجهات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال في معظم انحاء الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين. واصيب عدد من المواطنين بجروح، بينما تعرض عدد آخر للاعتقال (**الدستور**، ٢٣/١١/١٩٨٨).

• قصفت طائرات حربية ومروحيات اسرائيلية بالصواريخ مخيم عين الحلوة القريب من مدينة صيدا، في أول غارة اسرائيلية منذ اعلان استقلال الدولة الفلسطينية. وقد أسفرت الغارة عن استشهاد ثلاثة أشخاص واصابة ستة آخرين بجروح (**القبس**، ٢٣/١١/١٩٨٨). امّا في اسرائيل، فاعلن ان ستة فلسطينيين قتلوا وجرح تسعة آخرون. وذكرت مصادر اسرائيلية ان هجوم سلاح الجو الاسرائيلي هو في اطار سلسلة عمليات من اجل افشال تمركز الفدائيين في قطاع صيدا من جديد (**دافار**، ٢٣/١١/١٩٨٨).

• افتتحت حركة «السلام الآن» حملة شعبية شعارها «يجب التحدث مع م.ت.ف. الآن». فبعد فحص دقيق لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني ومناقشتها، نتجت، لاول مرة، موافقة بين صفوف نشيطي حركة «السلام الآن»، بموجبها ينبغي على الحركة مطالبة حكومة اسرائيل بالبدء بمفاوضات سياسية مع م.ت.ف. وتقول حركة «السلام الآن»، ان م.ت.ف. تخلت، في مؤتمر الجزائر، عن التزاماتها ازاء الميثاق الفلسطيني وبدأت السير على طريق التسوية والاعتدال (**دافار**، ٢٣/١١/١٩٨٨).

• قال وزير خارجية فرنسا، رولان دوما، ان بلاده سوف تواصل جهودها الرامية الى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط، ولم ينف الانباء التي اوردت امكان عقد لقاء بين رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، والرئيس الفرنسي، فرانسوا

ميتران. وأضاف دوما ان الدبلوماسية الفرنسية سوف تواصل عملها على أساس موقفها الذي أكد الاهمية الكبرى التي تتضمنها مقررات المجلس الوطني الفلسطيني (القبس، ٢٣/١١/١٩٨٨). واعربت مصادر فرنسية مطلعة عن أسف باريس الكبير لضعف الموقف الاوروبي المشترك من اعلان الدولة الفلسطينية. وقالت هذه المصادر ان فرنسا سعت، في بروكسل، الى جانب اسبانيا وايطاليا واليونان، الى حمل بقية الاعضاء على الاشارة، ضمناً، الى تأييد المجموعة الاوروبية للخيار الفلسطيني الجديد في التعامل مع اسرائيل على أساس قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، وتأكيد المجموعة اعتبار القرار ١٨١ قاعدة قانونية لوجود الدولتين، الفلسطينية واليهودية، على الارض ذاتها (الحياة، ٢٣/١١/١٩٨٨).

• قال وزير الخارجية الفرنسية، رولان دوما، في حديث الى الصحافيين الاجانب، ان فرنسا سوف ترفع، تدريجياً، مكانة تمثيل م.ت.ف. في باريس. وأضاف انه متأكد من ان فرنسا سوف تنجح في جهودها الرامية الى ايراد القرار ١٨١ (قرار التقسيم)، بشكل رسمي، في بيان السوق الاوروبية، كأساس شرعي لاقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل (دافار، ٢٣/١١/١٩٨٨).

١٩٨٨/١١/٢٣

• اختتم رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الزيارة الناجحة، والمثمرة، التي قام بها الى مصر، وغادر القاهرة متوجهاً الى عاصمة اليمن الشمالي، صنعاء. وفي تصريحاته الى الصحافيين، في مطار القاهرة، وصف عرفات محادثاته مع الرئيس المصري، حسني مبارك، والمسؤولين المصريين بأنها كانت ايجابية، وقال انها تركزت على التحرك السياسي في المرحلة المقبلة، وأهمية عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، وسبل الاسراع في عقده (وفا، ٢٣/١١/١٩٨٨). وقال عرفات، لدى وصوله صنعاء، انه سيناقش مع الرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، المستلزمات والخطوات المقبلة لدعم القرارات التاريخية التي اتخذها المجلس الوطني الفلسطيني. ووصف عرفات، في تصريح لهيئة الاذاعة البريطانية، تصريح وزير الخارجية السورية، فاروق الشرع، بتأييد اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، بأنه موقف ايجابي (القبس، ٢٤/١١/١٩٨٨). ثم اجتمع مع الرئيس صالح وتركزت المباحثات بينهما على نتائج الدورة التاسعة عشر للمجلس، وخصوصاً اعلان اقامة الدولة الفلسطينية، وخطة التحرك السياسي الفلسطيني المقبلة، والدعم العربي للانتفاضة الفلسطينية (وفا، ٢٤/١١/١٩٨٨).

• استشهد مواطن واصيب اربعون بالرصاص، خلال المواجهات العنيفة التي شهدتها الارض المحتلة بين المواطنين والقوات الاسرائيلية. وساد الاضراب الشامل في مناطق الارض المحتلة كافة، تضامناً مع المبعدين الفلسطينيين، وللمطالبة بالغاء اوامر الابعاد التعسفية التي تصدرها سلطات الاحتلال، من حين الى آخر، ضد مواطنين فلسطينيين. وقد استخدمت قوات الاحتلال الرصاص وقنابل الغاز بكثافة وواصلت دهم العديد من المناطق واعتقلت عشرات المواطنين. وقد دمّرت القوات الضاربة التابعة للانتفاضة ٢٩ سيارة اسرائيلية (الدستور، ٢٤/١١/١٩٨٨).

• اقترحت عضو الكنيست غيئولاه كوهين (ليكود)، في جلسة افتتاح الكنيست، ضم الضفة الفلسطينية وقطاع غزة الى اسرائيل، كرد صهيوني تاريخي على قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر (هآرتس، ٢٤/١١/١٩٨٨).

• اثارت المقابلة الصحافية التي اجراها الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، مع صحيفة «ليبراسيون» الباريسية اهتماماً خاصاً في الاوساط السياسية والدبلوماسية العربية. ففي هذه المقابلة، اعترف ميتران، لأول مرة، بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولة مستقلة؛ كما أكد موضوع عزم فرنسا على لعب دور نشط في الشرق الاوسط، بهدف حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي، والقضية الفلسطينية، والقضايا الاخرى (القبس، ٢٤/١١/١٩٨٨).

• اكد الاتحاد السوفياتي حق اسرائيل بالعيش في أمان الى جانب الدولة الفلسطينية التي أيد قيامها بشكل تقليدي. هذا ما ورد في القرار السوفياتي الرسمي، الذي سلمه سفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن، يوري دوبرينين، لرئيس المؤتمر اليهودي العالمي، ادغار برونفمان. وجاء، أيضاً، في القرار، ان الحل السلمي والتعايش بين العرب واسرائيل يرتكزان على المفاوضات، وفقاً للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، وعلى مبدأ الحقوق المتساوية لدولة يهودية ودولة عربية في الوجود في فلسطين. وقالت مصادر في القدس، بعد التدقيق

في فحوى البيان الذي اصدرته المجموعة الاشتراكية، باستثناء يوغوسلافيا وكوبا، انه في الامكان العثور على عناصر ايجابية اكثر ممّا بدا، استناداً الى التقارير الجزئية (هآرتس، ٢٤/١١/١٩٨٨).

• قال رئيس هيئة البيت الابيض، في ادارة بوش، جون سنونو: «ان اسرائيل كنز استراتيجي للولايات المتحدة، وأمن اسرائيل وسلامتها امران هامّان جداً لواشنطن». وخلافاً لموقفه السابق، قال سنونو، في لقائه مع زعماء يهود في نيويورك: «يجب القيام بنشاط من اجل الغاء قرار الامم المتحدة الذي يساوي بين الصهيونية والعنصرية» (معاريف، ٢٤/١١/١٩٨٨).

٢٤/١١/١٩٨٨

• أجرى رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، مباحثات، في المنامة، مع أمير دولة البحرين، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة. وقد تناولت المباحثات نتائج الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني الفلسطيني، وخطة التحرك السياسي المقبلة للمنظمة؛ كما تناولت أوضاع الانتفاضة الوطنية في الارض المحتلة (وفا، ٢٥/١١/١٩٨٨). على صعيد آخر، وصف عرفات، في حديث صحافي، العلاقات الفلسطينية ـ الاردنية بأنها مزدهرة وتتناسب مع طموحات الجانبين. وأضاف أن المرحلة المقبلة تتطلب تكثيف العمل العربي ـ الفلسطيني المشترك على الساحتين، الاقليمية والدولية، لتحقيق فكرة عقد المؤتمر الدولي للسلام (الدستور، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• صعّدت قوات الاحتلال الاسرائيلي حملتها الارهابية القمعية ضد المواطنين الفلسطينيين العزّل، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فسقط شهيدان في يعْبَد ومخيم الشاطىء. وعلى الرغم من حملات الدهم والتنكيل، استمرت المواجهات بين المواطنين وقوات الاحتلال في معظم المناطق واصيب عشرات المواطنين بجروح، بينما تعرّض مستوطن يهودي للطعن في مدينة القدس، فاصيب اصابة مميتة. ودمّرت القوى الضاربة التابعة للانتفاضة سيارات اسرائيلية عدة (الدستور، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• اعترفت ٥٢ دولة، حتى الآن، بالدولة الفلسطينية المستقلة. وهذه الدول، وفقاً لسجل «رويتر»، هي: الجزائر والعراق والكويت وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن الشمالي واليمن الجنوبي والبحرين والاردن ودولة الامارات العربية وقطر ومصر وملاغاش وليبيا وموريتانيا والمغرب وزامبيا والسودان ونجامينا والسنغال ونيجيريا والصومال وجيبوتي ومالي وسيشل وغينيا وغينيا بيساو وبوركينا فاسو وغانا وجزر القمر والنيجر وقبرص والمانيا الديمقراطية ويوغسلافيا والاتحاد السوفياتي وسري لانكا واندونيسيا والهند وبنغلاديش وبروناي وافغانستان والصين وكمبوديا ولاوس ومنغوليا وكوريا الشمالية وباكستان وفيتنام وكوبا ونيكاراغوا. أما الدول التي رحّبت بالدولة الفلسطينية دون اعتراف رسمي، فهي سوريا ولبنان (حكومة سليم الحص) وسلطنة عُمان واليونان وبولندا ومالطا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وهنغاريا والبرازيل وفرنسا (القبس، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• توجه سكان مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة بنداء الى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، يطالبونه بالعمل على تغيير القيادة العسكرية في الجيش الاسرائيلي، بسبب عدم نجاحها في قمع الانتفاضة في المناطق المحتلة. وقد تظاهر عشرات المستوطنين عند منزل شامير في القدس، وادعوا بأنهم يتعرضون للخطر منذ مدة طويلة، بسبب ما وصفوه بعدوانية السكان العرب، وكونهم يهوداً (دافار، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• رضخ عريف حفل الندوة التي عقدت في «معهد ترومان»، على جبل الزيتون، وموضوعها «الابعاد النفسية والاجتماعية للانتفاضة بعد سنة»، بمشاركة اسرائيليين وفلسطينيين، د. ادي كوفمان، لطلب الحاضرين من الفلسطينيين انزال علم اسرائيل من على المنصّة (دافار، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• تشير بوادر مختلفة الى ان م.ت.ف. لن تعارض مشاركة شخصيات فلسطينية في اطار قائمة «مدينة السلام» التي تنوي خوض معركة انتخابات مجلس بلدية القدس العربية. وقد شكلت هذه القائمة من خلال الرغبة بجذب مقترعين عرب من القدس الشرقية، على افتراض ان هؤلاء سوف يمتنعون، هذه المرة، عن الاقتراع لصالح رئيس بلدية القدس، تيدي كوليك، بسبب الانتفاضة. وبعد الانتخابات، تنوي هذه القائمة التعاون مع كوليك لكي تحول دون انتقال السلطة في المدينة الى أيدي ائتلاف ديني متزمت يميني (هآرتس، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• عبّر الرئيس المصري، حسني مبارك، في الرسالة التي بعث بها الى وزير الخارجية الاسرائيلية،

شمعون بيرس، عن رغبته في السير قدماً بمسار السلام، على الرغم من الخلافات بين مصر واسرائيل. وفي الرسالة التي نقلها السفير المصري في اسرائيل، محمد بسيوني، تعهد الرئيس المصري بذل قصارى جهده لتهدئة الوضع عقب اعتراف مصر بالدولة الفلسطينية، وأكد ان تعابير مصر صيغت بروح الاعتدال (**هآرتس**، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• بدأ الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، زيارته المرتقبة للاتحاد السوفياتي، حيث سيجري محادثات مع الزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، تتناول نزع السلاح النووي في اوروبا، وتطورات مشكلة الشرق الاوسط، في ضوء قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة. وتشير مصادر الخارجية الفرنسية الى ان هناك اتفاقاً بين فرنسا والاتحاد السوفياتي على ضرورة تشكيل لجنة تحضيرية من ممثلين عن الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي لتحديد الاطراف المشاركة في المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط والموضوعات التي ستجرى مناقشتها (**الاهرام**، ٢٥/١١/١٩٨٨).

• أعلن الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية السوفياتية، غينادي غيراسيموف، ان الاتحاد السوفياتي اعترف بالدولة الفلسطينية المستقلة التي أعلنها المجلس الوطني الفلسطيني في الخامس عشر من الشهر الحالي في الجزائر. وصرّح غيراسيموف بأن هذا الاعتراف هو عمل سياسي أكثر منه قانوني، نظراً الى ان لا سابقة في الاتحاد السوفياتي للاعتراف بدولة محتلة ليس لها حكومة. وأضاف ان الاعتراف يعني، قطعاً، مساندة خطوات الفلسطينيين من أجل تقرير المصير (**النهار**، بيروت، ٢٥/١١/١٩٨٨).

١٩٨٨/١١/٢٥

• اجتمع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في طرابلس الغرب، مع الرئيس معمّر القذافي وتباحث معه حول قرارات الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني الفلسطيني وأهمية العمل المشترك من اجل كسب المزيد من اعترافات الدول الصديقة بدولة فلسطين وترشيحها لعضوية الامم المتحدة. وقد تمّ تنسيق الجهد في التحرك السياسي في دورة الجمعية العامة للامم المتحدة؛ كما تمّ الاتفاق على تعزيز العلاقات الثنائية بين م.ت.ف. وليبيا. على صعيد آخر، وجه عرفات رسائل الى رؤساء دول وحكومات اوروبا الغربية تتعلق بالتطورات السياسية الراهنة ونتائج دورة المجلس الوطني، في اطار التشاور وتبادل الرأي (**وفا**، ٢٦/١١/١٩٨٨).

• اصيب أكثر من مئة مواطن برصاص قوات الاحتلال الاسرائيلية، خلال المواجهات التي وقعت بين هذه القوات والمواطنين في معظم مناطق الارض المحتلة. وتركزت المواجهات في جباليا والنصيرات والبريج واحياء الصبرة والرمال والدرج وبيت لاهيا ورفح في قطاع غزة، ومخيمات عين بيت الماء وعايدة والدهيشة وبيت لحم وكفرون وبني نعيم والخليل، في الضفة الفلسطينية. وهاجم المواطنون بقنابل نفطية قاعة محكمة وسيارة شرطة في القدس المحتلة. وأرسلت سلطات الاحتلال تعزيزات كبيرة الى المدينة، وحاصرت المساجد، ومنعت المواطنين من دخول القدس لاداء صلاة الجمعة في المسجد الاقصى (**الدستور**، ٢٦/١١/١٩٨٨).

• قصفت طائرات اسرائيلية مواقع للفدائيين الفلسطينيين وجيش التحرير الشعبي الصيداوي شمال شرق مدينة صيدا اللبنانية. وقالت مصادر أمنية ان الغارات المدمِّرة تركّزت على قاعدة مشتركة لهذا الجيش والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وقد نجم عن الغارة استشهاد خمسة واصابة ١٣ آخرين وتدمير مبنى (**القبس**، ٢٦/١١/١٩٨٨).

• وفق مصدر فلسطيني، أبلغت ٥٨ دولة الى م.ت.ف. اعترافها الرسمي بالدولة الفلسطينية المستقلة التي تمّ الاعلان عن قيامها في ١٥/١١/١٩٨٨، في العاصمة الجزائرية (**الدستور**، ٢٦/١١/١٩٨٨).

• استبعدت مصادر فلسطينية واميركية ان يواجه رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، أي صعوبات في الحصول على تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة، لحضور اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة، لكنها حذّرت من ان وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، يقود، بنفسه، الحملة لعدم اعطاء التأشيرة. وقد قدّم مندوب م.ت.ف. في الامم المتحدة الى القنصلية الاميركية في تونس طلباً لحصول عرفات ومرافقيه على تأشيرات. وفي وقت لاحق، اكد الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية، تشارلز ريدمان، وصول الطلب الى الوزارة، وقال: «سندرسه بتشدد، في ضوء القوانين والاجراءات المعمول بها» (**الحياة**، ٢٦/١١/١٩٨٨).

• أعلن مصدر اردني مطلع ان عمّان تقوم بوساطة لتحقيق تقارب بين القاهرة ودمشق اللتين لا تقيمان علاقات دبلوماسية فيما بينهما. وتعتبر عمّان ان ترحيب سوريا بموقف مصر الايجابي من اعلان الدولة الفلسطينية المستقلة هو الثمرة الاولى لهذه الجهود (الشرق الاوسط، ٢٦/١١/١٩٨٨).

٢٦/١١/١٩٨٨

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى عمّان، في زيارة للاردن يجري خلالها محادثات مع الملك حسين والمسؤولين الاردنيين. وكان عرفات غادر الكويت بعد زيارة قصيرة. ولدى مغادرته الكويت، اعرب عرفات للصحافيين عن سعادته بالاجتماع الذي ضمّه هو وأمير البلاد، وقال انه أطلع الامير على قرارات المجلس الوطني الفلسطيني والتطوّرات المتصلة بالانتفاضة الفلسطينية (وفا، ٢٧/١١/١٩٨٨). وفي مطار عمّان، أشاد عرفات بوقوف الاردن الى جانب الشعب الفلسطيني (الدستور، ٢٧/١١/١٩٨٨). على صعيد آخر، بعث عرفات برسائل خاصة الى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية، والافريقية، ودول عدم الانحياز، تتعلق بآخر التطوّرات السياسية، في ضوء اعلان وثيقة اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة (وفا، ٢٧/١١/١٩٨٨).

• استمرت المواجهات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلي في معظم ارجاء الارض المحتلة. وفي مخيم النصيرات، استشهد تلميذ واصيب أربعة بجروح، كما اصيب اربعة آخرون في مخيم جباليا، ووقعت اشتباكات أخرى في قطاع غزة. وفي الضفة الفلسطينية، تركزت المواجهات، بصفة خاصة، في بيت لحم، حيث هاجم الشبان الملثمون مركزاً للشرطة؛ وفي خربة مرج رباح وبيت ساحور وحوسان، حيث هوجمت سيارة عسكرية بالحجارة، ومخيم الدهيشة ورأس طيره ورأس عطيه وعزون ومخيم عسكر وبيزارية وسلفيت وطولكرم (الدستور، ٢٧/١١/١٩٨٨).

• أصدرت المؤسسات والهيئات والشخصيات الوطنية في قطاع غزة، بياناً تضمّن ترحيبها بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة. وأكد موقعو البيان ان القرارات تعبّر عن رغبة الشعب الفلسطيني في السير على طريق السلام لحل المشكلة الفلسطينية على أساس عادل ومرض، ودانوا الموقفين الاسرائيلي والاميركي من القرارات (الاتحاد، ٢٧/١١/١٩٨٨).

• أعلنت وزارة الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة رفضت اعطاء رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، تأشيرة دخول ليتحدث في الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك. وقالت الوزارة ان الطلب رفض، لأن لدى الحكومة الاميركية «أدلة مقنعة على اشتراك عناصر من م.ت.ف. في ارهاب اميركيين وغيرهم». وكان عرفات اتهم وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، بأنه يقف وراء عدم منح التأشيرة. وصرّح عرفات بأنه سيطلب «نقل جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة المخصّصة للقضية الفلسطينية الى جنيف» (الدستور، ٢٧/١١/١٩٨٨). قبل هذا الاعلان، التقى زعماء منظمات يهودية مع موظفين كبار في الخارجية الاميركية ورجال البيت الابيض لاقناعهم بحجب التأشيرة (هآرتس، ٢٧/١١/١٩٨٨). وقال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ان هذا القرار هو اشارة الى ان الولايات المتحدة لم تغيّر موقفها تجاه م.ت.ف. (معاريف، ٢٧/١١/١٩٨٨).

• قال مسؤول في م.ت.ف. ان المنظمة تعتزم التقدم بطلب الى الامم المتحدة لتنضمّ الى عضوية محكمة العدل الدولية. وذكر احد خبراء المحكمة انه اذا وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على الطلب، فان م.ت.ف. سيكون لها الحق في اقامة دعاوى في محكمة العدل الدولية والمثول أمام هيئة قضاتها (الشرق الاوسط، ٢٧/١١/١٩٨٨).

٢٧/١١/١٩٨٨

• بحث رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الذي يزور عمّان، مع الملك الاردني حسين، في امكانات العمل على الساحة الدولية، دعماً للموقف الفلسطيني الايجابي الذي عكسته قرارات المجلس الوطني الاخيرة. وتمّ الاتفاق على تنسيق المواقف والجهود لنصرة قضية الشعب الفلسطيني ونضاله المشروع. واثنى الملك حسين على النتائج الايجابية لاجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، وأعرب عن خيبة أمله من قرار الولايات المتحدة عدم منح تأشيرة دخول لعرفات. وكان الملك حسين زار عرفات في مقرّ اقامته في عمّان، يرافقه رئيس الديوان الملكي (وفا، ٢٨/١١/١٩٨٨). على صعيد آخر، بعث عرفات برسائل خاصة الى قادة وزعماء الدول

الاشتراكية تتعلق بالتطورات الراهنة، في ضوء قرارات المجلس الوطني (**المصدر نفسه**).

• تواصلت المواجهات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، في الارض المحتلة. وقد جرح ٢٣ مواطناً بالرصاص في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وتركزت أعنف المواجهات في بلدة بيت حانون ومخيمات دير البلح وجباليا ورفح وحيّ الصبره، في مدينة غزة، وعبسان، في القطاع. وقامت قوات الاحتلال بحملة دهم اعتقلت خلالها عدداً كبيراً من المواطنين (**الدستور**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

• قتلت قوة تابعة للجيش الاسرائيلي فدائياً، خلال اشتباك وقع بين خلية فدائية وبين قوة من الجيش الاسرائيلي كانت تقوم بمهمات أمن اعتيادية في القطاع الغربي من «حزام الامن»، في جنوب لبنان (**دافار**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

• في اسرائيل، استقبل قرار وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، بشأن عدم منح تأشيرة دخول لزعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، الى الولايات المتحدة برضى تام. وفي جلسة وزراء الليكود، اثنى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، على شولتس، وقال: «لقد كان قراراً شجاعاً وليس سهلاً، وله ابعاد سياسية كثيرة جداً». كذلك، بعث القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير الخارجية، شمعون بيرس، ببرقية تهنئة (**دافار**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

• أثار قرار الولايات المتحدة عدم اعطاء تأشيرة دخول لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف ياسر عرفات، ردود فعل واسعة على الصعد الفلسطينية والعربية والدولية. ووصف عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، صلاح خلف (أبو اياد)، القرار بأنه يشجع المتطرفين ويضع المعتدلين في موقف حرج (**القبس**، ١٩٨٨/١١/٢٨). وأعلنت م.ت.ف. انها تريد عقد مؤتمر قمة عربي للبحث في الموضوع. وقال متحدث باسم المنظمة ان المنظمة ستطلب من الجمعية العامة للامم المتحدة استنكار القرار الذي وصفه بأنه يشكل عدواناً على م.ت.ف. والمجتمع الدولي (**المصدر نفسه**). وتشاور وزراء الخارجية العرب لبذل جهد مشترك من أجل نقل مناقشات الجمعية العامة الى جنيف بدلاً من نيويورك (**المصدر نفسه**). واتفق الملك حسين والرئيس العراقي، صدام حسين، في اتصال هاتفي بينهما، على ضرورة بذل الجهد لتحقيق ذلك (**الدستور**، ١٩٨٨/١١/٢٨). أما ردود الفعل الدولية على القرار الاميركي، فما تزال تتوالى. فقد أعربت الخارجية الايطالية عن دهشتها للقرار وطالبت باعادة النظر فيه. ووصف وزير الخارجية السويدية القرار بأنه غير حكيم وفي غير محله. وأكد المتحدث باسم الخارجية الفرنسية ان بلاده طلبت من الولايات المتحدة اعادة النظر في القرار (**المصدر نفسه**).

• تشاور الملك الاردني حسين، والرئيس المصري، حسني مبارك، خلال اتصال هاتفي، حول تطورات الموقف بالنسبة الى القضية الفلسطينية، والاسلوب المناسب لطرح وجهة النظر الفلسطينية على الرأي العام العالمي (**الاهرام**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

• في مناسبة «يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني»، وجّه البابا يوحنا بولس الثاني نداء من أجل التوصل الى اتفاق بين الاسرائيليين والفلسطينيين (**الحياة**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

• يعتقد وزير الخارجية الاميركية الاسبق، هنري كيسنجر، بأنه ينبغي على اسرائيل القيام، في أقرب وقت ممكن، بخطوة من جانب واحد والخروج من قطاع غزة، ومن منطقة نابلس. جاء قول كيسنجر هذا في لقاء له مع شخصيات سياسية في ايطاليا، خلال قيامه بزيارة لروما. ورداً على سؤال «ماذا سيحدث لو لم توافق اسرائيل ؟»، أجاب كيسنجر: «يجب اجبارها على ذلك»، مضيفاً ان ادارة بوش لن تكون ايجابية تجاه اسرائيل كما كانت ادارة ريغان (**هآرتس**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

• توجّه عضو الكنيست، ابراهام بورغ (معراخ)، الى مستشار الحكومة الاسرائيلية القضائي، طالباً فحص المكانة القانونية لوجود واهداف الوسط الذي سمّي «مجلس يهودا الحرة». وذكر بورغ ان هذا الوسط أعلن عن بلورة كيان يهودي مستقل غير مرتبط بمجلس مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة. وسأل بورغ: أليس في هذا العمل تحريض ضد اليهود وتمرّد على سيادة الدولة وصلاحيات الجيش الاسرائيلي ؟ ووصف بورغ الوسط الجديد بأنه «ذراع علنية أولية للحركة السرية اليهودية المقبلة» (**دافار**، ١٩٨٨/١١/٢٨).

١٩٨٨/١١/٢٨

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى بغداد، قادماً من عمّان، في زيارة للعراق

تستغرق أياماً عدّة. وكان عرفات اجرى في عمان مباحثات مع الملك حسين، ورئيس الوزراء، زيد الرفاعي، حول آخر التطورات على الساحة الفلسطينية (القبس، ٢٩/١١/١٩٨٨).

• ساد الاضراب الشامل في مناطق الارض المحتلة كافة، تضامناً مع المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، وللمطالبة باطلاق سراحهم فوراً. وقد تمّ الاضراب تلبية لنداء القيادة الوطنية الموحّدة في بيانها الرقم ٢٩. وعبّر مواطنو الارض المحتلة عن استيائهم البالغ ازاء القرار الاميركي بمنع اعطاء رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، تأشيرة دخول. وفي غضون ذلك، وقعت صدامات عنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فاصيب ٢٨ مواطناً بجروح، واصيب ٢٥ آخرون بكسور ورضوض، واعتقل أكثر من ٣٠، خلال عمليات الاقتحام التي نُفّذت ضد العديد من المدن والقرى. ونجحت الفرق الضاربة التابعة للانتفاضة في تدمير ١٤ سيارة عسكرية اسرائيلية وهاجمت بالقنابل الحارقة سيارة قيادة، وحطّم الشبان الملثمون سيارة للشرطة (الدستور، ٢٩/١١/١٩٨٨).

• تعمل الادارة المدنية الاسرائيلية في المناطق المحتلة، بمناسبة فتح السنة الدراسية في مدارس الضفة الغربية، للحؤول دون محاولة اوساط قومية فلسطينية ادخال برامج تعليمية مستقلة، لم تقرها الادارة المدنية، الى هذه المدارس، تدريجياً. وقد وصلت الى الادارة المدنية معلومات عن نوايا أوساط في المنطقة تجاه دمج مواد قومية ـ فلسطينية، في البرامج التعليمية، ودراستها بشكل منهجي، ولكن بصورة سرية. وعلم، أيضاً، ان الادارة سوف تعمل على زيادة الرقابة على المدارس بهدف الحؤول دون هذا التطوّر (هآرتس، ٢٩/١١/١٩٨٨).

• وصل الى القاهرة الرئيس العراقي، صدام حسين، في زيارة مفاجئة، وعقد جلسة مباحثات مع مضيفه المصري، حسني مبارك. وأكد حسين ان الركيزة الاساسية لمباحثاته في القاهرة هي تنمية الاخوّة وتعميقها بين بغداد والقاهرة، رئيساً وشعباً وحكومة؛ وأضاف ان القضية الفلسطينية ستأخذ الأولوية على كل القضايا الأخرى (القبس، ٢٩/١١/١٩٨٨).

• في الوقت الذي تتابعت فيه ردود الفعل العربية، والاسلامية، والعالمية، التي تعبّر عن الاستياء من القرار الاميركي بعدم اعطاء تأشيرة دخول لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، بدا واضحاً ان اتصالات عربية تجرى على مستوى عال لتنسيق المواقف بهدف الرد على القرار الاميركي، من طريق استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بادانة الخطوة الاميركية ونقل مناقشات الجمعية بشأن القضية الفلسطينية من نيويورك الى جنيف، او فيينا. وقد أكد عرفات ثقته بأن الدول العربية ستنجح في تحقيق ذلك، وان طلب نقل المباحثات الى جنيف قد قدّم الى الامين العام للامم المتحدة. وقد أصدر الأمين العام، بيريز دي كويلار، بياناً شجب فيه القرار الاميركي وأكد تعارضه مع التزامات الولايات المتحدة كدولة مضيفة (الشرق الاوسط، ٢٩/١١/١٩٨٨). واستُنكر القرار الاميركي من قبل رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة والناطق باسم وزارة الخارجية السوفياتية وكذلك الناطق باسم وزارة الخارجية البلجيكية ووزير الخارجية الدنمركية ووزير الخارجية الهولندية والبرلمان الهولندي ورئيس المجلس الاوروبي وناطقين باسم بريطانيا والمانيا الاتحادية والصين وماليزيا واستراليا (الدستور، ٢٩/١١/١٩٨٨).

• عبّر ممثلو دول عديدة عن معارضتهم لقرار الولايات المتحدة بشأن عدم اعطاء تأشيرة دخول لزعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، الى الولايات المتحدة، لكي يلقي خطابه في الجمعية العامة للامم المتحدة. وقد أعلن الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية، تشارلز ردمان، أن الولايات المتحدة لن تعارض نقل المناقشة التي سوف يلقي عرفات خطابه، خلالها، الى جنيف، لكنها لن تؤيد هذا الاقتراح (دافار، ٢٩/١١/١٩٨٨).

١٩٨٨/١١/٢٩

• اجتمع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الذي وصل الى الخرطوم، مع الرئيس السوداني، احمد الميرغني، وأعضاء مجلس الرئاسة، وأُجري استعراض لنتائج أعمال المجلس الوطني الفلسطيني. وأجرى عرفات مباحثات رسمية مع رئيس الوزراء السوداني، الصادق المهدي، الذي جدّد تأكيد موقف السودان الثابت والمبدئي الداعم للقضية الفلسطينية (وفا، ٣٠/١١/١٩٨٨). على صعيد آخر، اجتمع عرفات، بعد ان انتقل من الخرطوم الى جيبوتي، مع الرئيس الجيبوتي، حسن جوليد (المصدر نفسه).

• وصف رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الادارة الاميركية بأنها أكثر الادارات عداء للشعب الفلسطيني وتنكراً لحقوقه الوطنية الثابتة وانحيازاً لاسرائيل. وفي رسالة وجهها بمناسبة احتفال لجنة الامم المتحدة لممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية، قال عرفات ان رفض الادارة الاميركية اعطاءه تأشيرة دخول يشكل موقفاً عدائياً ضد الامم المتحدة وتدخلاً في شؤونها الداخلية وتعطيلاً لعملها (وفا، ١٩٨٨/١١/٣٠).

• في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، اصيب ٢٥ مواطناً بالرصاص، خلال المواجهات العنيفة التي اجتاحت انحاء الوطن المحتل، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وقد تجددت المواجهات منذ الصباح، على الرغم من التواجد العسكري المكثف وتشديد الاحتياطات والاجراءات القمعية. وقد خرجت الجماهير الغفيرة الى الشوارع وهي تحمل علم الوطن وصور ياسر عرفات وتردد الهتافات المؤيدة لـ م.ت.ف. والمنددة بالاحتلال (وفا، ١٩٨٨/١١/٢٩). وقد فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول على مناطق تضم ٦٥٠ ألف نسمة، فيما ساد الاضراب العام في المناطق الاخرى. ورجم المواطنون الجنود الاسرائيليين بالحجارة والقنابل الحارقة (الاهرام، ١٩٨٨/١١/٣٠).

• بلغ عدد الذين قدموا الى المحاكمة طيلة العام المنصرم، من المواطنين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة، ستة آلاف متهم بمناهضة الاحتلال ورشق الزجاجات الحارقة. وذكر النائب العام الاسرائيلي ان ملفات اتهام قد قدّمت ضدهم، جميعاً، وقد انتهت محاكمة أربعة آلاف، بينما ينتظر الباقون انتهاء المحاكمات. وفي المحاكمات التي تمّت، بُرِّئت ساحة مئتين، فقط، من المتهمين. وقال النائب العام ان عدد المعتقلين الاداريين (بدون محاكمة) بلغ أربعة آلاف، انتهت فترة اعتقال أغلبيتهم، ويوجد، الآن، رهن الاعتقال الاداري، ١٥٠٠ شخص (هآرتس، ١٩٨٨/١١/٣٠).

• اعتقل أربعة نشطاء من حركة «كفى للاحتلال» بتهمة رفع علم فلسطين خلال تظاهرة قاموا بها في مركز مدينة القدس (هآرتس، ١٩٨٨/١١/٣٠).

• بعد مغادرة الرئيس العراقي، صدام حسين، لمصر، استندت مصادر دبلوماسية عربية، في القاهرة، الى اتصالات جارية من أجل عقد قمة عربية في الرياض، أواخر الشهر المقبل او مطلع السنة الجديدة، فقالت ان مشاركة مصر في هذه القمة اصبحت احتمالاً وارداً، في ظل المرونة التي ابدتها سوريا، حيال اعتراف مصر بالدولة الفلسطينية (الحياة، ١٩٨٨/١١/٣٠).

• دعت المجموعة العربية لدى الامم المتحدة الادارة الاميركية الى اعادة النظر في قرارها منح رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، تأشيرة دخول الى نيويورك، لحضور اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة. على صعيد آخر، وصف خبراء اميركيون القرار الاميركي بأنه قرار غبي (القبس، ١٩٨٨/١١/٣٠). وتعتزم لجنة العلاقات العربية ـ الاميركية تقديم طعن بالقرار في المحاكم (الشرق الاوسط، ١٩٨٨/١١/٣٠).

• خصّصت صحيفة «برافدا» السوفياتية مقالتها الرئيسة ليوم التضامن مع الشعب الفلسطيني. وذكرت الصحيفة ان اعلان دولة فلسطين شكّل تطوّراً نوعياً في النضال الوطني الفلسطيني العادل؛ فلا خيار، الآن، غير الخيار الفلسطيني، خيار السلام الاسرائيلي ـ الفلسطيني العادل. وحيّت الصحيفة الانتفاضة الفلسطينية، ونددت بفظائع الاحتلال في الارض المحتلة (الاتحاد، ١٩٨٨/١١/٣٠).

١٩٨٨/١١/٣٠

• عقد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الذي يزور مقديشو، جلسة محادثات مغلقة مع الرئيس الصومالي، محمد سياد بري، اعقبتها جلسة عمل موسّعة حضرها مسؤولون آخرون. وقد استعرض عرفات تطوّرات الوضع على الساحة الفلسطينية، في ضوء قرارات الدورة غير العادية للمجلس الوطني الفلسطيني، والاوضاع على الساحة العربية، وآفاق تعزيز التضامن العربي. وأكد بري، مجدداً، موقف بلده الشقيق الثابت، والدائم، والداعم، لنضال الشعب الفلسطيني. واستقبل عرفات الدبلوماسيين العرب المعتمدين في مقديشو، فشرح لهم تطوّرات الأوضاع (وفا، ١٩٨٨/١٢/١).

• تواصلت الاشتباكات والمواجهات العنيفة في انحاء الارض المحتلة، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وقد واصلت قوات الاحتلال عمليات الدهم الوحشية، فيما قرّرت السلطات ابعاد ٢٥ مواطناً

الى خارج البلاد بتهمة المشاركة في مقاومة الاحتلال. واصيب ٢٥ مواطناً بجروح، واعتقل عشرات آخرون (الدستور، ١/١٢/١٩٨٨).

• أُلقيت حوالى الساعة السادسة مساء زجاجتان حارقتان على ساحة القنصلية الاميركية في القدس الشرقية. وقد انفجرت الزجاجتان، غير انه لم تقع اصابات، ولم تؤديا الى أضرار مادية. وهذه هي المرة الثانية خلال هذا العام التي تلقى فيها زجاجات حارقة على ساحة القنصلية. وعلم ان الشخصيات الفلسطينية في الضفة الغربية سوف تقاطع القنصلية الاميركية في القدس الشرقية، بسبب رفض الولايات المتحدة اعطاء تأشيرة دخول لياسر عرفات، من اجل القاء خطابه في الجمعية العامة للامم المتحدة (معاريف، ١/١٢/١٩٨٨).

• طالب عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمود عباس (أبو مازن)، بضرورة دعم التضامن العربي في هذه المرحلة التي تمر بها الامة العربية، من خلال عقد قمة عربية عاجلة للبحث في القضايا والمستجدات على الساحة العربية، وخاصة القضية الفلسطينية وقضية لبنان والمصالحات بين الدول العربية. وقد أدلى عباس بهذا التصريح عقب اجتماعه مع وزير الخارجية المصرية، د. عصمت عبدالمجيد (القبس، ١/١٢/١٩٨٨).

• أجازت اللجنة القانونية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة مشروع قرار مقدّم الى الجمعية يحثّ الولايات المتحدة على العدول عن رفضها اعطاء تأشيرة دخول لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. وقد وافق على المشروع، من اعضاء اللجنة، مندوبو ١٢١ دولة، وعارضه مندوبا اسرائيل والولايات المتحدة، وحدهما، في حين امتنعت بريطانيا عن التصويت (القبس، ١/١٢/١٩٨٨).

١٩٨٨/١٢/١

• ذكر في موسكو ان رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، وجّه رسالة الى الزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، أعرب فيها عن الامتنان العميق للاتحاد السوفياتي لدعمه نضال الشعب الفلسطيني، ولاعترافه بالدولة الفلسطينية المستقلة. وقد أشير في الرسالة الى ان الموقف السوفياتي يساعد على بذل الجهود الرامية الى بلوغ السلام الشامل والعادل في الشرق الاوسط، من طريق عقد مؤتمر دولي (الاتحاد، ٢/١٢/١٩٨٨). على صعيد آخر، اتهم عرفات وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، بأنه يعمل ضد السلام في الشرق الاوسط ويشجّع المطامع التوسعية الاسرائيلية. ودعا عرفات، في حديث نشرته مجلة «باري ماتش» الباريسية، فرنسا الى الاعتراف بالدولة الفلسطينية (الدستور، ٢/١٢/١٩٨٨).

• تواصلت المواجهات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في الارض المحتلة، في الوقت الذي بدأ العام الدراسي متأخراً ثلاثة شهور عن موعده المعتاد، ورجع تلاميذ المدارس الابتدائية الى مدارسهم التي اغلقتها سلطات الاحتلال منذ شهر، فيما رهنت السلطات فتح بقية المدارس باستمرار الهدوء في الارض المحتلة خلال الاسابيع المقبلة. وقد توعّدت سلطات الاحتلال بأن المدارس ستغلق بقية العام كله، اذا اصبحت، من جديد، نقطة تجمّع للتظاهرات والمواجهات. على صعيد آخر، أكدت وكالة غوث اللاجئين (اونروا)، في تقريرها نصف الشهري، ان الاصابات بين الاطفال تشكل ما يزيد على نصف الاصابات التي تقع في صفوف الفلسطينيين في الارض المحتلة في مواجهاتهم مع قوات الاحتلال (الدستور، ٢/١٢/١٩٨٨).

• منيت الولايات المتحدة الاميركية بهزيمة سياسية في «حرب التأشيرة» التي فتحها وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، بامتناعه عن اعطاء رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، تأشيرة دخول الى نيويورك للتحدث في الجمعية العامة للامم المتحدة. فقد صوّتت الجمعية العامة على قرار يعترض على منح التأشيرة ويمهل الولايات المتحدة لمدة ٢٤ ساعة للتراجع عن موقفها. وأيدت هذا القرار ١٥١ دولة، بينما عارضته الولايات المتحدة واسرائيل، وحدهما، وامتنعت بريطانيا عن التصويت (الحياة، ٢/١٢/١٩٨٨). على صعيد آخر، أكدت المجموعة الاوروبية، في بيان اصدرته لهذا الغرض، عشية اجتماع القمة الذي سيعقد في رودوس، وجوب السماح لعرفات بالقاء كلمته في نيويورك، وحضّت الولايات المتحدة على اعادة النظر في قرارها (المصدر نفسه).

• واصلت شعوب العالم، كما واصل ممثلوها الرسميون والشعبيون، الانشطة الخاصة بيوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني، لليوم الثالث على التوالي. وبالاضافة الى الانشطة التضامنية

التي أجريت في أكثر من مكان، استمر سيل البرقيات الموجهة الى رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، التي بعث بها رؤساء دول ومنظمات دولية وهيئات واحزاب ومنظمات وطنية في عدد كبير من البلدان. وتواصلت، على الصعد ذاتها، وبالاسلوب ذاته، ردود الفعل المؤيدة لاعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة (وفا، ١/١٢/١٩٨٨).

• قال وزير الخارجية الفرنسية، رولان دوما، في مقابلة صحفية، ان النشاط الفرنسي المرتقب، في مايتعلق بالموضوع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، في الاسابيع المقبلة، سوف يرتكز على مفهوم مفاده ان «تزامن الاعلان عن قيام الدولة الفلسطينية وقبول القرار ٢٤٢ من جانب المجلس الوطني الفلسطيني يثبت ان الامر يدور حول موقف جديد يحتمل ان يمكّن من اجراء مفاوضات». وأضاف دوما ان المؤتمر الدولي الذي تتيح مقررات الجزائر امكانية عقده، يجب عليه ان يبحث في قضايا صعبة جداً، مثل عاصمة الدولة الفلسطينية، وكذلك الانهماك في اقرار حدود متفق عليها لهذه الدولة، وضمانات أمنية لاسرائيل (**دافار**، ٢/١٢/١٩٨٨).

• في القاهرة، عقد الرئيس المصري، حسني مبارك، وضيفه الملك الاردني حسين، جولة ثالثة من المباحثات قبل ان يغادر الملك القاهرة الى عمّان. وادلى الزعيمان العربيان، بعد المباحثات، بتصريحات للصحافيين، اعلن الملك، خلالها، ان الموقف الفلسطيني المسؤول يقابل بالترحاب والتقدير من جانب الغالبية العظمى من دول العالم، وان هذا التوجه العالمي لمساندة القضية الفلسطينية هو أقوى من ان يقاوم من قبل أي طرف، أياً كان، في العالم (**الاهرام**، ٢/١٢/١٩٨٨).

• قالت المتحدثة باسم وكالة الهجرة اليهودية، ومقرها فيينا، ان عهد الزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، شهد مرونة ملحوظة تجاه السماح لليهود السوفيات بالهجرة. وقالت المتحدثة ان اتجاه اليهود السوفيات نحو اسرائيل بدأ يتراجع، وانهم يفضلون السفر الى الولايات المتحدة واوروبا الغربية لتوفّر فرص العمل التي لا تتوفر، حالياً، في اسرائيل. وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي، ١٦٥٧٢ خلال العام ١٩٨٨ (**القبس**، ٢/١٢/١٩٨٨).

١٩٨٨/١٢/٢

• تواصلت الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية وعمّت التظاهرات الارض المحتلة، وذلك منذ ساعات الفجر الاولى. ثم تصاعدت في أعقاب خروج المصلين، بعد اداء صلاة الجمعة، من المساجد. وعمّت حالة الغليان والتوتر مدن الارض المحتلة وقراها ومخيماتها، كافة، على الرغم من الحشود العسكرية الكثيفة التي تركزت على محاور الطرق والميادين العامة. وهاجم الشبان الملثمون الدوريات العسكرية وخاضوا معها مواجهات دامية بالحجارة والزجاجات. واستخدمت القوات الاسرائيلية الذخيرة الحيّة وشنّت حملة دهم طالت منازل ومحال تجارية ومدارس واعتقلت عشرات المواطنين. واستشهد مواطن واصيب عشرات بجراح (**الدستور**، ٣/١٢/١٩٨٨).

• صرّح رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي، بأن المنظمة ستسعى الى حصول الدولة الفلسطينية على العضوية الكاملة في الامم المتحدة. لكنه أوضح ان طلب المنظمة سيواجه بفيتو اميركي، «لكن ذلك لا يعني اننا سنتردد في تقديم طلب العضوية». وكشفت مصادر دبلوماسية ان بعض الدول العربية ودولاً أخرى غير منحازة حضّت المنظمة على التصرف بحذر أكبر، ودعت الى حصول الدول المعلنة على وضع العضو المراقب الذي ليس في استطاعة الولايات المتحدة الاعتراض عليه. وكان رد القدومي على ذلك: «يجب ان نتمتع بالعضوية الكاملة. لقد اعترفت بنا أكثر من ٧٠ دولة» (**الحياة**، ٣/١٢/١٩٨٨).

• قدّمت المجموعة العربية في الامم المتحدة، رسمياً، مشروع قرار الى الجمعية العامة يدعو الى نقل مناقشاتها للقضية الفلسطينية من نيويورك الى جنيف. وكانت الولايات المتحدة أبلغت الى الامين العام للامم المتحدة انها لن تعيد النظر بقرارها رفض اعطاء تأشيرة دخول لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات. وتبيّن ان صاحب القرار وزير الخارجية، جورج شولتس، قد حظي، في قراره هذا، بدعم من غالبية أعضاء الكونغرس (**الحياة**، ٣/١٢/١٩٨٨).

• أكد مصدر في وزارة الخارجية البريطانية ان بريطانيا تبحث في رفع مستوى العلاقات مع م.ت.ف. من طريق اجراء اول اتصال بريطاني على مستوى وزاري مع المنظمة. وقال المصدر ان اجتماعاً كهذا

سيبعث برسالة واضحة الى الولايات المتحدة واسرائيل مفادها ان بريطانيا تشجع ما يبدو انه موقف أكثر اعتدالاً اتخذته المنظمة ازاء اسرائيل في الاعلان الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني في الاسبوع الماضي. ووصف المصدر هذا الاعلان بأنه «لم يذهب الى مدى كاف، الاّ انه كان خطوة في الاتجاه الصحيح ويجب تشجيع الفلسطينيين على متابعة السياسة المعتدلة» (السفير، ٣/١٢/١٩٨٨).

٣/١٢/١٩٨٨

• استشهد مواطنان برصاص قوات الاحتلال الاسرائيلية واصيب أكثر من خمسين بجراح في المصادمات التي تواصلت بين المواطنين وهذه القوات، في الارض المحتلة. وقد تميّز اليوم بحملات الدهم الهستيرية التي شنّتها قوات الاحتلال ضد عشرات القرى، منذ الفجر، والتي استخدمت خلالها الاسلحة النارية والغازات والطائرات العامودية الحربية. وخلال الاشتباكات، تمكّنت الفرق الضاربة التابعة للانتفاضة من ايقاع عدد من الاصابات بالجنود الاسرائيليين، بالاضافة الى تدمير واعطاب عدد من السيارات (الدستور، ٤/١٢/١٩٨٨).

• حكم على جنديين اسرائيليين من جنود الاحتياط بالسجن ٢٨ يوماً، بسبب رفضهما الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة. وكان احدهما قضى، في الماضي، فترة سجن، بسبب رفضه الخدمة في المناطق المحتلة. وجاء من حركة «يوجد حدود» انه، منذ بدء الانتفاضة في المناطق المحتلة، حكم على ٥١ جندياً اسرائيلياً من جنود الاحتياط بالسجن لفترات مختلفة، للسبب ذاته. واليوم، يوجد في السجن العسكري اربعة جنود (احتياط) وجنديان من الجيش النظامي، بسبب رفضهم الخدمة في المناطق المحتلة (معاريف، ٤/١٢/١٩٨٨).

• سجل التصويت لصالح م.ت.ف. في الجمعية العامة للامم المتحدة رقماً قياسياً. فقد أيدت ١٥٤ دولة قرار نقل مناقشات الجمعية العامة الى جنيف، بعد ان منعت الولايات المتحدة رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، من دخول نيويورك (الشرق الاوسط، ٤/١٢/١٩٨٨). على صعيد آخر، اندلعت موجة من الانتقادات في الدوائر الاميركية ضد قرار رفض اعطاء تأشيرة الدخول لعرفات، وذلك بعد الصدام بين الولايات المتحدة والامم المتحدة بسبب هذا القرار (الاهرام، ٤/١٢/١٩٨٨). من جهة أخرى، قررت المجموعة الاوروبية عدم مشاركة وزرائها في مناقشات الجمعية العمومية للامم المتحدة، عندما يقوم زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، بالقاء خطابه في جنيف، وسوف يحضر الجلسة ممثلو دول السوق الاوروبية المشتركة، وكذلك وزير الخارجية اليونانية، لأن اليونان، في هذا الوقت، تشغل منصب رئيس المجموعة الاوروبية (هآرتس، ٤/١٢/١٩٨٨).

• اعرب زعماء دول المجموعة الاوروبية، عشية اختتام اجتماع القمة الذي عقدوه في رودوس، ترحيبهم، وتأييدهم للقرارات التي صدرت عن المجلس الوطني الفلسطيني. فقد تبنّت القمة البيان الذي صدر بهذا الصدد عن مجلس وزراء خارجية المجموعة في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. وكان هذا البيان رحّب بالقرارات دون ان يعترف بالدولة الفلسطينية التي أعلنها المجلس الوطني. وقد طالب زعماء اليونان وفرنسا واسبانيا وايطاليا بتبني موقف أكثر ايجابية من رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات (الاهرام، ٤/١٢/١٩٨٨).

• غادر اسرائيل عشرة من رجال معسكر اليسار الاسرائيلي متوجهين الى براغ، للبحث في شكل مؤتمر السلام الدولي، بمشاركة ممثلين عن اسرائيل وم.ت.ف. والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي والدول العربية. وقد مثّل اسرائيل، في هذه اللجنة، عضو الكنيست السابق، مردخاي براون (راتس)، الذي تحدث عن السلام وحق الدول بالعيش في سلام وأمن؛ وآرييه يافه، رئيس الدائرة الدولية في حزب مبام، والبروفيسور افيشي مرغليت، وعضو الكنيست توفيق طوبي (راكاح)، ورئيس لجنة رؤساء المجالس المحلية العربية، ابراهيم نمر حسين، وغيرهم. كذلك سوف يشارك في هذا اللقاء نائب وزير الخارجية السوفياتية، فلاديمير فينوغرادوف، الذي سوف يتحدث عن آلية المؤتمر الدولي، وكذلك رئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني، خالد الحسن، وبسام ابو شريف، وادوار سعيد، وغيرهم. اللقاء سوف يعقد ما بين ٦ و٨/١٢/١٩٨٨، بدعوة من معهد العلاقات الدولية في تشيكوسلوفاكيا (معاريف، ٤/١٢/١٩٨٨).

٤/١٢/١٩٨٨

• بدأت المباحثات الفلسطينية ـ المصرية صباح

اليوم، فعقد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، والرئيس المصري، حسني مبارك، اجتماعاً مغلقاً، في القاهرة. وقد تناول الاجتماع الوضع في منطقة الشرق الاوسط ، في ضوء المعطيات الجديدة للقضية الفلسطينية والخطوط العريضة في الخطاب الذي سيلقيه عرفات في الجمعية العامة للامم المتحدة، في الثالث عشر من هذا الشهر، في جنيف. ثم عقد اجتماع آخر بحضور الوفدين، الفلسطيني والمصري. ثم التقى الرئيسان مع الصحافيين. ووصف الرئيس مبارك اجتماعه بعرفات بأنه فرصة طيبة للتشاور. وقال عرفات: «استمعت الى آراء الرئيس المصري السديدة والحكيمة في العمل الفلسطيني ـ المصري من اجل دفع عملية السلام الى أمام وسرعة انعقاد المؤتمر الدولي» (**وفا**، ١٩٨٨/١٢/٤). وقال مسؤولون في القاهرة ان الرئيس المصري نصح عرفات بعدم مهاجمة الولايات المتحدة في خطابه الذي سيلقيه في الجمعية العامة (**القبس**، ١٩٨٨/١٢/٥).

• استشهد مواطن واصيب سبعة آخرون برصاص قوات الاحتلال الاسرائيلية، خلال المصادمات التي تواصلت بين هذه القوات ومواطني الارض المحتلة، في مختلف المناطق. وقد جرح خمسة في قطاع غزة واثنان في نابلس. وللبوم الثاني والستين، على التوالي، واصلت سلطات الاحتلال اغلاق منطقة كبيرة في طولكرم واستولت على مبنى مدرسة ابتدائية فيها، كما دهمت، واغلقت، عدداً من القرى. واصابت القوات الضاربة عدداً من الجنود والضباط الاسرائيليين بجراح (**الدستور**، ١٩٨٨/١٢/٥).

• رفع علم فلسطين في أم الفحم والبعنة وشفاعمرو، شمال اسرائيل. وقد قامت السلطات الاسرائيلية بنزع الاعلام وفتح تحقيق بالأمر، الّا انه، لغاية الآن، لم يتمّ اعتقال أحد (**هآرتس**، ١٩٨٨/١٢/٥).

• كشف نائب رئيس الاركان الاسرائيلية، اللواء اهود براك، في محاضرة القاها في نادي الصحافة في تل ـ أبيب، ان الجيش الاسرائيلي استثمر ثلاثة ملايين ونصف المليون يوم عمل من جانب الجنود والضباط، واشغل، بالمتوسط، عشرة آلاف جندي، يومياً، في قطاع غزة والضفة الغربية (**هآرتس**، ١٩٨٨/١٢/٥).

• أقرّ رئيس ممثلية الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي في المنطقة الجنوبية بأن معتقلي سجن كتسيعوت في النقب مضربون عن الطعام منذ يوم الجمعة الماضي، غير انه لم يعط تفاصيل حول أسباب الاضراب. أما محامو المعتقلين، فقد أعلنوا ان موكليهم تحدثوا عن خيبة الأمل والاحباط العميق، بسبب عدم تحسين ظروف اعتقالهم، على الرغم من توصيات محكمة العدل العليا في هذا الشأن (**هآرتس**، ١٩٨٨/١٢/٥).

• تحدث رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف)، عن العلاقات الفلسطينية ـ الاميركية، فذكر ان م.ت.ف. تريد من الولايات المتحدة ان تمارس الضغط على اسرائيل لقبول عقد المؤتمر الدولي وايقاف اعمالها الوحشية ومضايقاتها للشعب داخل فلسطين. وقال القدومي ان المنظمة تريد ان تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة قبل التوصّل الى تسوية سلمية نهائية (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/٥).

• أفادت صحيفة «نيويورك تايمز» الاميركية بأن خبراء الشرق الاوسط في واشنطن، وبينهم مستشارو الرئيس المنتخب، جورج بوش، قد بلوروا توصيات مؤداها انه ينبغي على الادارة الاميركية القيام، فوراً، بأنشطة دبلوماسية، من اجل اظهار الاهتمام بعملية تقدم السلام في المنطقة. ويعتقد هؤلاء الخبراء بأن مبادرة اميركية جديدة تصلح الضرر الذي اصاب العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية، على أرضية رفض وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، اعطاء تأشيرة دخول لياسر عرفات (**هآرتس**، ١٩٨٨/١٢/٥).

١٩٨٨/١٢/٥

• انتقل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى طرابلس الغرب، بعد زيارة للقاهرة استمرت يومين، واجتمع مع الرئيس معمّر القذافي (**وفا**، ١٩٨٨/١٢/٦). ومن المتوقع ان يزور عرفات السويد، غداً، ويجري فيها محادثات مع كبار المسؤولين ومع ممثلين ليهود الولايات المتحدة في أول لقاء من نوعه بين الجانبين (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/٦).

• استمرت المصادمات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين بين القوات الاسرائيلية والمواطنين الفلسطينيين. وقد اصيب أكثر من ٣٠ مواطناً، بينهم طفل عمره يومان (**الاهرام**، ١٩٨٨/١٢/٦).

• ارتفع عدد الدول التي اعترفت بدولة

فلسطين، حتى الآن، الى ٧٤ دولة. وهذا العدد يمثّل الدول التي أبلغت اعترافها الى الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. في مذكرات رسمية. وهناك دول اخرى اعلنت اعترافها من خلال وسائل الاعلام، او ابلغته الى ممثليات م.ت.ف. لديها (**الاتحاد**، ٦/١٢/١٩٨٨).

• نفى القائد العسكري الاسرائيلي لقطاع غزة المحتل، العميد بوليغ، في افادته، ادعاءات شهود، في المحكمة، بينهم ضباط كبار في غزة، اتهمته باصدار أوامر بضرب المنتفضين من اجل ردعهم. وقال: «انا لا أعطي اوامر؛ فهي مكتوبة في مجموعة الأوامر الثابتة. وهذه الأوامر نقوم بتوزيعها على الضباط برتبة قائد سرية؛ والاوامر التي اعطيها هي تفسيرات وايضاحات لما يحدث، لملاءمة الاوضاع المتغيرة على الارض» (**هآرتس**، ٦/١٢/١٩٨٨).

• انتقد وزير القضاء الاسرائيلي الاسبق، حاييم تسادوك، قيادة حزب العمل بسبب رفضها القاطع لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر. وقال: «لقد قرأت وثائق الجزائر، ولم اجد أي سند يثبت نيّة القضاء على اسرائيل» (**هآرتس**، ٦/١٢/١٩٨٨).

• جاء رد وزارة الخارجية الاسرائيلية شديد اللهجة على قرار حكومة السويد بشأن دعوة زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، الى زيارة السويد ولقائه مع قمة السلطة في الدولة. وفي الحديث الذي اجراه مسؤولو وزارة الخارجية مع سفير السويد في اسرائيل، عُبِّر عن الدهشة والاحتجاج على الخطوة السويدية تلك. وجاء في بيان وزارة الخارجية رفضها الادعاء بأن الدعوة جاءت من اجل عقد لقاء بين عرفات ومجموعة زعماء يهود من الولايات المتحدة (**دافار**، ٦/١٢/١٩٨٨).

• أقرت وزارة الخارجية الاسرائيلية ضرورة مشاركة وفد اسرائيلي في مناقشات الامم المتحدة للقضية الفلسطينية، التي ستبدأ في الثالث عشر من الشهر الجاري في جنيف، على ان يخرج من القاعة في اثناء القاء عرفات خطابه (**دافار**، ٦/١٢/١٩٨٨).

• دعت لجنة شؤون الشرق الاوسط التابعة للاشتراكية الدولية الولايات المتحدة الى فتح حوار مع الفلسطينيين. وقد اتخذت اللجنة قرارات بصيغة ايجابية ومعتدلة، عندما تطرقت الى القرارات التي صدرت عن المجلس الوطني الفلسطيني في الشهر الماضي. مع هذا، فان الصيغة لم تأت على ذكر م.ت.ف. بشكل واضح، ولم تعترف بالمنظمة كممثل للفلسطينيين (**هآرتس**، ٦/١٢/١٩٨٨).

٦/١٢/١٩٨٨

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى ستوكهولم، وأجري له في المطار، استقبال رسمي، فكان على رأس المستقبلين وزير الخارجية، ستين اندرسون. وباشر عرفات، اثر وصوله، محادثات تستغرق يومين مع خمسة من ذوي النفوذ في الولايات المتحدة من اليهود الامريكيين. وقد دامت جولة المحادثات الاولى ست ساعات؛ وصرح ناطق سويدي، بعدها، بأنها حققت تقدماً، ورفض اعطاء المزيد من التفاصيل (**الحياة**، ٧/١٢/١٩٨٨). والتقى عرفات والوفد الفلسطيني المرافق له، في جلستي عمل، مع رئيس الوزراء السويدي وعدد آخر من المسؤولين، ودار البحث حول مختلف التطورات السياسية. واستقبل عرفات السفراء العرب المعتمدين في السويد (**وفا**، ٧/١٢/١٩٨٨). وقد وافق اعضاء الوفد اليهودي على الالتقاء بعرفات، في السويد، اعتماداً على وعد قطعه على نفسه بأن يسلّمهم تصريحاً مكتوباً بشأن الاعتراف بدولة اسرائيل. وقد تبيّن من المعلومات التي وصلت الى القدس ان اللقاء بين عرفات ومجموعة الزعماء اليهود قد نُظّم على ما يبدو عبر وساطة وزارة الخارجية السويدية (**دافار**، ٧/١٢/١٩٨٨).

• ساد الاضراب الشامل في مناطق الارض المحتلة، كافة، تضامناً مع المعتقلين الفلسطينيين في انصار ـ ٣ الذين يواصلون اضراباً عن الطعام، منذ يوم الخميس الماضي. وقد أُقفلت ابواب المتاجر، وتوقفت حركة النقل العام، ولم يتوجه العمال الى مراكز عملهم. في غضون ذلك، اندلعت تظاهرات ومجابهات عنيفة في مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، واستشهد مواطن، من بلدة كفر عين، وجرح آخرون. واوقعت القوات الضاربة التابعة للانتفاضة خسائر في صفوف قوات الاحتلال (**الدستور**، ٧/١٢/١٩٨٨). وفي بيانها الذي حمل الرقم ٣٠، أكدت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، انها «وحدة موحّدة»؛ ودعت الى جعل يومي ١١ و١٣ كانون الاول (ديسمبر) الجاري «يومين نضاليين تلتهب فيهما الارض تحت اقدام المحتلين»، وذلك في مناسبة القاء رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، كلمة فلسطين في الجمعية العامة للامم المتحدة. وحضّت القيادة المواطنين على تصعيد الانتفاضة بالحجارة والمولوتوف

والسكاكين لقهر الاحتلال (**النهار**، ١٩٨٨/١٢/٧).

• كشفت اجهزة الامن الاسرائيلية، وشرطة مكتب المخابرات والتجسس، في منطقة حيفا، خلية فدائية تابعة لـ «فتح»، عملت في السنة الماضية داخل الخط الاخضر، وفي الاساس في منطقة لواء شرطة حيفا. عدد أعضاء الخلية ١٣ شخصاً، بينهم جنديان في الجيش الاسرائيلي وامرأتان، وذكر ان عشرة من أعضاء الخلية من أصل بدوي يسكنون في قرية ابطن، وواحد من ام الفحم، وبدويان آخران من سبط عرب الحلف. وعلم ان العملية الكبيرة المنسوبة الى الخلية هي القاء قنبلة في شارع نورداو، في حيفا، قبل أربعة شهور، جرح جراءها ٢٥ شخصاً (**دافار**، ١٩٨٨/١٢/٧).

• وصف عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، صلاح خلف (أبو اياد)، العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية بأنها في أحسن حالاتها. وقال ان هذه العلاقات تسير في شكل حسن، وعلى أساس تنسيق مشترك بين الاردن والمنظمة (**الدستور**، ١٩٨٨/١٢/٧).

• بدأت الجمعية العامة للامم المتحدة مناقشاتها لازمة الشرق الاوسط، ولديها ثلاثة مشاريع قرارات شبيهة بالتي اصدرتها الجمعية ذاتها في العام الماضي. ويدعو المشروع الاول الدول الاعضاء الى قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل وايقاف مساعداتها وتعاونها معها. ويدين الثاني اسرائيل ويرى ان التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة شجّعها على سياستها التوسعية العدوانية وعرقل جهود السلام في المنطقة. ويؤكد الثالث بطلان قرار اسرائيل نقل عاصمتها الى القدس ويستنكر مواقف عدد من الدول التي قررت فتح سفارات لها في المدينة المقدسة (**النهار**، ١٩٨٨/١٢/٧).

• بدأت، في براغ، اعمال مؤتمر غير رسمي للسلام يحضره مندوبون عن م.ت.ف. ودول عربية واعضاء في احزاب يسارية اسرائيلية. ويهدف المؤتمر، الذي يستغرق ثلاثة أيام، الى تقديم نموذج مصغّر لمؤتمر دولي حكومي كامل وتعزيز الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني (**السفير**، ١٩٨٨/١٢/٧).

• رفض رئيس الاشتراكية الدولية، ويلي برانت، طلب م.ت.ف. قبولها بصفة مراقب دائم، وأعلن، في جلسة المجلس، ان م.ت.ق. سوف تبقى في مكانة «زائر محتمل» (**دافار**، ١٩٨٨/١٢/٧).

١٩٨٨/١٢/٧

• في ختام محادثاته مع مجموعة من اليهود الاميركيين، في ستوكهولم، اعلن رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في مؤتمر صحافي عقده في العاصمة السويدية، ان المجلس الوطني الفلسطيني قبل بوجود دولتين: دولة فلسطينية ودولة يهودية اسرائيلية. وعندما سُئل الرئيس الاميركي ريغان، فور انتهاء مؤتمر عرفات الصحافي، عن تعقيبه على هذا الاعلان، أجاب: «ان الرئيس عرفات عقد للتو مؤتمره الصحافي في السويد؛ اننا نتطلع الى معرفة ما قاله بدقة». ورحّب نائب رئيس اللجنة اليهودية الاميركية بأقوال عرفات، ووصف ما ورد في مؤتمره الصحافي بأنه «خطوة ايجابية». وأعلن وزير الخارجية السويدية، ستين اندرسون، ان بياناً مشتركاً صدر عن المحادثات بين الوفد الفلسطيني، برئاسة عرفات، واليهود الاميركيين، أكدت فيه م.ت.ف. قبولها بوجود اسرائيل (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/٨). وقد رفض وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، تصريح عرفات في ستوكهولم، ووصفه بأنه مجرد «توضيحات فقط لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر». وقال شولتس، في نهاية القمة بين الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، والرئيس المنتخب، جورج شولتس، والزعيم السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف: «هناك امور معيّنة يجب ان تقال من قبل م.ت.ف. ومواقف يجب تبنّيها لكي نتمكن من اجراء مفاوضات معها... هذه الامور يجب ان تقال مباشرة، وليس بشكل غير مباشر، ودون شروط مسبقة». وأضاف: «لقد رأينا ما قيل في قرارات الجزائر، ويبدو ان هناك بعض الايضاحات في ستوكهولم، غير أن م.ت.ف. لم تنفّذ شروط الولايات المتحدة. وفي حال تنفيذ المنظمة لهذه الشروط، سوف نكون مستعدين لاجراء حوار معها» (**معاريف**، ١٩٨٨/١٢/٨).

• عشية دخول الانتفاضة الفلسطينية عامها الثاني، تواصلت الاشتباكات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في مناطق الارض المحتلة، كافة. وقد اصيب عشرات المواطنين، بينما هاجمت القوات الضاربة التابعة للانتفاضة الدوريات العسكرية ودمّرت، أو أعطبت، عدداً من سياراتها. وقد تركزت أهم الاشتباكات في نابلس وعدد من قراها، ورام الله، وبيت لحم، وجنين وعدد من قراها، وكذلك في قطاع غزة ومخيماته. وواصلت قوات الاحتلال عمليات الدهم في اماكن عدة واعتقلت عدداً من المواطنين

(الدستور، ٨/١٢/١٩٨٨).

• وجهت المؤسسات الفلسطينية في الارض المحتلة نداء عاجلاً الى الرئيس السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، والرئيس الاميركي، رونالد ريغان، وخليفته المنتخب، جورج بوش، بمناسبة لقاء القمة المرتقب بينهم. وقد عبّر النداء عن أمل الفلسطينيين في ان يسهم اللقاء في تخفيف حدة الصراعات الدولية وتحقيق السلام والأمن للشعوب المقهورة التي تناضل من اجل حريتها ورخائها وسيادتها الوطنية. وطالب النداء القمة المرتقبة بدعم مبادرة السلام الفلسطينية والاسراع في عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بمشاركة أطراف النزاع، بما فيها م.ت.ف. على قدم المساواة، وبدء المفاوضات الجدية للتوصل الى تسوية سلمية شاملة (وفا، ٨/١٢/١٩٨٨).

• خصّص الرئيس السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، فقرة من خطابه، في الجمعية العامة للامم المتحدة، للقضية الفلسطينية وأزمة الشرق الاوسط ، فعبّر عن عميق أسفه لقرار الولايات المتحدة عدم منح تأشيرة دخول لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، لمخاطبة الامم المتحدة، وقال ان هذا حدث في وقت اتخذت م.ت.ف. مواقف وقرارات ايجابية تجاه السلام. وقال غورباتشيوف: «انني آسف لهذا، وأؤكد ان الاتحاد السوفياتي متضامن مع م.ت.ف.» (الاتحاد، ٨/١٢/١٩٨٨).

• تزداد خشية الاوساط الاسرائيلية وقلقها ازاء تجاوب مواقف دول مختلفة، خصوصاً في اوروبا، مع م.ت.ف. وقال مصدر دبلوماسي، رفيع المستوى، في القدس: «خطوة دعائية صغيرة أخرى تخطوها م.ت.ف. ويصبح وضعنا صعباً جداً. وهذه الخطوة يحتمل حدوثها في جنيف» (معاريف، ٨/١٢/١٩٨٨).

• في تقرير شديد اللهجة، دانت لجنة المحامين الاميركيين لحقوق الانسان ممارسات اسرائيل، واتهمتها باساءة استغلال سلطة الاعتقال بدون محاكمة باعتقال الفلسطينيين لاسباب سياسية واحتجازهم داخل المعتقلات، في ظروف غير انسانية، فضلاً عن اشكال التعذيب التي يتعرضون لها (الاهرام، ٨/١٢/١٩٨٨).

• دعت اللجنة الدولية لحقوق الانسان الدول الاعضاء في الامم المتحدة الى الاعتراف بالدولة الفلسطينية. ودانت اللجنة ارهاب الدولة الذي تمارسه اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، ودعت الرأي العام الى الضغط على اسرائيل من اجل ايقاف اعمال الابادة التي تمارسها ضد هذا الشعب (وفا، ٨/١٢/١٩٨٨).

١٩٨٨/١٢/٨

• اجتمعت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. برئاسة ياسر عرفات، وأُجري، خلال الاجتماع، تقويم زيارة عرفات الى السويد ومحادثاته الناجحة مع قيادتها واحزابها. كما أُجريت مناقشة آخر التطورات السياسية، فلسطينياً وعربياً ودولياً (وفا، ٩/١٢/١٩٨٨).

• قال رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في مقابلة معه اجرتها مجلة «باري ماتش» الباريسية، انه يؤيد تعيين ممثل من حركة «نتوري كارتا» اليهودية في الحكومة الفلسطينية التي سيشكلها، وانه سوف يقترح اقرار هذا الامر في اجتماع اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. المنوي عقده قريباً (دافار، ٩/١٢/١٩٨٨).

• في خطاب القاه في افتتاح المؤتمر الثامن لكتاب آسيا وافريقيا المنعقد في تونس، أكد رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، انه سيعلن، من تونس، في الوقت المناسب، برعاية الرئيس زين العابدين بن علي، تأليف حكومة فلسطينية مؤقتة. وأشار عرفات الى الوثيقة التي اعلنت في ستوكهولم قبل يومين، فذكر انه لم يشارك في وضعها، الّا انه وصفها بأنها «قراءة جيدة لقرارات المجلس الوطني في الجزائر» (الحياة، ٩/١٢/١٩٨٨).

• استشهد شابان فلسطينيان، في الوقت الذي ساد الاضراب العام الذي دعت اليه القيادة الوطنية للانتفاضة جميع ارجاء الارض المحتلة، وتواصلت الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلي، واصيب ٤٠ مواطناً بجراح، واعتقل ٦٠. وقد تميزت الاشتباكات التي دارت، عشية الذكرى السنوية الاولى لانطلاقة الانتفاضة، بالعنف الشديد، وسجلت الفرق الضاربة، خلالها، نشاطاً ميدانياً مكثفاً، اذ احرقت، او دمّرت، ٢٣ سيارة اسرائيلية، واصابت ما لا يقل عن تسعة جنود بجروق وجروح (الدستور، ٩/١٢/١٩٨٨).

• قررت القيادات السياسية في مصر ايقاف

الزيارات المتبادلة بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين، في المرحلة المقبلة، ورفض تلبية كل الدعوات الاسرائيلية للوزراء وكبار المسؤولين. وحظرت ادارة الجامعات المصرية، بتعليمات من وزارة التعليم، سفر الوفود العلمية والطالبية الى اسرائيل. وامتنعت السفارة المصرية في اسرائيل عن منح تأشيرات دخول لمصر لاعداد كبيرة من الاسرائيليين المنتمين الى جماعات متطرفة مناهضة للسلام؛ كما رفض السفير المصري الضغوط الاسرائيلية التي انصبت عليه بسبب ذلك (**الحياة**، ١٩٨٨/١٢/٩).

• قال وزير الخارجية المصرية، د. عصمت عبدالمجيد، في مقابلة مع مراسلة صحيفة «دافار» في لندن: «لا اعتقد بأن اتفاقنا مع اسرائيل في خطر؛ فباستطاعتنا ان نكون الجهة الوحيدة القادرة على التحدث مع الاطراف كافة». وقال، أيضاً، في مقابلة مع مراسل صحيفة «التايمز» في القاهرة، ان النهج المتمسك باجراء محادثات مباشرة بين اسرائيل والدول العربية غير مقبول، الآن، من قبل أي طرف، بما في ذلك الولايات المتحدة، باستثناء رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير (**دافار**، ١٩٨٨/١٢/٨).

• نشر المشاركون في «المؤتمر النموذج الدولي للسلام في الشرق الاوسط» رداً على تحية سكرتير عام الامم المتحدة للمشتركين في هذا اللقاء جاء فيه: «يدعو المشاركون سكرتير عام الامم المتحدة الى استخدام كل نفوذه على الاعضاء الدائمين في مجلس الامن، من اجل البدء، فوراً، بالاعداد لعقد سريع لمؤتمر سلام دولي في الشرق الاوسط». وجاء فيه، أيضاً، «ان المشاركين وافقوا على ان الطريق الملائم جداً لخلق مسار يكون هدفه ضمان مصالح العرب الفلسطينيين والاسرائيليين وتمكينهم من العيش بسلام وأمن، هو عبر عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط بأقرب وقت ممكن، تحت رعاية الامم المتحدة، وبمشاركة الاطراف، كافة، بما فيها م.ت.ف. بمكانة متساوية ومستقلة والاعضاء الدائمين في مجلس الامن» (**دافار**، ١٩٨٨/١٢/٩). ووصف رئيس الوفد الاسرائيلي المؤتمر بأنه «حدث ايجابي، غير انه ينقصه ثلاثة أمور أساسية: ١ ـ مشكلة التمثيل، فوفد اسرائيل لم يضم اعضاء من حزب العمل، ووفد الولايات المتحدة، وبنسبة ما، أيضاً، بريطانيا وفرنسا، لم يمثلوا رأي الاغلبية في بلدانهم؛ ٢ ـ تمّ الاتفاق على مبادىء عامة، ولم يكن في الامكان البحث في مشاكل صعبة مثل العلاقات المستقبلية بين الدول ومسألة الحدود والقدس؛ ٣ ـ بسبب قانون غبي في اسرائيل، جلس الوفد الاسرائيلي على طاولة مع م.ت.ف. ولكنه لم يستطع التحدث معها مباشرة، الأمر الذي حال دون عقد لقاءات مغلقة» (**المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٢/٩).

١٩٨٨/١٢/٩

• تلقّى رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. برئاسة ياسر عرفات، رسالة هامة من القيادة السوفياتية تتعلق بالوضع في الشرق الاوسط. حمل الرسالة سفير الاتحاد السوفاتي في تونس وسلّمها لعرفات عندما استقبله اليوم. وبعث عرفات برسالة جوابية تناول فيها الخطر القائم في لبنان نتيجة الاعتداءات الاسرائيلية، والتطورات الجارية في المنطقة، وأهمية عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط. وأعرب عرفات عن شكره لما جاء في خطاب الرئيس السوفياتي، ميخائل غورباتشيوف، في الجمعية العامة للامم المحدة، بشأن القضية الفلسطينية (**النهار**، ١٩٨٨/١٢/١٠).

• لليوم الثاني على التوالي، ساد الاضراب العام في الاراضي الفلسطينية المحتلة، فيما أعلنت حالة التأهب القصوى بين قوات الاحتلال الاسرائيلية، بمناسبة حلول الذكرى السنوية الاولى لانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية، واخضعت قوات الاحتلال قطاع غزة بكامله، منذ اليوم وحتى اشعار آخر، لنظام حظر التجول، الّا ان الشبان تحدّوا الحظر واطلقوا العاباً نارية احتفالاً بالمناسبة. وانتشرت قوات الاحتلال مع تعزيزات كبيرة في المدن، واتخذ مئات الجنود مواقع لهم في القدس والقرى المجاورة لها. وأعلنت السلطات نابلس ورام الله منطقتين عسكريتين مغلقتين، وامتلأت الشوارع بالجنود على نحو لم يسبق له مثيل. على الرغم من ذلك، نُظّمت الاحتفالات الشعبية بالمناسبة في أكثر من مكان. ودارت الاشتباكات العنيفة، وتمكنت القوات الضاربة من شن هجمات كثيرة ضد قوات الاحتلال وايقاع خسائر فيها. واصيب ستة مواطنين خلال الاشتباكات (**الدستور**، ١٩٨٨/١٢/١٠).

• هاجمت القوات الاسرائيلية مواقع فلسطينية ولبنانية في الساحل والجبل اللبنانيين، في عملية عسكرية بدأت محدودة، ثم ما لبث ان اتسعت بسبب المقاومة التي واجهتها، وبعد محاصرة عدد من الجنود الاسرائيليين في احد المواقع التي انزلت فيها

قوات اسرائيلية، في منطقة الناعمة. وقد قتل الكولونيل الاسرائيلي، عامير ميدال، واصيب ثلاثة من جنوده بجراح. واستشهد عدد من المقاومين الفلسطينيين بينهم ضابط، واصيب اربعة من مقاومي الحزب التقدمي الاشتراكي. وسقط عدد من القتلى والجرحى في صفوف المدنيين. وقد دام القتال تسع ساعات (الحياة، ١٠/١٢/١٩٨٨).

• أعلن الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، ان الحكومة الاميركية على، استعداد للاجتماع مع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات والتحدث معه، عندما يتضح، بشكل قاطع، ان عرفات مستعد للاعتراف بحق اسرائيل في الوجود كدولة، والتفاوض، باسم الفلسطينيين، لاقامة وطن لهم (السفير، ١٠/١٢/١٩٨٨).

• صرّح مستشار رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. بسام ابو شريف، بأن اللقاء الذي عقده مع وزير الدولة البريطانية للشؤون الخارجية، وليام وولدغريف، هو بداية تحوّل اوروبي غربي في اتجاه مستوى التعامل مع م.ت.ف. وقال ابو شريف: «توقعوا مفاجآت قريباً» (الحياة، ١٠/١٢/١٩٨٨).

١٠/١٢/١٩٨٨

• وجّه رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، كلمة الى الشعب الفلسطيني، بمناسبة الذكرى الاولى للانتفاضة، قال فيها ان هذه الانتفاضة مقبلة على مرحلة جديدة هي مرحلة «بناء دولة فلسطين على أرض الوطن». وأعطى لهذه المرحلة شعار «انتفاضة حتى الدولة». وتوقع عرفات ان تشهد المرحلة المقبلة «تصعيداً للمواجهات الساخنة على المستويات كافة»، مشيراً الى ان «اصعب المعارك واشرسها يحصل، دائماً، في ربع الساعة الأخير». وفي الارض المحتلة، تواصلت الاشتباكات العنيفة بين المواطنين والقوات الاسرائيلية، وسقط شهيدان، في غزة وبيت ساحور، واستشهد معتقل في انصار ـ ٣ عندما اطلق عليه حرّاس المعتقل النار، بعد ان تعرّض زميل لهم لطعنة قاتلة بسكين، واصيب تسعة مواطنون بجراح، فيما تمكن المواطنون من اصابة عدد من الجنود واعطاب عدد من السيارات (الدستور، ١١/١٢/١٩٨٨).

• اجتمع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، مع الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، بحضور رئيس الدائرة السياسية للمنظمة، فاروق القدومي (أبو اللطف). وأعلن عرفات، بعد الاجتماع، انه تناقش مع الرئيس التونسي حول القضايا العربية والفلسطينية العامة، قبل ذهابه الى جنيف من اجل القاء خطابه في الجمعية العامة للامم المتحدة. وقال عرفات انه اطلع الرئيس التونسي على التفاصيل المتعلقة بالتطورات الاخيرة للقضية الفلسطينية. ووجه عرفات الشكر الى الرئيس التونسي على ما تقدمه تونس، وما يقدمه هو شخصياً، من دعم للشعب الفلسطيني (وفا، ١١/١٢/١٩٨٨). ثم اجتمع عرفات، الذي انتقل من تونس الى باماكو، مع الرئيس المالي، موسى تراوري، رئيس منظمة الوحدة الافريقية. وبعد الاجتماع، أعلن عرفات انه وضع تراوري في صورة التطورات الفلسطينية والاوضاع العربية والعلاقات الافريقية ـ العربية، وعبّر عن سعادته بهذا الاجتماع، ووجه الشكر لما تقدمه مالي وشعبها ورئيسها من دعم الى الشعب الفلسطيني (المصدر نفسه).

• يعتقد محققو شرطة حيفا بأن أوساط يهودية متطرفة، كانت طالبت بالقيام بعمل انتقامي ضد أهالي قرية ابطن العربية، هي التي تقف وراء عملية حرق المسجد في مركز القرية. والجدير بالذكر ان عشرة عناصر من اعضاء خلية فدائية تمّ اكتشافها هم من أهالي ابطن (معاريف، ١١/١٢/١٩٨٨).

• تظاهر حوالى خمسة آلاف شخص، في تل ـ أبيب، ضد الاحتلال الاسرائيلي، بمناسبة مرور عام على انتفاضة الشعب الفلسطيني، واقيم مهرجان شعبي ضخم في الناصرة، بهذه المناسبة، واحتفالاً بقيام الدولة الفلسطينية المستقلة. وفي المناسبة ذاتها، نُظّمت تظاهرات في شفاعمرو وكفرياسيف وسخنين (الاتحاد، ١١/١٢/١٩٨٨).

• أُقرّت عملية الجيش الاسرائيلي في لبنان، بالاجماع، في جلسة الطاقم الوزاري المصغر الاسبوع الماضي؛ هذا بعد ان حصل الوزراء على توجيه ومعلومات وطرحوا اسئلة على رئيس الاركان وضباط الجيش الاسرائيلي الذين شاركوا في الجلسة. وقال الوزير اريئيل شارون: «لقد كانت تلك احدى العمليات الجريئة التي نفّذها الجيش الاسرائيلي، الذي اثبت، مجدداً، قدرته القتالية العالية والتمسك بتحقيق الهدف واصراره على القرار». وقد قتل خلال العملية ضابط اسرائيلي وجرح ثلاثة جنود. ووفقاً لتقويمات اوساط عسكرية، كان داخل القواعد التي

هوجمت حوالى مئة شخص من قوات الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، التابعة لاحمد جبريل» (هآرتس، ١٩٨٨/١٢/١١). وتعقيباً على العملية، قال وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، في مؤتمر صحافي عقد في بروكسل، انه «فوجىء، لأن الاسرائيليين لم يتعلّموا، بعد، من ان مثل هذه العمليات لا تفيد» (معاريف، ١٩٨٨/١٢/١١).

• كشف أربعة من اعضاء الوفد اليهودي الاميركي الذي التقى بياسر عرفات في ستوكهولم، ان وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، علم مسبقاً بلقاء الوفد اليهودي الاميركي بزعيم م.ت.ف. في ستوكهولم، وبصيغة الوثيقة التي تمخّضت عنها اللقاء؛ وقد طلب شولتس، ان يوقّع عرفات على الوثيقة ويعلنها (معاريف، ١٩٨٨/١٢/١١).

• اعدت المجموعة العربية في الامم المتحدة، بالتنسيق مع عدد من دول عدم الانحياز والدول الأخرى، مشروعي قرارين خاصين بالقضية الفلسطينية للاقتراع عليهما من قبل الجمعية العامة، في ختام المناقشات التي تبدأ بخطاب رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، في الجمعية. يتضمن الاول موافقة الجمعية العامة على الدولة الفلسطينية، بينما يتضمن الثاني تأكيد الحاجة الملحة الى التوصل الى السلام الشامل والعادل والدائم، والدعوة الى عقد المؤتمر الدولي للسلام والترحيب بالجهود المبذولة لوضع الارض الفلسطينية المحتلة تحت اشراف الامم المتحدة، لفترة معيّنة (الاهرام، ١٩٨٨/١٢/١١).

١٩٨٨/١٢/١١

• اجتمع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الذي وصل الى الرياض، مع الملك السعودي فهد بن عبدالعزيز. وأُجري، خلال الاجتماع، استعراض لمجمل التطورات العربية والفلسطينية والدولية. وقد أدلى عرفات، عقب الاجتماع، بتصريح قال فيه انه اطلع الملك على تفاصيل آخر المستجدات على الساحة الفلسطينية. وذكر عرفات ان البحث تناول الوضع في الارض المحتلة، وأهمية تصعيد الانتفاضة، بالاضافة الى عدد كبير من القضايا العربية، بما في ذلك الوضع في جنوب لبنان. وأعلن عرفات انه وجه الشكر على الموقف الاخوي الذي تقفه السعودية، شعباً وحكومة وملكاً، الى جانب المجاهدين الفلسطينيين (وفا، ١٩٨٨/١٢/١٢).

• اصيب ٢٣ مواطناً، كما اصيب ١٧ عسكرياً اسرائيلياً بجراح، خلال المواجهات العنيفة التي جرت بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، في مناطق القدس ورام الله وبيت لحم ومخيم الشاطىء. ونفّذت غزة اضراباً عاماً شاملاً، احتجاجاً على جريمة قوات الاحتلال، يوم أمس، التي أودت بحياة شابين. في غضون ذلك، أعلنت سلطات الاحتلال بيت ريما ودير غسّانه وبيت أمّر وبيت ساحور وغزة وقفين مناطق عسكرية مغلقة. وقد امتدت الاشتباكات، فشملت مناطق الارض المحتلة كافة (الدستور، ١٩٨٨/١٢/١٢).

• قالت مصادر في لندن بأن المخابرات الاسرائيلية فحصت، بعد انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، قرارات المجلس وارسلت تقريراً الى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير. وقد استنتج التقرير ان «موقف م.ت.ف. تحول، بشكل واضح نحو الاعتدال، وهو أكثر مرونة». الّا ان شامير استقبل التقرير بروح عدائية. وقد أمر مدير مكتبه، يوسي بن ـ اهرون، الطاقم الذي يعمل معه، باعداد ملف عن رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. يظهر ان عرفات «متورط في الارهاب الدولي». وأرسل الملف الى وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، فكان احد أسباب رفض الوزير أعطاء عرفات تأشيرة دخول الى نيويورك (دافار، ١٩٨٨/١٢/١٢).

• أُثير في حزب العمل الاسرائيلي نقاش حاد بعد ان اتخذت سكرتارية تيار الحمائم قراراً حول التطورات الاخيرة في م.ت.ف. وقبول المنظمة مبدأ التقسيم والقرار ٢٤٢، ورأت انهما يقرّبان امكانية البدء في مفاوضات مع الزعامة الفلسطينية. ووفقاً لبرنامج حزب العمل، لا يحتمل اجراء مفاوضات بين م.ت.ف. واسرائيل دون قرار واضح من المنظمة تنبذ به الارهاب «بشكل عملي» (هآرتس، ١٩٨٨/١٢/١٢).

• اتخذ قرار في ادارة مكتب وزارة الخارجية الاسرائيلية يقضي بعدم قيام ممثلي اسرائيل، في اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة الخاص، الذي سيعقد في جنيف، بالرد، بشكل رسمي، على خطاب زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، في الجمعية. وأوضح موظف، رفيع المستوى، في القدس، ان الرد الاسرائيلي الرسمي كان يستوجب موافقة مكتب رئيس الحكومة

الاسرائيلية، الامر الذي كان سيؤدي، بالضرورة، الى صيغة متصلّبة لا يمكن التوصل اليها دون التطرق الى مضمون اقوال عرفات (هآرتس، ١٢/١٢/١٩٨٨).

• دعت ادارة المركز الدولي للسلام في الشرق الاوسط، م.ت.ف. الى عدم الاكتفاء بالايضاحات التي قدمت في ستوكهولم وايجاد طريق للاعلان، بشكل صريح وغير قابل للتأويل، عن استعدادها للاعتراف بحق وجود اسرائيل ونبذ الارهاب. كذلك طالبت ادارة المركز حكومة اسرائيل بأن تعلن انها، في حال قبول م.ت.ف. بهذه الشروط، ستكون مستعدة للدخول معها في مفاوضات للسلام (دافار، ١٢/١٢/١٩٨٨).

• بلغ عدد اليهود الذين سمح لهم بالخروج من الاتحاد السوفياتي هذا العام حوالى ٢٠ ألف شخص. ممّا يزيد على مئة بالمئة، مقارنة بالفترة المماثلة من العام الماضي. ويقدر الخبراء، انه، على ارضية التسهيلات في اعطاء تأشيرات الخروج من الاتحاد السوفياتي، سوف يزيد عدد اليهود الذين يسمح لهم بالخروج في العام ١٩٨٩ بحوالى ٣٠ ألف شخص. وقال رئيس دائرة الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية، اوري غوردون، انه خرج من الاتحاد السوفياتي، في تشرين الثاني (نوفمبر)، ٢١٥٤ يهودياً، وصل منهم الى اسرائيل سبعون شخصاً فقط، وتساقط ٩٦ بالمئة. وقالت رئيسة الرابطة الاسرائيلية لايقاف النزوح، ريتا بريتال، في تقرير شامل اعد وسوف يقدم الى رئيس الحكومة الاسرائيلية فور اقامة الحكومة الجديدة، ان العام ١٩٨٨ كان عام ذروة النزوح من اسرائيل. فقد بلغ عدد النازحين ٢١ ألفاً، مقابل ١٧ ألفاً نزحوا في العام الماضي (هآرتس، ١٢/١٢/١٩٨٨).

١٢/١٢/١٩٨٨

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى ابو ظبي، صباح اليوم، قادماً من الرياض (وفا، ١٢/١٢/١٩٨٨)، واجتمع مع رئيس دولة الامارات العربية، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وأُجري، خلال الاجتماع، بحث في آخر تطورات الوضع، فلسطينياً وعربياً ودولياً (المصدر نفسه، ١٣/١٢/١٩٨٨). ثم انتقل عرفات الى بغداد، واجتمع مع الرئيس صدام حسين، بحضور وزير الخارجية العراقية، طارق عزيز (المصدر نفسه).

• قال رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، انه يأمل في ان تتبنى الجمعية العامة للامم المتحدة، التي سيتحدث فيها غداً، في جنيف، قراراً جماعياً وشاملاً يسهم في حل القضية الفلسطينية. واعلن عرفات، لدى وصوله الى ابو ظبي، ان هناك مشروعات قرارات عدة تتبناها الدول العربية وتجري حولها مشاورات مع وفود دول عدم الانحياز، والوفود الاخرى، وان لجنة الامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني تجري، حالياً، مع عدد آخر من اللجان، تحركاً نشطاً من اجل الخروج بقرار دولي يدعم القضية الفلسطينية، من طريق الدعوة الى عقد مؤتمر دولي للسلام. على صعيد آخر، ذكر مستشار رئيس اللجنة، بسام ابو شريف، ان عرفات سيعلن، غداً، في الجمعية العامة اعترافه باسرائيل ضمن حدود ١٩٦٧ (القبس، ١٣/١٢/١٩٨٨).

• استشهد مواطن فلسطيني، من بلدة رنتيس، وجرح عشرات في اماكن مختلفة خلال الاشتباكات التي عمّت مناطق الارض المحتلة، كافة، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وقالت مصادر اسرائيلية ان ثلاثين ألف جندي اسرائيلي، أي ثلث القوات العاملة، موجودون، الآن، في قطاع غزة والضفة الفلسطينية، لقمع الانتفاضة التي تتواصل من حيّ الى حيّ، ومن قرية الى قرية، ومن منزل الى منزل. وذكر مصدر فلسطيني انه لا توجد، تقريباً، عائلة فلسطينية واحدة نجت من أساليب القمع الاسرائيلية. واعلن ان الاحتفال بعيد الميلاد، في بيت لحم، سيقتصر، هذه السنة، على الحد الادنى، فلا يزيد على اداء الشعائر الدينية البحتة. وقد فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول على مناطق واسعة في الارض المحتلة، وكذلك على قرى المثلث الفلسطيني، المحتل منذ العام ١٩٤٨ (الدستور، ١٣/١٢/١٩٨٨).

• قال عضو الكنيست الاسرائيلي، بنيامين نتنياهو، في مؤتمر صحافي عقد في القدس بتوجيه من رئيس الحكومة الاسرائيلية للرد المسبق على خطاب زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات في الجمعية العامة للامم المتحدة في جنيف، «ان العالم اجمع يتأثر بما يقوله عرفات، لكن الناس يتجاهلون استراتيجية م.ت.ف. الشاملة الهادفة الى القضاء على دولة اسرائيل؛ واستناداً الى هذا، فان تصريحات عرفات الاخيرة جاءت لتخدم هذه الاستراتيجية» (معاريف، ١٣/١٢/١٩٨٨). وقال مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية لشؤون الارهاب، يغئال كرموت، في مؤتمر صحافي عقد للرد على خطاب عرفات في جنيف:

«لدى اسرائيل معلومات تشير الى ان زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات، متورط، شخصياً، في عمليات ارسال خلايا [فدائية] قامت بتعذيب وقتل اثنين من البحارة الاسرائيليين في ميناء برشلونه، في اسبانيا، في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٥، وفي ارسال خلية أخرى قامت بقتل ثلاثة اسرائيليين على ظهر يخت في ميناء لارنكا، في قبرص، في أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٨٥؛ وكذلك في عمليات اخرى داخل اسرائيل، وخارجها، ضد أهداف اسرائيلية وغربية وعربية» (**معاريف**، ١٣/١٢/١٩٨٨).

• قال البرفيسور يهوشفاط هركابي انه يعتقد بأن اعتدالاً حدث في موقف م.ت.ف. وان على اسرائيل تشجيع هذا الاتجاه. كما يعتقد بأن مغزى المواقف التي أعربت عنها م.ت.ف. الآن، هو الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود. وفي مقابلة مع اذاعة اسرائيل، قال هركابي: «يجب ان نتذكر الطريق التي سارت عليها م.ت.ف. منذ مواقفها القديمة، التي صيغت في الميثاق الفلسطيني. اما الصيغة الجديدة، فهي تلغي الميثاق، لأنها تتناقض معه». وقال هركابي ان الاعتدال العربي «يأتي، فقط، بتشجيع من اسرائيل». و«حتى الآن، ان الموقف الاسرائيلي هو التمسّك بأرض ـ اسرائيل الكاملة؛ لهذا، لماذا ينبغي عليهم الاعتدال ؟» (**معاريف**، ١٣/١٢/١٩٨٨).

• قال موظفون اميركيون انه «اذا استجاب عرفات للمطالب التي وضعتها الادارة الاميركية من اجل اجراء محادثات بين م.ت.ف. والولايات المتحدة، فستجرى مثل هذه المحادثات، خلال فترة الادارة الاميركية الحالية». مع هذا، من الصعب الاقرار بما اذا كانت الولايات المتحدة ستكتفي بتصريح كلامي، ازاء تنفيذ تلك المطالب، او انها ستطلب «اثباتات ملموسة بأن ما قيل سوف ينفذ» (**معاريف**، ١٣/١٢/١٩٨٨).

• أعلنت سلطنة عُمان الاعتراف، رسمياً وقانونياً، بالدولة الفلسطينية المستقلة «بموجب دعم السلطنة مصالح الشعب الفلسطيني وحقوقه، والاتصالات بين عُمان وم.ت.ف.». وكانت سلطنة عُمان، التي لا تملك المنظمة أي جهاز تمثيل فيها حتى الآن، قد رحّبت، في وقت سابق، باعلان هذه الدولة (**الحياة**، ١٣/١٢/١٩٨٨).

١٣/١٢/١٩٨٨

• قدم رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. في خطابه الذي ألقاه في الجمعية العامة للامم المتحدة في جنيف، مبادرة فلسطينية للسلام. وقد ارتكزت المبادرة على عقد مؤتمر دولي للسلام، تحت اشراف الامم المتحدة، من اجل تحقيق تسوية تضمن المساواة وتوازن المصالح واحترام حق العيش والامن والسلام للجميع، وفقاً لقراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨. واشتملت المبادرة على الدعوة الى وضع الاراضي الفلسطينية المحتلة تحت اشراف مؤقت للامم المتحدة، وقيام قوات دولية بحماية الشعب الفلسطيني، لحين اتمام الانسحاب الاسرائيلي منها. ودعا عرفات الزعماء الاسرائيليين الى الحضور الى جنيف، للتوصل الى السلام في الشرق الاوسط، بعيداً من الخوف والتخويف. ودان عرفات الارهاب بكل أشكاله، وحيّا، في الوقت عينه، ممثلي الدول المستقلة الموجودين في القاعة ممّن سبق لمستعمري بلادهم ان اتهموهم بالارهاب في اثناء معارك تحريرها (**الشرق الاوسط**، ١٤/١٢/١٩٨٨). وما كاد عرفات ينهي خطابه حتى ثارت التساؤلات. وقد تركزت هذه التساؤلات حول رد فعل الولايات المتحدة الاميركية المحتمل على الخطاب. ومع ما تضمنه الخطاب من مبادرة سلمية ونداء موجه الى قادة اسرائيل من اجل عقد مفاوضات، فانه بدا واضحاً ان عرفات رفض الذهاب بعيداً في تلبية الشروط الاميركية التي نقلت اليه في الايام الاخيرة، والتي دعته الى اعلان اعتراف صريح بحق اسرائيل في الوجود (**الحياة**، ١٤/١٢/١٩٨٨). ولقي الخطاب تأييداً فورياً من الملك الاردني حسين، الذي اتصل، من باريس، بعرفات مهنئاً. وقد رأى الملك ان عرفات استجاب لمطالب الولايات المتحدة. واظهر اول رد فعل صدر عن واشنطن رأيها في ان الخطاب تضمّن بعض «التطورات الايجابية»، الّا انه لم يستجب للمطالب التي وضعتها من اجل التفاوض مع م.ت.ف. (**النهار**، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• بدأت «الايام النضالية» التي دعت اليها القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة في الارض المحتلة، بمناسبة القاء رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، خطابه في الجمعية العامة للامم المتحدة، في جنيف. وازدانت المدن والمخيمات والقرى في الارض المحتلة بعلم فلسطين، وشهدت ساحاتها وشوارعها وازقتها اشتباكات ضارية مع قوات الاحتلال. وتحدى أبناء قطاع غزة حظر التجول الذي فرضته

سلطات الاحتلال، واطلقوا بالونات تحمل علم فلسطين الى السماء، واستشهد مواطن، لم يعرف اسمه بعد، وذلك بعد ان تمكّن من قتل مستوطن اسرائيلي في مستعمرة براخا القريبة من نابلس وقتل جندي. وحظرت السلطات على الصحافيين دخول قطاع غزة، كما أعلنت نابلس منطقة مغلقة. واتسمت مقاومة المواطنين بالبطولة في مواجهة الوحشية البالغة التي وصمت سلوك قوات الاحتلال. وقد جرح سبعون مواطناً بالرصاص، او الضرب باعقاب البنادق، والهراوات (الدستور، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• خيب القائم بأعمال رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير الخارجية، شمعون بيرس، آمال عشرات طواقم التلفزة ومئات الصحافيين من كل العالم، عندما رفض الرد على خطاب عرفات في الامم المتحدة. وأوضح الناطق باسم وزير الخارجية، ان بيرس سوف يرد، غداً، في الكنيست على اقتراحات على جدول الاعمال في موضوع خطاب عرفات، وسوف يعبّر، أيضاً، عن وجهة نظره (عل همشمار، ١٤/١٢/١٩٨٨). وقال سكرتير عام حزب مبام، اليعيزر غرانوت، ان ما يظهر من أقوال عرفات يشكل تحدياً سياسياً، على الصعيدين الاسرائيلي والعالمي، لاسرائيل، بينما المخفي في نواياه يمكن التأكد منه، فقط، على طاولة المفاوضات. وأضاف غرانوت ان السياسة التي تكبل أيدي شامير ونتنياهو سوف تؤدي الى عزلة خطيرة لاسرائيل على الساحة الدولية، والى الحاق الضرر بها من جانب اصدقائها (المصدر نفسه). وقال فكتور شيمطوف، تعليقاً على خطاب عرفات: «ان أقوال عرفات تتضمن استجابة لكل الشروط الواردة في صيغة شيمطوف ـ باريف. لقد حان الوقت لكي نضع مواقف م.ت.ف. قيد الامتحان، بشأن استعدادها للدخول في مفاوضات مع اسرائيل» (عل همشمار، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• أعلم سفير الولايات المتحدة في اسرائيل، توماس بيكرينغ، كلاً من رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ووزير الخارجية، شمعون بيرس، بأن خطاب عرفات في جنيف خيّب آمال واشنطن. وقد ذكر بيكرينغ، في الرسالة التي نقلها الى مكتب كل من رئيس الحكومة الاسرائيلية ووزارة الخارجية، ان عرفات لم يغيّر مواقفه ازاء النقاط الثلاث التي عرضها كيسنجر منذ العام ١٩٧٥ (الاعتراف باسرائيل ونبذ الارهاب والاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨). لهذا «ليس هناك أي سبب لتراجع الولايات المتحدة عن سياستها، وسوف تستمر بالامتناع عن القيام بأية اتصالات مع م.ت.ف.» (عل همشمار، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير: «ان الهجوم السياسي الذي تشنّه م.ت.ف. على اسرائيل، مع دمج أعمال الارهاب والعنف، يلزم اسرائيل بالوحدة وخلق جبهة سياسية واحدة، للوقوف في وجه هذه الموجة. وهذا، بحد ذاته، تبرير اضافي للمتسائلين لماذا المطلوب، الآن، اقامة حكومة وحدة وطنية ؟» (معاريف، ١٤/١٢/١٩٨٨). وقد اتفق ممثلو المعراخ والليكود في مفاوضات تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة على ان تتضمن الخطوط الاساسية للحكومة «أن اسرائيل لن تتفاوض مع م.ت.ف.». وأفادت اوساط من كلا الجانبين ان هذا التعهد كان، أيضاً، في الخطوط الاساسية للحكومة السابقة؛ وأن هذا احد المواضيع التي لن تتغير. وفي هذا تعبير عن موقف الحكومة المقبلة تجاه خطاب عرفات في جنيف (عل همشمار، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• قال ناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية ان ليس هناك أي خطط لعقد اجتماع قريب بين رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، ووزير الخارجية البريطانية، جيفري هاو. ووصف الناطق الكلام الذي تردد حول هذا الموضوع بأنه «سابق لأوانه»، الّا انه لم يستبعد امكان حدوث الاجتماع، في مرحلة مقبلة (القبس، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• أعرب الملك الاردني حسين، في باريس، اثر محادثاته مع الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، عن تفاؤله بشأن تسوية قريبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي، وبرّر التفاؤل «باهتمام المجتمع الدولي، بالتوصل الى تسوية عادلة ومشرفة للقضية الفلسطينية، من ناحية، وبالموقف الايجابي والمسؤول لرئيس م.ت.ف. ياسر عرفات، من ناحية أخرى»؛ كما عزاه الى الوضع في الاراضي المحتلة، منذ بداية الانتفاضة (السفير، ١٤/١٢/١٩٨٨).

١٤/١٢/١٩٨٨

• بمناسبة وجوده في الامم المتحدة في جنيف، حيث ألقى كلمة فلسطين في الجمعية العامة، اجتمع رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، بعدد كبير من وزراء خارجية الدول الذين ترأسوا وفود بلادهم. كما اجتمع مع الامين العام للامم المتحدة، بيريز دي كويلار، والامين العام لمنظمة المؤتمر

الاسلامي، شريف الدين بيرزاده، ورئيس الصليب الاحمر الدولي. وعقد عرفات اجتماعاً مع أعضاء لجنة الامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني (وفا، ١٤/١٢/١٩٨٨). في غضون ذلك، وبعد استماعها لكلمة عرفات، واصلت الجمعية العامة للامم المتحدة مناقشاتها الخاصة بالقضية الفلسطينية وتابعت الاستماع لكلمات رؤساء الوفود (**المصدر نفسه**). وقد لاقى خطاب عرفات تأييداً عربياً ودولياً واسعاً، بينما وجه معظم دول العالم انتقاداً شديداً الى الموقفين، الاميركي والاسرائيلي، السلبيين من الخطاب (**الدستور**، ١٤/١٢/١٩٨٨). وقد اتخذ الرئيس الاميركي المنتخب موقفاً حذراً من الخطاب، تاركاً لنفسه مجالاً للمناورة عندما يتسلم مهام منصبه في العشرين من الشهر المقبل، وقال ان اعضاء ادارته لن يعقدوا محادثات مباشرة مع م.ت.ف. حتى «يتوافر لدينا وضوح أكبر لجميع الانباء» (**الحياة**، ١٥/١٢/١٩٨٨). وقد عقد عرفات مؤتمراً صحافياً، مساء اليوم، في جنيف، قال فيه ان المنظمة «ترفض، بشكل كامل وقاطع، كل أشكال الارهاب، بما في ذلك ارهاب الافراد والجماعات وارهاب الدولة». وأكد عرفات «حق كل اطراف الصراع في الشرق الاوسط في الوجود في سلام وأمن، بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل وجيرانهما». كما أكد ان قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨ يعدان «أساساً لمفاوضات في اطار مؤتمر دولي» (وفا، ١٤/١٢/١٩٨٨).

• اصيب سبعة فلسطينيين بجراح، في نابلس ومخيمات قطاع غزة، وذلك خلال الاشتباكات التي تواصلت، اليوم، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في الارض المحتلة؛ وابعد ثلاثة مواطنين الى جنوب لبنان؛ وحطمت القوات الضاربة التابعة للانتفاضة عشرات السيارات الاسرائيلية. وفيما عمّت الاشتباكات الارض المحتلة، تعرضت قرية بورين، بشكل خاص، لحملة ارهاب وتنكيل وحشية بشعة، بعد ان اقتحمتها القوات الاسرائيلية بمساعدة المروحيات (**الدستور**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في جلسة الحكومة التي كرست لمناقشة خطاب زعيم م.ت.ف. ياسر عرفات في جنيف: «ان رد الولايات المتحدة، أول أمس، وأمس، على خطاب عرفات هو امر ايجابي بالنسبة الى اسرائيل». وقال شامير، بعد ان وجه شتائم الى عرفات، «ان دولاً في اوروبا، أيضاً، ادركت ذلك، وحمد ربه لأن عرفات لا يستطيع الاستجابة للشروط الاميركية؛ ولا يستطيع الاعتراف باسرائيل، ولا بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨؛ ولن ينبذ الارهاب» (**عل همشمار**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• عاد وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، وردّد، في جلسة الطاقم الوزاري الاسرائيلي المصغّر، بأن رفض الليكود هو في أساس ورطة اسرائيل. وقال بيرس: «لقد اخطأت اسرائيل عندما رفضت، قبل عام ونصف عام، اتفاق لندن. هذا خطأ تاريخي. الآن امامنا عرفات، وصورتنا في العالم اصبحت صورة دولة رافضة. جبهة الرفض العربية تحولت، الآن، واصبحت جبهة رفض اسرائيلية. م.ت.ف. تكدس تسجيل النقاط لدى الرأي العام العالمي، ونحن، من جابننا، لا نستطيع تجاهل العالم. لا نستطيع الاستمرار بالوجود ونحن في عزلة اقتصادية او عزلة سياسية» (**عل همشمار**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• قال نائب رئيس الحكومة الاسرائيلية وزير البناء والاسكان، دافيد ليفي: «لا نستطيع الاعتماد على الولايات المتحدة طوال الوقت. ففي نهاية الامر، سوف يوافق عرفات على جزء من طلبات الولايات المتحدة، وسوف تقوم الولايات المتحدة بادخال مرونة على مواقفها ويبدأ الحوار السياسي بينهم، واسرائيل تقف ازاء واقع صعب» (**عل همشمار**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• طالب المندوب الاميركي في الامم المتحدة، خلال مناقشات الجمعية العمومية، اسرائيل بأن «تفهّم مسألة ضرورة انسحابها من المناطق المحتلة»، بينما طلب من الفلسطينيين «تفهم ضرورة الاعتراف بوجود دولة اسرائيل واحتياجات أمنها». ولم يأت المندوب الاميركي على ذكر خطاب عرفات في جنيف، لكنه لم يرفض امكان ان تصبح م.ت.ف. شريكاً في مسار السلام (**عل همشمار**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• عبرت اوساط سياسية اسرائيلية، رفيعة المستوى، في القدس، عن خيبة أملها ازاء قرار الولايات المتحدة بشأن اجراء مفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. وقالت الاوساط تلك ان قرار الولايات المتحدة يحتمل ان يتسبب بـ «هزة ارضية» في العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة (**معاريف**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• استخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) في مجلس الامن الدولي ضد مشروع

قرار يعبر عن الاسف الشديد للهجوم الهمجي الذي شنّته القوات الاسرائيلية على الاراضي اللبنانية يوم الجمعة الماضي، ممّا حال دون تبنّي المشروع (**الاتحاد**، ١٥/١٢/١٩٨٨). وقد أيد القرار ١٤ دولة، ولم يمتنع احد عن التصويت (**عل همشمار**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

• في خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة، في جنيف، اكد الامين العام لوزارة الخارجية النمساوية ان بلاده «تعترف باعلان الدولة الفلسطينية من قبل المجلس الوطني الفلسطيني على انه ممارسة لحق تقرير المصير من جانب الممثل الشرعي لشعب فلسطين». ومن المتوقع ان تعلن الحكومة النمساوية، خلال زيارة عرفات المرتقبة للنمسا، تسمية سفيرها في تونس، ممثلاً رسمياً لها لدى م.ت.ف. (**الاتحاد**، ١٥/١٢/١٩٨٨).

١٥/١٢/١٩٨٨

• وصل رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، الى برلين، قادماً من جنيف، وعقد، صباح اليوم، جلسة محادثات مطوّلة مع الرئيس الالماني الديمقراطي، اريك هونيكر. وقد تناولت المحادثات آخر التطورات السياسية الراهنة، دولياً وعربياً وفلسطينياً، في ضوء قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة في الجزائر. وعبّر عرفات عن تقدير الشعب الفلسطيني وم.ت.ف. للموقف المبدئي الثابت الذي تقفه جمهورية المانيا الديمقراطية في دعم الشعب الفلسطيني ونضاله العادل، مشيراً الى اعترافها بدولة فلسطين (وفا، ١٦/١٢/١٩٨٨).

• في سياق اجراءاتها القمعية في مواجهة الانتفاضة الوطنية، اعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مدينة رام الله منطقة عسكرية مغلقة، اثر مسيرات المواطنين التي خرجت للتعبير عن الحفاوة بالنجاح الدبلوماسي الفلسطيني، فور سماعهم نبأ القرار الاميركي بفتح الحوار مع م.ت.ف. وشهدت المدينة تواجداً عسكرياً مكثفاً. وواصل الجنود الاسرائيليون حملة الدهم والاعتقالات في معظم مناطق الارض المحتلة. وأعلن الفلسطينيون المهددون بالابعاد الاضراب عن الطعام. في غضون ذلك، تواصلت الاشتباكات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال، وتمكنت القوات الضاربة من اصابة عدد من الجنود واعطاب عدد كبير من السيارات الاسرائيلية. وجرح ١٢ مواطناً (**الدستور**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

• كشفت أجهزة الامن والشرطة الاسرائيلية خلية فدائية تابعة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، عملت في مركز تل ـ أبيب وضربت، في الآونة الاخيرة، فرعاً تابعاً لشركة «بيزك» للاتصالات (**عل همشمار**، ١٦/١٢/١٩٨٨).

• أعلن وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، ان الولايات المتحدة قررت ان تجري حواراً مع م.ت.ف. وقال ان بنداً على جدول اعمالنا سيكون الارهاب والهجمات على المدنيين. كما اعلن الرئيس الاميركي ان التصريحات الفلسطينية عن الاعتراف باسرائيل ونبذ الارهاب «يجب ان تتجسد، والاّ فان الولايات المتحدة سوف تعود عن قرارها بفتح حوار مع م.ت.ف.». وبعد ساعات من صدور قرار شولتس، باشرت الدبلوماسية الاميركية تنفيذه. واعلن ناطق باسم السفارة الاميركية في تونس ان السفير اجرى اتصالاً هاتفياً بمقر قيادة م.ت.ف. وتحادث مع الدائرة السياسية فيها. وقد أُجري الحديث حول ترتيب اول اجتماع مع المنظمة (**الحياة**، ١٦/١٢/١٩٨٨). وقد رحّب الجانب الفلسطيني بالقرار الاميركي واعتبره الامين العام للجبهة الشعبية، د. جورج حبش، انتصاراً جديداً يضاف الى قائمة الانتصارات التي حققتها الانتفاضة الفلسطينية (**وفا**، ١٦/١٢/١٩٨٨). واعتبرته الجبهة الديمقراطية تراجعاً اميركياً، ووصفته بأنه انتصار جديد للانتفاضة (**النهار**، ١٦/١٢/١٩٨٨). وأعرب الملك الاردني حسين عن سعادته بالقرار (**الدستور**، ١٦/١٢/١٩٨٨). ووجه الرئيس المصري، حسني مبارك، رسالة تقدير وشكر الى كل من شولتس وريغان (**الاهرام**، ١٦/١٢/١٩٨٨). ووصف نائب وزير الخارجية السوفياتية، فلاديمير بتروفسكي، القرار الاميركي بأنه «عمل عاقل في الاتجاه الصحيح»، وشدد على ضرورة ان يتبع ذلك عقد المؤتمر الدولي للسلام، اذ انه «من غير الكافي اقامة الحوار من اجل حسنات الحوار» (**الحياة**، ١٦/١٢/١٩٨٨). وكشف عضو اللجنة المركزية لـ «فتح» المستشار السياسي لعرفات، هاني الحسن، ان الملك السعودي فهد، والرئيس المصري، حسني مبارك، لعبا دوراً هاماً في التحول الكبير في موقف واشنطن، بعد ساعات قليلة، فقط، من تحفظها من خطاب عرفات في جنيف (**الشرق الاوسط**، ١٥٦/١٢/١٩٨٨). ولعبت السويد، من خلال وساطتها بين الولايات المتحدة وم.ت.ف. دوراً هاماً، أيضاً، في تطويق رد الفعل الاميركي السلبي على

خطاب عرفات، وفي دفع الامور نحو فتح الحوار (القبس، ١٦/١٢/١٩٨٨). ورحّب بالقرار الاميركي معظم الدول الاوروبية واستراليا واليابان، ووصفه الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، بأنه تقدم حقيقي؛ ودعا البرلمان الاوروبي في ستراسبورغ دول المجموعة الاوروبية الـ ١٢ الى «الاعتراف، منذ الآن، بـ م.ت.ف. حكومة فلسطينية في المنفى» (النهار، ١٦/١٢/١٩٨٨).

• في اسرائيل، احاط وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، علماً، عبر رسالة بعث بها اليه والى وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، بأن موافقة الولايات المتحدة على فتح حوار مع م.ت.ف. لا تعني موافقة اميركية على اقامة دولة فلسطينية. مع هذا، رفض شولتس الاستجابة لطلب شامير القاضي بالتشاور مع اسرائيل قبل اتخاذ القرار الاميركي وبدء الحوار مع م.ت.ف. (هاتسوفيه، ١٦/١٢/١٩٨٨). وكان شولتس قال، في حضور الصحافيين الاسرائيليين، ان الاعتراف بـ م.ت.ف. والحوار معها لن يكون على حساب العلاقات مع اسرائيل. وأكد شولتس التزامات الولايات المتحدة تجاه اسرائيل وأمنها وبقائها قوية، كما كانت في الماضي. وأضاف ان القصد هو البحث مع م.ت.ف. في تسويات مرحلية؛ وخلال تنفيذ هذه التسويات يبحث في مسألة «المكانة النهائية» (عل همشمار، ١٦/١٢/١٩٨٨). وقد استقبل شامير، وبيرس، بغضب ودهشة وخيبة أمل، قرار الولايات المتحدة فتح الحوار مع م.ت.ف. ورفض شامير التحدث مع الصحافيين واغلق على نفسه مكتبه، وظهر بمظهر حزين. الوزير الوحيد، من بين الـ ٢٥ وزيراً في الحكومة الاسرائيلية، الذي قال، بصراحة، «ان التغيير في م.ت.ف. هو امر ايجابي وان على اسرائيل البدء بفتح محادثات معها وجهاً لوجه» كان عيزر وايزمان. واصدر مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية بياناً اعرب «عن أسف اسرائيل الشديد لقرار الولايات المتحدة الرامي الى فتح حوار واتصالات مع م.ت.ف.». واعتبر البيان ان هذا «القرار لن يخدم تقدم مسار السلام في منطقتنا. اننا على ثقة من ان الولايات المتحدة سوف تدرك، وبسرعة، الصورة الحقيقية لـ م.ت.ف. وان هذه المنظمة لا تبغي التوصل الى أي اتفاق، او مفاوضات. وان اسرائيل سوف تستمر في سياستها القائلة انه لا يمكن النظر الى م.ت.ف. كطرف محتمل في أي مفاوضات. وسوف تقوم اسرائيل بالبحث عن حل من خلال مفاوضات مباشرة مع جاراتها ومع الفلسطينيين في [الضفة الغربية] وغزة، الذين لا ينتمون الى م.ت.ف.» (عل همشمار، ١٦/١٢/١٩٨٨). وفي اسرائيل، أيضاً، رحّبت حركة «راتس» بقرار الولايات المتحدة، «الذي يقرّب الشرق الاوسط، كثيراً، من السلام، والذي اصبح، الآن، في متناول اليد». ودعت «راتس» الى اجراء انتخابات جديدة في أقرب وقت ممكن، «لأن الانتخابات التي أُجريت كأنها لم تكن. لقد أجريت الانتخابات حول قضايا ساكنة وواقع سياسي لم يعد موجوداً». وقالت «راتس» ان انتخابات جديدة تمكّن من الحسم بشكل واقعي وقاطع بين طريق المفاوضات مع م.ت.ف. والسلام مع شعوب المنطقة كافة، وبين طريق الحرب مع العالم العربي كله» (عل همشمار، ١٦/١٢/١٩٨٨).

• قال نائب وزير الخارجية السوفياتية، فلاديمير بتروفسكي، ان الاتحاد السوفياتي سوف يجدد علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل، التي قطعت في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، في اللحظة التي تبدأ فيها الاعدادات لمؤتمر سلام دولي لتسوية النزاع في الشرق الاوسط (عل همشمار، ١٦/١٢/١٩٨٨).

القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي

(قائمة مختارة)

اسرائيل

○ الاحزاب والتكتلات

١ جبور، سمير؛ «تأليف حكومة ائتلافية في اسرائيل أمام بدائل كلها صعبة [تقرير]»، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** (نيقوسيا)، السنة ١٥، العدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٨٠٩ ـ ٨٢١.

٢ الحسيني، مصطفى محمد؛ «انتخابات الكنيست الثاني عشر؛ انقلاب الحاخامين [تقرير]»، **الملف** (نيقوسيا)، المجلد ٥، العدد ٥٦/٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٦٩٨ ـ ٧٠٩.

٣ خليفة، أحمد؛ «نتائج انتخابات الكنيست؛ نهاية التعادل السياسي [تقرير]»، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، السنة ١٥، العدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٨٠٣ ـ ٨٠٩.

٤ روزنتال، روبيك؛ «الانقلاب الثاني [في الانتخابات الاسرائيلية]»، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، السنة ١٥، العدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٨٢٤ ـ ٨٢٦؛ نقلاً عن **عل همشمار**، ١٩٨٨/١١/٤.

٥ عايد، خالد؛ «الصوت العربي في انتخابات الكنيست الثاني عشر [تقرير]»، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، السنة ١٥، العدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٨٥٣ ـ ٨٥٧.

٦ Baram, Haim; "Shamir Surrenders to the Fundamentalists", *Middle East International*, No. 338, 18/11/1988, pp. 7 - 9.

٧ Kidron, Peretz; "Shamir's Complex Ritual of Courtship", *Middle East International*, No. 339, 2/12/1988, pp. 8 - 10.

○ الاقتصاد

٨ «اسرائيل تستورد من مصر ربع صادرات نفطها الخام»، **المجلة** (لندن)، العدد ٤٦٠، ١٩٨٨/١١/٣٠، ص ٣٧ ـ ٣٩.

٩ بوروخوف، الياهو؛ «استيعاب بدون رصيد [يهود الاتحاد السوفياتي]»، **الملف**، المجلد ٥، العدد ٥٦/٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٧٣٢ ـ ٧٣٤؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٨٨/١٠/٢٠.

١٠ «تهريب البضائع الاسرائيلية الى الاسواق العربية»، **المجلة**، العدد ٤٥٨، ١٩٨٨/١١/١٦، ص ٣٥ ـ ٤٥.

١١ «السياسة الضريبية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة»، **المنتدى** (عمّان)، المجلد ٣، العدد ٣٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨، ص ٢٨ ـ ٢٩.

١٢ Halperin, Asher; "Recovery of the Banking Industry", *The Israel Yearbook 1987*, Tel-Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, [1988], pp. 87 - 90.

١٣ Maltz, Judy; "Defence Exports Take Turn for the Better", *The Jerusalem Post*, 3/12/1988, p. 21.

١٤ Marom, Ran; "Uses of Nuclear Energy for Economic and Social Development in Israel", *The Israel Yearbook 1987*, Tel-Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, ,[1988], pp. 91 - 96.

١٥ Nissim, Moshe; "The Formula for a Strong Economy", *The Israel Yearbook 1987*, Tel-Aviv: Israel Yearbook Publictions Ltd, [1988], pp. 79 - 84.

Pridan, Yaacov; "Moving from Emergency to Stabilization and Growth; A New Kind of Struggle", *The Israel Yearbook 1987,* Tel-Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, [1988], pp. 97 - 102. ١٦

(انظر، أيضاً، ٩٨)

○ الشؤون العسكرية

١٧ صايغ، يزيد؛ «الجدال النووي في اسرائيل؛ الدوافع والقضايا»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٥١ ـ ٦١.

١٨ الشرافي، محمد؛ «اسلحة اسرائيل الكيميائية والبيولوجية المستخدمة في قمع الانتفاضة]»، **فلسطين الثورة** (نيقوسيا)، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١١/١٢/١٩٨٨، ص ٦٧ ـ ٦٩.

١٩ كاسيه، تسفي؛ «لا يهتمون عندنا بالامن، بل بالجيش»، **المسلف**، المجلد ٥، العدد ٨/٥٦، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٧٣٦ ـ ٧٣٩؛ نقلاً عن **ملحق هآرتس**، ٢٨/١٠/١٩٨٨.

Ben-Eliezer, Uri; "'In Uniform' 'Without a Uniform'; Militarism as an Ideology in the Decade Preceding Statehood", *Studies in Zionism,* Vol. 9, No. 2, Autumn 1988, pp. 173 - 196. ٢٠

Levran, Aharon; "The Arab States Military Building and Its Impact on the Military Balance with Israel", *The Israel Yearbook 1987,* Tel-Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, [1988], pp. 105 - 123. ٢١

(انظر، أيضاً، ١٦، ٣٥)

○ العلاقات الخارجية

٢٢ سعد، احمد؛ «هـ ؛ العلاقة الاستراتيجية بين النظامين العنصريين في اسرائيل وجنوب افريقيا»، **الجديد** (حيفا)، العدد ٧، تموز (يوليو) ١٩٨٨، ص ٥ ـ ١٩.

٢٣ سيّد احمد، رفعت؛ «العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية، ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٣٤ ـ ٥٠.

Herzog, Chaim; "German-Israeli Relations", *The Israeli Yearbook 1987,* Tel-Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, [1988], pp. 257 - 261. ٢٤

Mahadi, T.; "The Israeli Academic Centre in Cairo; A Plot against Arab Minds", *Arab Palestinian Resistance,* Vol. 20, No. 9, September 1988, pp. 42 - 44. ٢٥

(انظر، أيضاً، ١٠، ٤١)

الصهيونية

٢٦ العلكيم، حسن؛ «الصهيونية اليهودية الاميركية وتأثيرها على سياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه العالم العربي»، **شؤون عربية** (تونس)، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٢١٢ ـ ٢٢٦.

Reinharz, Jehuda; "Zionism in the USA on the Eve of the Balfour Declaration", *Studies in Zionism,* Vol. 9, No. 2, Autumn 1988, pp. 131 - 145. ٢٧

العالم العربي

٢٨ السامرّائي، شفيق عبدالرزاق؛ «الامن القومي العربي في مواجهة الامن الاسرائيلي»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٤٠ ـ ٥٠.

٢٩ سعيد، عبدالمنعم؛ «العلاقات الاميركية ـ العربية؛ الماضي والحاضر والمستقبل»، **المستقبل العربي** (بيروت)، السنة ١١، العدد ١١٨، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٦٧ ـ ١٠٤.

٣٠ سيد احمد، محمد؛ «السياسة السوفياتية والمنطقة العربية»، **السياسة الدولية** (القاهرة)، العدد ٩٤، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ١٣٦ ـ ١٤١.

٣١ شعلان، حسين؛ «سقوط آخر العقبات امام عودة مصر الى الجامعة العربية»، **اليوم السابع** (باريس)، السنة ٥، العدد ٢٤٠، ١٢/١٢/١٩٨٨، ص ٢٠ ـ ٢١.

٣٢ «الصراع العراقي ـ الاسرائيلي في لبنان»، **الوطن العربي** (باريس)، العدد ٦١٧، ١٩٨٨/١٢/٩، ص ٢٠ ـ ٢٣.

٣٣ «علاقات مصر الاقتصادية تنمو مع العرب دون تطبيعها مع اسرائيل»، **المجلة**، العدد ٤٦٠، ١٩٨٨/١١/٣٠، ص ٣٦ ـ ٣٧.

٣٤ الموافي، عبدالحميد؛ «النظام الاقليمي القومي العربي ومحاولات اختراق حادة»، **الباحث العربي** (لندن)، العدد ١٧، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٨٠ ـ ٩٥.

٣٥ Lawson, Fred; "US-Arab Economic Trends in the Regan Period", *Middle East Report*, Vol. 18, No. 6 (155), November/December 1988, pp. 27 - 29.

٣٦ Marshall, Jonathan; "Saudi Arabia and the Regan Doctrine", *Middle East Report*, Vol. 18, No. 6 (155), November / December 1988, pp. 13 - 17.

٣٧ Pipes, Daniel; "Radical Politics and the Syrian Social Nationalist Party", *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 20, No. 3, August 1988, pp. 303 - 324.

(انظر، أيضاً، ١٢١)

فلسطين

○ الاجتماع

٣٨ الجندي، ابراهيم رضوان؛ «الطفل الفلسطيني في ظل الاحتلال الصهيوني»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٨٢ ـ ١٩٧.

٣٩ ذبيان، سامي؛ «الشخصية الفلسطينية؛ مداخلة تمهيدية لتحليلها وتحديد خصوصيتها»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٥٥ ـ ١٦٩.

٤٠ صايغ، ليلى؛ «المرأة الفلسطينية حارسة حياتنا ونارنا الدائمة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٢٤ ـ ٢٧.

○ الصحافة

٤١ ابو عرجة، تيسير؛ «أساليب الاحتلال الصهيوني في محاصرة الصحافة الفلسطينية في الارض المحتلة ١٩٧٦»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠.

الفلسطينيون

○ الاضرابات والتظاهرات

٤٢ أبو عياش، رضوان؛ «أيام في سجون الاحتلال»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٤٧ ـ ٤٩.

٤٣ ابو النمل، حسين؛ «اثر الانتفاضة على ميزان القوى في المنطقة»، **الهدف** (نيقوسيا)، السنة ١٩، العدد ٩٣٩، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ١٤ ـ ١٦.

٤٤ الاسمر، فوزي؛ «الانتفاضة والشخصية العربية في أدب الاطفال العبري؛ دراسة تحليلية»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٧٠ ـ ١٨١.

٤٥ «الانتفاضة في عامها الثاني؛ اسطورة الصمود الفلسطيني في مواجهة التنكيل والحصار الاقتصادي»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٩، ١٩٨٨/١٢/٥، ص ١٢ ـ ١٤.

٤٦ البشّيتي، جواد؛ «الشعب الفلسطيني قبل تحدي رابين: ' لنرى من سيتعب أولاً ' »، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٨٠ ـ ٨٢.

٤٧ جلول، فيصل؛ «الانتفاضة في لحظة القوة الفلسطينية»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٤٠، ١٩٨٨/١٢/١٢، ص ١٩.

٤٨ حمدان، ريتا؛ «الانتفاضة الفلسطينية في الاراضي المحتلة؛ المعالم الاساسية والدروس الأولية (١٩٨٧/١٢/١٩ ـ ١٩٨٨/٢/٢٩)»، **الفكر الاستراتيجي العربي** (بيروت)، السنة ٦، العدد ٢٥، تموز (يوليو) ١٩٨٨، ص ٢٤٣ ـ ٣١٧.

٤٩ دردونة، سالم؛ «المقدمات الموضوعية

والذاتية للانتفاضة وسماتها النوعية الجديدة»، **الحرية** (نيقوسيا)، العدد ٢٨٩، ١٩٨٨/١٢/٤، ص ٣٤ ـ ٤٠.

٥٠ روبنشتاين، داني؛ «ثورة وانضباط»، **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، السنة ١٥، العدد ١١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٨٤٦ ـ ٨٤٧؛ نقلاً عن **دافار**، ١٤/١٠/١٩٨٨.

٥١ ساره، فايز؛ «البنية الاجتماعية للانتفاضة الفلسطينية»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٣ ـ ٢٩.

٥٢ سالم، علاء؛ «الانتفاضة واتجاهات الرأي العام في اسرائيل»، **السياسة الدولية**، العدد ٩٤، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ١٩١ ـ ١٩٧.

٥٣ سماحة، جوزيف، «الانتفاضة، في عامها الثاني؛ السياسة تواكب الانتفاضة، تؤسس عليها وتدفعها الى الامام»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٩، ١٩٨٨/١٢/٥، ص ١٦ ـ ١٧.

٥٤ العباسي، نظام؛ «الانتفاضة الفلسطينية الراهنة؛ رؤية تاريخية»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٠٧ ـ ١١٧.

٥٥ عبدالرحمن، أسعد؛ «الانتفاضة الفلسطينية؛ الاسباب، المسار، النتائج والآفاق»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٩٧ ـ ١٠٦.

٥٦ عثمان، السيد عوض؛ «الموقف الاميركي من الانتفاضة الفلسطينية؛ ' مبادرة سلام ' ام اجهاض ؟»، **الفكر الاستراتيجي العربي**، السنة ٦، العدد ٢٥، تموز (يوليو) ١٩٨٨، ص ٥٣ ـ ٩٤.

٥٧ «عرب الارض المحتلة العام ١٩٤٨ والانتفاضة»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٤، ١٩٨٨/١٢/١٣، ص ٤٥ ـ ٤٧.

٥٨ غليون، برهان؛ «اربع ملاحظات حول حركات دعم الانتفاضة»، **صوت البلاد** (بلغراد)، السنة ٤، العدد ١٦١، ١٩٨٨/١٢/١٢، ص ٣٢ ـ ٣٣.

٥٩ فدهتسور، رؤوبين؛ «لا يجب تجاهل الكلمة المكتوبة [في منشورات الانتفاضة]»، **الملف**، المجلد ٥، العدد ٨/٥٦، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٧٢٧ ـ ٧٢٩؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٨٨/١٠/٣٠.

٦٠ كيوان، ماهر؛ «القمع الفاشي الاسرائيلي؛ نماذج وارقام»، **الحرية**، العدد ٢٩٠، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٤٠ ـ ٤٦.

٦١ مجلّي، نظير؛ «الانتفاضة وانعكاساتها على المجتمع الاسرائيلي»، **صوت البلاد**، السنة ٤، العدد ١٦١، ١٩٨٨/١٢/١٢، ص ٢٤ ـ ٢٧.

٦٢ «النظام المؤقت للقوات الضاربة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٥٣ ـ ٥٤.

٦٣ الوزير، خليل (أبو جهاد)؛ «[نص تقريره بشأن الانتفاضة في دورة خاصة للمجلس المركزي الفلسطيني، بتاريخ ٧ ـ ١٩٨٨/١/١٢]»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٤، ١٩٨٨/١٢/١٣، ص ١٦ ـ ١٩.

٦٤ ي. ص.؛ «تعاظم دور ' القوات الضاربة ' [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٠٨ ـ ١١٤.

٦٥ Aruri, Naseer; "A New Climate of Opportunity for Palestinians", *Middle East International*, No. 339, 2/12/1988, pp. 18 - 19.

٦٦ Kretzmer, Marcia; "Class Struggle", *The Jerusalem Post*, 10/12/1988, pp. 11, 12.

٦٧ Kuttab, Daoud; "Whither the Intifada?", *Middle East International*, No. 339, 2/12/1988, pp. 11 - 12.

٦٨ Lederman, Jim; "Dateline West Bank; Interpreting the Intifada", *Foreign Policy*, No. 72, Fall 1988, pp. 230 - 246.

٦٩ Macleod, Scott; "Frustration Spring Eternal; One Family's Struggle Shows why the Intifada Burns on", *Time*, Vol. 132, No. 24, 12/12/1988, p. 17.

٧٠ Mubarakah, M.; "The Palestinian Intifada; A Contest of Wills, (2), *Arab Palestinian Resistance*, Vol. 20, No. 9, September 1988, pp. 26 - 27.

٧١ "The Year of Living Dangerously", *The Economist*, Vol. 309, No. 7580, 10/12/1988, p. 60.

٧٢ Ryan, Sheila; "Economic Dimensions of the Uprising", *Middle East Report*, Vol. 18, No. 6 (155), November / December 1988, pp. 38 - 41.

(انظر، ايضاً، ٢٣، ٥٠، ١١٧، ١٥٣، ١٧٨)

○ بيانات وتصريحات

٧٣ القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، «[نص النداء الرقم ٢٩؛ نداء العودة، بتاريخ ١٩٨٨/١١/٢٠]»، **الهدف**، السنة ١٩، العدد ٩٣٨، ١٩٨٨/١٢/٤، ص ٢٦ ـ ٢٧.

٧٤ ـــــ ، «[نص النداء الرقم ٣٠، نداء الانتفاضة، بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٧]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٤ ـ ٥.

٧٥ «[نص مذكرة موجهة من عشرات المؤسسات والنقابات واللجان الشعبية في الضفة وغزة الى الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني]»، **الحرية**، العدد ٢٨٧، ١٩٨٨/١١/٢٠، ص ٢٠ ـ ٢٢.

○ سوريا

٧٦ Brand, Laurie; "Palestinians in Syria; The Politics of Integration", *The Middle East Journal*, Vol. 42, No. 4, Autumn 1988, pp. 621 - 637.

القضية الفلسطينية

٧٧ ابو بكر، أحمد كمال؛ «الضفة الغربية بين الاردن والمنظمة واسرائيل»، **السياسة الدولية**، العدد ٩٤، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ٣٢ ـ ٤٠.

٧٨ ابو سفيلة، محمد عبدالعزيز؛ «الدولة الفلسطينية؛ الاحوال، المحاولات، الطموحات»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٤٧ ـ ١٥٤.

٧٩ الازهري، محمد خالد؛ «القضية الفلسطينية وتطور مفهوم ' الخيار الاردني ' »، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٢٠ ـ ٣٣.

٨٠ تنيرة، بكر مصباح؛ «تطور سياسة الصين الشعبية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي»، **المستقبل العربي**، السنة ١١، العدد ١١٨، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٥٠ ـ ٦٦.

٨١ الحسن، بلال؛ «قراءة في القراءات الفلسطينية؛ صياغة جديدة للأمل الدائم»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٨، ١٩٨٨/١١/٢٨، ص ١١ ـ ١٣.

٨٢ حيدري، نبيل؛ «رياح الرفض الاميركية، باردة أم ساخنة ؟ [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٠٢ ـ ١٠٧.

٨٣ خليفة، نبيل؛ «بعد عام من الانتفاضة؛ قرار الأمة وقرار الامم»، **المستقبل**، السنة ١٢، العدد ٦١٦، ١٩٨٨/١٢/١٠، ص ١٢ ـ ١٧.

٨٤ داود، احمد؛ «قراءة في ردود الفعل على اعلان الدولة الفلسطينية؛ اعتراف عربي وعالمي وترحيب اوروبي وارتباك اميركي ـ اسرائيلي»، **الهدف**، السنة ١٩، العدد ٩٣٧، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ١٠ ـ ١٢.

٨٥ درويش، مصطفى؛ «نضال الشعب الفلسطيني، ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨؛ المراحل الرئيسة»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٣٦ ـ ١٤٦.

٨٦ رابين، اسحق؛ «يجب التحدث بلغة السلام»، **الملف**، المجلد ٥، العدد ٥٦/٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٧٣٩ ـ ٧٤٢؛ نقلاً عن **معاريف**، ١٩٨٨/١٠/٢١.

٨٧ «ردود الفعل على ' دورة الانتفاضة ' ؛ اجماع عربي على الاعتراف بالدولة الفلسطينية»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٨، ١٩٨٨/١١/٢٨، ص ٢٠ ـ ٢١.

٨٨ «ردود الفعل على ' دورة الانتفاضة ' ؛

اختراق فلسطيني في اوروبا»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٨، ١٩٨٨/١١/٢٨، ص ٢١ ـ ٢٢.

٨٩ «ردود الفعل [في الارض المحتلة] على ' دورة الانتفاضة ' ؛ عرس الاستقلال الفلسطيني ومأتم الحيرة الاسرائيلي»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٨، ١٩٨٨/١١/٢٨، ص ١٦ ـ ١٧.

٩٠ الزين، نزار؛ «جدلية التوازن؛ مقدمة استراتيجية للصراع العربي ـ الاسرائيلي»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٧ ـ ٣٩.

٩١ سليم، محمد السيد؛ «منظمة المؤتمر الاسلامي والقضية الفلسطينية»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٩٨ ـ ٢١١.

٩٢ شاهين، أحمد؛ «المنظمة قدّمت ورقتها الى الانظمة العربية [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٩٥ ـ ١٠١.

٩٣ شبيب، سميح؛ «الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٩١ ـ ٩٤.

٩٤ طيفت، شبتاي؛ «أطوار الترانسفير (الترحيل) في الفكر الصهيوني، (١)»، **الملف**، المجلد ٥، العدد ٧/٥٥، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ٥٨٣ ـ ٥٩٤؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٨٨/٩/٢٣.

٩٥ ـــ ، ـــ ؛ «أطوار الترانسفير (الترحيل) في الفكر الصهيوني، (٢)»، **الملف**، المجلد ٥، العدد ٨/٥٦، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٦٨١ ـ ٦٩٧؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٨٨/٩/٢٥.

٩٦ عساف، عبدالمعطي محمد؛ «الرؤية الاستراتيجية وكفاح الشعب الفلسطيني، ١٩١٧ ـ ١٩٨٨»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١١٨ ـ ١٣٥.

٩٧ عبدالمجيد، وحيد؛ «السياسة السوفياتية تجاه القضية الفلسطينية»، **الفكر الاستراتيجي العربي**، السنة ٦، العدد ٢٥، تموز (يوليو) ١٩٨٨، ص ١٩٩ ـ ٢١٤.

٩٨ عبدالحي، وليد؛ «الصراع العربي ـ الصهيوني؛ نظرة مستقبلية»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٥١ ـ ٦٧.

٩٩ «قرارات لليونسكو بشأن القدس العربية والمؤسسات التعليمية في الاراضي المحتلة»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١١٩ ـ ١٢٣.

١٠٠ القشطيني، خالد؛ «الدول الكبرى وعام النكبة ١٩٤٨»، **شؤون عربية**، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٦٨ ـ ٧٩.

١٠١ المدهون، ربعي؛ «الفلسطينيون يباركون الاستقلال [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١١٥ ـ ١١٨.

١٠٢ مشارقة، محمد؛ «انتهاء قمة رودوس الاوروبية؛ فلسطين تقسم اوروبا»، **الهدف**، السنة ١٩، العدد ٩٣٩، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٢٠ ـ ٢١.

١٠٣ «[مقتطفات من بيان المرشد العام للاخوان المسلمين بشأن اعلان الدولة الفلسطينية المستقلة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٧، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٩.

١٠٤ «[نص اعتراف مصر بالدولة الفلسطينية المستقلة في الدورة الاخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٧٨، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٨ ـ ٩.

١٠٥ «[نص ' اعلان بروكسل ' بشأن القرارات الصادرة عن الدورة الاخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٧، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٨.

١٠٦ «[نص بيان رئيس حركة عدم الانحياز بشأن اعلان استقلال الدولة الفلسطينية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٧، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٨.

١٠٧ Abba Eban; "The Issue that Won't Go Away", *The Jerusalem Post,* 19/11/1988, p. 7.

١٠٨ "Arafat Waits for Take-off", *The Economist,* Vol. 309, No. 7579, 3/12/1988, p. 49.

١٠٩ "Birth of a Non-Nation; The Palestinians Opt for Statehood and 'Realism'...", *Newsweek,* Vol. CXII, No. 28, 28/11/1988, pp. 16 - 21.

١١٠ Findley, Paus; "An American View of the Palestinian Opportunity", *The Washington Report on Middle East Affairs,* Vol. VII, No. 6, October 1988, pp. 5 - 6.

١١١ Jansen, Godfrey; "Independence and the Recognition of Israel", *Middle East International,* No. 338, 18/11/1988, pp. 3 - 4.

١١٢ Isaacson, Walter; "Why it is Time to Talk to the P.L.O.", *Time,* Vol. 132, No. 24, 12/12/1988, pp. 14 - 15.

١١٣ Al-Khalidi, Walid; "The Palestine Issue Forty Years after Partition; Reflections on the Past and Perspectives on the Future", *British Society for Middle Eastern Studies Bulletin,* Vol. 14, No. 2, 1988, pp. 123 - 135.

١١٤ Levran, Aharon; "The Peace Process", *The Israel Yearbook 1987,* Tel - Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, [1988], pp. 47 - 56.

١١٥ Muir, Jim; "P.L.O. Pulls Arabs Together", *The Christian Science Monitor,* Vol. 81, No. 7, 7/12/1988, p. 9.

١١٦ Nusseibeh, Sari; "Time for Palestinian Offensives", *Middle East International,* No. 339, 2/12/1988, pp. 17 - 18.

١١٧ Oberdorfer, Don; "Arafat Denied U.S. Visa for 'Terrorist Connections'", *The Guardian Weekly,* Vol. 139, No. 23, 4/11/1988, p. 17.

١١٨ Peres, Shimon; "An Occasion for Peace", *The Israel Yearbook 1987,* Tel - Aviv: Israel Yearbook Publications Ltd, [1988], pp. 40 - 46.

١١٩ "Shultz's Message; Return to Sender", *Newsweek,* Vol. CXII, No. 24, 12/12/1988, pp. 28 - 29.

١٢٠ Sifry, Micah L.; "Jesse and the Jews; Palestine and the Struggle for the Democratic Party", *Middle East Report,* Vol. 18, No. 6 (155), November/December 1988, pp. 4 - 11.

١٢١ Smolowe, Jill; "Non Grated; U.S. *vs* U.N.; Furor over Arafat", *Time,* Vol. 132, No. 24, 12/12/1988, pp. 12 - 14.

١٢٢ Voorst, Bruce Van; "Shultz's Last Stand", *Time,* Vol. 132, No. 23, 5/12/1988, p. 24.

(انظر، أيضاً،: ٢٦، ٤٩، ٨٩، ٩٧)

منظمة التحرير الفلسطينية

○ بيانات وتصريحات

▷ الجبهة الديمقراطية

١٢٣ «اعلان قيام دولة فلسطين المستقلة حدث تاريخي مهم [بلاغ صادر عن اجتماع اللجنة المركزية للجبهة، في اوائل كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨]»، الحرية، العدد ٢٩٠، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٦ ـ ٨.

١٢٤ «[نص بيان الجبهة السياسي الذي وزّع في الارض المحتلة، بتاريخ ١٩٨٨/١١/١٠]»، الحرية، العدد ٢٨٧، ١٩٨٨/١١/٢٠، ص ١٩ ـ ٢٠.

١٢٥ «[نص بيان الجبهة الذي وزّع في الارض المحتلة، بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٥]»، الحرية، العدد ٢٩٠، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٩.

▷ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

١٢٦ «الجبهة تشجب موقف الادارة الامريكية [لرفضها منح تأشيرة دخول لرئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف.]»، الهدف، السنة ١٩، العدد ٩٣٨، ١٩٨٨/١٢/٤، ص ١٣.

١٢٧ «[مقتطفات من بيان للجبهة وزّع في الارض المحتلة بمناسبة انتهاء اعمال الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني]»، الهدف،

السنة ١٩، العدد ٩٣٨، ١٩٨٨/١٢/٤، ص ٢٤.

١٢٨ «[نص] مداخلة جورج حبش في اللجنة السياسية للمجلس الوطني: كيف نفهم المؤتمر الدولي [؟] ولماذا نرفض القرار ٢٤٢ [؟]»، **الهدف**، السنة ١٩، العدد ٩٣٦، ١٩٨٨/١١/٢٠، ص ١١ ـ ١٣.

▷ عرفات ياسر (ابو عمار)

١٢٩ «جميع الدول العربية اعترفت بدولة فلسطين ما عدا دولة واحدة»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٢، ١٩٨٨/١١/٢٩، ص ٤.

١٣٠ «نحن حماة فلسطين؛ اسلامياً ومسيحياً ويهودياً [نص كلمته في الندوة الدولية لحماية مقدسات وقيم الثقافة في فلسطين]»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٢، ١٩٨٨/١١/٢٩، ص ٥ ـ ٨.

١٣١ «[نص كلمته الى الشعب الفلسطيني في الذكرى الاولى لانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية]»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٤، ١٩٨٨/١٢/١٣، ص ٤ ـ ٦.

١٣٢ «[نص كلمته في افتتاح الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٦، ١٩٨٨/١١/٢، ص ١٢ ـ ١٣.

١٣٣ «[نص كلمته في افتتاح المؤتمر الثامن لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا في العاصمة التونسية]»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٤، ١٩٨٨/١٢/١٣، ص ٧ ـ ٩.

▷ المجلس الوطني الفلسطيني

١٣٤ «[نص] اعلان الاستقلال»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٨٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٣ ـ ٥.

١٣٥ «[نص] اعلان تشكيل الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٦، ١٩٨٨/١١/٢٠، ص ١١.

١٣٦ «البيان السياسي [الصادر عن الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٨٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ص ٦ ـ ١٢.

١٣٧ «[نص قرارات لجنة الانتفاضة المنبثقة عن المجلس الوطني في الدورة التاسعة عشرة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٦، ١٩٨٨/١١/٢٠، ص ١٠ ـ ١١.

١٣٨ "Excerpts from the Political Statement Issued by the Palestine National Council in Algiers on 15 November 1988", *Middle East International*, No. 339, 2/12/1988, pp. 22 - 23.

١٣٩ "The Palestinian Declaration of Independence, 15 November 1988", *Middle East International*, No. 338, 18/11/1988, pp. 22 - 23.

○ العمليات الفدائية

١٤٠ ابو المجد، جمال؛ «العمليات النضالية والعسكرية خلال شهر تشرين الاول [نوفمبر]؛ عمليات جريئة تشمل جميع مناطق الوطن المحتل»، **الهدف**، السنة ١٩، العدد ٩٣٧، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٤١ «٥١ عمليات جريئة تسفر عن مقتل جندي صهيوني وجرح ٣٣ آخرين»، **الهدف**، السنة ١٩، العدد ٩٣٩، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٤٢ «عمليات صقور الدولة الفلسطينية المستقلة»، **الحرية**، العدد ٢٨٧، ١٩٨٨/١١/٢٠، ص ٢٢ ـ ٢٤.

المقابلات

١٤٣ الحسيني، حسين؛ «انهاء الاحتلال الاسرائيلي ينهي الازمة»، **الافق**، السنة ٨، العدد ٢٢٠، ١٩٨٨/١١/١٧، ص ١٥ ـ ١٧.

١٤٤ حوراني، عبدالله؛ «لن تتحمل منظمة التحرير وحدها نتائج الفشل»، **الحوادث**، العدد ١٦٧٥، ١٩٨٨/١٢/٩، ص ٢٧.

١٤٥ خلف، صلاح (ابو اياد)؛ «سنصدر قرارات تؤكد سيادتنا على أرضنا»، **اليوم السابع**، السنة ٥، العدد ٢٣٨، ١٩٨٨/١١/٢٨، ص

١٤ ـ ١٥.

١٤٦ ـــ ، ـــ ؛ «لم نعترف باسرائيل؛ الدولة الفلسطينية ستبدأ صغيرة وتتوسع»، **الوطن العربي**، العدد ٦١٦، ١٩٨٨/١٢/٢، ص ٢٦ ـ ٣٠.

١٤٧ الرملاوي، نبيل؛ «المنظمة ستستمر الى حين تحقيق الشعب الفلسطيني حقوقه الكاملة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٧٧ ـ ٧٩.

١٤٨ الزعنون، سليم (ابو الاديب)؛ «الانتفاضة جداول وانهار تعمّ الارض الفلسطينية»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٤، ١٩٨٨/١٢/١٣، ص ١٠ ـ ١٢.

١٤٩ سيغال، جيروم؛ «[وثيقتي تتحدث عن دولة فلسطينية مستقلة الى جوار دولة اسرائيل؛ مفهوم الوطن صانع للمشاكل والمتاعب]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٨، ١٩٨٨/١٢/١١، ص ٧٣ ـ ٧٦.

١٥٠ الطرزي، زهدي؛ «لم يعد لدى واشنطن مبرّر لتأخير المؤتمر الدولي»، **المجلة**، العدد ٤٦٠، ١٩٨٨/١١/٣٠، ص ١١.

١٥١ غوشة، سمير؛ «اعلان وثيقة الاستقلال شكّل حدثاً تاريخياً لشعبنا»، **الافق**، العدد ٥١٠، ١٩٨٨/١٢/٣، ص ١٧ ـ ٢٦.

١٥٢ القدومي، فاروق (ابو اللطف)؛ «سنصدر جواز السفر بعد اعلان الحكومة»، **صوت البلاد**، السنة ٤، العدد ١٦١، ١٩٨٨/١٢/١٢، ص ٣٤ ـ ٣٥.

١٥٣ القليبي، الشاذلي؛ «لا دولة عربية اعترضت على قمة خاصة بلبنان؛ [موضوع دخول عرفات الى اميركا يرتبط بالموقف الاميركي من الصراع العربي ـ الاسرائيلي]»، **المجلة**، العدد ٤٦٢، ١٩٨٨/١٢/١٤، ص ١١.

١٥٤ كُتّاب، داود؛ «' دين الاثم ' بين الاسرائيلي وجيشه»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٧، العدد ٧٢٧، ١٩٨٨/١١/٢٧، ص ٣٥ ـ ٣٧.

١٥٥ لويس، صموئيل (السفير السابق للولايات المتحدة في اسرائيل)؛ «أتوقع حرباً سورية ـ اسرائيلية في لبنان»، **المجلة**، العدد ٤٥٨، ١٩٨٨/١١/١٦، ص ١١.

١٥٦ مقصود، كلوفيس؛ «بيكر متّزن وشولتس زاد أزمات المنطقة»، **المجلة**، العدد ٤٥٩، ١٩٨٨/١١/٢٣، ص ١١.

١٥٧ النتشة، رفيق (أبو شاكر)؛ «الانتفاضة تتويج لجمل نضالات شعبنا المجاهد التاريخيّة»، **الصخرة**، السنة ٥، العدد ٢٢٤، ١٩٨٨/١٢/١٣، ص ١٢ ـ ١٣.

١٥٨ Al Baz, Osama; "It's Up to the Americans", *Newsweek*, Vol. CXII, No. 23, 5/12/1988, p. 56.

الكتب ـ عروض ومراجعات

١٥٩ احمد، احمد يوسف؛ الصراعات العربية العربية، ١٩٤٥ ـ ١٩٨١، **المنتدى**، المجلد ٣، العدد ٣٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٣٠ ـ ٣١ (مراجعة خالد الفيشاوي).

١٦٠ بسيسو، فؤاد؛ الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام، **مجلة العلوم الاجتماعية** (الكويت)، السنة ١٦، العدد ٣، خريف ١٩٨٨، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣ (مراجعة بسام الساكت).

١٦١ البيطار، نديم؛ هل يمكن الاحتكام الى الولايات المتحدة في النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟، **المجلة العربية للدراسات الدولية** (واشنطن)، السنة ١، العدد ٢، صيف ١٩٨٨، ص ١٣٠ ـ ١٣٣ (مراجعة فياض قازان).

١٦٢ التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٨٧، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٧٤ ـ ٧٩ (مراجعة حسن ابو طالب).

١٦٣ حتّي، ناصيف يوسف؛ القوى الخمس الكبرى والوطن العربي؛ دراسة مستقبلية، **المستقبل العربي**، السنة ١١، العدد ١١٨، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ١٤٦ ـ ١٥٤ (مراجعة ودودة بدران).

١٦٤ كتن، هنري؛ القضية الفلسطينية

(بالانكليزية)، شؤون عربية، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢ (مراجعة صباح السقّا).

١٦٥ مصطفى، ناديا؛ اوروبا والوطن العربي، **المجلة العربية للدراسات الدولية**، السنة ١، العدد ٢، صيف ١٩٨٨، ص ١٢٠ ـ ١٣٣ (مراجعة نظام بركات).

١٦٦ هنتر، جين؛ ليست مجرد عمالة؛ اسرائيل في امريكا الوسطى (بالانكليزية)، شؤون عربية، العدد ٥٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ (مراجعة خالد الفيشاوي).

١٦٧ Alexander, Edward; *The Jewish Idea and Its Enemies,* ***The Jerusalem Post,*** 26/11/1988, p. 16 (Reviewed by Harold Fisch).

١٦٨ Almog, Shamuel; *Zionism and History; The Rise of a New Jewish Consciousness,* ***The Jerusalem Post,*** 19/11/1988, p. 15 (Reviewed by Nissim Rajwan).

١٦٩ Aronson, Geoffrey; *Creating Facts: Israel, Palestinians and the West Bank,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 42, No. 4, Autumn 1988, pp. 701 - 702 (Reviewed by Elia Zureik).

١٧٠ Bar-Joseph, Uri; *The Best of Enemies; Israel and Transjordan in the War of 1948,* ***Middle East International,*** No. 338, 18/11/1988, p. 29 (Reviewed by Yazid Sayigh).

١٧١ Elazar, Daniel J.; *Israel Building a New Society,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 42, No. 4, Autumn 1988, pp. 694 - 695 (Reviewed by Kevin Avruch).

١٧٢ Flapan, Simha; *The Birth of Israel; Myths and Realities,* ***The Link,*** Vol. 21, No. 3, September 1988, pp. 14 - 15 (Reviewed by Nimr Ibrahim).

١٧٣ Hopwood, Derek; *Syria 1945 - 1986; Politics and Society,* ***Middle East International,*** No. 338, 18/11/1988, p. 21 (Reviewed by James Craig).

١٧٤ *Israeli Society and Its Defense Establisment; The Social and Political Impact of a Protracted Violent Conflict*

شؤون فلسطينية ، العدد ١٨٩، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ص ٨٠ ـ ٨٧ (مراجعة عماد شعيبي).

١٧٥ Katz, Jacob; *Jewish Emancipation and Self-Emancipation,* ***The Jerusalem Post,*** 19/11/1988, p. 15 (Reviewed by Nissim Rajwan).

١٧٦ Khalidi, Rashid; *Under Siege; P.L.O. Decisionmaking During the 1982 War,* ***British Society for Middle Eastern Studies Bulletin,*** Vol. 14, No. 2, 1988, pp. 212 - 214 (Reviewed by Fawaz A. Geges).

١٧٧ Mallison, W. Thomas and Sally V. Mallison; *The Palestine Problem in International Law and World Order*

السياسة الدولية، العدد ٩٤، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ (مراجعة عبدالله الاشعل).

١٧٨ Morris, Benny; *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947 - 1949,* ***Studies in Zionism,*** Vol. 9, No. 3, Autumn 1988, pp. 226 - 233 (Reviewed by Uri Bialer).

١٧٩ Porath, Yehoshua; *In Search of Arab Unity,* ***International Journal of Middle East Studies,*** Vol. 20, No. 3, August 1988, pp. 389 - 390 (Reviewed by Bassam Tibi).

١٨٠ Shiblak, Abbas, *The Lure of Zion; The Case of the Iraqi Jews,* ***Studies in Zionism,*** Vol. 9, No. 2, Autumn 1988, pp. 234 - 236 (Reviewed by Esther Meir Galitzenstein).

١٨١ Shlaim, Avi; *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine,* ***Middle East International,*** No. 338, 18/11/1988, p. 20 (Reviewed by Yazid Sayigh).

١٨٢ Wilson, Marg C.; *King Abdullah, Britain and the Making of Jordan,* ***Middle East International,*** No. 338, 18/11/1988, pp. 20 - 21 (Reviewed by Philip Robins).

الكتب

١٨٣ ابو بكر، توفيق (مُعد)؛ **الحوار الاستراتيجي**

الشامل؛ رموز الجيل الجديد في الاراضي المحتلة يتحدثون، الكويت: مطابع «القبس»، ١٩٨٨، ١٧٣ صفحة.

١٨٤ الاستعمار الاسرائيلي والانتفاضة (باليونانية)، أثينا: دار السلام، ١٩٨٨.

١٨٥ الاشعل، عبدالله؛ المركز القانوني الدولي لمنظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٨.

١٨٦ اوبلانس، ادغار؛ الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل (مترجم)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.

١٨٧ جلادي، جدع؛ اسرائيل نحو الانفجار الداخلي، القاهرة: دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

١٨٨ حسين، عدنان؛ العامل القومي في السياسة المصرية، بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٨، ٢٠٠ صفحة.

١٨٩ الداقوقي، ابراهيم؛ فلسطين والصهيونية في وسائل الاعلام التركية، بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨٧.

١٩٠ سيل، باتريك؛ الاسد او النزاع على الشرق الاوسط (بالعربية)، لندن: دار ساقي، ١٩٨٨، ٥٠٠ صفحة.

١٩١ شرابي، هشام؛ الرحلة الاخيرة؛ ذاكرة الحاضر، الرباط: دار توبقال، ١٦٩ صفحة.

١٩٢ صالح، محسن محمد؛ التيار الاسلامي في فلسطين واثره في حركة الجهاد، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٨، ٥٣٢ صفحة.

١٩٣ الصايغ، مي؛ الحصار، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨، ٢٩٦ صفحة.

١٩٤ صليبي، كمال؛ خفايا التوراة؛ اسرار شعب اسرائيل، لندن: دار ساقي، ١٩٨٨.

١٩٥ طوقان، فدوى؛ رحلة جبلية، رحلة صعبة، عمان: دار الشروق للنشر، ١٩٨٨.

١٩٦ عايد، خالد؛ الانتفاضة الثورية في فلسطين؛ الابعاد الداخلية، عمّان: دار الشروق، ١٩٨٨، ١٣٢ صفحة.

١٩٧ عبدالفتاح، عودة؛ السياسة الخارجية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٢ ـ ١٩٨٢ (اطروحة دكتوراه)، الرباط: جامعة محمد الخامس، ١٩٨٨.

١٩٨ المدهون، ربعي؛ الانتفاضة الفلسطينية؛ الهيكل التنظيمي واساليب العمل، نيقوسيا: شرق برس، ١٩٨٨، ١٥٢ صفحة.

١٩٩ Benvenisti, Meron and Shlomo Khatat; *The West Bank and Gaza Atlas,* Jerusalem: W.B.D.P. and the Jerusalem Post, 1988, 140 Pages.

٢٠٠ Brand, Laurie A.; *Palestinians in the Arab World; Institution Building and the Search for State,* New York: Columbia University Press, 1988, 320 Pages.

٢٠١ Dann, Uriel (Ed.); *The Great Powers in the Middle East,* 1919 - 1939, New York: Holmes & Meier, 1988, 434 Pages.

٢٠٢ Giacaman, Rita; *Life and Health in Three Palestinian Villages,* London: Ithaca Press, 1988.

٢٠٣ Green, Stephen; *Living by the Sword; America and Israel in the Middle East,* Brattleboro, VT and London: Amana Books & Faber and Faber, 1988.

٢٠٤ Joseph, Benjamin M.; *Besieged Bedfellows; Israel and the Land of Apartheid,* Westport, Conn.: Greenwood Press, 1988, 184 Pages.

٢٠٥ Neff, Donald; *Warriors against Israel; How Israel Won the Battle to Become America's Ally, 1973,* Brattleboro, VT: Amana Books, 1988.

اعداد: ماجد الزبيدي

قبل الشتات

التاريخ المصور للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨

تأليف

وليد الخالدي

قبل الشتات يروي لنا حكاية فلسطين قبل التقسيم، قبل الطرد والتشتت ــ وهي حكاية لم يسبق أن رواها أحد بمثل هذه الروعة، كما في هذا التاريخ المصور.

قبل الشتات هو رحلة مرئية عبر ستة عقود من تاريخ فلسطين قبل سنة ١٩٤٨. وتعيد هذه الصور والنصوص إلى الحياة كل وجه مهم من وجوه التاريخ الفلسطيني المعاصر. فقد تم انتقاء نحو ٥٠٠ صورة من آلاف الصور، المتوافرة في المجموعات الخاصة والعامة في العالم.

ومن خلال هذا الكنز الغني، سيتاح لك أن تشارك في الحياة اليومية لفلسطين وفي أحداثها السياسية التي صنعت التاريخ:

● عائلات في منازلهم. ● أولاد في مدارسهم. ● مدن تعج بالحياة ومشاهد من الريف. ● عمال من كل المهن والحرف، الذين كونوا الاقتصاد الفلسطيني المزدهر. ● زعماء ورجال دولة بارزون. ● لحظات تاريخية من الصراع والمقاومة والتضحية الفلسطينية.

إصدار قيم وجدير بأن يورث من جيل إلى جيل، وبأن يلقى الاهتمام منك ومن عائلتك.

سعر النسخة: تجليد فني ٤٠ $ يضاف ١٥ $ للبريد.
تجليد عادي ٢٥ $ يضاف ١٠ $ للبريد.

ترسل الطلبات إلى:

I.P.S. P.O. Box 5658, Nicosia-Cyprus, Tel: 456165, Fax: 456324

صدر حديثاً عن

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية

١٩١٨ ـ ١٩٣٩

جمع وتصنيف:
عبد الوهاب الكيالي

يصدر هذا المجلد التوثيقي في طبعة ثانية، بينما الانتفاضة المباركة في الضفة الغربية وقطاع غزة تشتد وتقوى، وتكشف للرأي العام العالمي أساليب الاحتلال التعسفية وزيف ادعاءاته الديمقراطية. وتضع هذه الوثائق كفاح الشعب الفلسطيني في إطاره التاريخي كحركة تحرير وطنية صلبة ومتأصلة ومتجذرة يتوارثها جيل عن جيل.

وكان هذا المجلد قد صدر عام أوضاع إسرائيل الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية. من بيانات وبلاغات وقرارات ومذكرات صادرة عن القيادة السياسية الفلسطينية آنذاك. والمهم الذي يجب توكيده هو أن عرب فلسطين لم يهنوا منذ صدور وعد بلفور في الإعراب للدول وللهيئات الدولية وللرأي العام العالمي عن مقاومتهم للصهيونية وللمساعي الدولية لفرضها على فلسطين ولحرمان العرب من حقوقهم الوطنية والقومية.

سعر النسخة ٢٠ دولاراً اميركياً
يضاف ٥$ لرسوم البريد الجوي.

قرارات المؤتمر الصهيوني الحادي والثلاثين ١٩٨٧

ترجمة:
سمير جبور وسمير صراص

تقدم مؤسسة الدراسات الفلسطينية ترجمة كاملة لقرارات المؤتمر الصهيوني الحادي والثلاثين من اللغة العبرية، وذلك تمشياً مع سياستها في رصد نشاط الحركة الصهيونية العالمية والتوعية بأهدافها ومخططاتها.

والمؤتمر الصهيوني الذي يعقد مرة كل اربع سنوات هو الهيئة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية، يناقش التقارير، ويصدر القرارات الملزمة لدوائر المنظمة ومؤسساتها كافة. ويكتسب المؤتمر الحادي والثلاثون اهمية خاصة، إذ يأتي بعد أربعين سنة على قيام إسرائيل حافلة بالأحداث والتطورات، ويعكس تلاوين العلاقة بين القيادة السياسية الإسرائيلية وقادة اليهود في العالم.

وقد سبق أن نشرت المؤسسة المحاضر الكاملة للمؤتمر الصهيوني السابع والعشرين، والمؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين. كما نشرت كتابين آخرين يضم أحدهما التقارير المقدمة إلى المؤتمر التاسع والعشرين، ويضم الثاني عرضاً لبحوث هذا المؤتمر وقراراته.

سعر النسخة ٢ دولار اميركي
يضاف ١$ لرسوم البريد الجوي.

ترسل الطلبات إلى: I.P.S.

P.O. Box 5658, Nicosia-Cyprus, Tel: 456165, Fax: 456324

شؤون فلسطينية

ترحّب مجلة شؤون فلسطينية بالمـواد التي تصلها للنشر من الباحثين والكتاب، سواء الـدراسـات أو المقـالات أو مراجعات الكتب أو التقارير عن الندوات واللقاءات الفكرية والمجالات المختلفة الاخرى، على ان يكون لموضوعاتها صلة باهتمامات المجلة بالقضية الفلسطينية، بابعادها المختلفة خاصة والصراع العربي ـ الصهيوني عامة.

وترجو شؤون فلسطينية من الراغبين في المساهمة في موضوعاتها ملاحظة ان المجلة لا تعيد نشر أي مادة سبق نشرها بأي طريقة من طرق النشر، ولا تنشر مواد مترجمة. كما ترجو مراعاة ما يلي:

١ ـ يفضّل ان ترسل المادة مطبوعة على الآلة الكاتبة، على وجه واحد من الورقة مع فراغ مضاعف بين السطور.

٢ ـ في الكتابة اليدوية، ينبغي ترك سطر فراغ بين كل سطرين مكتوبين، مع توخي كتابة الاسماء والارقام، وكذلك الكلمات المدرجة بلغات أجنبية، بشكل واضح لا التباس فيه، وان تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة أيضاً.

٣ ـ عند اقتباس نصوص أو معلومات من مصدر ما، ينبغي الاشارة إلى المصدر وفق قواعد الاقتباس المتعارف عليها أكاديمياً. ونشير، فيما يلي، إلى أكثرها شيوعاً:

- بالنسبة إلى الكتب، يذكر اسم المؤلف (واسم المترجم اذا اقتضى الأمر)، والعنوان الكامل للكتاب مع ذكر رقم الجزء أو المجلّد أو الطبعة ان وجدت، واسم المدينة التي صدر فيها، واسم الناشر، وتاريخ النشر، ثم رقم الصفحة أو الصفحات المقتبس منها. واذا غابت عن الكتاب أي من هذه المعلومات، ينبغي الاشارة إلى ذلك، كأن يكتب: بلا ناشر، بلا تاريخ نشر، الخ.
- بالنسبة إلى الصحف اليومية، يذكر اسم الصحيفة، والمدينة التي تصدر فيها، وتاريخ صدورها. اما اذا تمّ الاقتباس من مقالة أو دراسة منشورة في صحيفة يومية، فلا بدّ من ذكر عنوانها واسم كاتبها.
- بالنسبة إلى المجلات الاسبوعية والشهرية والدورية، تذكر اسماؤها، والمدن التي تصـدر فيهـا، وتـواريخها، وأرقام الاعداد أو المجلدات، وكذلك اسماء كُتّاب الموضوعات المقتبس منها، وعناوينها، وارقام الصفحات.
- عنـد الاقتبـاس من مصـدر باحـدى اللغتـين، الانجليزية أو الفرنسية، تكتب المعلومـات عنه بلغته هذه. اما الكتب باللغات الأخرى، فتترجم المعلومات بشأنها إلى اللغة العربية.
- في الدراسات والمقالات، تذكر المصادر في حواش تحمل أرقاماً متسلسلة وتوضع في نهاية الدراسة أو المقالة.
- في التقارير والمراجعات وما شابه توضع المصادر في مكانها، في سياق المتن.